

صنعة الأندلس

الجزء الحادي عشر

دار الكتب السلطانية

كتاب

صحيح الأئمة

نالت

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الحادي عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٣٣٥ هـ
م ١٩١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الثاني^(١)

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

(فيما يكتب من الولايات عن الملوك ، وفيه [ثلاثة] أطراف)

الطرف الأول

(في مصطلح كتاب الشرق)

قد تقدم في الكلام على ما كان يكتب عن الخلفاء أن الولايات في الخلافة العباسية ببغداد كانت تصدر عن الخلفاء دون الملوك المساهمين لهم في الأمر ، لا يُشاركونهم في شيء من الولايات أصلاً . وقد تقدم ذكر ما كان يكتب عن خلفائهم من الولايات هناك .

والمقصود هنا ما كان يكتب عن ملوك بني جنكرخان من البيت الهولاكوهي فمن بعدهم . ولم أقف على شيء من مصطلحهم في ذلك فأوردته هنا .

(١) وقع سهواً في آخر الجزء العاشر أن أول الجزء الحادي عشر "الفصل الثالث" وصوابه "الثاني"

الطرف الثانى

(فى مصطلح كُتاب الغرب والأندلس فيما يكتب من الولايات عن الملوك)

وأعلم أنهم يعبرون عما يكتب فى جميع ولاياتهم بالظَّهائر: جمع ظهير، يفتتحونه بلفظ «هذا ظهير» كما تقدم بيانه فى الكلام على ما كان يكتب عن خلفاء المغرب . ثم هى على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

(ما يكتب لأرباب الوظائف من أصحاب السيوف)

وهذه نسخة ظهير بناية السلطنة بالحضرة من إنشاء أبى عبد الله بن الخطيب ، وهى :

هذا ظهير كريم ، منزله فى الظهائر منزلة المعتمد به من الظهراء ، ومحلّه من الصُّكوك ، الصادرة عن أعظم الملوك ، محلُّ أولى الرايات ، الخافقة العدّيات ، والآراء . فتح على الإسلام ، من بعد الإبهام ، أبواب السَّراء ، وراق طرازاً مُدَّها على عاتق الدولة الغراء ، وأعمل عوامل الجهاد فى طاعة ربِّ العباد ، شارعة لأهل الكفر والعناد ، من باب الأعمال والإغراء .

أمر به فلان لصدر صدور أودائه ، وحسامه المشهور على أعدائه ؛ ووليّه الذى خبر صدق وفائه ، وجلّى فى مضمار الخلوص له مغبراً فى وجوده أكفائه . شيخ شيوخ المجاهدين ، وقائد كتائب المنصورة لغزو الكافرين والمعندين ؛ وعدّته التى يُدافع بها عن الدين ، وسائق ورده المبرز فى الميادين ، الشيخ الأجل الأعزّ الأسنى ؛ الأجد ،

(١) فى اللسان وغيره "الظهير العون يستوى فيه الواحد والجمع" . وقد جمعه القراء على ظهراء . وفى شرح الأشتونى عن بعض النحو بين أنه يشترط فى جمع فعيل على فاعل أن يكون علماً لمؤنث . تأمل .

الأُسْعِدِ ، الأَصْعَدِ ، الأَعْنَى ، الأَحْمَى ، الأَحَبِ ، الأَوْصَلِ ، الأَفْضَلِ ، المَجَاهِدِ ، الأَفْضَى ، الأَرْضَى ، الأَمْضَى ، الشَّهِيدِ ، المَقْدَسِ ، المَرْحُومِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بَدْرِ الدِّينِ ، أبنِ شَيْخِ الشُّيُوخِ وَعَلَمِ الأَعْلَامِ ، المَدَافِعِ عَنِ حَوْزَةِ الإِسْلَامِ ، البَعِيدِ الغَارَةِ فِي نُحُومِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ ، الشَّيْخِ الكَبِيرِ ، الجَلِيلِ الخَطِيرِ ، الرَفِيعِ ، الصَّدرِ ، المَعْظَمِ ، المَوْقَرِ ، صَاحِبِ الجِهَادِ الأَرْضَى ، وَالْعَزْمِ الأَمْضَى ، المَقْدَسِ ، المَرْحُومِ أَبِي عِمْرَانَ (مُوسَى) ، أبنِ أَبِي زَيْدِ رَحُونَ مَحْيُوبِ بَنِ عَبْدِ الحَقِّ بَنِ مَحْيُوبِ ، وَصَلَّ اللهُ سَعْدَهُ ، وَحَرَسَ مَجْدَهُ ، وَبَلَغَهُ مِنْ مَظَاهِرَةِ دَوْلَتِهِ وَمُؤَاوَزَةِ خِلاَفَتِهِ قَصْدَهُ . رَفَعَ قَبْضَةَ العِنَايَةِ وَالإِخْتِيَارِ عَلَى عِمَادِ ، وَأَشَادَ بِدَعْوَةِ التَّعْظِيمِ [مُسْمِعًا ^(١)] كُلَّ حَىٍّ وَجَمَادٍ ، وَقَابَلَ السَّعْيَ الكَرِيمَ بِإِحْمَادٍ ، وَأُورِدَ مِنَ البِرِّ غَيْرِ ثِمَادٍ ، وَاسْتَنْظَهَرَ بِالْوَفَاءِ الَّذِي لَمْ تَسْتَتِرْ نَارُهُ بِرَمَادٍ ، وَلَا قَصَّرَتْ جِيَادُهُ عَنِ بُلُوغِ آمَادٍ ؛ وَقَلَّدَ سَيْفَ الجِهَادِ عَاتِقَ الحَسَبِ اللَّبَابِ ، وَأَعْلَقَ يَدَيَ الأَسْتِظْهَارِ بِأَوْثِقِ الأَسْبَابِ ، وَاسْتَعْلَظَ عَلَى الأَعْدَاءِ بِأَحَبِّ الأَحْبَابِ . لَمَّا قَامَتْ لَهُ البَرَاهِينُ الصَّادِقَةُ عَلَى كَرَمِ شَيْمِهِ ، وَرُسُوخَ قَدَمِهِ ، وَجَنَى مِنْهُ عِنْدَ الشَّدَةِ وَالتَّحْيِيزِ ثَمَرَةَ مَا أَوْلَاهُ مِنْ نِعْمِهِ ، قَابَلَ بِالرَّغْبِ كِرَامَتَ ذِمَّتِهِ ، وَعَظَائِمَ خِدْمَتِهِ ؛ وَشَدَّ اليَدَ عَلَى عَهْدِهِ الَّذِي عَرَفَهُ حِينَ أَنْتَكَمَتِ العُقْدُ وَأَخْلَقَ المَعْتَقِدَ ؛ وَاسْتَأْسَدَ النَّقْدَ ، وَتَنَكَّرَ الصَّدِيقَ ، وَفَرَّقَ الفَرِيقَ ، وَسُدَّتْ عَلَى النَّظَرَةِ الطَّرِيقَ ، وَتَمَيَّزَ المَغْرَقَ وَالعَرِيقَ ؛ فَاتَّقَلَ لَهُ مِيزَانَ المَكَاثِفَاتِ ، وَسَجَّلَ لَهُ رَسَمَ المُصَافَاتِ ؛ وَجَعَلَهُ يَمِينَ المُلْكَ الَّذِي بِهِ يُنَاضِلُ ، وَيُقَاطِعُ وَيُوَاصِلُ ؛ وَسَيْفَ الجِهَادِ ، الَّذِي يَجْحَى بِمَضَائِهِ حَوْزَةَ البِلَادِ ، وَمِرَاةَ النُّصْحِ الَّتِي تَنْجَلِي بِهَا وَجُوهَ الرِّشَادِ . فَقَدَّمَهُ - أَعْلَى اللهُ قَدَمَهُ ، وَشَكَرَ

(١) الزيادة عن "ريحانة الكتاب" لابن الخطيب .

(٢) النقد بالتحريك السفلى من الناس ، وضرب من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه يقال هو أذل من

النقد . أنظر اللسان .

نِعْمَهُ ، وَأَسْعَدَهُ فِيمَا يَمْنَهُ ، وَنَشَرَ بِالنَّصْرِ عَلَمَهُ - شَيْخَ الْفِرَازَةِ بِحَضْرَتِهِ الْعَلِيَّةِ ، وَسَائِرِ
بِلَادِهِ النَّصْرِيَّةِ : تَرَجُّعُ الْقِبَائِلِ وَالْأَشْيَاحِ إِلَى نَظَرِهِ فِي السَّكَنَاتِ ، وَتَسْتَدْرَجُ عَلَى يَدِهِ
مِنْ مَقَامِهِ الْكَرِيمِ غَيُومَ الْبَرَكَاتِ ، وَتُقَرَّرُ وَسَائِلُهَا بِوَسَاطَةِ حُطُوتِهِ ، وَتَقْصُرُ خُطَاهَا
أَعْتِرَافًا بِحَقِّهِ الْوَاجِبِ عَنْ خُطُوتِهِ . فَعَلَيْهِ تَدْوِرُ أَفْلاكُ جَمَاعَاتِهِمْ كَلَّمَا اجْتَمَعُوا
وَأُتْلِفُوا ، وَبِحِجَّةِ فَضْلِهِ يَزُولُ إِشْكَالُهُمْ مَهْمَا آخْتَلَفُوا ، وَبِلِسَانِهِ الْمُبِينِ يَقَرَّرُ لَهُمْ
مَا سَلَفُوا ، وَفِي كَنْفِ رَعِيَّتِهِ يَنْشَأُ مِنْ أَعْقَبُوا مِنَ النَّشْأَةِ وَخَلَفُوا ، وَبِإِقْدَامِهِ تَهَضُّ
أَقْدَامُهُمْ مَهْمَا تَوَقَّعُوا . فَهُوَ يَعْسُوبُ كِتَابَهُمُ الْمُتَلَفَّةَ ، وَفِرْزَانُ قِطْعَتِهِمُ الْمُصْطَفَّةَ ،
وَشَهْمُ جَوَارِحِهِمُ الْفَارِهَةَ ، وَعَيْنُ عِيُونِهِمُ النَّابِيَةَ ، وَتَأْوِيلُ أُمُورِهِمُ الْمُتَشَابِهَةَ ، عَنْ
نَظَرِهِ يَرْدُونَ وَيَصْدُرُونَ ، وَبِإِشَارَتِهِ يَرِيشُونَ وَيِيرُونَ وَأَنَارُهُ يَقْتَفُونَ ، وَبِتَلْعَةِ
دِقَارِهِ الْمَرِيئِيِّ فِي خِدْمَةِ مَقَامِهِ النَّصْرِيِّ يَقْفُونَ . فَهُوَ الَّذِي لَا تَأْتَفُ أَشْرَافُ الْقِبَائِلِ
مِنْ أَقْتِنَاءِ آثَارِهِ ، وَلَا تَجْهَلُ رِفْعَةَ مِقْدَارِهِ ، فَلَيْتَهُ الْمَرِيئِيُّ بِالْحَقِّ ، الْمُسْتَوْجِبَةُ لِلتَّفَخْرِ
بِسَابِقَةِ السَّعَادَةِ لِعَبْدِ الْحَقِّ ، وَلِذَاتِهِ قَصَبُ السَّبْقِ ، وَلَوْفَاتِهِ الشُّهْرَةُ فِي الْغَرْبِ
وَالشَّرْقِ .

فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ - تَوْلَادَ اللَّهِ - مَشْرِحًا بِالْعِزِّ صَدْرَهُ ، مُسْتَمِدًّا مِنْ شَمْسِ سَعَادَتِهِ بِدُرِّهِ ،
مَعْرُوفًا حَقُّهُ مَعْظَمًا قَدْرَهُ ، فَهِيَ خُطَّةُ قَوْمِهِ ، وَفَرِيْسَةُ حَوْمِهِ ، وَطِيَّةُ أَمْسِهِ وَيَوْمِهِ ،
وَكَفُّ خُطْبَتِهِ ، وَهَرْمِي رُبَّتْبَتِهِ ، وَحَلِي جَمِيدِهِ ، وَمُظْهَرُ تَوْفِيْقِهِ وَتَسْدِيدِهِ . مُطْلَقًا مِنْ
عِيَانِ الثَّنَاءِ ، عَلَى أَهْلِ الْغِنَاءِ ، مَعَامِلًا بِصَادِقِ الْإِطْرَاءِ ، لِدَوَى الْآرَاءِ ، مَتَعَمِّدًا بِالْإِغْضَاءِ ،
هَفْوَاتِ أَهْلِ الْمَضَاءِ ، مَعْرِفًا بِالْقِبَائِلِ ، وَالْعَشَائِرِ وَالْفِصَائِلِ ، كَلَّمَا وَفَدُوا مِنَ الْإِفَاقِ
لِلْإِسْتِحْقَاقِ ، مِنْهَا عَلَى مَطَّانِ الْإِسْتِحْقَاقِ ، مُطَبِّقًا لِلطَّبَاقِ ، مِمَّا لَجِيَادِهَا يَوْمَ السَّبَاقِ ،
حَرِيصًا عَلَى إِيْمَاءِ الْأَعْدَادِ ، مُطَبِّقًا مَقَاصِلَ الشَّرَادِ ، مُحْتَاطًا عَلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي تَمْتَرِي

(١) فِي رِيحَانَةِ الْكِتَابِ «مَشْرِقًا» .

بها أكَفَّ الجباية ضُروعَ العباد، واضعاً مالَ الله حيثُ وضعه ألحق من الورع والأستداد، [لا] سِيماً في هذه البلاد؛ حتى تعظم المزايا والمزاين، وتتوفر الكُتائب والخزائن ويتبجح السامعُ ويُسرُّ المعين؛ ويظهر الفضلُ على من تقدم، وأنَّ الظهراءَ كمَّ غادرت من متردِّم، ويتحسَّر من قَصْر ويتندَّم، وعند الله يَجِدُ كُلُّ ماقدَّم . فهي قِلادةُ الله التي يُضَيِّعُ مَنْ أضعاعها، ويرضى^(١) عن عمل فيها أو امره وأطاعها . وهو، - وصلَّ الله سعادته! وحرس مجادته! - أولى من لاحظ ضرائرها، وأستطلع من شأياً التوكل على الله بشأرها : نسباً وحسباً ، وجداً وأباً ، وحداً وشباً ، ونجدةً وضحت مذهبها .

وعلى الغزاة - وفرَّ الله جموعهم! وأنجد تابعهم ومتبوعهم! - أن يعرفوا قدر هذا التعظيم الذي خفقت أعلامه، ووضحت أحكامه؛ والأختصاص الذي لطف محله، والاعتناء الكريم الذي ضفا ظله؛ فيكونوا من إيجاب حقه حيث حدَّ ورسم، وميز ووسم؛ لا يتخلف أحد منهم [في خدمته]^(٢) أيده الله عن إشارته الموقفة، ولا يسدُّ عن رياسته المطلقة؛ بحول الله تعالى وقوته .



وهذه نسخة ظهير بناية السلطنة ببعض الأعمال، وهي :

هذا ظهير كريم، مضمته استجلاءً لأُمور الرعايا وأسئطلاع، ورعاية كرمت منها أجناس وأنواع؛ وعدلٌ بهر منه شعاع، ووصاياً يجب لها إهطاع .

أصدرناه للفقير أبي فلان . لما تقرر لدينا دينه وعدله وفضله رأينا أنه أحقُّ من نُقلده المهِّم الأَكيد، ونزى [به]^(٢) من أغراض البرِّ الغرض البعيد؛ ونستكشف به

(١) في "ريحانة الكتاب" التي لا يضيع من أضعاعها، ويوفى صاعها .

(٢) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

أحوال الرعايا حتى لا يغيب عنا شيء من أحوالها، ولا يتطرق إليها طارق من إهمالها،
ويُنهي إلينا الحوادث التي تنشأ فيها لإنهاء تكفل بحياطة أبنائها وأموالها .
وأمرناه أن يتوجه إلى جهة كذا - حاطها الله - فيجمع الناس في مساجدهم، ويندبهم
من مشاهدتهم . ويبدأ بتقرير غرضنا في صلاح أحوالهم، وإحساب آمالهم،
ومكابدتنا المشقة في مُدارة عدوهم الذي يعلم من أحوالهم ما غاب عنهم - دفعه الله
بقدرته، ووفى نفوسهم وحریمهم من معزته - وبما رأينا من آتبات الأسباب التي
فيك تؤمل، وعجز الخيل التي كانت تُعمل . ويستدعى إنجادهم بالدعاء، وإخلاصهم
فيه إلى رب السماء . ويسأل عن سيرة القواد، وولاة الأحكام بالبلاد : فن نالته
مظلمة فليرفعها إليه، ويقصها عليه : ليلغها إلينا، ويوفدها مقزرة الموجبات علينا .
ويختبر ما أفترض صدقة للجبل، وما فضل عن كريم ذلك العمل : ليعين لبناء
الحصن بجبل قارة يسر الله لهم في إتمامه، وجعل صدقتهم تلك مسك ختامه،
وغيره مما أفترض إعانة للسافرين، وإنجاداً للجهاد الكافرين؛ فيعلم مقدارَه،
ويتولى اختبارَه؛ حتى لا يُعمل منه شيء على ضعيف، ولا يُعدل به لمشروف
عن شريف، ولا تقع فيه مضايقة ذى الجاه، ولا مخادعة غير المراقب لله . ومتى
تحقق أن غنياً قُصر به فيه عن حقه، أو ضعيفاً كُلف منه فوق طوقه، فيجبر الفقير
من الغنى، ويحجى من العدل على السنن السوى - ويعلم الناس أن هذه المعونة
وإن كانت بالنسبة إلى محل ضرورتها يسيره، وأن الله يضاعفها لهم أضعافاً كثيرة؛
ليست مما يلزم، ولا من المعاون التي بتكريرها يُجزم - وينظر في عهود المتوفين
فيصرفها في مصارفها المتعينة، وطرقها الواضحة البيّنة - ويتفقد المساجد تفقدًا يكسو

عاريها ، ويُتمّم منها المأربَ [نتميا] يرضى باريها - ويندبُ الناس إلى تعليم
القرءان لصبيانهم ، فذلك أصلُ أديانهم . ويحدّثهم المغيّب عن كل شيء من
أعشارهم فالزكاةُ أختُ الصلاة وهما من قواعد الإسلام ، وقد آخترنا لهم بأقصى الحدِّ
والإعترام ، ورفعنا عنهم رسمَ التعريف نظراً إليهم بعين الأهتمام ؛ وقدّمتنا الثقات
لهذه الأحكام ، وجعلنا الحرصَ شرعياً في هذا العام ، وفيما بعده إن شاء الله
من الأعوام .

ومن أهمّ ما أسندناه إليه ، وعوّلنا فيه عليه ، البحثُ بتلك الأحوال عن أهل
البدع والأهواء ، والسائرين من السبيل على غير السواء ؛ ومنّ ينبزُ بفساد العقْد ،
وتحريفِ القصد ؛ والتلبّس بالصوفيّة وهو في الباطن من أهل الفساد ، والذاهبين
إلى الإباحة وتأويل المعاد ؛ والمؤلّفين بين النساء والرجال ، والمتنبّعين لمذاهب
الضلال . فهما عثر على مُطوّق بالتهمة ، منبّز بشيء من ذلك من هذه الأمة ؛ فليشدّ
وثاقه شدّاً ؛ وليشدّ عليه سبيلَ الخلاص سداً ؛ ويستترع في شأنه الموجبات ،
ويستوعب الشهادات ، حتّى ننظر في حسم دائه ، ونعالج المرص بدوائه ؛

فليتولّ ما ذكرنا نائباً بأحسن المناب ، ويقصد وجهَ الله راجياً منه جزيل الثواب ،
ويعمل عملَ مَنْ لا يخاف في الله لومة لائم ليجد ذلك في مواقف الحساب ؛

وعلى من يقف عليه من القواد والأشياخ والحكّام أن يكونوا معه يداً واحدة على
ماقرنناه في هذه الفصول : من العمل المقبول والعدل المبذول . ومن قصر عن غاية
من غاياته ، أو خالف مقتضى من مقتضياته ، فعقابه عقابُ من عصى أمر الله
وأمرنا فلا يلو من إلا نفسه التي غرته ، وإلى مصرع النكير جرته ، والله المستعان .



وهذه نسخة ظهير بالإمرة على الجهاد ، وهى :

هذا ظهير كريم بلغ فيه الاختيار، الذى عضده الاختبار، الى أقصى الغايه؛^(١) وجمع له الوفاق، الذى خدّمه البختُ والاتفاق، والأهليّة التى شهدت بها الآفاق، بين نُجح الرأى ونصر الرايه؛ وأنتجتُ به مقدماتُ الولاء نتيجة هذه الرتبة السامية العلاء والولاية. وأستظهر من المعتمد به، على قصده الكريم فى سبيل الله ومذهبه، بليث من ليوث أوليائه شديد الوطأة على أعدائه والنكايه، وفرع من فروع الملك الأصيل معروف الأبوّة والإبايه؛ لتتضح حجة النصر العزيز والفتح المبين ذى القوة المتين محكمة الآيه، وتدل بداية هذه الدولة الرافعة لمعالم الدين، المؤيدة فى الأقوال والأفعال بمدد الروح الأمين، على شرف النهايه .

أصدر حكمته وأبرز حكمه، وقتر حدّه الماضى ورسمه، عبد الله، الغنى بالله [محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر]^(٢) - عضد الله كتابه وشد عضده، ويسر فى الظهور على أعداء الله قصده - لوليّه المستولى على ميادين خطوته وإيثاره، الفائق بالقدح المعلى من إجلاله وإجباره؛ ظهير استنصاره، وسيف جهاده المعد لصدق ضربته ويوم افتخاره، ويعسوب قبائل الغزاة بأصقاعه الجهادية وأقطاره؛ الأمير أبى عبد الرحمن، ابن الأمير أبى على، ابن السلطان أمير المسلمين أبى سعيد، ابن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبدالحق - وصل الله له أسباب سعده، وأنجز للمسلمين بمظاهرة إياه على الكافرين سابق وعده، لمّا وفد على بابه الكريم

(١) فى ريحانة الكتاب « بلغ فيه الاختيار النهايه والاختبار الى » الخ .

(٢) الزيادة "من الريحانة".

(١) مؤثراً على ما كان بسبيله عن جواره، ملقياً بحملة الجهاد عصاً تسياره، مفضلاً ما عند الله على رُحْبِ أوطانه وأقطاره؛ شيةً من أسرع إلى خير الآخرة ببداره، قبل آكتمال هلاله وإبداره، وعلى أنبغات أمله وترامى هممه وأستقامة مداره - قابل أيدى الله وقادته بالقبول المدوح، والصدر المشروح، والعناية العالية المظاهر والصرُوح؛ وجعل له الشرب المهني في مناهل الصنائع التي صنع الله الملكة والفتوح؛ ولم يدخر عنه تقريباً يقف الأولياء دون مداه، وترفعاً تشهد به محافل الملك ومنتداه؛ إلى أن ظفرت بحقيقة الموالاتة الكريمة يدها، ثم أستظهر به على أعداء الله وعيداه، فوق النصح لله وأداه، وأضمره وأبداه، وتحلى بالبسالة والحلالة والطهارة، اللاتفة بمنصب الإمارة، في رواجه ومغدها؛ حتى آتفت الأهواء على فضله وعفائه، وكال أوصافه وظهرت عليه تحايل أسلافه. ثم رأى الآن - سدد الله رأيه، وشكر عن الإسلام والمسلمين سعيه - أن يوفد ركائب الاعتقاد الجميل على جنابه، ويفسح ميدان الاستظهار بحسن منابه، ويصل أسبابه بأسبابه؛ ويضعف بولائه الصادق أهتامه، ويقيمه في قود عساكره لجهاد البرمقامه؛ فأضفى ملابس وده عليه، وجعله فاتح أبواب الجنة بفضل الله بين يديه؛ وأجراه مجرى عضده الذي تصدق عنه الضريبة في المجال، وسيفه الذي يفرج به مضائق الأحوال؛ ونصبه للقبائل الجهادية قبلة في مناصحة الله ومناصحة مشروعه، وراية سعيدة في مظاهرة متبوعه؛ وعقد له الولاية الجهادية التي لا تعدل بولايه، ولا توازن عناية المعتمد بها بعنايه؛ يشهد بصراحة نسبها الدين، وتحلى بجلى غرَّتْها الميادين. فالجهاد في سبيل الله نحلة نبي الأمه، ومن بعده من الأمه؛ لاسمياً في هذا القطر المتأكد فيه ذلك لأولى الدين والهيمه.

(١) لعله "مؤثراً له على ما كان يشغله عن جواره" تأمل .

فليتولَّ ذلك تولى مثله وإن قلَّ وجودُ مثله ، جارياً على سَنِّ مَجْدِهِ وفضله ، سائراً من رضا الله على أَوْصَحِّ سَبِيلِهِ ، معتمداً عليه فى الأمر كُلِّهِ .

وَلْيَعْلَمَ أن الذى يخلق ما يشاء ويختار قد هَيَّأَ له من أمره رَشْداً ، وسَلَكَ به طَرِيقاً سَدِّداً ، واستعمله اليومَ فيما يُحِيطُ به غداً ، وجعل حَظَّهُ الذى عَوَّضَهُ نُوراً وهُدًى ، وأبعد له فى الصالحات مَدًى - ولينظر فيما لديه من القبائل الموقورة ، والجموع المؤيَّدة المنصورة ؛ نظراً يُزِيحُ العِللَ ، ويبلِّغُ الأملَ ، ويرعى الهَمَلَ ، ويُحَسِّنُ القولَ ويُجِجُ العملَ ؛ منبهاً على أهل الغنَاءِ والأستحقاقِ ، مستندراً للعوائد والأرزاقِ ، معرفاً بالغرباء الواردين من الآفاقِ ، مُطَبِّقاً منهم للطباقِ ، متعمداً للهَفَواتِ بحسن الأخلاقِ ؛ مستجيذاً للأسلحة والكراعِ ، مبادراً هيئاتِ الصَّرِيحِ بالإسراعِ ؛ مسترعياً للشُّورةِ التى يَقَعُ الحُكْمُ فيها عن حصول الإجماعِ ، رفيقاً بمن صَعُفَ عن طول الباعِ ؛ محتاطاً على الإسلامِ فى مواقف الدِّفاعِ ، مُقَدِّماً عند اتِّجَاهِ الأَطَاعِ ؛ صابراً فى المضايقِ على القِرَاعِ ، متقدِّماً للأبطالِ بالأصطناعِ ، مقابلاً نصائحَ أولى الخِبرةِ بِحُسْنِ الاستماعِ ، مستعملاً فى الحروبِ ما أجازهُ الشرعُ من وُجوهِ الحِذَاعِ ؛ حتَّى يكونَ عمله وفق شُهْرتهِ البعيدةِ المَطَّارِ ، وسيرتهِ فيما أُسْنِدَ إليه مثلاً فى الأقطارِ ، واستقامةِ التدبيرِ على يديه ذريعةً إلى إرغامِ أنوفِ الكُفَّارِ ؛ بقوةِ الله وحوله ، وعزِّته وطولِهِ .

وعلى الغزاة بالحضرة العلية ، وسائر البلاد النَّصْرِيَّةِ ؛ من بنى مَرِيَّةً ، وسائر القبائل المجاهدين ، أن يعرفوا قدره ، ويمثّلوا فى مرضاتنا أمره ؛ ويكونوا معه رُوحاً ويدا

(١) السدد القصد والاستقامة والسدد أيضا مقصور من السداد . انظر اللسان .

(٢) الهمل اسم جمع هامل لأن فاعلا لا يكسر على فعل ونظيره راح وروح . انظر اللسان .

(٣) الكراع كغراب جماعة الخيل . والهبيعة الصوت تفرع منه وتخافه من عدو . انظر القاموس .

وجسداً، وساعداً وعضداً؛ فبذلك يشمله من الله ومن مقامنا الرضا والقبول، والعزُّ الموصول؛ ويمضى في عدو الله النصول، ويتأثى على خير الدنيا والآخرة الحُصول، إن شاء الله . ومن وقف عليه، فليعرف مآلديه؛ بحول الله تعالى .



وهذه نسخة ظهير بالتقدمة على الطبقة الأولى من المجاهدين، لولد السلطان،

وهى :

هذا ظهيرٌ كريمٌ، فاتحٌ بنشر الألوية والبُود، وقود العساكر والجنود؛ وأجال في ميدان الوجود، جِيادَ البأس والجُود؛ وأضفى سِتْرَ الحِمَايةِ والوقاية بالتهائم والتُّجود، على الطائفين والعاكفين والرَّكع السُّجود - عقد للعتمده به عقد التشريف والقدر المُنيف زاكِي الشُّهود؛ وأوجب المناقسة بين مجالس السُّروج ومَصَاجِعِ المُهود، وبشَّرَ السُّيوفِ في العُمود، وأنشأ رِيحَ النصر آمنةً من الخُجود - أمضى أحكامه، وأنهد العِزَّ أمامه، وفتح عن زهر السُّرور والحبور أكامه، أميرُ المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد فرج بن نصر - أيد الله أمره، وخلَّدَ ذكره - لكبير ولده، وسابق أمده، ورِيحانة خَلده، وياقوتة الملك على يده؛ الأمير الكبير، الطاهر الظاهر، الأعلى، واسطة السلك، وهلال سماء الملك، ومِصباح الظلم الخلك، ومِظنة العناية الإلهية من مدبر الفلك ومُجْرِى الفلك؛ عُنْوَانِ سعده، وحُسامِ نصره وعَضده؛ وسميَّ جدّه، وسلالة فضلته ومجده؛ السعيد، المظفر، المُمام، الأعلى، الأمضى، العالم، العادل، العامل، الأرضي، المجاهد، المؤمل، المعظم، أبي الحجاج يوسف - ألبسه الله من رضاه عنه حللاً لا تُخلِّق جَدَّتْهَا الأيام، ولا تبلغ كُنْهَهَا الأفهام؛ وبلغه في خدَمه المبالغ التي يُسرُّهَا الإسلام، وتسبح في بحار صنائعها الأقلام، وحرس

معاليه الباهرة بعينه التي لا تنام ، وكنفه برُكْنه الذى لا يُضام - فهو الفرع الذى جرى بخصمه على أصله ، وأرتسم نصره فى نصره ، واشتل جده على فضله ، وشهدت ألسن خلاله ، برفعة جلاله ؛ وظهرت دلائل سعادته ، فى بدء كل أمر وإعادته .

ولمّا صرف وجهه إلى ترشيحه لأفتراح هضاب المجد البعيد المدى ، وتوشيح به بالصبر والحلم والبأس والندى ، وأرهف منه سيفاً من سيوف الله لضرب هام العدا ، وأطلعه فى سماء الملك بدر هدى ، لمن راح وغدا ؛ وأخذ بالآداب التى تُقيم من النفوس أودا ، وتُبدّر فى اليوم فتُجنى غدا ، ورقاه فى ربّ المعالى طورا فطورا ، ترقى النبات ورقاً ونورا ؛ ليجده بحول الله يداً باطشة على أعدائه ، ولسانا مجيباً عند ندائه ، وطراراً على حلة عليائه ، وعماماً من غمام آلائه ، وكوكبا وهاجاً بسائه . وعقد له لواء الجهاد على الكتيبة الأندلسية من جنده ، قبل أن ينتقل من مهده ؛ وظلّه بجناح رايته ، وهو على كند دايته ^(١) ، واستركب جيش الإسلام ترحيباً بوفادته ، وتوحيها بمجادته ، وأثبت فى غرض الإمارة النصرية سهم سعادته - رأى أن يزيد من عنايته ضروبا واجناسا ، ويتبع أثره ناسا فناسا ؛ قد اختلفوا لسانا ولباسا ، وآتفقوا آبتغاء لمرضاة الله والتماسا ؛ ممن كرم أنتماؤه ، وأزيت بالحسب الغرسماؤه ^(٢) ، وعرف غناؤه ، وتأسس على المجادة بناؤه ؛ حتى لا يدع من العناية فناً إلا جلبه إليه ، ولا مقادة فخر إلا جعلها فى يديه ، ولا حلة عن إلا أضفى ملابسها عليه .

وكان جيش الإسلام فى هذه البلاد الأندلسية - آمن الله خلالها ، وسكن زلزالها ، وصدق فى رحمة الله التى وسعت كل شىء آمالها - كلف همته ، ومرعى

(١) الكند بفتح الناء وكسرهما أعلى الكنف والداية الظئر ، أنظر اللسان .

(٢) لعله الاغر وفى ريجانة الكتاب « الخالص » .

أذمته ، وميسدان جواده ، ومتعلق أمد جهاده ، ومِعْرَاج إرادته ، إلى تحصيل
سعادته ، وسبيل خلاله ، إلى بلوغ كماله ، فلم يدع له علة إلا أراحها ، ولا طابئة
إلا أجل قداحها ، ولا عزيمة إلا أورى أفتداحها ، ولا رغبة إلا فسح ساحها ،
أخذاً مروءته بالتهذيب ، ومصافه بالترتيب ، وآماله بالتقريب ، وتأيس المرئيب ،
مستعجزاً له وبه وعد النصر العزيز والفتح القريب ، ورفع عنه لهذا العهد نظر من
حكم الأغراض في حماته ، وأستشعر عروق الحسائف لشريف كحاته ، واشتغل
عن حُسن الوساطة لهم بمصلحة ذاته ، وجب جباته ، وتثمير ماله وتوفير أقواته ،
ذاهباً أقصى مذاهب التعمير بأمد حياته ، فأنفجر الضيق ، وخلص إلى حسن نظره
الطريق ، وساغ الرقيق ، ورضى الفريق .

رأى - والله الكفيل بنبج رأيه ، وشكر سعيه ، وصلة حفظه ورعيه - أن يُحمد
لهم اختياره ، ويُحسن لديهم آثاره ، ويستنب فيما بينه وبين سيوف جهاده ، وأبطال
جلاده ، وحماة أحواره ، وآلات أعتزازه ، من يجرى مجرى نفسه النفيسة في كل
معنى ، ومن يكون له لفظ الولاية وله - أيده الله - المعنى ، فقدمه على الجماعة الأولى
كبرى الكئاب ، ومقاد الحنائب ، وأجمة الأبطال ، ومزنة الودق الهطال ، المشتملة
من الغزاة على مشيخة آل يعقوب نساء الملوك الكرام ، وأعلام الإسلام ، وسائر
قبائل بني مرين ، أيوث العرين ، وغيرهم من أصناف القبائل ، وأولى الوسائل ،
ليحوط جماعتهم ، ويرفع بتفقدده إضاعتهم ، ويستخلص لله ولأبيه - أيده الله -
طاعتهم ، ويُشرف بإمارته مواكبهم ، ويزين بهلاله الناهض إلى الإبرار ، على فلك
سعادة الأقدار ، كواكبهم ، تقديماً أشرق له وجه الدين الحنيف وتهلل ، وأحس
باقتراب ما أمل ، فله خيل آختيال ومرّاح ، وللأسل السمر أهترار وارتياح ، وللصدور
النشراح ، وللأمل مغدى في فضل الله ومرّاح .

فليتول ذلك - أسعده الله - تولى مثله من أسرة الملك أسرته ، وأسرة النبي صلى الله عليه وسلم أسرته ، والمَلِكُ الكَرِيمُ أصلُ لفرعه ، والنسبُ العربىُّ مَفْخَرٌ لَطِيبٌ (١) طبعه ، أخذًا أشرافهم بترفع المجلس بنسبة أقدارهم ، مقرَّبًا حُسنَ اللقاء بإيثارهم ، شاكرًا غنَّاءهم ، مستديمًا ثنائهم ، مستدرًّا لأرزاقهم ، موجبًا للمزية بحسب استحقاقهم ، شافعًا لديه فى رغباتهم المؤمَّلة ، ووسائلهم المتحمَّلة ، مسهلًا الإذنَ لوُفودهم المتلاحمة ، مُنقِّقًا لبضائعهم النافقة ، مؤنسًا لغيربائهم ، مستجلبًا أحوالَ أهلهم وآبائهم ، مميِّزًا بينَ أغفالمهم ونُبَّاهم .

وعلى جماعتهم - رعى الله جهادهم ، ووفَّر أعدادهم - أن يطيعوه فى طاعة الله وطاعة أبيه ، ويكونوا يدًا واحدةً على دِفَاعِ أعادى الله وأعاديه ؛ ويتشدوا فى المواقف الكريهة أزره ، ويمثلوا نهيه وأمره ؛ حتى يعظم الانتفاع ، ويُنجز الدفاع ، ويخلص القصدُ لله والمُطاع ؛ فلو وجد - أيده الله - غايةً فى تشریفهم لبلغها ، أو موهبةً لسوغها ؛ لكن ما بعد ولده العزيز عليه مذهب ، ولا وراء مباشرتهم بنفسه مرغب ؛ والله منجح الأعمال ، ومبلغ الآمال ، والكفيل بسعادة المآل .

فمن وقف على هذا الظهير الكريم فليعلم مقدار ما تضمَّنه من أمرٍ مُطاع ، ونخرٍ مستند إلى إجماع ، ووجوب أتباع ، وليكن خيرَ مرعى لخير راع ، بحول الله .

وأقطعه - أيده الله - ليكون بعض المدد لأزواد سقره ، وسِمَاط قفره ، فى جملة ما أولاه من نعمه ، وسوغه من مواد كرمه - جميع القرية المنسوبة إلى عرب غسان : وهى المحلة الأثيرة ، والمنزلة الشهيرة ؛ تنطلق عليها أيدى خُدَّامه ورجاله ،

(١) فى الريحانة « منجد لطيب » الخ .

جارية مجرى صالح ماله ، محتررة من كل وظيف لأستغلاله ، إن شاء الله فهو المستعان سبحانه ، وكتب في كذا .



وهذه نسخة ظهير لمشيخة الغزاة بمدينة مالتة ، وهو :

هذا ظهير كريم أطلع الرضا والقبول صباحا ، وأنشأ للعناية في جَوِّ الوجود ، من بعد الرُّكود ، رِيَاحا ، وأوسع العيون قُرَّةً [وإبصارا] ^(١) والصُّدورَ آنشراحا ، وهياً للعتمد به مَعْدَى في السعادة ومَراحا ، وهزَّ منه سيفاً عتيقاً يفوق اختيارا و يروقُ ألتِّحاحا ، وولاه رياسة الجهاد في القطر الذي تقدمت الولاية فيه لسلفه فنال عزاً شهيراً وأزداد نفراً صَراحا ، وكان [له] ^(١) ذلك إلى أبواب السعادة مفتحاً .

أمر به وأمضاه ، وأوجب العمل بحسبه ومقتضاه ، الأميرُ عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين ، والمجاهد في سبيل رب العالمين ؛ أبي الحجاج [يوسف] ^(١) ابن مولانا أمير المسلمين ، أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر - أيد الله أمره وأعز نصره ، وأسعد زمانه وعصره - لوليه في الله الذي كساه مولاة من جميل أعتقاده حُلاً ، وأورده من عذب رضاه منهلًا ، وعرفه عوارف قبوله مفضلاً خطأها ومجلاً ، الشيخ أبي العلا ، إدريس ، ابن الشيخ أبي سعيد عثمان ، بن أبي العلا وصل الله أسباب سعادته ، وحرس علي مجادته ، وأجراه من ترفيع المكانة لديه علي [أحمد] ^(٢) عادة سلفه [وعادته] ^(١) .

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

(٢) في ریحانة الكتاب «أخاف» .

ولمّا كان له القدر الجليل ، والمجد الأثيل ، والذكر الجميل ، والفضائل التي كرم
منها الإجمال والتفصيل ، وأحرز قصب السبق بذاته وسلفه إذا ذكر المجد العريض
الطويل ، وكان قد عمل الرحلة إليه يحدوه إلى خدمته التأميل ، ويهوى به الحب
الذي وضح منه السبيل ، وعاق عنه الواقع الذي تبين فيه عُدْرهُ الجميل ، ثم خلاصه الله
من ملكة الكفر الخلاص الذي قام به على عنايته الدليل - قابله بالقبول والإقبال ،
وفسح له ميدان الرضا رحب المجال ، وصرف إليه وجه الاعتداد بمضائه رائق
الجمال ، سافراً عن بلوغ الآمال ، وآواه من خدمته إلى ربوة متسعة الأرجاء وارفة
الظلال ، وقطع عنه الأطلاع بمقتضى همته البعيدة المنال . ثم رأى - والله يُنحج
رأيه ، ويشكر في سبيل الله عن الجهاد سعيه - أن يستظهر بمضائه ، ويرسل عليه
عوارف آلائه ، ويعمر به رتب آبائه . فقدمه - أعلى الله قدمه ، وشكر [الآءه]^(١)
ونعمه - شيخ الغزاة والمجاهدين ، وكبير أولى الدفاع عن الدين ، بمدينة (مالقة)
حرسها الله أخت حضرة [دار] ملكه ، وثانية الدرّة الثمينة من سلّكه ، ودار سلفه
وقرارة مجده ، والأفق الذي تألق منه نور سعده ، راجعاً إليه نظر القواعد الغربية
رئدة وركوان (؟) وما إليه رجوع الاستغلال والاستيراد ، والعزّ الفسيح المجال البعيد
الآماد ، يقود جميعها إلى الجهاد ، عاملاً على شاكلة مجده في الإصدار والإيراد ،
حتى يظهر على تلك الجهات المباركة آثار الحماية والبسالة ، ويعود لها عهد المجادة
والجلالة ، وتترين ملابس الإياله . وهو يعمل في ذلك الأعمال التي تليق بالمجد
الكريم ، والحسب الصميم ، حتى ينمو عدد الجاه ، ويكفّ البأس أكفّ الغزاة
ويعظم أثر الأبطال النكاه ، وتظهر ثمرة الاختيار ، ويشمل الأمن جميع الأقطار ،
وتحسّم عنه أطلع الكفار .

(١) الزيادة من "الريحانة" .

وعلى من يقف عليه من الفرسان - وفر الله أعدادهم ، وأعز جهادهم - أن يكونوا ممثلين في الجهاد لأمره ، عارفين بقدره ؛ ممضين فيما ذكر لحكمه ، واقفين عند حده ورسمه . وعلى من سواهم من الرعايا والخدّام ، والوُلاة والحُكّام ، أن يعرفوا قدر هذا الاعتناء الواضح الأحكام ، والسير المشرق القسام ، فيعاملوه بمقتضى الإجلال والإكرام ، والترفيح والإعظام . على هذا يُعتمد ، وبحسبه يعمل ؛ بحول الله وقوته .

الضرب الثاني

(من ظهائر بلاد المغرب ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية
من أصحاب الأقلام)

وهذه نسخة ظهير بقضاء الجماعة بالحضرة ، وهو :

هذا ظهير كريم أنتج مطلوب الاختيار قياسه ، ودلّ على ما يُرضى الله عز وجل التماسه ، وأطلع نور العناية يجلو الظلام نبراسه ، وأعتمد بمثابة العدل من عُرف بافتراح هضبتها بأسه ، وألقى بيد المعتمد به زمام الاعتقاد الجميل تروق أنواعه وأجناسه ، وشيّد مبنّى العز الرفيع في فنة الحسب المنيع وكيف لا والله بانيه والمجد أساسه .

أمر به ، وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه ؛ أمير المسلمين أبو الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر - أيد الله أمره ، وخلد نخره - لقاضى حضرته العلية ، وخطيب حمرائه السنية ؛ المخصوص لديه بترفيح المزية ، المصروف إليه خطاب القضاة بياالته النصريه ؛ قاضى الجماعه ، ومصرف الأحكام الشرعية المطاعه ؛
الشيخ أبي الحسن ابن الشيخ أبي محمد بن الحسن وصل الله سعادتة ،

وَحَرَسَ مَجَادَتَهُ ، وَسَتَّى مِنْ فَضْلِهِ إِرَادَتَهُ . عَصَبَ مِنْهُ جَبِينَ الْمَجْدِ بَتَاجِ الْوِلَايَةِ ، وَأَجَالَ قِدَاحَ الْأَخْتِيَارِ حَتَّى بَلَغَ الْغَايَةَ وَتَجَاوَزَ النِّهَايَةَ ، فَأَلْقَى مِنْهُ بِيَمِينِ عَرَابَةِ الرَّايَةِ ، وَأَحْلَهُ مِنْهُ مَحَلَّ اللَّفْظِ مِنَ الْمَعْنَى وَالْإِعْجَازِ مِنَ الْآيَةِ ، وَحَشَرَ إِلَى مِرَاعَاةِ تَرْفِيعِهِ وَجُوهَ الْبِرِّ وَأَعْيَانَ الْعِنَايَةِ ، وَأَنْطَقَ بِتَجْزِيلِهِ ، أَلْسُنَ أَهْلِ جِيلِهِ ، بَيْنَ الْإِنْصَاحِ وَالنِّكَايَةِ .

ولما كان له الحَسَبُ الذى شَهِدَتْ بِهِ وَرَقَاتِ الدَّوَاوِينِ ، وَالْأَصَالَةُ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا صِحَاحُ الْبِرَاهِينِ ، وَالْآبَاءُ الَّذِينَ أَعْتَرَبَ بِمِضَاءِ قُضَاتِهِمُ الدِّينَ ، وَطَبَّقَ ^(١) مَفَاصِلَ الْحُكْمِ بِسُيُوفِهِمُ الْحَقِّ الْمُبِينِ ، وَأَزْدَانَ بِمُجَالَسَةِ وَزَرَائِهِمُ السُّلَاطِينِ : فَمِنْ فَارِسِ حُكْمِ أَوْحَكِيمِ تَدْبِيرِ ، أَوْ قَاضٍ فِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ وَوَزِيرِ ، أَوْ جَامِعٍ بَيْنَهُمَا جَمَعَ سَلَامَةَ لِاجْمَعِ تَكْسِيرِ ؛ تَعَدَّدَ ذَلِكَ وَأَطْرَدَ ، وَوَجَدَ مَشْرَعَ الْمَجْدِ عَذْبًا فَوْرَدَ ، وَقَصَّرَتْ النَّظْرَاءُ عَنْ مَدَاهِ فَانْفَرَدَ ، وَفَرَى الْفِرَى فِي يَدِ الشَّرْعِ فَأَشْبَهَ السَّيْفَ الْفِرَنْدَ ؛ وَجَاءَ فِي أَعْقَابِهِمْ مُجِيئًا لِمَا دَرَسَ ، بِمَا حَقَّقَ وَدَرَسَ ، جَانِيًا لِمَا بَدَّرَ السَّلْفُ الْمُبَارَكُ وَأَغْتَرَسَ ؛ طَاهِرَ النَّشْأَةِ وَقُورَهَا ، مَجُودَ السَّجِيَّةِ مَشْكُورَهَا ، مَتَحَلِّيًا بِالسَّكِينَةِ ، حَالًا مِنَ التَّزَاهَةِ بِالْمَكَانَةِ الْمَكِينَةِ ؛ سَاحِبًا أَذْيَالَ الصَّوْنِ ، بَعِيدًا عَنِ الْإِتِّصَافِ بِالْفَسَادِ مِنْ لُدُنِ الْكُؤُنِ ، نَخِطَبَتَهُ الْخُطَطُ الْعَلِيَّةُ ، وَأَغْتَبَطَتْ بِهِ الْمَجَادَةُ الْأَوَّلِيَّةُ ؛ وَأَسْتَعْمَلْتَهُ دَوْلَتُهُ الَّتِي تَرْتَادُ أَهْلَ الْفَضَائِلِ لِلرُّتَبِ ، وَتَسْتَظْهِرُ عَلَى الْمَنَاصِبِ بِأَبْنَاءِ التَّقَى وَالْحَسَبِ ، وَالْفَضْلِ وَالْمَجْدِ وَالْأَدَبِ ، مِمَّنْ يَجْمَعُ بَيْنَ الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ وَالْإِرْتِثِ وَالْمَكْتَسَبِ ؛ فَكَانَ مَعْدُودًا مِنْ عُدُولِ قُضَاتِهَا وَصُدُورِ نَهَائِهَا ، وَأَعْيَانَ وَزَرَائِهَا ، وَأَوْلِيَ آرَائِهَا .

فَلَمَّا زَانَ اللَّهُ خِلَافَتَهُ بِالتَّمْخِيصِ ، الْمَتَجَلَّى عَنِ التَّمْخِيصِ ، وَخَلَصَ مُلْكُهُ الْأَصِيلَ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِمِ مِنْ بَعْدِ التَّمْخِيلِ ، كَانَ مِنْ صَحْبِ رِكَابِهِ الطَّالِبَ لِلْحَقِّ

(١) يقال طَبَّقَ السَّيْفَ إِذَا أَصَابَ الْمَفْصِلَ فَأَبَانَ الْعَضُو . انظر اللسان .

بَسَيْفِ الْحَقِّ ، وَسَلَكَ فِي مَظَاهِرَتِهِ أَوْضَحَ الطَّرِيقِ ، وَجَادَلَ مَنْ حَادَّهُ بِأَمْضَى مِنْ
 الْحِدَادِ الدُّنْقِ ، وَأَشْتَهَرَ خَيْرُ وَقَائِهِ بِالْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ، وَصَلَّى بِهِ صَلَاةَ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ،
 وَالْأَمْنِ وَالْحَذَرِ ، وَخَطَبَ بِهِ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي بَعُدَ بِذِكْرِ اللَّهِ عَهْدُهَا ، وَخَاطَبَ
 عَنْهُ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - الْمَخَاطَبَاتِ الَّتِي حُمِدَ قَصْدُهَا ، حَتَّى اسْتَقَلَّ مُلْكُهُ فَوْقَ سَرِيرِهِ ،
 وَأَبْتَهَجَ مِنْهُ الْإِسْلَامَ بِأَمِيرِهِ وَأَبْنِ أَمِيرِهِ ، وَنَزَلَ السُّتْرَ عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ بِبِرْكَةِ إِيَالَتِهِ
 وَيُمْنِ تَدْبِيرِهِ ، وَكَانَ الْجَلِيسَ الْمُقَرَّبَ الْمُحْسَلِ ، وَالْحَظِيَّ الْمَشَاوِرَ فِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ،
 وَالرَّسُولَ الْمُؤْتَمَنَ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَالْأَمِينَ عَلَى الْوُظَائِفِ الْجِبَارِ ، مَزِينِ الْمَجْلِسِ
 السُّلْطَانِيِّ بِالْوَقَارِ ، وَمَتَحِفَ الْمَلِكِ بِغَرِيبِ الْأَخْبَارِ ، وَخَطِيبَ مَنبَرِهِ الْعَالِي فِي الْجُمُعَاتِ ،
 وَقَارِيَّ الْحَدِيثِ لَدَيْهِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ .

ثُمَّ رَأَى - أَيَّدَهُ اللَّهُ - أَنْ يُشْرِكَ رَعِيَّتَهُ فِي نَفْعِهِ ، وَيَصْرِفَ عَوَامِلَ الْحُظُوتِ
 إِلَى مَزِيدِ رَفْعِهِ ، وَيُجْلِسَهُ مَجْلِسَ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لِإِيضَاحِ شَرْعِهِ ،
 وَأَصْلِهِ الْوَشِيقِ وَفِرْعِهِ ، وَقَدَّمَهُ - أَعْلَى اللَّهِ قَدَمَهُ ، وَشَكَرَ آلاءَهُ وَنِعْمَهُ - قَاضِيًا فِي الْأُمُورِ
 الشَّرْعِيَّةِ ، وَفَاصِلًا فِي الْقَضَايَا الدِّيْنِيَّةِ ، بِحَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ [الْعَلِيَّةِ] حَرَمِهَا اللَّهُ تَقْدِيمَ
 الْأَخْتِيَارِ وَالْإِتْقَاءِ ، وَأَبْقَى لَهُ نَخْرَ السَّلَفِ عَلَى الْخَلْفِ وَاللَّهُ يَمْتَنِعُهُ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ .

فَلِيَتَوَلَّ ذَلِكَ عَادِلًا فِي الْحُكْمِ ، مُهْتَدِيًا بِنُورِ الْعِلْمِ ، مُسَوِّيًا بَيْنَ الْخُصُومِ حَتَّى
 فِي لَحْظِهِ وَالْتِفَاتِهِ ، مُتَصِفًا مِنَ الْحِلْمِ بِأَفْضَلِ صِفَاتِهِ ، مُهَيَّبًا بِالذِّينِ ، رُءُوفًا بِالْمُؤْمِنِينَ ،
 مَسْجَلًا لِلْحَقُوقِ ، غَيْرَ مُبَالٍ فِي رِضَا الْخَالِقِ بِسُخْطِ الْمَخْلُوقِ ، جَزَلًا فِي الْأَحْكَامِ ،
 مُجْتَهِدًا فِي الْفُضْلِ بِأَمْضَى حُسَامٍ ، مُرَاقِبًا لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا فِي النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ ، بَارًّا
 بِمَشِيخَةِ أَهْلِ التَّوْثِيقِ ، عَادِلًا إِلَى سَعَةِ الْأَقْوَالِ عِنْدَ الْمَضْيِيقِ ، سَائِرًا مِنْ مَشْهُورِ
 الْمَذْهَبِ عَلَى أَهْدَى طَرِيقٍ - وَأَوْصَاهُ بِالْمَشُورَةِ الَّتِي تَقْدَحُ زِنَادَ التَّوْفِيقِ ، وَالتَّثْبِتِ

حتى يَنْبَلِجَ قِياسُ التَّحْقِيقِ ؛ وَصِيَّةٌ أَصْدَرَهَا لَهُ مَصْدَرُ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ ، وَيُعَلِّي اللَّهُ بِهَا الدَّرَجَاتِ وَيَرْفَعُ ، وَإِلَّا فَهُوَ عَنِ الْوَصَاةِ غَنِيٌّ ، وَقَصْدُهُ قَصْدُ سَنِيِّ ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلِيُّ إِعَانَتِهِ ، وَالْكَفَيْلُ بِحِفْظِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَصِيَّانَتِهِ .

[وَأَمْرُهُ - أَيْدُهُ اللَّهُ - أَنْ يَنْظُرَ فِي الْأَحْبَاسِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، وَالْأَوْقَافِ عَلَى شَتَّى أَصْنَافِهَا] ^(١) وَالتَّيَامِيُّ الَّتِي آتَسَدَلَتْ كِفَالَةَ الْقُضَاةِ عَلَى ضِعْفِهَا . فَيَذُودُ عَنْهَا طَوَارِقَ الْخَلَلِ ، وَيُجْرِي أُمُورَهَا بِمَا يَتَكَفَّلُ لَهَا بِالْأَمَلِ .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرَاهُ ، وَأَنْ فَلَتَاتِ الْحِكْمِ تُعَاوِدُهُ الْمَرَاجِعَةَ فِي أَنْحَرَاهُ ، فَيَدْرِعُ جُبَّةً تَقْوَاهُ ، فَسُبْحَانَ مَنْ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ .

فَعَلَىٰ مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ حَقَّ هَذَا الْإِجْلَالِ ، صَائِتًا مَنْصِبَهُ عَنِ الْإِخْلَالِ ، مُبَادِرًا أَمْرَهُ الْوَاجِبَ بِالْأَمْتِثَالِ ؛ بِحَوْلِ اللَّهِ .

وَكُتِبَ فِي الثَّلَاثِ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْحَرَمِ فَاتِحِ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، عَرَّفَ اللَّهُ فِيهِ هَذَا الْمَقَامَ الْعَلِيِّ عَوَارِفَ النَّصْرِ الْمُبِينِ وَالْفَتْحِ الْقَرِيبِ ، بِمَنَّةٍ وَكْرَمِهِ ، فَهُوَ الْمُسْتَعَانَ لِأَرْبِ غَيْرِهِ .



وهذه نسخة ظهير بقضاء الجماعة بالحضرة أيضا، وهو :

هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ أَعْلَى رَتْبَةِ الْأَحْتِفَاءِ [وَالْأَحْتِفَالِ] ^(١) اخْتِيَارًا وَاخْتِبَارًا ، وَأُظْهِرَ مَعَانِي الْكِرَامَةِ وَالتَّخْصِيصِ انْتِقَاءً وَأَصْطَفَاءً وَإِثَارًا ، وَرَفَعَ لَوَاءَ الْجَلَالَةِ عَلَى مَنْ أَشْتَمَلَ عَلَيْهَا حَقِيقَةً وَاعْتِبَارًا ، وَرَقَّى فِي دَرَجَاتِ الْعِزِّ مِنْ طَاوَلَهَا عِلَاءً بَهْرَ أَنْوَارِ ، وَدِينًا كَرِيمًا فِي الصَّالِحَاتِ آثَارًا وَزَكَا فِي الْأَصَالَةِ نِجَارًا ، وَخُلُوصًا إِلَى هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ السَّعِيدِ

(١) الزيادة عن ربحانة الكتاب ، ونفع الطيب ص ٧٣ ج ٣ .

راق إظهاراً وإظهاراً. أمر به وأمضاه، وأنفذ العمل بحكمه ومقتضاه، فلان للشيخ القاضى، العدل، الأَرْضَى، قاضى الجماعة وخطيب الحضرة عليه، المخصوص لدى المقام العلىّ بالحُظوة السنيّة والمكانة الحَفِيَّة؛ الفاضل، الحافل، الكامل، الموقر، المبرور أبى الحسن أبى الشيخ الفقيه، الوزير، الأجل، الأعزّ، الماجد، الأسنى، المرفّع، الأحفل، الأصحح، المبارك، الأكل، الموقر، المبرور، المرحوم أبى محمد بن الحسن - وصلّى الله عزّته، ووالى رفعتّه ومبرّته، ووهب له من صلة العناية الربّانية أمله وبُغِيته - لمّا أصبح فى صدور القضاة العلماء مُشاراً إلى جلاله، مستنّداً إلى معارفه المخصوصة بكلمه، مطرّزا على الإفادة العلمية والأدبيّة بحجاسنه البديعة وخِصاله، محفوقاً مقعداً الحكم النبوىّ ببركة عدالتّه وفضلِ جلاله، وحلّ فى هذه الحضرة العلية المحلّ الذى لا يرقاه إلاّ عينُ الأعيان، ولا يتبوء مهاده إلاّ مثله من أبناء المجد الثابت الأركان، وموالى العلم الواضح البرهان، والمبرزين بالمآثر العلية فى الحُسن والإحسان. وتصدّر لقضاء الجماعة فصدرت عنه الأحكام الراجحة الميزان، والأنظار الحسنة الأثر والعيان، والمقاصد التى وفّت بالغاية التى لا تُستطاع فى هذا الميدان، فكم من قضية جلا بمعارفه مشكّلتها، ونازلة مبهمّة فتح بإدراكه مُقفلها، ومسألة مُهمّلة عرف نكرتّها وقرّر مهمّلتها، حتى قرّرت بعدالته وجزّالته العيون، وصدقت فيه الآمال الناجحة والظنون، وكان فى تصديره لهذه الولاية العظمى من الحسير والخيرة ماعسى أن يكون - كان أحقّ بالتشفيح لولاياته وأولى، وأجدر بمضاعفة النعم التى لا تزال تترادف على قدره الأعلى.

فلذلك أصدر له - أيدى الله - هذا الظهير الكريم مشيراً بالترفيح والتنويه، ومؤكّدا للاحتفاء الوجيه، وقدمه - أعلى الله قدمه، وشكر نعمه - خطيباً بالجامع الأعظم

[من حضرته] ^(١) - عمره الله بذكره - من عليّة الخطباء، و كبار العلماء، و خيار الفقهاء الصلحاء؛ فليتولّ ذلك في جمعاته، مظهرًا في الخطبة أثر بركته و حسناته، عاملاً على ما يقتر به عند الله من مرضاته، و يُظفره بجزيل مَثوباته؛ بحول الله و قوته .

الضرب الثالث

(ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية)

وهذه نسخة ظهير بالقلم الأعلى المعبر عنه في بلادنا بكتابة السر؛ وهى :

هذا ظهير كريم نصب للتعتمد به الإنافة الكبرى ببابه فرّعه، وأفرد له متلوّ العز ^(٢) جمعه ووتره وشفعه، وقرّبه في بساط الملك تقريباً [أرغم به أنف عداه ووضعه] ^(٣) وفتح له باب السعادة وشرعه، وأعطاه لواء القلم الأعلى فوجب على من دون رتبته، من أولى صنغته، أن يتبعه؛ ورعى له وسيلته السابقة عند استخلاص الملك لما أبتّره الله من يد الغاصب وأنزعه، وحسبك من ذمام لا يحتاج إلى شيء معه .

أمر به الأمير فلان لفلان - وصل الله سعادتة، وحرّس مجادته - أطلع له وجه العناية أجهى من الصبح الوسيم، وأقطعه جناب الإنعام الجميم، وأنشقه أرح الخُطوة عاطر النسيم، ونقله من كرسيّ التدريس والتعليم، إلى مرقى التنويه والتكريم، والرتبة التي لا يُلقاها إلا ذو حظّ عظيم؛ وجعل أعلامه جياداً لإجلالة أمره العلىّ، وخطابه السنّى، في ميادين الأقاليم؛ ووضع في يده أمانة القلم الأعلى، جارياً من

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب".

(٢) في الريحانة «نصب المعتمد به للأمانة» الخ وهو أنسب بالمقام .

(٣) من "ريحانة الكتاب".

الطريقة المثلى، على التهج القويم، وأختصه بمزية الشفوف على كتاب بابه الكريم .
 لما كان ناهض الوكر في طلبة حضرته من البدايه ، ولم يزل تظهر عليه لأولى التميز
 تحايل هذه العنايه : فإن حضر حائق العلم جلى في حلبة الحفظ إلى الغايه ؛ وإن نظم
 أو نثر أتى بالمصائد المصقوله ، والمخاطبات المنقوله ؛ فاشتهر في بلده وغير بلده ،
 وصارت أزمه العنايه طوع يده ، بما أوجب له المزيه في يومه وغده .

وحين رد الله عليه ملكه الذى جبره جناح الإسلام ، وزين وجوه الليالى
 والأيام ، وأدال الضياء من الظلام ؛ وكان ممن وسمه الوفاء وشهره ، وعجم الملك
 عود خلوصه وخبره ؛ فحمد أثره ، وشكر ظاهره ومضمرة ؛ وأستصبح على ركابه
 الذى صحب اليمن سقره ، وأخلصت الحقيقة نقره ، وكفّل الله وردّه وصدره ؛
 ميمون النقيه ، حسن الضريبه ؛ خالصاً فى الأحوال المربيه ، ناطقاً عن مقامه
 بالمخاطبات العجيبه ؛ واصلاً إلى المعانى البعيده بالعبارات القريبه ، مبرزاً بالخدم
 الغريبه ، حتى أستقام العباد ، ونطق بصديق الطاعة الحى والجماد ، ودخلت
 فى دين الله أفواجا العباد والبلاد ، لله الحمد على نعمه الثرة العهاد ، وآلائه المتواليه
 الترداد - رعى له - أيده الله - هذه الوسائل وهو أحق من يرعاها ، وشكره الخدم
 المشكور مسعاها ؛ فقصر عليه الرتبة الشاء التى خطبها بوفائه ، وألبسه أثواب
 أعتنائه ، وفسح له مجال آلائه ؛ وقدمه - أعلى الله قدّه ، وشكر نعمه - كاتب السر ،
 وأمير النهى والأمر ؛ تقديم الاختبار ، والأعتباط بخدمته الحسنه الآثار ، والتمين
 باستخدامه قبل الحلول بدار الملك والأستقرار ، وغير ذلك من موجبات الإيثار .

فليتول ذلك عارفاً بمقداره ، مقتفياً لآثاره ، مستعيناً بالكم لأسراره ، والأضطلاع
 بعظام أموره ويجابه ، متصفاً بما يجمل من أمانته وعفاهه ووفاره ؛ معطياً هذا الرسم

حقه من الرئاسة ، عارفاً بأنه أكبر أركان السياسة ؛ حتى يتأكد الاعتباط بتقريبه وإدناؤه ، وتوقف أسباب الزيادة فى إعلائه ؛ وهو - إن شاء الله - غنى عن الوصاة فهماً ناقباً ، وأدباً لعيون الكمال مُراقباً ؛ فهو يعمل فى ذلك أقصى العمل ، المتكفل ببلوغ الأمل .

وعلى من يقف عليه : من حملة الأعلام ، والكتّاب الأعلام ، وغيرهم من الكفاة والخُدّام ، أن يعرفوا قدر هذه العناية الواضحة الأحكام ؛ والتقديم الراضخ الأقدام ، ويوجبوا ما أوجب من البر والإكرام ، والإجلال والإعظام ؛ بحول الله وقوته ، وكتب فى كذا .

الطرف الثالث

(فى مصطلح كُتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء الفاطميين

وفى بعدهم إلى زماننا)

وفيه أربع حالات :

الحالة الأولى - ما كان عليه أمر تُواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء الدولة الطولونية .

ولم يكن لديوان الإنشاء بالديار المصرية فى هذه المدة صرف عناية ، تقاصراً عن التشبه بديوان الخلافة ، إذ كانت الخلافة يومئذ فى غاية العزِّ ورفعة السلطان ؛ ونيابة مصر بل سائر النيابات مضمحلة فى جانبها ، والولايات الصادرة عن التواب فى نياباتهم متصاغرة متضائلة بالنسبة إلى ما يصدر من أبواب الخلافة من الولايات ، فلذلك لم يقع مما كتب منها ما تتوفر الدواعى على نقله ولا تصرف الهمم لتدوينه مع تطاول الأيام وتوالي الليالى .

الحالة الثانية — ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم إلى انقراض الدولة الأخشيدية .

وقد تقدم أن أحمد بن طولون أول من أخذ في ترتيب الملك وإقامة شعار السلطنة بالديار المصرية . ولما شَمَخَ سلطانه ، وأرتفع بها شأنه ، أخذ في ترتيب ديوان الإنشاء لما يحتاج إليه في المكاتب والولايات ، فاستكتب ابن عبد كان ، فأقام منار ديوان الإنشاء ورفع مقداره ؛ وكان يفتتح ما يكتبه عنه في الولايات بلفظ « إن أولى كذا » أو « إن أحق كذا » وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة عهد كتب به ابن عبد كان عن أحمد بن طولون بقضاء برقة تُرشد إلى ما عداها من ذلك وهي :

إنَّ أَحَقَّ مَنْ آثَرَ الْحَقَّ وَعَمِلَ بِهِ ، وَرَاقَبَ اللَّهَ فِي سِرِّ أَمْرِهِ وَجَهْرَهُ ، وَأَحْتَرَسَ مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَعَمِلَ لِمَعَادِهِ وَرَجَعْتِهِ ، إِلَى دَارِ فَاقَتِهِ وَفَقْرِهِ وَمَسْكَنَتِهِ ، مَنْ جُعِلَ بَيْنَ الْمَسْلَمِينَ حَاكِمًا ، وَفِي أُمُورِهِمْ نَازِرًا : [فَأَرَأَى] الدَّمَاءَ وَحَقَّهَا ، وَأَحَلَّ الْفُرُوجَ وَحَرَمَهَا ، وَأَعْطَى الْحُقُوقَ وَأَخَذَهَا ؛ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَائِلُهُ عَنِ مِثْقَالِ الذَّرَّةِ مِنْ عَمَلِهِ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُ فِي قَبْضَتِهِ ، أَيَّامَ مُدَّتِهِ ، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنْ دُنْيَاهُ نَكْرُوجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمَّه ، إِمَّا سَعِيدًا بِعَمَلِهِ وَإِمَّا شَقِيمًا بِسَعْيِهِ .

وإِنَّمَا وَقَفْنَا عَلَيْهِ مِنْ سَدِيدِ مَذْهَبِكَ وَقَوِيمِ طَرِيقَتِكَ ؛ وَجَمِيلِ هَدْيِكَ وَحُسْنِ سِيرَتِكَ ؛ وَرَجَوْنَاهُ فِيكَ ، وَقَوَّرْنَاهُ عِنْدَكَ : مِنْ سُلُوكِ الطَّرِيقَةِ الْمِثْلِيَّةِ ، وَأَقْتِنَاءِ آثَارِ أُمَّةِ الْهُدَى ، وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ لِبَالِهَوَى — رَأَيْنَا تَقْلِيدَكَ الْقَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ نَعْرِ بَرَقَةَ ، وَأَمْرِنَاكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مِنْ طَلَبٍ ، وَلَا يُفَوِّتُهُ مِنْ هَرَبٍ — وَبَطَاعَتِهِ الَّتِي مَنْ آثَرَهَا

سعد، ومن عمل بها حُمد، ومن لزمها نجا، ومن فارقتها هوى - وأن توأصل
الجلوس لمن بحضرتك من الخُصوم : صابرا بنفسك على تنازعهم في الحقوق ،
وتدافعهم في الأمور؛ غير برِّم بالمراجعات ، ولا صَّخِر بالمحاكمات : فإنَّ من حاول
إصابة فصل القضاء ، وموافقة حقيقة الحكم بغير مادة من حلم ، ولا معونة من
صبر ، ولا سُهمة من كظم ، لم يكن خليقا بالظفر بهما ، ولا حقيقا بالدرك لهما -
وأن تقسم بين الخصمين إذا تقدما إليك ، وجلسا بين يديك ، في لحظك ولفظك ،
وتوفى كل واحد منهما قسمة من إنصافك وعدلك ؛ حتى يئأس القوي من ميئك ،
ويأمن الضعيف من حيفك : فإنَّ في إقبالك بنظرك وإصغافك بسمعك إلى أحد
الخصمين دون صاحبه ما أضلَّ الآخر عن حجته ، وأدخل الحيرة على فكره ورويته -
وأن تُحضر مجلس قضائك من يُستظهر برأيه ، ومن يرجع إلى دينٍ وحجٍّ وتقى :
فإن أصبت أيديك ، وإن نسيت دكرك - وأن تقتدى في كل ما تعمل فيه
رويتك ، وتُضى عليه حكمك وقضيتك ، بكتاب الله الذى جعله صراطا مستقيما ،
ونورا مستبيناً ؛ فشرع فيه أحكامه ، وبين حلاله وحرامه ، وأوضح به مشكلات
الأمر ، فهو شفاء لما فى الصدور . وما لم يكن فى كتاب الله جل وعز نصه
فإنَّ فيما يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم حكمه ؛ وما لم يكن فى حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم آقتفت فيه سبيل السلف الصالح من أئمة الهدى رضى الله
عنهم الذين لم يألوا الناس اختبارا ، ولا أدخروهم نصيحةً واجتهادا ؛ عالما أنك
أسعد بالعدل ممن تعدل عليه ، وأحظى بإصابة الحق ممن تُصيبه فيه : لما تتعجله
من جميل أحوثه وذكرك ، ويُدخرك من عظيم نوابه وأجره ، ويُصرف عنك من
حُوب ما تنقلده ووزره - وأن يكون الذين تحكم بشهادتهم [من] أهل الثقة فى أديانهم ،
والمعروفين بالأمانة فى معاملاتهم ، والموسومين بالصدق فى مقالاتهم ، والمشهورين

بالتقدم في عدالاتهم : فإنك جاعلهم بين الله وبينك في [كل] كلام تصديره ، وحكم
تبرمه ؛ وحقيق بأن لا ترضى لنفسك منهم إلا بما يرضى منك ، وتعلم أن ذلك هو
الصدق ، وأنت قد أبلت عُذرك في تخييرهم ، فإنه بعلم أن ذلك هو الصدق من نيتك ،
والصحة من يقينك ، تحسن عليه معونتك ، ويحضرك التوفيق في جميع أقضيتك -
وأن يكون من تستعين به على المسألة عن أحوال هؤلاء الشهود ومذاهبهم ،
وما يعرفون به وينسبون إليه في رحالهم ومساكنهم أهل الورع والأمانة ، والصدق
والصيانة - وأن تجدد المسألة عنهم في كل مرة ، وتفحص عن خبرهم في كل قضيه ؛
ثم لا يمتنعك وقوفك على سقوط عدالة من تقدمت بتعديله من استقبال الواجب
في مثله ، وأستعمال الحق في أمره - وأن تُشرف على أعوانك وأصحابك ، ومن تجرى
أمرك على يديه من خلفائك وأسبابك ؛ إشرافا يمنعهم من الظلم للرعيه ، ويقبض
أيديهم عن المآكل الرديه ؛ ويدعوهم إلى تقويم أودهم ، وإصلاح فاسدهم ، ويزيد
في بصيرة ذوى الثقة والأمانة منهم ؛ فمن وقفت منه على أمثالٍ لمذهبك ، وقبول
لأدبك ؛ واقتصار فيما يتقلده لك ، أقررتَه وأحسنَت مكافأته ومثوبته ، ومن شمت
منه حيفا في حكمه ، وتعديا في سيرته ، وبسطا ليدِه إلى ما لا يجب له ، تقدمت
في صرفه ، وألزمته في ذلك ما يلزمه - وأن تختار لكاتبك من تعرف سداد مذهبه ،
وأستقلاله بما يتقلده ، وإشارا لدرس (١) من صحته ، ومن تقدّر عنده تقدما
في نصيحتك فيما يجرى على يديه ، وتوخيا لصدقك فيما يحضره وتغييب عن مشاهدته ؛
فإنك تأمنه من أمر حكمك على ما لا يؤتمن على مثله إلا الأمين ، وتفوض إليه
من حجاج الخصوم المرفوعين إليك ما لا يفوض إلا لذي العفاف والدين - وأن نتفقد

(١) لعله « وإيثاره للتأكد من صحته » . تأمل .

(٢) لعله « تحريا » تأمل .

مع ذلك أمره ، وبتصفح عمله ؛ وتُشرف على ماتحت يديه بما يؤدّيك إلى إحكامه
وضبطه ، ويؤمّنك من وقوع خلل فيه - وأن تختار لِحجابتك من لا يتجهم الخُصوم ،
ولا يختصّ بعضها دون بعض بالوصول ؛ وتُوَعز إليه في بسط الوجه ، ولين
الكف ، وحسن اللفظ ، ورفع المؤونة ، وكف الأذى .

فقلّد ماقلّدناك من ذلك عاملاً بما يحقّ عليك لله جلّ وعزّ ذكره ، ومستعيناً به
في أمرك كلّه : فإنّا قلّدناك جسيماً ، وحملناك عظيماً ، وتبرّأنا إليك من وزره
وإضره ، واعتمدنا عليك في توحى الحق وإصابته ، وبسط العدل وإفاضته ؛
وأقبض لأرزاقك وأرزاق كُتّابك وأعوانك ومن يحجُبك ولثمن قراطيسك وسائر
مؤنك في كل شهر أربعين ديناراً ؛ فقد كتبنا إلى عامل الخراج بازاحة ذلك ، أوقات
استحقاقك إياه ووجوبه لك ، وإلى عامل المدينة بالشّد على يدك ، والتقوية
لأمرك ؛ وضمّ العِدّة التي كانت تُضمّ إلى القضاة من الأولياء إليك ، وهما فاعلان
ذلك إن شاء الله تعالى .

الحالة الثالثة - ما كان عليه الأمر في زمن بنى أيوب .

وكانوا يسمّون ما يكتب عن ملوكهم من الولايات لأرباب السيوف والأقلام
«تقاليد» و«تواقيع» و«مراسيم» وربّما عبّروا عن بعضها ب«لمنّاشير»

وهى فى الافتتاحات على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى - أن تفتح الولاية بخطبة مبتدأة بالحمد لله تعالى ثم يؤتى
بالبعديّة ، ويذكر ما سبّح من حال الولاية والمولى ، ويوصى المولى بما يليق
بولايته ، ثم يقال : «وسبيل كلّ واقف عليه من الثواب العملُ به» أو نحو ذلك .

وهى على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول — أرباب السيوف من هذه المرتبة

وهذه نسخة توقيع بولاية ناحية وإقطاع بلادها لمتوليها ، وهي :

الحمد لله على عوائده الجميلة وعواطفه ، وفوائده الجزيلة وعوارفه ، ناصب الحق وناصره ، وقاصم الباطل وقاصره ، ومخير الدين ومديله ، ومبير الكفر ومديله ، وشاد أزرو أوليائه وساد ثغره ، وناصر معزهم ومعز نصرهم ، الذي أضفى علينا مدارع نعمة ، وأصفى لدينا مشارع كرمه ، وأعلق أيدينا من العدل بأوكيد الأسباب والأمراس ، وصرف بنا صرف العسف وكف بكفايتنا كف البؤس عن الرعية والباس ، وجلب إلى استجلاب الشكر من الناس همتنا ، وطوى على حب البر وإبرار المحب طويتنا ، وحسم بما أولانا من أيد مادة كل يد تمتد إلى محذور ، ويسرنا بساط العدل المطوى لما طوى بعدلنا بساط الظلم المنشور ، وأبى لنا أن نكفر نعمة أو نهبها لكافر ، أو ندع شكر منة أو نودعها عند غير شاكر .

ولما كان الأمير فلان ممن سبقت لجدته ولأبيه - تعاهد الله بالعهد مثواهما ، وخص بثرار الرحمة ثراهما - الحرم الأكيده ، والخدم الطريفة والتليده ، ولم يزالا مجتهدين في تعمير هذا البيت وتشيد أسسه ، ملازمي الإداب في إنمائه وتشديد غرسه ، مفضيين بالموالاة إلى مواليه ، مفضحين بالمعاداة لمعاديه ، رأينا - لا زال الإقبال لآرائنا مقابلا ومرافقا ، والسعد مساعدا والتوفيق موافقا - أن نلحقه بدرجة أوليه ، ونورده من كرمنا مورد جدته وأبيه ، ونثني إليه عنان عنايتنا ، ونرعاه بعين رعايتنا ، ونلحقه جناح لطفنا ، ونبوئه مقعد شرف تحت ظلنا ، ونحرس حده من الفلول ، وجدته من الخمول ، وعوده من الخور ، وورده من الكدر ، وأن نقرره

على ما بوأنا فيه والدّه من الهبات والإنعام والإفضال والإحسان، وجميع ما دخل تحت أسمه من المعاقل والبُلدان، وسيُوضَّح ذلك بقلم الديوان .

فليقابل هذا الإنعام من الشكر بمثله ، ويوازِ هذا الإفضال من حُسن القبول بعِده ؛ وليرتبطَ نعمَ الله عنده بالشكر الوافى الوافر، فالسعيدُ من أطرحَ حلّة الشاكي وأدرعَ حلّة الشاكر ؛ وليُدمِنَ التحدّثَ بها فالتحدّثُ بالنعم من الشكر ، ويستجذب موادّها بإيضاح سُبُل البر ؛ ويجعلُ التقوى شِعاره وديناره، ويُخصِّصَ الطاعة لله إيرادَه وإصدارَه .

وليكن العدل رَبيئته ورائدَه ، والأمرُ بالمعروف دليله وقائده ؛ وليتَمِّمَ فيما نيّط به حقّ القيام، ويسمّرَ في حفظ ما استرعيناه عن ساق الإهتمام، ويعلمُ أن منزلته عندنا أسنى المنازل وأعلاها، ومرتبته لدينا أهبجُ المراتبِ وأبهاها ؛ ومحله عندنا السامى الذى لأيضاهيه سامى، ومكانه المكانُ الذى ليس له فى الممكن أن يفترعَ علمه سامى ؛ فسبيله علمُ ذلك وتحقيقه، وتيقنه وتصديقه، وسبيل كلِّ واقفٍ على هذا المثال، [أن] يقابله بالأمثال ، من سائر العَمال، وأرباب الولايات والأعمال . والاعتمادُ على العَلامة الشريفة فى أعلاه، إن شاء الله تعالى .

الصنف الثانى — أرباب الوظائف الدينية

وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة والنظرِ عليها، والتحدّثِ على أوقافها وسائر تعلّقاتها، وهى :

الحمد لله الظاهرِ إحسانه، الباهرُ برهانه، القاهرُ سلطانه، المتظاهرِ أمّتناه ؛ نحمده على إنعامه حمداً يدوم به من حلب غزارة وحلى نضارته ازدياده وازديانه ،

ونسأله أن يصلّي على سيّدنا مجدّ نبّه الشارع الشارح ببيّانه ، وعلى آله وصحبه الذين هم أعضاء شرّعه وأركانُه .

أما بعد ، فإنّنا لما نراه من تشييد بيوت ذوى البيوتات ، وإمضاء حكم المروءة في أهل المروءات ، وإرعاء مواتّ ذوى الحقوق الحقيقة بالمراعاة وإحياء الموات ، وموالات النعم الشامل عمومها لأولى الخُصوص والخُلوص في الموالات ، ما نزال نُحِقّ درجاتِ الأخلاف منهم في الاختصاص بالاستخلاص بالأسلاف ، فنوردهم من مشارع دولتنا ومشارب نعمتنا في الأصطفاء والأصطناع أعذب النطاف ، ونُجنّهم من مغارس الرجاء ، ومجارى النماء ، في الإدناء والاجتباء ، ثمرات النعم الدانية القطاف ؛ ونُفيض عليهم من مدارع البهجة والبهاء ، وحلّ الشناء والسناء ، في الاكرام ، بالأحترام ، ما يصفو على الأعطاف .

ولما كان الشيخُ فلان متوحّدا بالنسب الأثير الأثيل ، والحسب الجليّ الخليل ، والمحتد الأکید الأصيل ؛ والفضل الموروث والمكتسب ، والزرّاء في المتتمى والمنتسب ؛ والدكاء الذى أنارت في أفق التوفيق دُكاؤه ؛ والولاء الذى بان في شرّعة الإخلاص صفاءؤه ؛ والدين الذى علا سناسنته ، فى منار التّحميد ، والخُلوص الذى حلا جنى جنته ، فى مذاق التوحيد ؛ والرياسة التى تَصوّع رياء رياضها الموقّنه ، والسماحة التى تتوّح حيا حياتها المغدقه ؛ والأمانة التى نهضت بها فضائله ، والموالات التى تجحّت بها عندنا وسائله - رأينا إجراءه على عادة والده فى تولّى المدرسة المعمورة التى أنشأها جدّه للشافعية بحلب ، وأوقافها ، وأسبابها ، وتدريسها ، وإعادتها ، وأستنابة من يراه وينخاره فى ذلك كله ، والنظر فى جميع ما يتعلّق بها كثره وقّله ؛ وترتيب الفقهاء فيها ، وتقرير مشاهراتهم على ما يراه من تفضيل وتقديم ، وتفصيل

وتقسيم ، وتخصيص وتعميم ، ونقص وتكميل وتتميم ؛ وحفظ الوقوف بالأحتياط
 فى مصارفها ، والعمل فيها ، بشروط محبستها وإطلاقها بقيود واقفيها ، بالأبتداء
 بالعمارات ، التى تؤذن بتوفير الأرتفاعات ، وتكثير المغلات ، وتنمية الثمرات ؛
 مستشعرا تقوى الله التى هى حلية الأعمال الصالحات ، والعصمة الباقية والحنة
 الواقية عند النائبات . وفوضنا ذلك إلى أمانته ، وبعده إلى من يقوم مقامه من
 إخوته ، تشييدا لبيتهم الكريم ، وتجديدا لمجدهم القديم ؛ ورعنا لمكاتهم المكيه ،
 وحفظا لمرتبتهم المصونه . وأمرنا بإعفاء جميع أوقاف المدرسة وسائر أوقافهم ،
 وأملاكه وأملاك إخوته وحمايتهم من جميع المظالم والمطالب ، والنواب والشوائب ،
 والعوارض والعراض واللوازم والكلف ، والمؤن والسخر ، والتبن والخطب ،
 والأطباق والأنزال ، وسائر التوزيعات والتقسيمات والأنفال ؛ وإعفاء فلاحيها
 ومزارعيها من جميع ذلك ؛ وإطلاق كل ما يصل من مغللات الأوقاف والأملاك
 المذكورة إلى مدينة حلب من جميع المؤن على الإطلاق ، وكذلك جميع ما لهم من
 البضاعات والبياعات والتجارات مفضة مطلقه لا اعتراض عليها لأحد ، ولا تمتد إلى
 شىء منها يد يد . وليتول ذلك على عادته المشكوره ، وأمانته المشهوره ؛ بنظر
 كاف شاف ، وكرم وافر وإف ؛ وورع من الشوائب صاف ، وعزوف عن الدنيات
 بالدنيات متجاف ؛ وسداد لركن المصالح شائد ، وتذكر لترقى مواد المناجح رائد ؛
 ورأى فى ذمة الصواب راجح ، وسعى بربة الرشاد ناجح ؛ وهمة عالية فى نشر العلم
 بالمدرسة وإعلاء مناره ، وإلزام الفقهاء والطلبة بتدريسه وإعادته وحفظه وتكراره ؛
 ومروعة تامة فى الأشمال على إخوته ومخلفى أبيه بما يصل به الرحم ، ويظهر به
 الكرم ، ويحيى من مفاخر آباءه الرمم ، ويقوى لهم من معاقده مكارمه العصم . وسبيل
 الولاة والنواب وكل واقف على هذا المثال إمضاء ذلك كله على سبيل الأستمرار ،

وتصرم الأعمار ، وتصرف الأعصار ، وتقلب الأحوال والأدوار ؛ وحفظه فيهم
 وفي أعقابهم على العصور والأحقاب ، ووصل أسبابه عند انقطاع الأسباب ،
 من فسح ينقض مبرم معاقده ، أو تسخ يقوض محكم مقاعده ؛ أو تبديل يكدر صفى
 موارد ومشارعه ، أو تحويل يقلص ضايف ملبسه ومدارعه . وليبدل لهم المساعدة
 في كل ما يعود له ولجماعته بصلاح الحال ، وفراغ البال ونجاح الآمال ، وإقامة الجاه
 في جميع الأحوال . والعمل بالأمر العالى وبمقتضاه ، والاعتماد على التوقيع الأشرف
 به إن شاء الله تعالى .

الصفحة الثالث - أرباب الوظائف الديوانية

وهذه نسخة توقيع بوزارة ، من إنشاء بعض بني الأثير ، وهى :

الحمد لله الذى فضّلنا على كثير من عباده ، وأغنانا بمزيد عطائه عن أزياده ،
 وجعلنا ممن استخلفه فى الأرض فشكر عواقب إصداره ومبادئ إيراده .

نحمده ولسان أنعمه أفصح مقالاً وأفسح مجالاً ، وإذا اختلفت خواطر الحامدين
 روية كآثرها أرتجالاً ، ونسأله أن يوفقنا لتلقى أوامره ونواهيته بالاتباع ، وأن يصغى
 بقلوبنا إلى إجابة داعى العدل الذى هو خير داع ، وينقذنا من تبعات ما استرعانا
 يوم يسأل عن رعيته كل راع .

أما بعد ، فإن الله قرّن استخارته برشده ، وجعلها نورا يهتدى به فى سلوك جده ،
 ويستمّد من يمن صوابه ما يعنى عن الرأى ومدده . ومن شأننا أن نتأدّب بأداب الله
 فى جليل الأمر ودقيقه ، وإذا دلّ التوفيق أمراً على عمله دلّ عملنا على توفيقه ؛
 فمن عنوان ذلك أنا أصطفينا لوزارتنا من تحمّدا الأيام من أجله ، وتحسّدا الملوك
 على مثله ، ويعلم من أتى فى عصره أنه فات السابقين من قبله ، وهو الوزير الأجل

السيدُ الصدرُ الكبيرُ؛ جلالُ الدين، شرفُ الإسلام، مجتبيُ الإمامِ نحرُ الأنام؛
ولست هذه النعوت مما تزيد مكانه عُرفاً، ولا تستوفى من أوصافه وَصفاً؛
وإن عدها قومٌ جُلٌّ ما يدنحرونه من الأحساب، ومعظم ما يخلفونه من التراث
للأعقاب؛ ولا يفخر بذلك إلا من أعدم من ثروة شرفه، ورضى من الجوهر
بصدفه؛ وأنت فغير فاحرٍ به ولا بما ورثته من مجد أبيك الذى أضحيت الأيام به
شهوداً، والجُدود له جُدوداً، وغداً وكانَّ عليه من شمس الضحى نوراً ومن الصباح
عموداً؛ وقد علمت أنه كان إليه نَسَبُ المكارم وسيمها، وكان ما بلغه منها أعظم
ما بلغه من دنياه على عظيمها؛ إنك خلفت لنفسك مجداً منك ميلاداً، وعنك
إيجاداً؛ وإذا أقترن سعى الفتى بسعى أبيه فذلك هو الحسب الذى تقابل شرفاه،
وتلاقى طرفاه، وغض الزمان عنه طرفه كما فتح بمدحه فاه؛ وإذا استطرفت سادة
قوم بنيت بالسؤدد الطريف التليد، ولقد صدق الله لهجة المثنى عليك إذ يقول:
إنك الرجل الذى تُضرب به الأمثال، والمهدب الذى لا يقال معه: أى الرجال؛
وإذا وازرت مملكة فقد حظيت منك بشد أزرها، وسد نغرها، وأصبحت وأنت
صدر قلبها وقلب لصدرها؛ فهى مزدانةً منك بالفضل الميسين، معانةً بالقوى
الأمين، فلا تبيت إلا مستخدماً ضميرك فى ولائها، ولا تغدو إلا مستجدياً كفاتك
فى تمهيدها وإعلائها.

ومن صفاتك أنك الواحدُ فى عدم النظر، والمعدود بألف فى صواب التدبير،
والمؤازرُ عند ذكر الخير على الإعانة وعند نسيانه على التذكير؛ ولم ترق إلى هذه
الدرجة حتى نكحت عقبات المعالى فقضيت أجلها، وآنست من طور السعادة نارا
فهديت لها؛ ولم تبلغ من العمر أشده، ولا نزع عنك الشباب برده؛ بل أنت
فى ريعان عمرك المتجمل ريعان سُودده، المتقمص من سيم الخلال ما أبرز وقار

المشيب في أسوده . وهذا المنصب الذي أهلت له وإن كان ثاني الملك محلاً ، وتلوه عقداً وحلاً ، فقد علا بك قدره ، وتأبل بك أمره ؛ وأصبح وشخصك في أرجائه مناراً ، ورأيك وفضلك من حوله سور وسوار ؛ وله من قلمك خطيب يجادل عن أحساب الدولة فيفتحها فخراً ، وسيف يجالده عن حوزتها فيمنحها نصراً ؛ ولقد كان من قبلك وقبل أيك مكرها على إجابة خاطبه ، والتزوي إليه عن مراتبه ؛ فلما جئته استقرت في مكانه ، ورضي بعلو شأنك لعلو شأنه ؛ وقد علم الآن بأنك نزلت نزل الليث في أجمه ، وأستقلت به أستقلال الرمح بأحدمه (؟) ؛ وما زالت المعالي تسفر بينك وبينه وأنت مشتغل بالسعي للسيادة وآدابها ، عن السعي للسعادة وطلابها . نخذ ما وصلت إليه باستحقاق فضلك ومناقبه ، لا باتفاق طالعك وكواكبه .

وأعلم أن هذه النعمة وإن جاءتك في حفلة ، وأناخت بك بصاحبها وأهلها ؛ فلا يؤنسها بك إلا الشكر الذي يجعل دارها لك داراً ، وودها مستملاً لك لا معاراً ؛ وقد قيل : إن الشكر والنعمة توءمان ، وإنه لا يتم إلا باجتماع سر القلب وحديث اللسان ؛ فاجعله معروفها الذي تمسكها بإحسانه ، وتقيدها بأشطانه .

وقد أفردنا لك من بيت المال ما تستعين به على فرائض خدمك ونوافله ، وترد فضله على آبناء مجديك وفضائله ؛ وذلك شيء عائد على الدولة طيب سمعته ، فلها محمود ذكره ومنك موارد شرعته ؛ وإذا حمت مناهل الغدر كان الفضل للسحاب الذي أغدرها . والمفرد باسمك من بيت المال كذا وكذا .

وكل ما تضمنته تقليد غيرك من الوصايا التي قرعت له عصاها ، ونسدت له حصاها ، فأنت مستغن عن استماعها ، مكتفٍ بأطلاع فكرك عن اطلاعها ؛ غير أنا نسألك كما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً ، ونسأل الله أن يجعل لك

من أمرِك يُسرًا ومن عَزَمِك نَفَاذًا ، وقد أجبنا لسانَ حالك بأنك تأخذ بتقوى الله
التي ضمنَ لها العاقبة ، وجعل شيعتَها الغالبة ؛ وأنتك تجعلُها بيدك وبينه سببًا ممدودًا ،
وبينك وبين الناس خُلُقًا معهودًا ؛ حتى تُصبح وقد أمنتَ من دهرِك عِثَارًا ، ومن
أبنائه أَسْمَاعًا وأبصارًا — ومن شرائطها أن يكونَ الرجلُ المسلم الذي سلم الناسُ
من يده ولسانه ، وفي هذين كفاية عن غيرهما من الشَّيم ، التي تُحفظُ بها سياساتُ
الأمم : فإنَّ العدل هو الميزان الذي جعله الله ثانيَ الكتاب ، والإحسان الذي هو
الطينة التي شاركتها القلوبُ في جيلاتها مشاركةَ الأحباب .

وأما ماسوى ذلك من سياسة الملك في تقرير أصوله ، وتدير محضوله ؛ كالبلاد
وأستعمارها ، والأموال وأستثمارها ؛ وولاية الأعمال وأختبارها ، وتجنيد الجنود
وأختيارها ؛ فكل ذلك لا يصدر تديره إلا عن نظرك ، ولا يُمشى فيه إلا على
أثرك ؛ وأنت فيه الفقيهُ ابنُ الفقيه الذي سرى إليك علمه نفسه ودرسا ، وثمره
وغرسا ؛ فهذا كتاب عهدنا إليك : نخذه بقوة الأمانة التي أبت السموات والأرض
حملها ، وما أطاقت ثقلها ؛ والله يسلك بك سدا ، ويخترى بك رشا ، ويلزمك
التوفيق قلبا ولسانا ويذا ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة توقيع باعادة النظر بئغر الإسكندرية لابن بصاصة في شهر
سنة ثمان وسبعين وستائة ، وهي :

الحمد لله الذي أضحك الثغور بعد عبوسها ، ورد لها جمالها وأثار أفاقها بطوع
شموسها ، وأحيا معالم الخير فيها وقد كادت أن تُسرف على دروسها ؛ وأقام
لمصالح الأمة من يُشرق وجهه الحق ببياض آرائه ، وتلذذ الأسماع بتلاوة أوصافه

الجميلة وأنبائه ؛ حمد من أُسبغت عليه النعماء ، وتهادت إليه الآلاء ، وخطبته لنفسها العلياء .

وبعد ، فأحق من ماس في أندية الرياسة عطفاً ، وأستجلى وجوه السعادة من حجب عزها فأبدت له جمالاً ولطفاً ، وأصطفته الدولة القاهرة لمهمات ما رأته خير كافل ، وتنقل في مراتبها السنية تنقل النيرات في المنازل ^(١) .

ولما كان المجلس السامى القاضى ، الأجل ، الصدر ، الكبير ، الرئيس ، الأوحد ، الكامل ، المحتجب ، المرتضى ، الفاضل ، الرشيد ، جمال الدين ، نخر الأنام ، شرف الأكابر ، جمال الصدور ، قدوة الأمناء ، ذخر الدولة ، رضى الملوك والسلاطين ، الحسين ابن القاضى زكى الدين أبى القاسم - أدام الله رفعتة - ممن أشارت إليه المناقب الجليله ، وصارت له إلى كل سؤال نعم الوسيله - رسم بالأمر العالى ، الموالوى ، السلطانى ، الملكى ، العادلى ، البدرى ، - ضاعف الله علاه ونقاده - أن يقوض إليه نظر نعر الإسكندرية المحروس ونظر متاجره ، ونظر زكواته ونظر صادرة ؛ ونظر قوة والمزاحمتين ، فيقدم خيرة الله تعالى ويناشر هذا المنصب المبارك ، بعزmate الماضيه ، وهممه العالیه ؛ برأى لا يساهم فيه ولا يشارك ، ليصبح هذا الثغر بمباشرة باسمه حالياً ، وتعود بهجتة له بجميل نظره ثانيا . وينتصب لتدبير أحواله على عادته ، ويقترق قواعد بعالي همته ؛ ويجهد في تحصيل أمواله وتحصين ذخائره ، وأستخراج زكاته وتمية متاجره ؛ ومعامله التجار الواردين إليه بالعدل الذى كانوا ألقوه منه ، والرفق الذى نقلوا أخباره السارة عنه ؛ فإنهم هدأيا البحور ، ودوالة

(١) لم يذكر خبر المبتدا ولعله سقط من قلم النسخ وأصله « من اشتهر بحاسن الخلال ، ومحمد الخصال ،

وساس الأمور برأيه الراجح ، ودبرها بسعيه الناجح ، ولما « الخ أو نحو ذلك فتنبه .

الثغور، ومن ألسنتهم يطَّلَعُ على ما تُخِجُّهُ الصدور، وإذا بَدَّرَ لهم حَبَّ الإحسان
نَشَرُوا له أجنحةَ مراكِبهم وحاءوا عليه كالطُيور . وليعتمد معهم ما تضمته المراسيمُ
الكريمةُ المستقرَّةُ الحُكم إلى آخرِ وقت، ولا يسئلكَ بهم حالةٌ تُوجب لهم القاتق والتظلمُ
والمقت، وليواصل بالحمول إلى بيتِ المال المعمور، ويُملأ الخزانَ السلطانيةَ
من مستعملات الثغر وأمتعته وأصنافه بكل ما يُستغنى به عن الواصل في البرور
والبحور، وليصرف همته العالِية إلى تدير أحوال المتأجر بهذا الثغر بحيث ترتفع
رؤوس أموالها وتتمى، وتجدد سحاب فوائدها وتهيم؛ وليراعِ أحوال المستخدمين
في مباشراتهم، ويكشف عن باطن سيرهم في جهاتهم؛ ليتحققوا أنه مهيمٌ عليهم،
وناظرٌ بعين الرأفة إليهم؛ فتسكف يد الخائن منهم عن الخيانة، وتتحلى أنامل الأمين
بمخاسن الصيانة؛ وليتفق فيما يأتيه ويذره، ويقدمه من المهمات ويؤخره، مع المجلس
السامى، الأمير، الأجل، الكبير، المجاهد، المقدم، الأوحيد، النصير، شمس الدين،
متولى الثغر المحروس - أدام الله نعمته - فإنه نعم المعين على تدير المهمات، ونعمت
الشمسُ المشرقة في ظلم المشكلات . وليطالع بالمتجددات في الثغر المحروس، ليرد
الجواب عليه عنها بما يشرح الصدور ويُطيب النفوس؛ وليتناول من الجامكية
والجراية عن ذلك في غرة كل شهر من استقبال مباشرته ما يشهد به الديوان المعمور
لمن تقدمه من النظار بهذه الجهات، وهى نظر الثغر وما أضيف إليه على ما شرح
أعلاه .

المرتبة الثانية

(أن تفتتح الولاية بلفظ « أما بعد حمد الله » أو « أما بعد فإن كذا »

ويؤتى بما يناسب من ذكر الولاية والمولى ، ثم يذكر ما سنع

من الوصايا ، ثم يقال « وسبيل كل واقف عليه »)

فمن المكتتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة ما كان يكتب لبعض الولاة .

وهذه نسخة بولاية الشرقية ، وهي :

أما بعد ، فإننا لما منحنا الله إياه من معجزات النصر المستنطق الألسنة بالتسبيح ،
وآتانا من نظر حى ناصر عيش الأئمة من التصويح ، وألبسناه من ثياب العظمة
المخصوصة بأحسن التوشيع والتوشيح ، ووقفنا له من أصطفاء من تقبل عليه بوجه
التأهيل للهمات والترشيح ، وقواه من عزائنا التي ترج بها أرض الكفر وتدوخ ،
ووسعه لنا من الفتوح التي أنبأها خير ما تصدر به السير وتؤرخ - لانزال نبالغ فيما
صان الحوزة وحاطها ، ومد رواق الأمانة ومهد بساطها ، وقرب نوازح المصالح
وجمع أشتاتها ، وأوجب أنصرام حبال اختلال الأمور واقتضى أنبتاتها .

ولما كانت الأعمال الشرقية جديرة بمتابعة الاعتناء وموالاته ، وإعراق كرم التعهد
فيما يحفظ نظامها بمغالاته ، وأحقها بأن تصرف إلى صونها وجوه المهيم الطوامح ،
ويوقف عليها حسن الاحتفال الجامع دواعى تذليل الجاه ؛ إذ كانت أجدر الأعمال
بكلالة الفروع من أوضاعها والأصول ، والباب الذى لا يجب أن يدخله إلا من
أذن له فى القدوم إليها والوصول ؛ ويتعين التحرز على الطرقات التى منها إليها
الإفضاء ، ويوكل بما دونها من المياه عيون حفظة لا يلزمها النوم والإغضاء ،

— وكنت أيها الأمير أشدَّ الأمرءِ باسا، وأوفاهم لحسن الذكر الجميل لباسا؛
وأكثرهم لمهيج الأعداء اختلاسا، وأجمعهم للحاسن المختلفة ضروبا وأجناسا؛ وقد
تناصرت على قُصودك الحسنة وإسحات الدلائل، وتحت أجيادِ خلاك من جواهر
المفآخر بقلائد غير قلائل؛ وأستطار لك أجهلُ سمعه، وفطمتُ سيوفك أبناء الكُفر
عن ارتضاعها من الملة الإسلامية ندى طمعه؛ ولا أستهمت طُرق السياسة
إلا هديت إلى مجاهلها، ولا حلاَّ التقصير سواك عن شرائع النعم إلا غدوت بكفآيتك
وارد مناهلها؛ وكَم شهدت مقام جلاله، وموقف جهاده؛ ففرقت ثوبَ مارقه نسجا،
وأدلت في ليل قسطله عوادي صوارمك شرجا، وقُمت فيا وكل إليك من أمور
الفاقوسية وقلعتى صدرٍ وأيلة حرسهما الله تعالى قيامًا أحظاك بالثناء والثواب،
وأستنبت في كلِّ منها من أجرى أمورها على الصواب — خرج أمر الملك الناصر بكتب
هذا السجل بتقليدك ولاية الأعمال الشرقية المقدم ذكرها .

فاعتمد مباشرتها عاملاً بتقوى الله التي مَنَّها خير ما آقتاده مستشعروها لأنفسهم
وأستأفوه . قال الله تعالى : ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَائِقُهُ ﴾
وأبسط العدل على أهل هذه الولاية ، وأخصص أهل السلامة بما يُسبل عليهم
ستر الحياطة والحمايه ؛ وتطلب المفسدين أتمَّ تطلب ، وأحظر عليهم التنقل في هذه
البلاد والتقلب ؛ ومن ظفرت به منهم فقابلهُ بما يُوجبهُ حكم جريته ، وبقتضيه
موقع جريمته ، ويجعله مُزدجرا لسالكى طريقته . وشد من المستخلف على الحكم
العزیز شدا ينصر جانب الشرع ويعزه ، ويكثر به على الباطل ترويع الحق وأزه ؛
وَأَعِنِ الْمُسْتَحْدِمِينَ فِي الْمَالِ عَلَى اسْتِيفَائِهِ مِنْ وُجُوهِهِ عِنْدَ وُجُوبِهِ ، وَبَلِّغْ كَلًّا مِنْهُمْ
من الإعانة على تحصيله أقصى مطلوبه ؛ وقو أيديهم في تخضير البلاد وتعميرها ،

وَأَبْعَثِ الْمُزَارِعِينَ عَلَى مَبَاشَرَةِ أَحْوَالِ الزَّرَاعَةِ وَتَقْرِيرِ أُمُورِهَا ؛ وَفِيهَا يُسْتَرْعَوْنَ مِنْ مَصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَيُعُودُ عَلَيْهِمْ فِي مَوْجِبَاتِ الرَّجَاءِ بِمَنَاجِحِ الْأَمَالِ . وَرَاعِ أَمْرَ السُّبُلِ وَالطَّرِيقَاتِ ، وَاجْعَلِ احْتِرَاسَكَ عَلَيْهَا الْآنَ مُوفِيًا عَلَى الْمُتَقَدِّمِ مِنْ سَالِفِ الْأَوْقَاتِ ؛ وَلَا تَنْ فِي إِنْفَازِ الْمُتَخَبِّرِينَ إِلَى بِلَادِ الْعَدُوِّ ، وَتَحْدِيثِهِمْ فِي الرُّوَاكِ وَالغُدُوقِ ، بِمَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ الْهَدُوقِ ؛ وَكَشِفِ أَخْبَارَهُمْ ، وَتَتَّبِعْ آثَارَهُمْ ، وَتَسَيِّرِ الْجَوَاسِيسَ إِلَى دِيَارِهِمْ ؛ حَتَّى لَا تَخْفَى عَنْكَ مِنْ شُؤْنِهِمْ خَافِيَةٌ ، وَلَا يَجِدُوا سَبِيلَ غُرَّةٍ يَهْتَبِلُونَهَا . وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - بِالْجُمْلَةِ الْكَافِيَةِ . وَطَالِعْ بِمَا يَتَجَدَّدُ لَكَ وَمَا يَرِدُ مِنَ الْأَنْبَاءِ عَلَيْكَ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَى عِلْمِهِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَمَا تَجْرَى عَلَيْهِ أَحْكَامُ خِدْمَتِكَ ، فَاعْلَمْ هَذَا وَأَعْمَلْ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية الغربية من هذه المرتبة ، وهي :

أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّا لِمَا آتَانَا اللَّهُ مِنْ سَعَادَةٍ لَطَرِقِ الْإِرَادَاتِ فِيهَا تَعْيِيدُ ، وَأَسْبَغَهُ بِنَا مِنْ نِعَمٍ لَا يَعُدُّهَا التَّحْدِيدُ ، وَلَا يَحُدُّهَا التَّعْيِيدُ ؛ وَأَبْهَجْنَا بِهِ مِنْ أَكْتِنَافِ الْمَطَالِبِ بِنِجَاحٍ لَا يَعْقِبُهُ تَعْسِيرٌ وَلَا يَعْسِرُهُ تَعْقِيدٌ ؛ وَأَمْضَاهُ مِنْ عِزِّ أَمْنِنَا الَّتِي مَا فَتَكَتْ قَطُّ بِالْأَعْدَاءِ فَقَيْدَ مِنْهُمْ فَقَيْدٌ ؛ وَلَقَّاهُ الْأَمْنَةَ بِنَظَرِنَا مِنْ نَضْرَةِ عَيْشِ جَانِبِ الْحَقَافِ دَوْحِهِ الْمُخْضَلِّ ، وَأَهْدَاهُ بِتَبْصِيرِنَا مِنْ أَنْوَارِ الْهَدَى الْمُتَقَدِّمَةِ كُلِّ ذِي جَهْلٍ ظَلَّ مِنْ صَلٍّ - لِأَنْزَالِ نَسْتَوْضِحُ أُمُورَ أَمْرَاءِ دَوْلَتِنَا مُتَصَفِّحِينَ ، وَنَبْلُو أَخْبَارَ الْمُؤَهَّلِينَ مِنْهُمْ لِسِيَاسَةِ الرَّعِيَّةِ الْمُرْتَحِّينَ ، وَنَكْشِفُ شُؤْنَهُمْ غَيْرَ مُتَجَوِّزِينَ وَلَا مُتَسَمِّحِينَ ؛ وَنُظْهِرُ فِي أَحْوَالِهِمْ آثَارَ الْإِيثَارِ لِرَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ ، وَأَمَارَاتِ الرَّفْعِ مِنْهُمْ مُقَابِلَةً عَلَى حَيَاطَةِ أَمْوَالٍ مَنْ نَكُونُ عَلَيْهِ وَصُونَ مِنْحَاتِهِمْ ، وَنُبَوِّئُهُمْ مَبُوءًا صَدَقَ مِنْ تَصَدِيقِ أَمَالِهِمْ وَتَحْقِيقِهَا ؛ وَنُزِفُ إِلَيْهِمْ

عقائل المَحِّ المَانِعِ شُكْرَهُمْ من تَسْيِبِ سَيِّئِهَا وَتَطْرُقِ تَطْلِيْقِهَا ؛ وَنَحْمِلُ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَا يُؤْمَلُهُ مِنْ أَجْتِهَادِهِ وَيُؤْثِرُهُ ؛ وَلَا نُلْغِي الْأَهْتَامَ بِمَا يُوْطِئُ لَهُمْ مِهَادَ الطُّولِ الْجَزِيلِ وَيُؤْثِرُهُ ؛ عَمَلًا بِآدَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي إِجْزَالِ حُطُوظِ الْحَسِنِينَ مِنْ إِحْسَانِ الْمَجَازَاهِ ، وَإِبْلَاهِهِمُ الْمَزِيدَ الْحَاكِمَ بِنَقْصِ أَعْتِدَادِهِمْ عَنِ الْمُوَازَنَةِ لَهُ وَالْمُوَازَاهِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَقَوْلُهُ هَدَى وَنورٌ وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ : ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

ولما كان الأمير (والنعوت والدعاء) من أنجحهم فالأ ، وأرَّجَّحهم مَصَالًا ، وَأَصْلَحهم أَعْمَالًا ، وَأَوْصَحهم كَيْلًا ؛ وَمَا زَالَتْ أَغْصَانُ مَهَاهُ مُتَتَابِعَةً فِي بُسُوقِهَا ، وَضُرَائِبُهُ نَافِقَةٌ أَعْلَاقُ الْحَامِدِ يُسُوقِهَا ؛ وَعِزَائِمُهُ فِي إِذْلالِ الْفِرَقِ الْمَبَالِغَةِ فِي فُسُوقِهَا ، مَشْمَرَةٌ عَنِ سُوقِهَا ؛ وَمَا بَرِحَ فِي شَوْطِ الْفَخْرِ رَاكِضًا ، وَلُتْقُودِ مَكْرُوهِ الْأُمُورِ الَّتِي تُزِيغُ الْأَمَانَةَ رَافِضًا ، وَبِأَعْبَاءِ الْقِيَامِ بِفَرَائِضِ الْأَلَاءِ نَاهِضًا ؛ وَمَا أَنْفَكْتَ مُنَاقِبُهُ تُعْبِي بَيَانَ الْوَاصِفِ وَبَنَانِ الْعَادِّ ، وَمَسَاعِيهِ مُدْرِكَةٌ وَهِيَ وَادِعَةٌ مَا يَعِجْزُ عَنْ أَقْلِهِ جِدُّ الْجَادِّ ؛ وَرَأْيُهُ [يَرْتَقِ] كُلِّ مُتَفَقِّقٍ وَمُنْبَثِقٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَهْمَةِ بِسَدَادِ الرَّاتِقِ السَّادِّ ، وَجَمِيلُ ذِكْرِهِ يَفُوحُ بِمَا يَفُوقُ الْمِسْكَ فَيُثُوبُ إِلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ بِالنَّائِي النَّادِّ ؛ وَمَا قَتِيَّ دَابُّ شَيْمَتِهِ الْإِعْرَاضِ ، عَنِ الْمُؤَبِّقِ مِنَ الْأَعْرَاضِ ؛ وَاخْتِيَارِ الرَّفِيقِ ، وَالْإِعْرَاقِ فِيمَا يُدِيمُهُ إِلَى فَكِّ أَعْنَاقِ أُسْرَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ سَرَى الْعَتِقِ - نَحْرَجُ أَمْرَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ بِكُتُبِ هَذَا السِّجْلِ لَهُ بِتَقْلِيدِهِ وَلايَةِ الْأَعْمَالِ الْغَرِيبَةِ .

فَلْيَتَقَلَّدْ مَا قَلَّدَهُ مَعْتَمِدًا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي صَرَفَ عَنْ مَعْتَمِدِهَا شِرْبَ التَّكْدِيرِ ، وَمَنْحَهُ مِنَ الْمَكَارِمِ عِنْدَهُ مَا يُؤَبِّقُ عَلَى التَّقْدِيرِ ؛ وَلْيَجْرَعْ عَلَى عَادَتِهِ فِي بَسْطِ ظِلِّ الْمَعْدِلَةِ وَمَدِّ رُواقِهَا ، وَصُونَ مَسَاحِي الرِّعَايَا عَنِ إِمْلَاقِهَا مِنْهَا وَإِخْفَاقِهَا ؛ وَالْمَسَاوَاةَ بَيْنَ

الأقوى والأضعف، والأدنى والأشرف؛ والبادي والحضار، والمناوين والأنصار؛
والخاص والعام، والأجنبي وربّ الحرمة والدمام: لينام المستورون على مهاد الأمن،
ويسلم جانب سلامة أموالهم وأرواحهم من الوهن. ويعامل المستخلف على الحكم
العزيم بما يستوجبه مثله من نصرة الأحكام «وكل إليه أمر الأمراء لمن آثرها^(١)
والإحكام» والإكرام الشامل لقدره، والأهتمام الشارح لصدّره. وليتوخّ المستخدمين
في الأموال بما يكون لعلّهم منيحا، ليصل إليهم ما يرومونه نجيحا. ويلزِم من
جرت عادته بلزوم الحدود واجتناب تعديها، والتوقُّر على حفظ مسالكها والمترددين
فيها؛ وليطالع بما يتجدد قلبه من الأحوال الطارئة، وما لم تزل الرسوم بإنهاء مثاليها
جاريه؛ إن شاء الله تعالى.

المرتبة الثالثة

(أن تفتّح الولاية بلفظ «رُسم» ثم يذكر أمر الولاية والمولى ويوضح،

ثم يقال «وسبيل كل واقف عليه»)

فمن المكتتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة نسخة مرسوم بشدّ ناحية، وهي:
رُسم - أعلى الله المراسيم وأدام نفاذها - بالإنعام على الأمير فلان بما يُفيض عليه
ملابس الأصطفاء ويُضفيها، ويُسمى لقدمه في الثبات مدارج الارتقاء ويُسنيها؛
ويُعرب عن اختصاصه بالمرتبة التي يُفضّل بها على مُباريه، وأستخلصه للرتبة التي
يفوت بها شأؤمُ مجاريه؛ ويؤهله لثغر حريم المحروس وشده، وتوليّه أمره بكفايته
ونَهضته وحزّامته وجده؛ وقد أمرنا بتسليم قلعة حريم وأعمالها وسائر ما يختص
بها ويُضاف إليها من ضياعها ومواضعها إليه، والتعويل في ولايتها وتعميرها وتثريها

(١) كذا في غير نسخة ولا معنى له وقد تقدّم لهذا المقام أمثال ونظائر يفهم منها المقصود.

عليه ؛ بموجب ما يُفَصَّل من الديوان على ما كان جارياً فى الإقطاع المحروس للحال ،
وسبيل أهل الديوان - أيدهم الله - العمل بالأمر العالى وبمقتضاه ، والاعتماد على
التوقيع الأشرف به ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة مرسوم بشد وقف ، وهى :

رُسم - أعلى الله المراسيم وأدام نفاذها - بالتعويل على الأمير فلان فى تولى
الوقوف بالجامع المعمور بجلب المحروسة ، والبيمارستان ، والمساجد ، والمشاهد
بالأماكن والمواضع ، وظاهرها وباطنها وأعمالها ، وتفويضها إليه ، والاعتماد
فى جميعها عليه ، سكوتاً إلى نهضته وكفايته ، ووئوفاً بخبرته ومعرفته وعلمها بنزاهته ،
وسداده وأمانته ، وذلك لاستقبال سنة سبع وثمانين وخمسة .

فليتول ذلك بكفاية كفيه ، ونهضة وافية ، وهمة لأدواء الأحوال شافية ، ونظر
تام ، لشمل المصالح ضام ، وتدبير جميل فى كل خاص من أسباب عمله وعامه ؛
وتقوى لله عز وجل تقوى بها يده ، ويضح بالاستقامة على سننها جدده ؛ ناظراً
فى الوقوف ومصاريفها ، وتتبع شروط واقفها ؛ بكل ما يعود بتعمير أعمالها ، وتمير
أموالها ، وتدبير أحوالها ؛ مطالباً بحساب من تقدمه وتحقيق مبالغه تكليلاً وإضافة ،
واحتساباً وسياقه ؛ وليطلب شواهد ، وليبين على الصحة قواعده ، وليتمس ما يصح
من بواقه من جهاتها ، وليكشف بما يوصحه من سبل الأمانة وجوه شبهاتها ؛ وقد أذن
له فى استخدام من يراه من التواب والمتصرفين والمشارفين ، والوكلاء والمستخدمين ؛
على ما جرت به العادة ، من غير زياده . وسبيل التواب - أيدهم الله - العمل بالأمر
العالى وبمقتضاه ؛ والاعتماد على العلامة الشريفة ، إن شاء الله تعالى .

المرتبة الرابعة

(أن يفتح بلفظ : «إن أحق» أو «إن أولى» أو «من كانت
صفته كذا» وما أشبه ذلك)

فإن ذلك نسخة منشور بتقابة الأشراف، وهي :

مَنْ كَانَتْ أَوْصَافُهُ شَائِعَةً بَيْنَ الْأَنْامِ ، وَصُحُفَ فُضَائِلِهِ مَشْهُورَةً لَدَى الْخِصَّاصِ
وَالْعَامِّ ، مَعَ شَرَفِ نَسَبِ شَاخِخِ الْأَعْلَامِ ، وَتَقَى فِخْرَ بِهِ عَلَى الْأَنْامِ ، وَعَلِمَ يُجْلَى بِهِ صَدَأُ
الْأَفْهَامِ ، وَعِقَّةِ سِرَائِرِهَا مُحْكَمَةُ الْإِبْرَامِ - كَانَ جَدِيرًا بِإِفَاضَةِ سَبْجَالِ النِّعَمِ عَلَيْهِ ، وَقَمِينًا
بِإِرْسَالِ سَيْلِ الْمَوَاقِبِ إِلَيْهِ .

ولما كان الشيخ فلان متصفًا بهذه الصفات الجميلة ، ومتخصِّصًا بمزاياها الجليلة ؛
وضارِبًا فيها بالسَّهْمِ الْمُعَلَّى ، وَنَازِلًا مِنْهَا فِي الشَّرَفِ الْأَعْلَى ، وَتَقَمُّصًا ثَوْبَ الْإِخْلَاصِ
وَالصَّفَاءِ ، وَمَتَشِّحًا بُوْشَاحِ الْعِفَّةِ وَالْوَلَاءِ - أَخْتَصَمِنَاهُ بِزِيَادَةِ التَّقْدِيمِ وَالْإِجْتِبَاءِ ،
وَحُبُونَاهُ بِوُفُورِ الْكِرَامَةِ وَالْإِصْطِفَاءِ ؛ وَأَجْرَيْنَاهُ عَلَى مَسْتَمِرِّ رَسْمِهِ بِالرَّعَايَةِ عَلَى دُرِّيَّةِ أَهْلِ
الْعِبَادَةِ ، حَسَبَ عَادَتِهِ الْمُسْتَقَرَّةِ إِلَى آخِرِ عَهْدٍ مَنْ كَانَتْ الْإِيَالَةُ إِلَيْهِ وَإِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ
مَضَى : لَيْسِيرَ فِيهِمْ بِكُتَابِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَيَسْلُكُ جَدَدَ الْحَقِّ الَّذِي يُوصِّلُهُ
مِنَ الزُّلْفَى إِلَى أَقْصَى مُنَاهُ وَسُؤْلِهِ ؛ وَيُحْضِرُهُمْ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَمَعْرِفَةِ مَا يَصْلُحُ
لِلْأَدْيَانِ . وَلَيْسُو فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الضَّعِيفِ فِيهِمْ وَالْقَوِيِّ ، وَيُعَمُّ بِالْإِنْصَافِ الْفَقِيرَ
وَالغَنِيَّ . وَلِيُحْسِنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَلِيَجْرِيَ عَلَى فَضْلِهِ لِمُسِيئِهِمْ ؛ بَعْدَ أَنْ يَقْدَمَ إِلَيْهِ زَجْرًا
وَعَيْدًا ، وَيُوسِعَهُ إِذَا رَأَى تَهْدِيدًا ؛ فَإِنْ وَعَى وَأَرْعَوَى وَإِلَّا سَلَّطَ عَلَيْهِ أَسْبَابَ
الْأَذَى ، وَتَوَلَّاهُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْجَزَاءِ ؛ وَيُعِيدُهُ إِلَى حَالَةِ الْإِسْتِقَامَةِ وَالْأَسْتَوَاءِ ،
وَيَكْفِيهِ عَنِ دَوَاعِي الْهَوَى . وَمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ حَدُّ أَقَامِهِ فِيهِ ، وَبَادَرَ إِلَى أَعْتَادِهِ
وَتَوَخَّيهِ ، حَسَبَ مَا يَوْجِبُهُ حُكْمُ الشَّرْعِ وَيَقْتَضِيهِ .

وليكن رُؤوفاً بهم ما استقاموا، ومنتقياً منهم ما أعوجوا ومالوا؛ وإن وجب على أحدهم حقٌ لملىّ أو دنىّ، استخلصه منه ولم يمنعه تعلقه بنسبٍ شريفٍ علىّ؛ وإن أفتريّ منهم مفترٍ علىّ أحد من الملل، قابله عليه بما يزجره عن قبيح العمل: فإنّ الناس في دار الإسلام ومن هو تحت الدمام سواسية وأقربهم إلى الله تعالى من كانت سيرته في الإسلام رضيّه، وطويته في الإيمان خالصة نقيه؛ ومن حكم عليه حاكمٌ من الحكام، بحقّ ثبت عنده بالبينّة العادلة أو الإعلام، أترعه منه أو سجنه عليه، إلى أن يرضى خصمه أو يردّ أمره إلى الحاكم ويفوضه إليه .

ويحرس أنسابهم بإثبات أصولها، وتحقيق فروعها؛ ومن رام دخولاً فيه بدعوى يُبطل فيها نقب عن كشف حاله، وإظهار محاله؛ وجازاه بما يستحقّه أمثاله، ويرتدع فيما بعد مثاله: ليخلص هذا النسب الكريم، من دعوى المجهول، وأندماجه في أسرة الرسول؛ عليه أفضل الصلاة والتسليم . ويمنع من اتصال أيم من الأسرة إلى عامي، ولا يفسح أن يعقد عليها عقد إلا لكفء ملىّ: ليرأ هذا المجد الشريف من التكدير، ولا تُزيّفه شوائب التغيير .

ولينظر في الوقوف على المشاهد والدّريّه، نظراً يحمده عليه من يعلمه من البرية، ويحطيه بالثواب عند مالك المشيه . ويتدى بعمارة أصولها وأستكال فروعها، وقسمة مغلّها على ما تضمنه شرط الواقفين لها . ويحفظ على النذور، وينفقها على عاداتها في المصالح والجمهور؛ عالماً أنّ الله تعالى سائله عمّا توخاه في جميع الأمور، وأنه لا يخفى عليه كلّ خفيّ مستور . قال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ .

وَأَذِنَّا لَهُ أَنْ يَسْتَنْبِيبَ عَنْهُ فِي حَالِ حَيَاتِهِ ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ - فَسَّحَ اللَّهُ لَهُ فِي الْمُهْلِ ،
 وَخَوَّلَهُ صَالِحَ الْعَمَلِ - الْأَرشَدَ مِنْ بَيْنِهِ ، وَمَنْ يَخْتَارُهُ لِهَذَا الْأَمْرِ وَلَهُ يَرْتَضِيهِ . وَقَدْ
 أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِإِحْرَاءِ مَا كَانَ بِاسْمِهِ مُسْتَمِرًّا إِلَى الْآنَ ، وَأَضْفُنَا إِلَيْهِ مَا يُعِينُهُ عَلَى النَّظَرِ
 فِي مَصَالِحِ الْأُسْرَةِ أَدَامَ اللَّهُ لَهُ عُلُوَّ الشَّانِ ؛ مِنْ تَمْلِيكِ وَإِدْرَارٍ وَتَيْسِيرٍ ، وَجَعَلْنَاهُ لَهُ
 مُسْتَمِرًّا ، وَعَلَيْهِ مُسْتَقَرًّا ؛ وَلَنْ بَعْدَهُ مِنْ نَسَلِهِ وَالْأَعْقَابِ ، عَلَى تَوَالِي الْأَزْمَانِ
 وَالْأَحْقَابِ ؛ وَحَظَرْنَا تَغْيِيرَهُ وَفَسْخَهُ ، وَتَبْدِيلَهُ وَنَسْخَهُ : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ
 فَأَيَّمَا إِمَّةٍ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ وَهُوَ مَعِينٌ مِنْ دِيْوَانِ الْأَسْتِيفَاءِ
 الْمَعْمُورِ ، بِهَذَا الْمُنشُورِ الْمُسْطُورِ ، بِالْأَمْرِ الْعَالِيِ أَعْلَاهُ اللَّهُ وَأَمْضَاهُ ، عَمَّا كَانَ قَدِيمًا ،
 وَمَا أَنْعِمَ عَلَيْهِ بِهِ آخِرًا ، وَهُوَ الْقَدِيمُ الَّذِي كَانَ لَهُ وَشَهِدَ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ ، وَهُوَ
 الْإِقْطَاعُ مِنْ نَاحِيَةِ كَذَا ، وَيُجْرَى عَلَى عَادَتِهِ فِي إِطْلَاقِ مَا قُرِّرَ لَهُ مِنْ نَاحِيَةِ كَذَا
 بِشَهَادَةِ الدِّيْوَانِ الْفُلَانِيِ ، وَالْمَجْدِّدِ الَّذِي أَنْعِمَ بِهِ عَلَيْهِ لِأَسْتِقْبَالِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ
 وَمَا بَعْدَهَا . وَسَبِيلُ كَافَّةِ الْأُسْرَةِ الطَّالِبِيِّينَ بِمَدِينَةِ كَذَا الْإِنْقِيَادُ إِلَى تَبَاعُثِهِ ، وَالْأَمْتِثَالِ
 لِإِشَارَتِهِ ، وَالتَّوْفُرُّ عَلَى إِجْلَالِهِ وَكَرَامَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ زَعِيمُهُمْ ، وَمَقْدُمُهُمْ وَرَأْسُهُمْ ؛ وَمَنْ
 خَالَفَهُ مِنْهُمْ قَابَلْنَاهُ ، وَبِالْيَمِّ الْعِقَابِ جَازِينَاهُ ، وَالْأَعْتَادُ فِي ذَلِكَ أَجْمَعَ عَلَى التَّوْقِيعِ
 الْأَشْرَفِ الْعَالِيِ أَعْلَاهُ اللَّهُ ، وَالْعَلَائِمِ الدِّيْوَانِيَّةِ فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية الشرقية ، وهي :

مَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ الشَّرْقِيَّةُ أُجْدَرَ الْبِلَادِ بِأَكِيدِ الْأَهْتَامِ وَأَخْلَقَ ، وَأَوْلَاهَا بِإِضْفَاءِ
 سِرِّبَالِ الْأَهْتِبَالِ الَّذِي لَا يُخْلَقُ إِذَا رَثَ سِوَاهُ وَأَخْلَقَ ؛ وَأَقْمَنَهَا بِجُسْنِ نَظَرٍ يُرْسَلُ
 لِرَسُولٍ عَلَى الرَّسْمِ الْأَعْنَةِ فِي إِدَامَةِ نَضْرَةِ الْعِمَارَةِ عَلَيْهَا وَيُطْلَقُ ، وَأَحَقَّهَا بِأَنْ يُبْرَمَ لَهَا

سَبَبُ تَفْقُدِ لَا يَلْتَصِقُ بِهِ رَهْنٌ وَلَا يَغْلِقُ ؛ وَأَحْرَاهَا بِاعْتِنَاءٍ يَقْضَى لِأَمْرِهَا بِالْأَطْرَادِ ،
وَأَوْلَاهَا بِتَعَهُّدٍ يَجْمَلُ مَصَالِحَ الشُّؤْنِ آلِفَةً لِلنَّوَاءِ بِهَا وَالْمُقَامَ عَائِفَةً لِلنَّشُورِ عَنْهَا
وَالشَّرَادِ ؛ لِأَنَّهَا بَابُ الشَّامِ ، وَإِلَيْهَا تَرْدُ الْقَوَائِلُ الْمُرْتَدَّةُ مِنْهُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ ؛ وَمِنْهَا
يَسْتَكْشِفُ الْأَخْبَارَ وَيَسْتَنْهَضُ الطَّوَالِعَ وَالْمُنْتَخَبِينَ ، وَبِمَوَاصِلَةِ التَّفَقُّدِ تَعْلَمُ الْأَحْوَالَ
الطَّارِئَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينَ ؛ فَتَجِبُ الْمَبَالِغَةُ فِي حِفْظِ طُرُقَاتِهَا وَمِيَاهِهَا ، وَأَنْ تَصْرِفَ
الهِمْمُ إِلَى ضَبْطِ أَحْوَالِهَا ، وَعَامَّةِ أَنْقَابِهَا وَأَتَّجَاهِهَا ، وَيُوضَعُ بِنَاءُ الْحَزْمِ فِي صَوْنِ
أَطْرَافِهَا عَلَى أَثْبَتِ قَاعِدَةٍ وَيُؤَسَّسُ ، وَيَسَالَعُ فِي إِذْكَاءِ الْعِيُونِ عَلَى كُلِّ طَارِقٍ يَتَخَبَّرُ
لِلْعُدُوِّ الْمَلْعُونِ وَيَتَجَسَّسُ ؛ وَكُنْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ ،
وَدَوَى الْكِنَايَةِ الْمُوفِيِّ ثَرَاؤُهُمْ فِيهَا [عَلَى] عَارِضِ الْإِعْدَامِ ، وَمَا زِلْتُ مَعْدُودًا مِنْ خَاصِ
الْأَتْرَاكِ الْأَعْيَانِ لِسَمِّهِ (؟) ، الْمَقْصَرِّ مَجَارِوَهُمْ إِلَى غَايَةِ الْبَسَالَةِ عَنِ التَّلَاقِ بِهِمْ وَالْإِدْرَاكِ
وَقَدْ تَقَدَّمْتُ وَلَا يَتَكُّ هَذِهِ الْأَعْمَالَ فَقَصَّدْتُ مِنْهَا قَصِيدًا سَدِيدًا ، وَأَلْحَفْتُ الرِّعَايَا
ظِلًّا مِنَ الْأَمْنَةِ مَدِيدًا - خَرَجَ الْأَمْرُ بِإِيدَاعِ هَذَا الْمُنْشُورِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ إِعَادَتِكَ
إِلَى وَلَايَتِهَا ، فَبَالِغَ فِي اسْتِضْحَاحِ الْأَنْبَاءِ وَكَشْفِهَا ، وَرَفْعِ الْوَيْتَةِ فِي ذَلِكَ وَصَرَفِهَا ؛
وَوَكَّلَ بِهِ عَزْمَةً لَا تُلْمُ سَنَةً بِطَرَفِهَا ، وَأَنْتَ فِيهِ إِلَى غَايَةِ تَضْيِيقِ سَعَةِ الْقَوْلِ بَوَصْفِهَا ؛
وَتَابِعَ فِي تَسْيِيرِ الطَّلَائِعِ وَنَدْبِهَا ، وَعَوَّلَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْعُرَبَانِ الْمُسْتَمْتَهِّضِينَ عَلَى
شَهْمِهَا وَنَدْبِهَا ؛ وَاجْتَهَدَ فِي حِفْظِ الطُّرُقَاتِ وَالْمَسَاهِلِ ، وَاسْتَنْهَضَ لِلتَّحْرُزِ عَلَيْهَا
مَنْ هُوَ عَالِمٌ بِهَا غَيْرُ جَاهِلٍ ؛ وَتَحَفَّظَ مِنْ جَلَلٍ يَتَطَرَّقُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - عَلَى الْبِلَادِ
وَخَلَّلَ يَتَخَلَّلُهَا ، وَأَنْتَ لِهَذِهِ الْمَهْمَاتِ بِصَارِمٍ حَدِّ تَسْلَمَ مَضَارِبُهُ مِنْ عَجْزٍ يَفْلُلُهَا ؛
وَلَا تُبْقِي مَمَكًا فِي إِنْفَازِ الْمُنْتَخَبِينَ ، وَإِرْسَالِ مَنْ يُغَيِّرُ عَلَى بِلَادِ الْعُدُوِّ مِنَ الْخَلْبِيرِينَ ،
بِمَا [أَنْ] هَذِهِ سَبِيلُ التَّدْرِيكِ ، وَأَلْزَمَ أَرْبَابَ الْحُدُودِ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ حِرَاسَةَ
حُدُودِهِمْ ، وَخُذَهُمْ بِاسْتِنْفَادِ وَسْمِهِمْ فِي الْأَحْتِيَاظِ وَاسْتِيفْرَاغِ مَجْهُودِهِمْ ؛ وَطَالِعَ

بما يُورد قبلك ، وأنه ما يزيد بسُرعة إجابتك عنه في الخدمة عليك ، فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية المرُتاحة ، وهي :

خرج الأمر بكتب هذا المنشور وتضمينه : إن من أظهر خلاصة جوهره السُّبك ، وأرتفع في إشكائه بالإنصاف عن كل شك الشك ، وحصل عنده [من] الخلال الزكية نظم لا يحل وعقد لا ينفك ، وأوفى على التقدير والظن في التدبير المفرح به عن الرعية الضنك - أستوجب أن تُسند إليه حمايتهم ، وتجعل إليه كلاءهم .

ولما كنت أيها الأمير من أحمد عند تحز عزمه ، وتجريب نصل حزمه ، وأعتبر فصل مقالته ، وأختبار أصل أصالته ، وشكر استراره على الاتصاف بمحض الولاء ، وأستدراره أخلاف غرر الآلاء ، وأستئاره أصناف جنى الشاء ، وأستقراره أكاف وهبي الاعتناء ، ولم تزل في رفعتك وحيها ، وما برح جميل الرأي يديم بعنا لتحف الإحسان نحوك وتوجيهها ، وما أنكنت مجاهدتك مجاهدة في مهام إقدام تويها ، وشجاعتك مائة على الكفار كل كفاح يلقون منه كلاً ثقيلًا ويوماً كريهاً - أودع هذا المنشور ما رسم من استخدامك في ولاية الأعمال المرُتاحة .

فباشرها معتمدا على تقوى الله سبحانه التي تقوى بها أسباب توفيقك وتناله ، وتسلم أمور مباشرتك من خلل يكدر استبشارك وينكد . وأعتمد العدل على من تشتمل عليه هذه الولاية وتحويه ، وبالغ فيما يزيل عنهم الحيف ويؤويه ، وأقصد ما يقضى لسرهم بالتأمين ، ويبلغهم من تحصيل أوطانهم غاية التأميل . وأجعل أيدي المفسدين مكفوفة عن كفتهم ، ووجوه المعتدين مصروفة عن إخافتهم ؛

وتطلب الأشرار ، وتبَّع الدُّعَارُ ، ومن ظفرت به منهم فلا تكن عن التنكيل به ناكلاً ، ولا تُقصر في الحوطة عليه والمطالعة به عاجلاً . وعامل النائب في الحكم العزيز بإنهاضه ، وصونٍ مديدٍ باعه في تنفيذ الأحكام عن انقباضه ؛ وأعضده في إنفاذ قضاياه ، واختصاصه بإكرامٍ يقبل عليه مطلقٌ محياه . وشد من الضامن في استيداء حقوق الديوان وأستنطافها على أحسن حال من غير خروج عن الضرائب المستقره ، وعوائد العدل المستميره . وتحرز أن يكون لناهضة العدو طروقاً إلى ناحيتك أو أيتاب ، وشمرٌ لتتحفظ من مكايدهم تسميراً يزول عن حقيقته عارضُ الأرتياب ؛ ولا تُبقي شيئاً يمكن لأهل ولايتك قواعد الأمانة منهم ، وتبتل لوقايتهم أذاهم تبتل من لا ينام عنهم . وطالع بما يحتاج إلى علمه من جهتك إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية السمنودية ، وهى :

إن أولى من ولي الأعمال ، وتعلقت بكفائته الآمال ، وعدقت به المهمات ، وأسندت إليه الولايات ، من نطقت بمعدته الألسنه ، وأنتفت عن عين خبرته السنه ؛ وكان حسن السياسة لرعيته ، كثير العارة مددة توليته ؛ شهماً فى أستخراج الحقوق من جهاتها ، صارماً فى ردع المجرمين عن زلات النفس وهفواتها ؛ حسنة سيرته ، خالصة مناصحته وسريته .

ولما كنت أيها الأمير فلان - أدام الله تأييدك وتسديدك ، وحراستك وتمهيدك - أنت المتوشح بهذه الصفات الحسان ، المتصف بما تقدم من الشرح والبيان ، الذى نطقت شمائلك بشهامتك ، وشهدت محابلك بنبأتهك - خرج الأمر الفلانى بأن نتولى مدينة سمنود وضواحيها ، وما هو معروف بها ومنسوب إليها ؛ بشرط بسط

العدل ونشره، وإعباق عرف الحق ونشره؛ وأن تُخفف الوطأة عنهم وتفعل ما هو أولى، وتعلم أنك تُسأل من الله تعالى في الأخرى ومِنَّا في الأولى؛ وأن تصون الرعايا وتجتلب لنا أدعيتهم، وتعاملهم بما يُطيب نفوسهم ويبلغهم بغيتهم؛ حتى يتساوى في الحق ضعيفهم وقويهم، ورشيدهم وغويهم، ومليهم ودنيهم؛ وأن لا تقيم الحدود على من وجبت عليه إلا بمقتضى الشرع الشريف، والعدل المنيّف؛ وأن تُسَدَّ من ثواب الحكم العزيز، وتفعل في ذلك فعل المهذب ذى التمييز؛ وأن تحسّر عن ساعد الاجتهاد فى الجمع بين استخراج جميع الحقوق الديوانية والعمارة، وتجعل تقوى الله هى البطانة لك والظّهاره؛ وأن تبدل النهضة فى استخراج الأموال، وتحصيل الغلال على التمام والكمال؛ بحيث لا يتأثر منها الدرهم الفرد ولا القدح الواحد، وتفعل فى ذلك فعل المُشفق المشمر الجاهد؛ وأن تُديم مباشرتك للأقصاب فى حال برشها وزراعتها وتربيتها وحماها، واعتصارها وطبخها، وتزكية أثمارها؛ بحيث لا تنكّل الأمر فى شىء من ذلك إلى غير ذى ذمّة بمفرده، ولا إلى من ليس بذى خبرة لا يعلم مُشقى التصرف من مُسعدِهِ. وقد جعلنا لك النظر على جميع النّواحي الجارية فى ديواننا بالوجه البحرى خاصة لتنظر فى أمرها، وتزجر أهل الجنايات بها؛ وتفعل فيها كل ما يحدُّ به الأثر، ويطيب بسَماعه الخبر.

فتقلد ما قلدت، وقم حق القيام بما إليه نُدبت؛ وأعمل فيه بتقوى الله فى سرك وجَهْرِك، وقدم الخوف من الله على جميع ما تأتيه أو تذرّه من أمرِك؛ وتَسأله شاكرًا لما أسديناه إليك، متمسكًا بما أوجبناه عليك؛ فإن الشكر يُوجب مزيدك، ويكثر عديدك.



وهذه نسخة بولاية النستراوية، وهى :

من عادتنا فى التدبير وشيئتنا، وسنتنا فى السياسة وسيرتنا؛ إسباغ المواهب والنعم، وتنقيل عبيدنا فى مراتب الخدم؛ أسترشادا بأسلافنا الملوك وأقدياء، وأستضاءةً بأنوارهم المشرقة وأهتداء .

ولما كنت أيها الأمير من عرفت بسالته، وأشتهرت شجاعته وصرامته؛ وأستحق أن يُلاحظ بعين الرعايه، وأن يشرف بالأرتضاء للتعويل عليه فى ولاية، - رأينا - وبالله توفيقنا - أستخدامك فى ولاية الأعمال النستراوية، وخرج أمرنا إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك ذلك، وتضمينه ماتعتمد عليه، وتنتهى إلى المثل لك فيه .

فتقلد ماقلدته حاملا بتقوى الله فيما تُسرّه وتُعَلِنُه، معتمداً فيها غاية مايستطيعه المكلف ونهاية ما يمكنه؛ فالله تعالى يقول إرشاداً للمؤمنين وتمهيماً: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصَدِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ . وساو بين القوى من هذه الولاية والضعيف، ولا تجعل فى الحق فرقاً بين المشروف والشريف؛ وأمُدْ على كافتهم رواق السكون والأمنه، وأجرهم فى المعدلة على العادة الجميلة الحسنه؛ وأفعل فى إقامة الحدود على من تجب عليه ما يُوجبه كتاب الله الكريم، وتقضى به سنة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم؛ وأدأب فى حفظ السبل والمسالك، وأجهد فى ذلك الاجتهاد الذى يجب على أنظارك وأمثالك؛ ومتى ظفرت بمن يؤذى مسافرا، أو يخيف وارداً أو صادرا؛ فطالع بحاله يُمثل لك فى التمثيل بما تعتمده، وتؤمر فى شأنه بما تنتهى

إليه وتقصده . وراع المستخدمين على الحكم والدعوة فهما يتوليان ما بإعزازه يقوم
منار الإسلام ، وتجري أمور الشريعة على أجمل وضع وأحسن نظام . وخذ
المستخدمين في الأموال الديوانية بالأجتهد في العماره ، وحمل المعاملين على ما توجبه
المعدلة والحرص على ما وقر الأرتفاع ، وحماه من أسباب التفريط والضّياع ،
واستمض الرجال المستخدمين معك فيما ترى نذبهم إليه ، واستنهاضهم فيه ، فاعلم
هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية الإسكندرية ، وهي :

أهتامنا بما حاط ثغر الإسكندرية - حماه الله تعالى وحصنه ، ومنحه أتم حظ
التفقد وأكله وأجمل وضع التعهد وأحسنه ، وقوى سبب استقامة شؤونه وأتساق
أموره ومكثه ، ومدّ ظلّ الدعة والسكون على كافة من تديره وسكته ، وحفظ
عليه نظام النضاره ، وأماط عنه مكروه الأحوال الضاره ، وأنام أهله على مضجع
الأمن ومهاده ، وحكم بإحلالهم تجود الأتحاد على المصالح وإجلالهم عن وهاده ،
وحى سوام أموالهم من مشروب ورد أجاج ومرعى نبت وخيم ، وحباهم من
رسوم الإحسان وعوائده مالا ينطق لسأ على زوائده بترخيم ، وملا آمال الأعداء
عن التطرق إليه إخفاقاً ، وردّ نصول سهام مكابدهم عنه على ما عهد من فضل الله
سبحانه أفاقاً - إذ كان من أجل الثغور الإسلامية أوزاراً ، وأسبقها إلى غاية
التفضيل آتداراً ، وأكثرها بمن حواه من صدور الدين وأئمة المسلمين أفتخاراً ،
وأفضلها محلاً ولم يزل مفرع السفار من كل جهة رسلاً وتجاراً - أوجب أن نُسند
ولايته ، ونردّ كلاءته ، إلى من يجرى في التدبير على حكم سياسته المعلوم بالحسن

الأخذ بيَدِ المظلوم ، ويُقومُ بحسن التفويض والإيثمان ، ويعطى بدلَ السَّلامة من حقوق انتقامه عهدَةَ الأمان ؛ ويسلكُ فيما يُعَدَّق به طريقَ السَّداد ويلزم نَهجَه ، ولا يمكنُ أن يكونَ له على غير الصواب مَعَاجٍ ولا عَرَجَه ؛ ويأخذُ في كلِّ أحواله بوثائقِ الحَزْم ، وتُحِلُّ له أعمالُه الصالحةُ من مَثَوَى المنازلِ الرفيعة ما هو على غيره من الحرامِ الحَزْم .

ولما كان الأميرُ المعنىُّ بهذا الوصفِ الواضحِ البيانِ ، المتكافئةَ في ذِكرِ مناقبه شهادةُ السَّماعِ والعِيانِ ؛ الكائِنِ ما يُناطُ به بقلْبِ المعنىِّ وطَرْفِ يَقْظانِ ، الحالِّ من الوَرعِ فى أسمى مكانٍ وأعلى مَظانٍ ؛ الجامعِ فى إقامةِ شرعِ الإخلاصِ بينَ الفرائضِ والسُّننِ ، الموفيةَ عزائمُه على مَضارِبِ المِهْنَةِ التى لا تَقى منها ما نعاتُ الجُننِ ؛ الفاعِحِ من نبيِّه ما تُؤثرُ صحاحُ الأبناءِ عن عَيْسِلِ نَسيمه ، الجديرِ بما يُرْفُ إليه من عقائِلِ جزيلِ الإنعامِ وجَسيمه ؛ وقد أبان فى ولايتهِ بمطابقتِه بينَ شدِّتهِ ولينِه ، وإقامةِ منارِ الإنصافِ المُعربِ عن أمتدادِ باعه فى الحربِ وأنقباضِ يمينِه ؛ وإروائه كَافَّةَ أهلها من تَميرِ العونِ على استتبابِ الأمورِ ومَعِينِه - خرج أصرُّ الملكِ العادلِ بتقليده ولايةَ نَغرِ الإسكندريةِ حماه اللهُ تعالى والبحيرة .

فليتقلدْ ماقلده إياه ، ويباشِرْه منشرحاً صدره متهللاً بحياه ؛ وليعتمدْ على تقوى الله التى هى خير عتاد ، وأفضل ما أعتد عليه فى الحياة الدنيا ويومَ يقومُ الأشهاد ؛ وهى نِجاةُ أهلِ اليقين ، وفوزُ المتقين ، قال اللهُ تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وليبالغْ فى نَشْرِايةِ العدلِ ومدِّ جناحه ، وتعفِيةِ أذى الجورِ وأجتياحه ؛ وليشملِ الصغيرَ والكبيرَ من أهلِ هذه الولايةِ برداءِ النصفه ، ويعاملهم بالجميلِ الموفى على

الصفه ؛ ويقم الحدود على مستوجبها ، وينته إلى الغاية في تجنب إضاعتها وتوقفها ؛
وليدل على المفسد عين من يتبع وقوعهم في قبضته ويتطلب ، ويقابل كلاً منهم
بما يرى متعقبا بإيماض برق المعاقبة غير خلب ؛ ولا يبقى ممكنا في التنقيب على
مرتكبي الآثام ، والمرتكبين على سفك الدم الحرام ؛ ومن ظفر به منهم فليحكم فيه
شبا ظفر الانتقام ونابه ، ويقابله من الردع بما يؤمن من معاودة عادات التعدي
على كل حقير ونابه . وليجر على عادته فيما يسير عنه أحسن السمع ، ويشهد له بالتزهر
عن خبيث الطعمة وقبيح الطمعه . ويشد من القاضي متولى الحكم فيما يصدده
ويورده ، ويحلّه ويعقده ، ويمضيه من الأحكام الشرعية ، ويعتمده في القضايا بما
لديه من الألية . ويعاضد المستخدمين في الأموال معاودة ثمره ، وتمى الارتفاع
وتوفره ، وتعود على الديوان بالحظ الوافي ، وتغرب عن كونه بمثل هذه الولاية نعم
الكف الكافي . ويعامل التجار على تباين بلدانهم ، واختلاف ألسنتهم وألوانهم ،
معاملة يجمل أثرها ويحسن ؛ ويتلقهم ببشر وطلاقة تنطق بشكر استبشارهم بها
الألسن ؛ ويحفظهم في أنفسهم وبضائعهم ، ويستفيد الوسع في دفع مضارهم
وروائعهم . ويعتمد بعث رجاله على الاستعداد للجهد ، والتأهب لقرع الأضداد .
وينته إلى الغاية فيما يزيل منهم اعتذارا ويزيح اعتسلا ، ويوجب لهم الاقتدار على
مكافحة عدو إن طرق الثغر والعياد بالله تعالى .



وهذه نسخة بولاية برقة ، وهي :

من حق الأطراف المتناهية في بعد أقطارها ، والبلاد الشاسعة عن نواء المملكة
وحل استقرارها ، التي انتظمت في سلك أعمال المملكة الناصرية وانخرطت ،

وَأَسْتَدْرَكْتُ مَعْدَاتِهَا لِمَنْ حَوَتْهُ فَوَائِدُ الْفَوَائِدِ الَّتِي سَلَفَتْ وَفَرَطْتُ - أَنْ يُدِيمَ أَكِيدُ
الْأَهْتَامَ لَهَا التَّحْصِينَ وَالتَّحْسِينَ ، وَلَا يُغِيبُ أَهْلَهَا مَا يَغْشَاهُمْ مِنَ الْمَلَاخِظَاتِ مُصْبِحِينَ
وَمُسِينَ ؛ وَتُرْجَى لَهَا سِحَابُ كَرَمِ التَّعَهُدِ عَهَادَهُ غَدَقًا ، وَيُعْمَلُ الْأَوْلِيَاءُ فِي حَيَاطَتِهَا
مِنَ الْعُمُودِ أَلْسِنَةً وَيُدْكَوْنَ دُونَهَا مِنَ الْقَنَاقِدِ ؛ وَيَفُوضُ أُمُورَهُمْ إِلَى مَنْ تَخَفُّ
عَلَى يَدِهِ كَلْفَتَهُمْ ، وَتَجْتَمِعُ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ أَلْفَتَهُمْ ؛ وَيَشْتَمِلُ مِنْ عِنَايَتِهِ عَلَيْهِمْ آسْتِمَالُ
الصَّدْفَةِ عَلَى الْقُلُوبِ ، وَتَنْبَلُهُمْ مَهَابَتُهُ مِنْ كَفِّ عَدْوَى الْعِدَا كُلِّ مُؤَثَّرٍ مُطْلُوبٍ .

ولما كنت أيها الأمير من أُمير سَالِكِي هَذِهِ الطَّرَائِقِ ، وَأَمْتَلِ فُرْسَانَ الْحُرُوبِ
وَحِمَاةَ الْحَقَائِقِ ؛ وَأَشْجِعِ الْمُجَاهِدِينَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَأَجْسِرِهِمْ عَلَى إِصْلَاءِ الشَّرِكِ
ضِرَامٍ فَتِكَ لَا يُخْشَى إِصْلَادُ زِنَادِهِ ؛ وَلِكِ السِّيَاسَةِ الَّتِي تُرْتَّبُ بَيْنَ الْأَسْوَدِ وَالظُّبَاءِ
أَصْطِحَابًا ، وَالْمُخَالَصَةِ الَّتِي لَا تُنَاجَى إِذَا وُصِفَتْ بِالْتَعَالَى فِيهَا وَلَا تُنَاجَى - خَرَجَ أَمْرُ
الْمَلِكِ الْعَادِلِ بِكُتُبِ هَذَا الْمَنْشُورِ لِكَ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِوِلَايَتِهِ وَإِقْطَاعِهِ : وَهُوَ بَرَقَةٌ
بِجَمِيعِ أَعْمَالِهَا وَحُقُوقِهَا : مِنَ الْعَقَبَةِ الصُّغْرَى وَإِلَى آخِرِ حُدُودِهَا ، وَبِمَا أَمَرَ بِهِ كَافَّةً
الْعُرَبَانَ الْمُقِيمِينَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ ، وَجَمِيعِ أَهْلِهَا مِنْ حَاضِرٍ وَبَادٍ : مِنَ الْإِعْلَانِ لِكَ بِشِعَارِ
الطَّاعَةِ ، وَصَوْنِ مَا يَلْزِمُهُمْ أَدَاؤُهُ إِلَيْكَ مِنْ فُرُوضِ النُّصْحِ عَنِ الْإِضَاعَةِ ؛ وَأَنْ يَبْدُلُوا
فِي مَوَافِقَتِكَ غَايَةَ الْأَجْتِهَادِ ، وَيَعْتَمِدُوا مِنْ أَمْتَالِ مَرَا سِمِكَ أَحْسَنَ اعْتِمَادٍ ؛ وَيَحْذَرُوا
مِنَ الْعَدُولِ عَنِ أَمْرِكَ ، وَيَحْتَنِبُوا مُخَالَفَةَ نَهْيِكَ وَزَجْرِكَ .

فَاسْتَمْسِكْ بِجِبِلِّ التَّقْوَى الْفَائِزِ مِنْ يَعْتَصِمُ بِهِ وَيَتَعَلَّقُ ، وَاسْتَشْعِرْ مِنْ خَيْفَةِ اللَّهِ
مَا يُشْرِقُ لِأَجَلِهِ عَلَيْكَ نُورُ الرِّضْوَانِ وَيَتَأَلَّقُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمَكْنُونِ :
(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) . وَعَامِلْ أَهْلَ هَذِهِ الْوِلَايَةِ بِالْإِنصَافِ ،
وَأِيَّاكَ وَمَكْرُوهَ الْعَدُولِ عَنِ حَجَّةِ الْعَدْلِ وَالْإِنْحِرَافِ ؛ وَتَوَقَّ الْعَسْفَ بِهِمْ وَالْحَيْفَ

عليهم ، وأجتنب الترخيص لأصحابك في مد يد أحد منهم بعدوان إليهم ؛ وسرفيهم
سيرة ترؤف بهم وترؤف ، وجانب سبيل من تقوم عنده أسواق اختلاف المتخترعين
وتنفق ؛ ولا تخرج في تدبير الأمور عن قانون الشريعة ، ولا تجعل لك إلى فوز الآخرة
عن تقديم العمل الصالح من ذريعه . وغل عنهم أيدي حاضري المفسدين وبأديهم ،
وأبنيهم بالمهابة عن إصرارهم على المنكرات وتماديهم ؛ وكل بهم عزما رادعا لهم
وازياء ، ونكل بمن ظفرت به منهم تنجيلا يزجر من يظلل بجر الضلال نازعا . وشد
من خلفاء الحكم العزيز في تنفيذ قضاياه ، وخصهم من الكرامة بما تقتضيه إقامة
مناره وإنارة مزاياه . وأعتد ما يعيد الحقائق بوجوه ناضره ، ويرد الأباطيل
بصفتة خاسره . وراع أمور التجار والحجاج مراعاة شملهم في السفر والإقامة ،
وتحميمهم من تطرق استهانة إلى أحد منهم واستنصامه ؛ وطالع بما يتجدد من أحوال
خدمتك ، وما يحتاج إلى علمه من جهتك ؛ إن شاء الله عز وجل .



وهذه نسخة بولاية الفرما ، وهي :

نحن لما ضاعف الله لدينا من إحسانه وأجزله ، وعدقه بنا من تدبير أمور الخلق
وأسنده إلينا ووكله ، نعتمد عبيدنا بتوفير الرعاية لهم والإكرام ، ونحافظ على ما يغمرهم
من شامل الإفضال وسابغ الإنعام ؛ فتقدم للخدم من خطبها بخلوص طاعته ، ونؤهل
للرتب من أبانت شيمه عن خبرته ومناصحته .

ولما كنت أيها الأمير ممن ظهرت مشايعته ومولاته ، وحسنت في مكافئة
الأعداء مشاهدته ومقاماته ، ووضحت في أفعاله دلائل النصح وبانت عليه سماته ؛
ولك مساع مشكوره ، ومواقف مشهوره ، ومقاصد هي من ما شرك معدودة

(١) وفي فضائلك مذكوره، رأينا - وبالله توفيقنا - استخدامك في ولاية القرما والجفار :
سكوناً إلى رضا مذهيك ، وثقةً بانتظام الحال فيما يردُّ إليك ويناط بك ، وخرج
أمرنا إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الولاية المذكورة وتضمينه
مانأمر به ونزيمه ، مما يهديك إلى الصواب فتتمسك به وتعكف عليه وتلزمه .

فتقلد ما قلده شاكراً على هذه النعمى ، عاملاً بطاعة الله تعالى ومراقبته في السر
والنجوى ، وأعددها زادا إلى الآخرة تطمئن به القلوب وتقوى ، قال الله عز من
قائل في كتابه : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ . وأعتمد في أهل هذه الولاية
نصفه تعمهم ومعدله ، وسنهم سياسة تكون لسنة الخير مؤكدة لسنة الجور
مبدله . ومائل في الحق بين قويهم وضعيفهم ، ولا تجعل مزية في الواجب
لشريفهم على مشروفهم ، وأنصف للظالم من المعتدى الظالم ، وأعمل بالكتاب
والسنة في الحدود التي تقيهما على ذوى الجرائر والجرائم ، وأنصب لفظ
الطرق ، وصون الصادرين والواردين في جميع الأوقات ، ونكل بمن تظفر به من
المفسدين ، وأجعله عظةً لأمثاله من الظالمين والمعتدين ، وعاضد الناب في الحكم
العزير معاضدة تقضى بإعزاز الجانب ، وساعده مساعدة تنفذ بها أحكامه على قضية
الواجب ، وكذلك متولى الدعوة الهادية فهى مصباح الزمان ، وبإشادة ذكره تقوى
دعائم الإيمان ، فاجتهد في تمييز متوليا وإكرامه ، وبلغه في ذلك غاية مطلوبه
ومرامه . وتوقر على الشد من المستخدمين في الأموال ، وراع [ما يحسن] لدينا فيما
تنظر فيه من الأعمال ، وأحرص على ما عاد بوفور ارتفاعها ، وأجر أحوالها على أفضل
رؤومها وأوضاعها ، بحيث يكون العدل منبسطاً منبثاً ، والحيف منحسماً مستأصلاً
مجتثاً ، وأجل صحبة الرجال المستخدمين معك ، وأحسن معاشرتهم مع مطالبتهم بملازمة

(١) كانت عدة قرى ومن مدنها العريش والورادة ورغ وقطية وقس والزعقا . انظر معجم البلدان .

الخدمه ، وأستنهاضهم فى الأمور الشاقّة المهيّمه ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما
تحتاج إلى المطالعة به ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية عسقلان ، وهى :

من شيمنا التى غدّت للصالح ضوا من ، وعلت فكلّ متناول عندها متطامن ؛
وهممنا الكافلة [للرعيّة] بما يُقرّ عيوننا ، والقاضية للخاصّة والعامة بما يوجب طمأنينتها
وسكونها ؛ أنعمنا النظر فيما نرعاها به ونسوسها ، وأعملنا الفكر فيما يستقيم به أمرها
ويزول معه بوسها ؛ فيقف [بنا] الاجتهاد فى ذلك على محجة الصواب التى لا ضلال
فى سلوكها ، ويُفضى منا الحرص إلى غاية لم يبلغها أحد من مدبرى الدول وملوكها ؛
فنتخب لخطير الخدم من كان قسوما بها مستقلا بأصارها ، ونتجب لجليل الرتب
الأعيان من أمراء دولتنا وأنصارها ؛ حفظا لما أستحفظناه من أمور العباد والبلاد ،
ورفعا لعماد الصلاح وحسنا لمواد الفساد .

ولما كنت أيها الأمير من الأولياء الذين صفت فى المخالصة ضمائرهم ، وحسنت
فى الطاعة عقائدهم وسرائرهم ؛ ونالوا من نبيه الحظّ ما أطنب الواصف فيما يذكره منه
ويرويه ، وأحمدوا المناصحة فيما رقاوا فيه من درج التنويه ؛ وقد استكفيت مهمات
من الخدم فكفيت همها وخففت ثقلها ؛ وأهلت لولايات سنية فحملت كآها ،
وكنت مستحقا لها وأهلها ؛ فلك موات حميدة من حسن المقاصد ومشكور المساعى ،
وحرمت أكيدة ظلت على أصطفائك من أوفى البواعث وأقوى الدواعى ؛ وكانت
مدينة عسقلان - حماها الله تعالى - ثغر الإسلام الذى لا تفرله فى الشام سواه ،
والرباط الذى من كان به فقد نال الثواب الجزيل وأحرزه وحواه ؛ وهو فى عيون
الكفار - خذلهم الله - نكته ، وأسباب طمعهم فيه منة طعة بحاماته منبته ؛ ونحن

(١) نُوفِرَ أَهْتَامَنَا عَلَيْهِ رَعَايَةً لِمَكَانِهِ الْمَسْكِينِ ، وَنَتَصَى الْكُفَاةَ لِتَوَلَّيْهِ تَوْصِيلاً إِلَى النَّكَايَةِ فِي الْمَشْرُوكِينَ ؛ وَهُوَ مَعْقِلٌ لِلْسَّامِينَ الْمُجَاهِدِينَ وَرِدِّ ، وَجُاورِ وَهُ قَوْمُ لُدِّ ، وَأَمْرُهُمْ أَمْرٌ إِدِّ ؛ فَيَجِبُ أَنْ يُرْتَادَ لَضَبْطِهِ النَّدْبُ الَّذِي لَا تُهْتَبَلُ غِرَّتُهُ ، وَيُسَامَ لِحَفْظِهِ الْعَضْبُ الَّذِي لَا تُسْقَى ضَرْبَتُهُ ؛ وَيُخْتَارُ لِمَوْنِهِ الشَّهْمُ الَّذِي تَقِفُ عَلَى الْمَصَالِحِ هَمَّتُهُ ، وَتُنْفَذُ فِيهَا عَزْمَتُهُ ؛

وَحِينَ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِيكَ مَوْجُودَةً ، وَظَلَّتْ مَحْسُوبَةً مِنْ خَالَكَ مَعْدُودَةً ؛ رَأَيْنَا - وَبِاللَّهِ تَوْفِيقَنَا - مَا نَحْرَجُ بِهِ أَمْرُنَا إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْسَاءِ مِنْ كَتَبِ هَذَا السَّجَلِّ بِتَقْلِيدِكَ وَلايَةِ هَذَا الثَّغْرِ وَضَوَائِحِهِ ، وَعَمَلِهِ وَنَوَاحِيهِ ؛ ثَقَّةٌ بِمَشْهُورِ مَضَائِكَ ، وَعِلْمًا بِإِبْرَارِكَ عَلَى نَظَائِكَ .

فَتَقَلَّدْ هَذِهِ الْخِدْمَةَ عَارِفًا قَدْرَ مَا حَوَّلَتْ مِنْهَا ، وَعَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ وَخِيفَتِهِ فِي جَمِيعِ مَا تَأْمُرُ بِهِ وَتَنْهَى ؛ فَإِنْ تَقَوَاهِ الْجُنْسَةَ الْوَاقِيَةَ ، وَإِنْ خِيفَتَهُ الذَّخِيرَةَ الْبَاقِيَةَ ؛ وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ بِتَسْيِيرِ الْأُمُورِ ، وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَإِعْظَامِ الْأَجُورِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ . وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ فِي جَمِيعِ مَنْ يَشْتَمَلُ عَلَيْهِ عَمَلُكَ ، وَيَجْرِى عَلَيْهِ تَوَلِّيكَ وَنَظْرُكَ ؛ وَسَاوِ فِي الْحَقِّ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِيِّ ، وَمَائِلِ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْقَصِيِّ ؛ وَإِذَا ثَبَتَ عَلَى شَرِيفِ حَقِّ فَلَا تُجَاهِيهِ لُرُبَّتِنَسْهِ ، وَإِذَا ثَبَتَ لَوْضِعِ نَفْذِهِ مِّنْ لَزِمِهِ وَأَسْتَقَرَّ فِي جِهَتِهِ .

وَأَعْتَمِدْ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا يَسْتَنْطِقُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْكَ أَلْسِنَةُ الْمَادِحِينَ ، وَيَنْظُمُكَ فِيمَنْ عَنَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) فِي الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ «أَنْصَيْتُ» أَيْ بِالضَّادِ الْمُهْمَلَةِ «الرَّجُلُ آخِرَتُهُ» فَذَبْهَ .

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾

وأقيم الحدود على من لزمته بما أمر الله به إقامة [تجربى بها] مجرأها ، وتوقّ
الزيادة فيها والتقصّ توقّي من يتمثل المجازاة كأنه يراها . وهذا النفر لمحله وسمو
مقداره ، وقرب العدو منه ودنو داره ، لا يُقنع له بمركزيته ، ولا يُكتفى في حقه
بمرايئته وقراريته ، فنحن نسير إليه العساكر المظفّرة دفعتين في كل سنة على حكم
البدل : فيرده عسكر جديد مزاح العلة ، كسيف العده ، وافر العده ، يؤثر أن يظهر
أثره ، ويحافظ على ما يطيب به ذكره وخبره ، فبث السرايا وشن الغارات ، وضيق
على العدو فسيح النواحي والجهات ، وجّهز إليه من يُخيفه في مآمنه ، وأبعث عليه
من يطرقه في أحرز أما كنهه ، وأندب من يطالعك بخفي أخباره ، ويظهر لك باطن
أموره ومستور أسرارها : لتتمز فيه الفرصة إذا لاحت محالها ، وتبادر الغفلة منه
إذا ظهرت دلائلها . وأجعل للتطوعين من الكفائيين نصيبا من ثواب الجهاد ،
وأجملهم على أستفراغ الوسع بغاية الحرص والاجتهاد ، وأفعل في هذا الباب
ما تتضاعف به مواد الأجر ، وتتسخ به الأوزار كما ينتسخ الظلام بضياء الفجر ،
وأعضد متولّي الحكم العزيز عضدا يعلى أمره ، ويسد أزره ، ويجرس نظامه ،
وينفذ قضاياه وأحكامه ، وكذلك متولّي الدعوة الهادية - ثبها الله تعالى - فاعتمده
بما يشرح صدره فيما يوصحه للؤمنين ، ويهدى به المستجيبين والمتدينين ، ووقر موقر
أهتمامك على مرافدة من يتولّى أمر المال وما يجرى في الخصاص لتبدر أخلاقه ،
ويزكو ارتفاعه ، وتغزر مادته ، ويتوفر مستخرجه ، ويحتمى من خيانة وتحيف ،
ويسلم أستيدأؤه من تريت وتوقف . وأستنهض الرجال المستخدمين في الأمور
السوايح ، وصرفهم فيما ترى تصرفهم عليه من أسباب المنافع والمصالح ، وأستمطر

الإحسان لمن أحدثت طريقته ، وقوم بالتأديب من ذمت فعله وكرهت سيرته ؛
فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما يحتاج إلى المطالعة بمثله ؛ إن شاء الله عز وجل .



ومن المكتتب بالوظائف الديوانية من هذه المرتبة نسخة توقيع بنظر
الدواوين ، وهى :

أحق الأعمال بأن يُعَمَّ فيها النظرُ الشافى ، ويُندَبَ لحملِ عبئها الأمين الكافى ،
ويُجَالَ النظرُ فى تقليدها للقيمِّ بأمرها ، ويُعمَلَ الرأى لأرتيادِ القويِّ على ضبطها
وحصرها ، ما كان منها جامعاً لمصالح الدولة ، حائزاً لمهام الملكة : وهى أعمال
الديوان ، والنظرُ فى حفظ وجوه الأموال وما يُعين على استئنائها ، ويعودُ بالزيادة
فى أصول أبوابها ؛ إذ كان ذلك ملاك الأمور ، وزمام التدبير فى حفظ الجمهور ،
والمعونة العظمى على الاستكثار من الرجال الذين بهم يتمُّ حفظ البلاد وحماية الثغور .
ولمَّا سَطَّنَا البحثَ على استصلاح من نوهه لهذه المنزلة ، واستخلاص من نُحِلُّه
بهذه المرتبة ، أذانا الاختبارُ والانتقاد ، وأنتهى بنا الاعتيامُ والأرتياد ؛ إلى اختيار
الشيخ فلان : حينَ سَفَرَتْ له النَّباهَةُ فى الكفاية ، والوجاهَةُ فى الخبرة والدراية ؛
وجب ... (١) ... على اختصاصه بالفضل الذى تحلَّى بأدبه ، والعفاف الذى أشتهر من
مذهبه ؛ من الحِصَالِ الحميدة ، والِحلالِ الرِّشيدِ ؛ والفضائلِ الموروثة والمكتسبة ،
والخلائقِ المُتَّقاةِ المهدَّبة ؛ ورأيناه أهلاً لإحلال هذه المكانة ، وعدلاً قيماً باحتمال
هذه الأمانة ؛ وعلمنا أن الصنِيعَةَ عنده زاكية المَعَارِسِ ، والنعمَةَ المُفَاضَةَ عليه
ضافية المَلَابِسِ ؛ فقلدناه أمر الديوان بحلب وما معها من البلاد المضافة إليها

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

والداخلة في حكمها : قاصي ذلك ودانيه ، وأواسطه وحواشيه ، مقدمين الاستخارة فيما نُبئيه من قول ، ونعزم عليه من فعل .
وأمرناه أن يستشعر تقوى الله سبحانه فإنها الحُسنه الواقيه ، والذخيره النافعه الباقية ، ويعتلق أسبابها فإنها المنجيه من المهالك ، الهاديئه إلى السُّبل الواضحه إذا اشتبهت المسالك ، محققا ما توهمناه فيه من تحايل الأصاله ، ودلائل الجزاله ، مصدقا ما استلمناه من كفايته وغناؤه ، وأستوصفناه من أستقلاله وأستقصائه .
وأن يبدأ فيرتب في كل مُعاملة أمينا من الثقات الكفاه ، مشهورا له بالنهضة والأمانة المستوفاه . وأن يزم الأعمال القاصيه والدانيه ، والبلاد القريبه والنائيه ، بالضبط المستقصى ، والحفظ المستوفي ، وبمن يرتبه عليها من الكُتاب الأُمناه ، ويستصلحه لها من الحفظه النصحاء . ويتتبع حال من بها من الثواب : فمن شهدت له التجربة بالكفايه ، ودل الأختبار منه على العفة والأمانة ، أستدماه في خدمه المنوطه به ، وطالع من حاله بما يقضى له حُسن النظر بحسبه ، ومن ألفاه متنكبا سبيل الأمانة ، مقارفا طريق العجز وإحليانه ، بادر إلى الأستبدال به ، وعجل قطع ما بينه من الخدمة وبين سببه . وأن يسترفع البواقي من الأموال ، في سائر الجهات والأعمال ، إلى آخر التاريخ الذي تليه مباشرته ، ويتصل بأخره مبدأ نظره وفاتحته ، موثقة أوراق ذلك بخطوط الأُمناه ، مفصلة جهاته بأسماء المعاملين والضُمناه ، حتى إذا حُلت إليه ، وصارت حجة على رافعها في يديه ، طالبه بمواقفه من هو في ذمته ، وتقدم بعد تصديقه على ذلك بمضايقته بعد المطالعة بجلى الحال وحقيقته . ثم يسترفع من مستوفي الديوان وعُماله شروط الضمان ورسومهم ، وقواعدهم في الضمان وعوائدهم : ليكون علم ذلك عنده مينا ، ووقت مَساس الحاجة إليه حاضرا . ويطلب بجرائد الضياع خاصها ومقطعيها المشتملة على ذكر رسومها وحقوقها ، وعدد فُننها

ومقاسها . وجرائد الخراج اللزيم لأرباب الأملاك على أملاكهم ، وتحقيق المصفوح عنه والمسامح به والباقي على الأداء فى جهته . وجرائد الجزية مفصلة فى نواحيها ، وأسماء أربابها إلى حين رفعها - وأن يطالب نواب الجزية فى كل شهر بختمة تتضمن ذكر مصارف ما يحول إليهم ، وإقامة وجوه المال الذى جمع عليهم ؛ مفصلة مميّزة الإبتاعات عن الإطلاقات ، والضّيفات عن السفّرات والإصطبلات ؛ وكذلك نواب الأهراء يسترفع منهم مايدل على مثل ذلك ، وسائر المتولين فى سائر الخدم يطالبهم بهذه المطالبه ، ويضيق عليهم فى مثل ذلك سبيل المغالطة والمواربه ؛ ويجعل مؤاخذتهم بذلك من الأمور الراتبه ، والوظائف اللزيمه الواجبه ؛ حتى يتبين له الكافى من العاجز ، والأمين من الخائن .

وليتأمل وجوه الإخراجات ، ومبلغ الإطلاقات والإدراجات ؛ ويسترفعه من مظانه مفصلاً بجهاته ، منسوباً إلى أربابه ؛ ويتقدم بكتب مؤامرة جامعة لذلك التفصيل ، دالة على المقدار المطلق فى كل سنة محكم النظر الدقيق دون الجليل ؛ وليعتمد فى إطلاق ما يطاق منها على سبيل ما يوقع به عند ذلك ، وليكن هذا من الأمور الجارية على العادة والرسم ، ويلزمه كل من نواب الديوان .



ومن المكتب منها بالوظائف الدينية نسخة تقليد بولاية الحسبة ، من إنشاء

الوزير ضياء الدين بن الأثير ، وهى :

﴿وَلَسَنُ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

هذا أمرٌ يشتملُ على معنى الخُصوص دونَ العموم ، ولا يختصُّ به إلا ذُو الأوامر المُطاعة أو ذُو العُلوم ؛ وقد منحنا اللهُ هذين الوصفين كليهما ، وجعلنا من المستخلفين عليهما .

فلنبداً أولاً بحمده الذى هو سبب للزيد ، ثم لناخذُ فى القيام بأمره الذى هو على كلِّ نفس منه رقيبٌ عتيدٌ ؛ ولا ريب أن إصلاح العباد يسرى إلى الأرض حتى تزكو بطونها ، وتتمو عيونها ، ويشترك فى بركات السماء ساكنها ومسكونها ؛ والأمرُ بذلك حمل إن لم تتوزعه الأكفُّ ثقل على الرقاب ، وإذا انتشرت أطراف البلاد فإنها تفتقرُ إلى مساعدةٍ من مستنيبٍ ومستناب ؛ وقد اخترنا لمدينة كذا رجلاً لم نأل فى اختياره جهداً ، وقدمننا فيه خيرة الله التى إذا صدقتُ بيئتها صادفتُ رشداً ؛ وهو أنت أيها الشيخ فلان .

فابسطُ يدك [بقوة^(١)] إلى أخذِ هذا الكتاب ، وكُن حسنةً من حسناتنا التى ثمَّ يربح بها ميزانُ الثواب ، وحققْ نظرنا فيك فإنه من نور الله الذى ليس دونه من حجاب .

وأعلم أن أمر الشريعة مبنى على التيسير لا على التعسير ؛ ولا يضعُ اللسان موضعَ السوط إلا من أوتى زيادةً فى التفسير ؛ وفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مندوحةٌ لمن لزمها ، وهى هدى لمن عمل بها ونورٌ لمن علمها ؛ ويكفى من ذلك قصةُ الأعرابيِّ الذى أتى حاجته فى المسجد فسارع الناس إليه ، فهاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إِنَّمَا بُعِثْتُ ميسرين ولم تبعثوا معسرين ، ثم دعا بذنوب من ماء فصبه عليه وقال : يا أبا العرب إن المساجد لم توضع لشيء من هذا وإنما وُضعتُ للصلاة وقراءة القرآن » .

(١) الزيادة من "المثل السائر" ص ٤١٦ .

فانظر إلى هذا الرفق النبوى الذى سَفَى وَكَفَى ، وَعَنَى عَلَى أثر المعصية لَمَّا عَفَا ؛
ولو عاد ذلك الأعرابى لَمَثَلَهَا لُنْقَل عن لين التهذيب ، إلى شدة التأديب ؛ وكذلك
فكن أنت فى الرفق الذى حُدِّثْت عنه ، وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمَ اللهُ مِنْهُ .

ونحن نأمرُك أن تحتسب أولاً بِلين القول لا بالألف [و] النسكير ، وأن تترفق
فى الموعظة التى هى طريق إلى الخشية والتذكير ؛ وأن لا تكون باحتسابك مُدلاً
بأنك على الصراط المستقيم ، وأن الناس بين يديك على سَنَن التثقيف والتقويم ؛
فإن من أكبر الذنوب ذنب الإعجاب ، والأولى لك حينئذ أن تعودَ على نفسك
بالاحتساب ؛ ومن أدبك وأدب أمثالك أن يقف فى أمره بالمعروف مع التقوى^(١)
لامع هَوَاه ، وأن لا يُفَرَّق فى إزالة المعصية أن تكون بيده أو بيد أحدٍ سواه ؛
وإذا كنت كذلك قرئك الله بمن أنزل السكينة على لسانه ويده ، وقوم له أود الناس
لتقويم أوده ، والله ينظر إلى قلب ابن آدم لا إلى عمله ولا إلى جسده . وعليك
بالمجاهدين الذين سلب عنهم ثوب العافية ، ومن آخفى منك بالاستتار فلا تكشف
عن حاله الخافية . وأما ذُور الهيئات فإن عثراتهم تُقال ، وأعراضهم لا تُدال ، ولربما
كان التجاوز عنهم داعياً إلى الانتقال ؛ وفى قصة أبى محجن وسعد ما ينبئك أن الحياء
أغنى فى الأزديجار ، وفى الناس أذنب لا قدر لها تدب عنه ورءوس تدب عما لها
من الأقدار . وهاهنا من ضروريات الوصايا ما يؤتى فى مثله بتوكيد الأقوال ، وأكثر
ذلك يدور فى المعاملات التى ألقها قومٌ دون قوم ، وأستمروا عليها يوماً دون يوم ؛
وقد أتى منها ما اتفق على العمل به كل فريق ، وأيسر ذلك إزالة النخامة من المسجد
وإمطة الأذى عن الطريق .

(١) فى القاموس احتسب عليه أنكرومه المحتسب .

وهذه الوصايا كلها لا تفتقر فيها إلى التوقيف ، وأنت عالمٌ بوضع كلِّهما في موضعه
وغيرك الذي يتعدى إلى التحريف ؛ فامض على السنن ، وأت بالحسن ؛ وسويين
حالتيك في السرِّ والعلان ، وكن من خوف الله ورجائه بين رحلة سفرٍ وقرارة وطن .
وهذا عهدنا إليك تتقمص اليوم منه رداء جميلاً ، وستحمل غداً منه عبأً ثقيلاً ؛
وقد فرضنا لك عن حقِّ سعيك فريضةً تجدُّ بها كفافاً ، وتمنعك أن تمدَّ عينك إلى
غيرها استشرافاً ، فإنَّ العملَ الذي توليته يستغرق أوقاتك أن تكون للدنيا كاسبه ،
وتشغل نفسك بالعمل والنصب لا أن تكون عاملةً ناصبه . وإذا نظرت إلى ما نيط
بك وجدته قد استحصى الزَّمن أو كاد ، وأنت فيه بمنزلة الباني وقواعده :
« وكلُّ بناءٍ على قدر بانيه وما شاد » . ونحن نأمرُ ولأنتا على اختلاف مراتبهم
أن يرفعوا من قدرك ، ويسدِّدوا من أمرك ، وإذا استوعرَ عليك أمرٌ من
الجوانب سهَّلوا من وعرك ؛ والله قد أمر أهل طاعته بأن يكون بعضهم لبعض
من الأعوان ، فقال جل وتعالى : ﴿ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى
الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

الحالة الرابعة

(مما يكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات ما عليه مصطلح كُتَاب الزمان

بديوان الإنشاء بالديار المصرية مما يكتب عن السلطان لأرباب السيف

والأقلام وغيرهم من التقاليد والمراسيم والتفويض والتواقيع ،

على ما سيأتى بيانه ، وفيه [ثلاثة^(١)] مقاصد

المقصد الأول

(فى مقدمات هذه الولايات ، وفيه مهيعان)

المهيع الأول

(فى بيان رجوع هذه الولايات إلى الطريق الشرعى)

قد تقدم فى أول الكلام على العهود أن السلطنة فى زماننا دائرة بين إمارة الاستيلاء : وهى أن يقلده الخليفة الإمارة على بلاد ويقوض إليه تديرها فيستولى عليها بالقوة ، وبين وزارة التفويض : وهى أن يستوزر الخليفة من يقوض إليه تدير الأمور برأيه وفضلها على أجهاده ، وأنها بإمارة الاستيلاء أشبه ، على ماتقدم بيانه هناك . وقد صرح الماوردى فى "الأحكام السلطانية" أنه إذا كمل فى المستولى على الأمر بالقوة بعد تولية الخليفة له مع آشماله على الصفات المعبرة فى المولى فى الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة الإسلام ، والحرية ، والأمانة ، وصدق اللهجة ، وقلة الطمع ، والسلامة من الميل مع الهوى ، والبراءة من الشحناء ، والدكاء ، والفطنة - جازله ما يجوز للخليفة من تولية وزارة التفويض وغيرها من سائر النيابات ، وجرى على من أستوزره أو أستنابه أحكام من أستوزره الخليفة

(١) بياض بالأصل والنصح من الآتى .

أو أستنابه ؛ وإن لم يستكمل الصفاتِ المعتبرة في الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة ،
أستتاب له الخليفة لكل ولاية من تتكامل فيه شروطها .

قلت : وقد كانت ملوك بني بويه وبني ساجوق مع غلبتهم على أمر الخلفاء
ببغداد وأستيلائهم يقتصرون في تصرفهم على متعلقات الملك في الجهاد والتصرف
في الأموال ، ويكون أمر الولايات إلى الخليفة يباشرها بنفسه ، وتكتب عنه
العهود والتقاليد على ما تشهد به نسخها الموجودة من إنشاء الصابى وغيره . وكذلك
الخلفاء الفاطميون بمصر عند غلبة وزراءهم على الأمر من لدن خلافة المستنصر
وإلى أنقراض خلافتهم من الديار المصرية ، كالصالح طلائع بن رزيك في وزارته^(١)
للفائز والعاقد ، ونحو ذلك : فإن الخليفة هو الذى كانت الولايات تصدر عنه
تارة بإشارة الوزير ، وتارة بغير إشارته ، على ما تشهد به نسخ السجلات المكتتبة
في دولتهم ، على ما تقدم بيانه في الفصل الأول من هذا الباب . على أن أصحابنا
الشافعية وغيرهم من أئمة الفقهاء - رحمهم الله - قد صححوا الإمامة بغلبة الشوكة
والأستيلاء على الأمر بالفهر دون استكمال شروط الإمامة ، تصحيحاً للأحكام
الشرعية الصادرة عن المستولى بالشوكة : من العقود والفسوخ وإقامة الحدود
وغيرها ، على ما هو مذکور في باب الإمامة . وحينئذ فتكون جميع الولايات الصادرة
عن السلطان صحيحة شرعاً وإن لم يستنبه عنه الخليفة ؛ وكذلك ما يترتب عليها ،
على ما الأمر جارٍ عليه الآن .

(١) ضبطه المجد في قاموسه فقال « كقبيط » . ونقل عن الحافظ ابن حجر ضبطه بكسر الزاى وصوبه
شارح القاموس وبه ضبطه ابن خلكان في تاريخه .

المهَيِّعُ الشَّانِي

(فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات)

وأعلم أنه يجب على الكاتب فى ذلك مراعاة أمور .

الأمر الأول — براعة الاستهلال بذكر أسم المولى أو نعتيه أو لقبه أو الوظيفة ، أحوال الولاية ، مع استصحاب براعة الاستهلال إلى آخر الخطبة ونحوها من الأفتاحات ، كما أشار إليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله فى كتابه "حُسن التوسل" كما تقدم ذكره فى الكلام على البيعات والعهود .

الأمر الثانى — مراعاة قطع الورق فى الجملة لكل ما يُكْتَب من ديوان الإنشاء من المكاتب والولايات وغيرها . والذى يختص بهذا المكان ذكر مقادير قطع الورق فيما يتعلق بهذه الولايات خاصة ، وهى خمسة مقادير : — أحدها قطع الثلثين ، ويختص فى الولايات بكبار التقاليد دون غيرها — وثانيها قطع النصف ، وفيه تُكْتَب صغار التقاليد ، والمراسيم المُكَبَّرَة ، والتفاويض ، وكبار التواقيع — وثالثها قطع الثلث ، وفيه تُكْتَب صغار المراسيم المُكَبَّرَة ، والتواقيع المتوسطة — ورابعها قطع العادة المنصوري ، وفيه تُكْتَب صغار التواقيع والمراسيم التى لأصحابها بعض مِيزَة لا تنهى بهم إلى رتبة قطع الثلث — وخامسها قطع العادة الصغير ، وفيه تُكْتَب صغار التواقيع والمراسيم التى هى فى الرتبة الأخيرة .

الأمر الثالث — معرفة ما يناسب كل قطع من هذه المقادير من الأقلام . وقد تقدم فى المقالة الثالثة نقلاً عن "التعريف" ما لكل مقدار من الأقلام . والمتعلق بهذا الموضوع من ذلك أن لقطع الثلثين قلم الثلث الثقيل ، ولقطع النصف قلم الثلث الخفيف ، ولقطع الثلث قلم التوقيعات ، ولقطع العادة مُطلقاً قلم الرقاع .

الأمر الرابع - معرفة اللَّقَبِ المطابقِ لرتبة كلِّ ولايةٍ وصاحبها من الألقابِ الأصولِ المتقدمِ ذكرها في الكلام على الألقاب من المقالة الثالثة . وهي المَقَرُّ، والجناب، والمجلس، ومجلس كذا على الإضافة؛ وما يُناسب كلَّ لقب من هذه الألقاب من الفروع المرتبة عليها، كوصف المَقَرِّ بالكريم العالی، ووصف الجناب تارةً بالكريم العالی، وتارةً بالعالی مجرداً عن الكريم، ووصف المجلس تارةً بالعالی، وتارةً بالسامی، وإضافة مجلس في حق أرباب السيوف إلى الأمير فيقال : مجلس الأمير، وفي حق أرباب الأقلام من العلماء وأصحاب الدواوين إلى القاضي فيقال : مجلس القاضي ، وفي حق الصُّلحاء إلى الشيخ فيقال مجلس الشيخ ؛ وإنَّ لِمَنْ دُونَ هؤلاء الصِّدْرِ ويوصف بالأجل فيقال الصِّدْرُ الأجلُّ ؛ وأن لكل أصل من هذه الأصول فروعا شتى ترتب عليه . وتقدم أيضا في المقالة الرابعة في الكلام على المكاتبِ الصادرةِ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية في زماننا إلى أهل المملكة مكتبة كل واحدٍ ممَّن جرت العادةُ بالمكتبة إليه ، وما يختصُّ به من الألقابِ الأصولِ والفروع .

وأعلم أنَّ الولاياتِ أعمُّ من المكاتبات : فقد يكون للشخص ولايةٌ من الأبواب السلطانية وليس له مكتبة، إذ المكاتبات إنما تكون لقوم مخصوصين من أرباب الولايات . إذا علم ذلك فكلُّ من له مكتبة عن الأبواب السلطانية من أرباب السيوف والأقلام ممن تقدم ذكره في الكلام على المكاتبات إذا كتبت له ولايةٌ نُعت بالقباه ونعوته التي بها يُكتب عن الأبواب السلطانية، إلا أنَّ الدعاء المصدَّرَ به المكتبةُ يجعل في الآخر دون الأول : فإذا كانت المكتبةُ إلى أحدٍ «أعزَّ الله تعالى انصار المَقَرِّ الكريم» قيل في ألقابه في الولاية « المَقَرِّ الكريم » إلى آخر ما يقتضيه الحال، ثم يقال : فلان أعزَّ الله تعالى أنصاره؛ وكذلك في البواقي . أمَّا من لم يتجر

العادة بمكاتبة إليه عن الأبواب السلطانية من يولى عنها فإن لكل طبقة ألقاباً تخصهم . ونحن نذكر الألقاب الأصول وما يتفرع عليها لكل طبقة من كل طائفة على الوضع الذى تقتضيه الولايات دون المكاتب ، ليُجرى كل من أرباب الولايات على ما يناسبه من الألقاب .

وقد علمت فيما تقدم فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أن الألقاب على خمسة أنواع ^(١) :

النوع الأول - ألقاب أرباب السيوف

والمستعمل منها بديوان الإنشاء تسع مراتب :

المرتبة الأولى - المقر الكريم مع الدعاء بعز الأنصار، وهى : المقر الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العونى، الغيائى، المناغرى، المرابطى، المهدي، المشيدى، الظهيرى، العايدى، الناسكى، الأتابكى، الكفلى، الفلانى، معز الإسلام والمسلمين، سيد أمراء العالمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، ممد الدول، مشيد الممالك، عماد الملة، عون الأمة، ظهير الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين، فلان (باسمه) الفلانى (بلقب الإضافة إلى لقب السلطان) أعز الله تعالى أنصاره .

المرتبة الثانية - الجناب الكريم مع الدعاء بعز النصرة، وهى : الجناب الكريم، العالى، الأميرى الكبيرى العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العونى، الغيائى، المناغرى، المرابطى، المهدي، المشيدى، الظهيرى، الكافلى، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش

(١) المحدود ستة فتنه .

الموحدين ، مقدّم العساكر ، مَهْدُ الدُّوَل ، مَشِيدُ المَمَالِك ، عَمَادُ المِلَّة ، عَوْنُ الأُمَّة ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، سَيْفُ أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلاني (بلقب) الإضافة إلى لقب السلطان) أعزَّ اللهُ تعالى نُصْرَتَهُ .

المرتبة الثالثة — الجنبُ العالی مع الدعاء بمُضاعفة النعمة ، وهي : الجنبُ العالی ، الأميریُّ ، الكبيریُّ ، العالیُّ ، العادلیُّ ، المؤیديُّ ، العونیُّ ، الزعیمیُّ ، المهدیُّ ، المشیديُّ ، الظهیریُّ ، الكافلیُّ ، الفلانیُّ ، عِزُّ الإسلام والمسلمین ، سیدُ الأمراء فی العالمین ، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ، زعيمُ جيوش الموحدين ، مَهْدُ الدُّوَل ، مَشِيدُ المَمَالِك ، عَمَادُ المِلَّة ، عَوْنُ الأُمَّة ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، سَيْفُ أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلاني (بلقب الإضافة إلى السلطان) ضاعَفَ اللهُ تعالى نِعْمَتَهُ .

المرتبة الرابعة — الجنبُ العالی مع الدعاء بدَوَامِ النعمة ، وهي : الجنبُ العالی الأميریُّ ، الكبيریُّ ، العالیُّ ، المؤیديُّ ، الأوحديُّ ، النَّصيرِيُّ ، العونیُّ ، الهُمَامِيُّ ، المقدميُّ ، الظهيريُّ ، الفلانيُّ ، عِزُّ الإسلام والمسلمین ، سیدُ الأمراء فی العالمین ، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ، مقدّمُ العساكر ، كَهْفُ المِلَّة ، ذُخْرُ الدَّوْلَةِ ، عَمَادُ المَمْلَكَةِ ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، حُسامُ أمير المؤمنين ، فلان الفلاني ، أدام اللهُ تعالى نِعْمَتَهُ .

المرتبة الخامسة — المجلسُ العالی والدعاء بدَوَامِ النعمة ، وهي : المجلسُ العالی الأميریُّ ، الكبيریُّ ، العالیُّ ، المجاهديُّ ، المؤیديُّ ، العونیُّ ، الأوحديُّ ، النَّصيرِيُّ ، الهُمَامِيُّ ، المقدميُّ ، الظهيريُّ ، الفلانيُّ ، عِزُّ الإسلام والمسلمین ، شَرَفُ الأمراء فی العالمین ، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ، مقدّمُ العساكر ، كَهْفُ المِلَّة ، ذُخْرُ الدَّوْلَةِ ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، حُسامُ أمير المؤمنين ، فلان الفلاني ، أدام اللهُ تعالى نِعْمَتَهُ .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء، والدعاءُ بدوام التأييد ونحوه، وهى :
المجلس السامى، الأميرى، الكبيرى، الذخرى، النصيرى، الأوحدي،
المؤيدى، الفلانى، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الأمراء، ذنر المجاهدين،
عضد الملوك والسلاطين، فلان الفلانى، أدام الله تأييده .

المرتبة السابعة — السامى بغير ياء، والدعاءُ أدام الله رفعتَه ونحو ذلك، وهى :
المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الغازى، المجاهد، المؤيد، الأوحده،
المرتضى، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، نحر الأمراء، زين المجاهدين،
عمدة الملوك والسلاطين، أدام الله رفعتَه .

المرتبة الثامنة — مجلس الأمير، والدعاءُ أدام الله سعدَه ونحوه، وهى : مجلس
الأمير، الأجل، الكبير، الغازى، المجاهد، المؤيد، الأوحده، المرتضى، فلان
الدين، مجد الأمراء، زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين، فلان الفلانى،
أدام الله سعدَه .

المرتبة التاسعة — الأمير مجزدا عن المضاف إليه، وهى : الأمير، الأجل،
وربما زيد فيه فقيل الكبير، المحترم، ونحو ذلك .

النوع الثانى

(ألقابُ أرباب الوظائف الديوانية، وهى على ست مراتب)

المرتبة الأولى — الجنب العالى مع الدعاء بمضاعفة النعمة . وفيها أسلوبان :

الأسلوب الأول — ألقاب الوزراء وهى : الجنب العالى، الصحبى،

الكبرى، العالمى، العادلى، الأوحدي، الأكلى، القوامى، النظامى، الأميرى،

البليغيّ، المنفذي، المسديّ، المتصرفيّ، المهديّ، العونيّ، المدبريّ، المشيريّ،
الوزيريّ، الفلانيّ، صلاح الإسلام والمسلمين، سيّد الوزراء في العالمين، رئيس
الكبراء، كبير الرؤساء، أوحد الأصحاب، ملاذّ الكُتّاب، قوام الدُّول، نظام الملك،
مُفيد المناجح، معتمد المصالح، مُرتب الجيوش، عماد الملة، عون الأمة، مُشير
الملوك والسلطين، وليّ أمير المؤمنين، فلان الفلاني، ضاعف الله تعالى نعمته .

الأسلوب الثاني — ألقاب كاتب السرّ، عند ما استقرّ ما يكتب له تقليدا
في قطع الثنتين، وهي: الجنابّ العالی، القاصويّ، الكبيريّ، العالیّ، العادليّ،
العلاّمیّ، الأفضليّ، الأکلیّ، البليغيّ، المسديّ، المنفذيّ، المشيّدیّ، العونيّ،
المشيريّ، اليمينيّ، السفيريّ، الأصيليّ، العريقيّ، الفلانيّ، صلاح الإسلام
والمسلمين، سيّد الرؤساء في العالمين، قدوة العلماء العالمين، جمال البلغاء، أوحد
الفضلاء، جلال الأصحاب، كهف الكُتّاب، يمين المملكة، لسان السلطنة، سفير
الأمة، سليل الأکابر، مُشير الملوك والسلطين، وليّ أمير المؤمنين، فلان الفلاني،
ضاعف الله تعالى نعمته .

قلت: وقد كان رتبته: المجلس العالی عند ما كان يكتب له توقيع في قطع
النصف .

المرتبة الثانية — المجلس العالی مع الدعاء بدوام النعمة؛ وفيها أربعة أساليب .

الأسلوب الأوّل — ألقاب كاتب السرّ على ما كان الأمر عليه في كتابة توقيع
في قطع النصف، ويدعى له: أدام الله نعمته، وهي: المجلس، العالی، بالألقاب
المتقدّمة له مع الجنابّ العالی، على ما استقرّ عليه الحال .

الأسلوب الثانى - ألقاب ناظر الخاص ، وهى : المجلس العالى القاضوى ،
الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الأوحدى ، الأكلى ، الرئيسى ، البليغى ، البارعى ،
القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأثيرى ، المنفذى ، المسددى ، المتصرفى ،
الفلانى ، جمال الإسلام والمسلمين ، سيد الرؤساء فى العالمين ، قوام المصالح ، نظام
المنابع ، جلال الأكار ، قدوة الكُتاب ، رئيس الأصحاب ، عماد الملة ، صفوة
الدولة ، خالصة الملوك والسلاطين ، ولئى أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله
تعالى نعمته .

الأسلوب الثالث - ألقاب وزير دمشق إذا صرح له بالوزارة ، وهى :
المجلس العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الأجلى ، الكبرى ، العالمى ، العادلى ،
المؤيدى ، الأوحدى ، القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأثيرى ، المشيرى ،
الفلانى ، صلاح الإسلام والمسلمين ، سيد الوزراء فى العالمين ، رئيس الكبراء ، كبير
الرؤساء ، بقية الأصحاب ، ملاذ الكُتاب ، عماد الملة ، خالصة الدولة ، مشير الملوك
والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله تعالى نعمته .

الأسلوب الرابع - ألقاب ناظر النظار بالشام ، إذا لم يكن وزيرا ، وهى :
المجلس العالى ، القضاى ، الكبرى ، العالمى ، العالمى ، الأوحدى ، الرئيسى ،
الأثيرى ، القوامى ، النظامى ، المنفذى ، المتصرفى ، الفلانى : مجد الإسلام
والمسلمين ، شرف الرؤساء فى العالمين ، أوجد الفضلاء ، جلال الكبراء ، حجة
الكُتاب ، صفوة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله
تعالى نعمته .

المرتبة الثالثة — المجلس السامى بالياء مع الدعاء بدوام الرفعة وما فى معناها ،
وهى : المجلس السامى ، القَضَائى ، الأَجَلِّ ، الكَبِيرى ، العَالِمى ، الفاضلى ،
الكاملى ، الرئيسى ، الأَوْحَدى ، الأَصِيلى ، الأَثِيرى ، البَلِغى ، الفلانى ؛ مجد
الإسلام ، شرفُ الرؤساء فى الأَنام ؛ زَيْنُ البُلغاء ، جمالُ الفُضلاء ؛ أَوْحَدُ الكُتَّاب ،
نخْرُ الحُساب ؛ صفوةُ الملوك والسلاطين ، أدام الله تعالى رِفعتَه .

فإن كان من كتاب الإنشاء، أسقط منه « نخْرُ الحُساب » .

المرتبة الرابعة — السامى بغير ياء ، مع الدعاء بدوام الرفعة ونحوه أيضا ، وهى :
المجلس السامى ، القاضى ، الأَجَلُّ ، الكَبِيرُ ، الصَّدرُ ، الرئِيسُ ، الأَوْحَدُ ، البارِعُ ،
الكاملُ ، الأَصِيلُ ، الفاضلُ ، فلان الدين ؛ جمالُ الإسلام ، بهاءُ الأَنام ؛ شرفُ
الأَكابر ، زَيْنُ الرؤساء ، أَوْحَدُ الفُضلاء ؛ زَيْنُ الكُتَّاب ، صفوةُ الملوك والسلاطين ،
أدام الله تعالى رِفعتَه .

المرتبة الخامسة — مجلسُ القاضى ، وهى : مجلسُ القاضى ، الأَجَلُّ ، الكَبِيرُ ،
الفاضلُ ، الأَوْحَدُ ، الأَثِيرُ ، الرئِيسُ ، البَلِغُ ، العَرِيقُ ، الأَصِيلُ ، فلان الدين ؛ مجد
الإسلام ، بهاءُ الأَنام ؛ شرفُ الرؤساء ، زَيْنُ الكُتَّاب ، مُرْتَضَى الملوك والسلاطين ،
أدام الله رِفعتَه .

المرتبة السادسة — القاضى ، وهى : القاضى الأَجَلُّ . ورُبَّمَا زيد فى التعظيم
الصَّدرُ ، الرئِيسُ ، الكَبِيرُ ، ونحو ذلك .

النوع الثالث

(ألقابُ أربابِ الوظائفِ الدِّينيةِ - وهى أيضا على ستِّ مراتبِ)

المرتبة الأولى - الجنبُ العالى - وهى لمن استقر له كتابةٌ تقليدياً فى قطعِ
الثلاثين من قضاةِ القضاةِ بالديارِ المصريةِ وهو الشافعى؛ وهى : الجنبُ العالى ،
القاضوى ، الشَّيخى ، الكبيرى ، العالمى ، العاملى ، الأفضلى ، الأكلى ، الأوحدى ،
البليغى ، الفريدى ، المفيدى ، النجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الورعى ،
الخاصى ، الناسكى ، الإمامى ، العلامى ، الأصلى ، العريقى ، الحاكمى ، الفلانى ؛
جمالُ الإسلامِ والمسلمين ، شرفُ العلماءِ العاملين ، أوحدُ الفضلاءِ المفيدين ؛ قدوةُ
البلغاءِ ، حجةُ الأمةِ ؛ عمدةُ المحققين ، نخرُ المدرسين ، مفتىُ المسلمين ؛ جلالُ الحُكَّامِ
بركةُ الدولة ، صدرُ مصرَ والشامِ ؛ معزُّ السنةِ ، مؤيدُ الملةِ ؛ شمسُ الشريعةِ ، رئيسُ
الأصحابِ ، لسانُ المتكلمين ، حَكَمُ الملوكِ والسلاطينِ ، ولىُّ أميرِ المؤمنين ؛ فلان
(بنسبه) أعزُّ الله تعالى أحكامه .

وكذلك قاضى القضاةِ الحنفى بالديارِ المصريةِ عند ما استقر المكتوبُ له تقليداً .
المرتبة الثانية - المجلس العالى ؛ وبها كان يكتب لقاضى القضاةِ الشافعى
قبل أن يستقر ما يكتب له تقليداً ، بالألقابِ والنُّعوتِ السابقة له مع الجنب ؛
وكذلك الثلاثةُ الباقون باختصارٍ فى الألقابِ والنُّعوتِ ؛ وهى : المجلس العالى ،
القاضوى ، الكبيرى ، العالمى ، العاملى ، الأفضلى ، الأكلى ، الأوحدى ، البليغى ،
الفريدى ، المفيدى ، النجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الإمامى ، الأصلى ،
العريقى ، الحاكمى ، الفلانى ؛ جمالُ الإسلامِ والمسلمين ، سيِّدُ العلماءِ العاملين ،
أوحدُ الفضلاءِ المفيدين ؛ قدوةُ البُلغاءِ ، حجةُ الأمةِ ، عمدةُ المحدِّثين ، نخرُ المدرسين ،

مفتي المسلمين؛ جلال الحُكَّام، حَكَمَ الملوك والسلاطين، فلان الفلاني (بَنَسَبه) أعزَّ الله تعالى أحكامه .

المرتبة الثالثة — المجلس السامى بالياء، وهى : المجلس السامى، القضاى، الكبيرى، العالمى، الفاضل، الأوحدى، الرئيسى، المفيدى، البليغى، القدوى، الأثيرى؛ مجد الإسلام والمسلمين، جمال العلماء العاملين، أوحد الفضلاء، صدر المدرسين، عمدة المفتين، خالصة الملوك والسلاطين، فلان الفلاني : أدام الله تعالى تابيده .

المرتبة الرابعة — السامى بغير ياء، وهى : المجلس السامى، القاضى، الأجل، الكبير، الصدر، الرئيس، العالم، الفاضل، الكامل، فلان الدين، مجد الصدور، زين الأعيان، مرتضى الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعتة .

المرتبة الخامسة — مرتبة مجلس القاضى؛ وهى : مجلس القاضى، الأجل، الكبير، العالم، الفاضل، الأوحد، الصدر، الرئيس؛ مجد الإسلام، بهاء الأنام، زين الأعيان، فخر الصدور، مرتضى الملوك والسلاطين، فلان : أعزّه الله تعالى .

المرتبة السادسة — مرتبة القاضى؛ وهى : القاضى، الأجل . وربما زيد فى التعظيم نحو الكبير، الصدر، الرئيس، ونحو ذلك .

النوع الرابع

(ألقاب مشايخ الصوفية — وهى على خمس مراتب)

المرتبة الأولى — المجلس العالى . وبها يكتب لشيخ الشيوخ بالديار المصرية، وهى : المجلس العالى، الشيخى، الكبرى العالمى، العالمى، السالكى، الأوحدى،

الزاهدى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، المفيدى، القدوى، الإمامى، النظامى،
الملاذى، جلال الإسلام والمسلمين، شرف الصلحاء فى العالمين، شيخ شيوخ
الإسلام، أوحده العلماء فى الأنام، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين، فلان،
أعاد الله تعالى من بركاته .

المرتبة الثانية — المجلس السامى بالياء، وهى : المجلس السامى، الشيخى،
الكبرى، الأوحدى، الأكمل، العابدى، الخاشعى، الناسكى، جمال الإسلام،
زين الأنام، صفوة الصلحاء، نحر العباد، بركة الملوك والسلاطين : أعاد الله تعالى
من بركاته .

المرتبة الثالثة — المجلس السامى بغيرياء، وهى : المجلس السامى، الشيخ،
الصالح، الزاهد، العابد، الورع، الخاشع، الناسك، السالك، فلان الدين،
مجد الصلحاء، زين المشايخ، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين : نفع الله
تعالى ببركته .

المرتبة الرابعة — مجلس الشيخ، وهى : مجلس الشيخ، الصالح، الزاهد،
العابد، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، بركة الملوك
والسلاطين : أدام الله تعالى بركته .

المرتبة الخامسة — مرتبة الشيخ، وهى : الشيخ، الصالح، الورع، الزاهد،
ونحو ذلك : نفع الله تعالى به .

النوع الخامس

(ألقاب من قد يكتب له بولاية من رؤساء العامة من التجار وغيرهم)

وفيه أربع مراتب :

المرتبة الأولى — المجلس السامى بالياء ، وهى : المجلس السامى ، الصدرى ، الأجلى ، الكبيرى ، الرئيسى ، الفلافى .

المرتبة الثانية — المجلس السامى بغيرياء ، وهى : المجلس السامى ، الصدر ، الأجل ، الكبير ، الرئيس ، المحترم .

المرتبة الثالثة — مجلس الصدر ، وهى : مجلس الصدر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ، فلان الدين . ويقال فى ألقاب المهتارية ونحوهم : الحاج فلان .

المرتبة الرابعة — مرتبة الصدر ، وهى : الصدر ، الأجل . فإن زيد فى تكريمه قيل بعد ذلك : الكبير ، المحترم .

النوع السادس

(ألقاب زعماء أهل الذمة ، وهم ثلاثة)

الأول — بطرك النصارى اليعاقبة ، وهى : الحضرة السامية ، الشيخ ، الرئيس ، المبجل ، المكرم ، الكافى ، المعزز ، المفخر ، القديس ، شمس الرياسة ، عماد بنى المعمودية ، كنز الطائفة الصليبية .

الثانى — بطرك الملكانية ، وتختصر ألقابه عما يكتب به لبطرك اليعاقبة بعض الاختصار .

الثالث - رئيس اليهود، وهى : الرئيس الأوحُد، الأجل، الأعز، الأخص، الكبير، شرف الداوديين، فلان أبو فلان : سدده الله فى أقواله، وثبته فى أفعاله .

قلت : ومما يجب التنبه له أن ما تقدم من الألقاب والتعوت المفرعة على الألقاب الأصول ليست مما يوقف عند حد، بل محتملة للزيادة والنقص بحسب ما تقتضيه الحال، ويحتمله المقال . بل ربما ولى بعض المناصب من فيه صفات تستحق ألقابا ونعوتا خاصة، فيكتب له بذلك مراعاة لما يقتضيه حاله، ويستوجبه مقامه، ثم يل ذلك المنصب بعده من لا يستحق الوصف بالألقاب والتعوت التى تخص المتقدم، فيؤتى بها للثانى : كما اتفق فيما كتب به فى نيابة الشام حين وليها الأمير بيدمر الحوارزمي رحمه الله، وكان من الديانة على ما لا يوجد فى غيره . فكتب فى ألقابه حينئذ : العايدى، الناسكى، الخاشعى . فلزمت فيمن بعده وصارت مما يكتب به إلى الآن، سواء أنصف نائبا يدين أم لا - وكما اتفق فى الصحاح علم الدين بن زُبور حين اجتمع له الوزارة ونظر الخصاص والجيش، فكتب له بالقباب ونعوت جامعة لألقاب تلك الوظائف ونعوتها، فاستمر ذلك فيما يكتب به لكل من ولى الوزارة بعده إلى الآن، حتى إنه يكتب فى ألقاب الوزير الآن « مرتب الجيوش » وهو من الألقاب الخاصة بناظر الجيش استطرادا لما كتب به لابن زُبور : لأنضمام نظر الجيش إليه على ما تقدم - وكما اتفق فيما كتب به للشيخ تقي الدين السبكي من الألقاب الجليلة المقدر، الرفيعة المكانة، فى قضاء الشام لرفعة مقامه، وأنساع باعه فى العلم، وعلو مكانته فى الخاصة والعامة فلزم كتابة ذلك لقاضى قضاة الشافعية بالديار المصرية، من حيث إنه لا يلىق بالحال

أن يكون قاضي الشام أعلى رتبةً من قاضي الديار المصرية . ثم سرى ذلك في كل من ولي المنصب بعد ذلك ، وهلمَّ جرًّا إلى زماننا .

ومما يلتحق بذلك أنه قد جرت العادة في الزمن المتقدم وهلمَّ جرًّا إلى زماننا أنه كان يكتب في الطرة لأرباب السيوف بعد الأُميري « الكبيرى الفلانى » بلقب الإضافة إلى لقب السلطان كالناصرى ونحوه ، بخلاف أرباب الأقاليم فإنه لم تجر العادة بأن يكتب لهم ذلك في شيء من طرة تقاليدهم ولا توقيعهم ، إلى أن ليس القاضي سعد الدين بن عُراب الكَلوتية ، وأستقر إستادارا في الدولة الناصرية فرج ابن برقوق ، ثم أستقر مشيرا وكتب له تقليد بالإشارة كتب له في طرة تقليده بعد الكبيرى « الناصرى » لجمعه بين السيف والقلم . ثم جرى بعض الكُتَّاب على مثل ذلك في غيره من أرباب الأقاليم الأكار : كالوزير ، وكاتب السر ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، ومن في معناتهم من أرباب الوظائف الديوانية . والحجة فيه ظاهرة من حيث إن كلاً من المذكورين إذا كُتب عنه كتاب ، كُتب في أعلاه تحت البسملة « الملكى الناصرى » وإذا كتب عنه قصّة ، كتب فيها تحت البسملة « الملكى الفلانى » . ومقتضى ذلك أن يكتب لقب الإضافة إلى لقب الساطنة في تقليده أو توقيعه على ما تقدمت الإشارة إليه من فعل بعض الكُتَّاب .

الأمر الخامس — مما يجب على الكاتب مراعاته معرفة الوصف اللائق بصاحب الوظيفة .

فيجب عليه مراعاة مايناسبه من الأوصاف التى يقع بها تقریظه ومدحه :

فإن كان نائب سلطنة وصفه بالشجاعة، والنَّجْدَة، وقُوَّة العزم، والشَّهامة،
 وشِدَّة الشَّكِيمَة، ونُصْرَة الدِّين، وكَفِّ [الأيدى] العاديَّة، وإرهابِ العدو، وقَمْع
 المفسدين، وإرغامِ أهلِ العُدوان، وحِمايَة الثُّغور - إن كان فى نغر - ووُفُورِ الهَيِّبَة،
 وبُعْدِ الصِّيت، وطيرانِ السُّمعة، مع بَسْطِ المَعْدَلَة والرَّفْقِ بالرَّعيَّة، والرُّافَة بخلقِ الله
 تعالى، والشَّفَقَة عليهم، والإحسانِ إلى الكافَّة، والأخذ بقلوبهم، والوقوفِ مع
 أحكامِ الشريعة، وبَدَلِ الطاعة، والمناصحة، والمحالصة، وقِدَمِ هجرته فى الدولة - إن
 كان قديمِ هجرة - ومُرُورِ الدَّولِ عليه - إن كان قد مرَّت عليه دول - ، وأنه نَشَأُ
 الدولة - إن كان ابتداء أمره فيها - ، ونحو ذلك .

وإن كان نائب قلعة وصفه بالحِذْق، واليقظة، وقُوَّة الحزم، وشِدَّة
 التحرُّز، والمعرفة بأحوال الحِصَارِ وضُروبِ القتال وطُرُقِ التحصين والمدافعة،
 ونحو ذلك .

وإن كان وزيراً وصفه بحُسنِ التدبير، وجَزالةِ الرأى، والإحتياط فى الأمور،
 والقيام بمصالح الإسلام، وعمارةِ البلاد، والنُّهوض فى المهمَّات، وكَفِّ الأيدى
 العاديَّة، والأخذِ على يدِ المتعدِّى، وتُميَّةِ الأموال وتثْميرها، وتسهيل مايجرى من
 الأرزاق على يده، وبَدَلِ المجهود فى معاضدة الشريعة، وشِبْه ذلك مما يجرى
 هذا المجرى .

وإن كان كاتب سِرِّ وصفه بالفصاحة والبلاغة، وقيام أقلامه فى التأثير
 فى العدو مقام السيف والرَّماح، وكُتَيْبِه فى تفريق الكُتَّابِ مقام الجيوش
 والعساكر، وسَدادِ الرأى، وكُتْمِ الأسرار، وحماية الممالك بنتائج أفكاره،
 وما شاكل ذلك .

وإن كان ناظر جيش وصفه بالمعرفة بأموار الجيوش وترتيبها ، وأصناف
الأمرء ، والجند ، والمستخدمين ، وترتيب مقاماتهم ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان ناظر الخاص وصفه بالمعرفة بأموار الحسب ، والنهضة في المهمات ،
والمعرفة بأحوال ديوان الخاص وجهاته ، والقدرة على تحصيل الأموال وزيادتها ،
ومعرفة ما يحتاج إليه من أصناف الأقمشة والطرز وغيرها ، مع الأمانة والعفة ،
وما يجري مجرى ذلك .

وإن كان مستوفى الصحبة وصفه بالمعرفة بفنون الكتابة ، ونظم الحسابات ،
والاحتياط في استرفاعها ، مع الضبط والاحتراز والأمانة والعفة وما هو من هذا
القييل .

وإن كان ناظر خزانة الخاص وصفه بالأمانة ، والعفة ، والمعرفة بأصناف
الخزانة : من الأقمشة ، والتشارييف ، والطرز ، ومعرفة مراتب أربابها ، وما يناسب
كل واحد منهم من أنواع التشارييف من عاليها وهابطها ، وما يطابق ذلك .

وإن كان قاضيا وصفه بغزارة العلم ، وسعة الفضل ، ونصرة السنة ، وقمع
البدعة ، والعدل في الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، والأخذ للضعيف من
القوى ، والنزاهة عن المطاعم الوخيمة ، والمطامع الرديئة ، والبعد عن الأهواء
في الحكم ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان محتسبا وصفه بعد وصفه بالفضل بالعفة ، والأمانة ، وعلو الهمة ،
وقوة العزم ، والصرامة ، ووفور الهيبة ، والنهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
والنظر في مصالح المسلمين ، وعدم محاباة أهل الدنيا وأرباب الجاه ، وأنه لا يفرق
في الحق بين الجليل والحقير ، وما في معنى ذلك .

وإن كان وكيل بيت المال وصفه بعد العلم والديانة بالوقوف مع الحق ،
 والتثبت فيه ، ومراعاته المصلحة العامة في كل ما يتعلق به ، والمعرفة بشروط الاعذار
 ومواقع ابداء الدافع ونفيه ، وأنه يقدم مصالح المسلمين على مصالح نفسه ،
 وما يقارب ذلك .

وإن كان مدرّسا وصفه بسعة العلم ، والتضلع بالفنون ، والأخذ من كل منها
 بحظ وافر ، وطول الباع في البحث والمناظرة ، والوقوف مع الحق فيها ، وعدم
 الجدال في الباطل ، وترية الطلبة ، وتأديبهم ، والتقريب على من عسر على فهمه
 شىء من المسائل ، وعدم الترفع عليهم ، وتنزيلهم منازلهم في الفضل ، وتقديم من
 برع منهم .

وإن كان خطيبا وصفه بالفصاحة ، والبلاغة ، وقوة اللسن ، وشدة الشكيمة
 في الكلام ، وتأثير وعظه في القلوب ، وأنسكاب الدموع من وقع عظامه ، وما
 أشبه ذلك .

وإن كان شيخ خانقاه وصفه بالورع ، والزهد ، والنسك ، وقطع العلائق من
 الدنيا ، وترية المريدين وتسليكهم ، والوقوف مع طريق السلف الصالح .

وإن كان رئيس الأطباء وصفه بالحدق في الطب ، والمهارة فيه ، وتقديمه على
 غيره في الفن ، والمعرفة بالعقاقير وما فيها من نفع وضرر ، والمعرفة بالأمراض والعلا
 وطرق العلاج ، وما يجري مجرى ذلك .

وإن كان رئيس الكحّالين وصفه بالمعرفة في صنعة الكحل ، والتقدم على أبناء
 صنعته فيه ، والمعرفة بحال العين وأمراضها ، وأصناف الأحكال ، وما يوافق كل
 علة من ذلك ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان رئيس اليهود أو بطركا من بطاركة النصارى، وصفه بالمعرفة بأمور ملته، والوقوف مع قوانين شرعته، ومعاونة العدل في جماعته، والتزام شروط الذمة، والوقوف عند حدها، والدخول تحت الطاعة، والوقوف عند ما حُد له، ونحو ذلك .

الأمر السادس — مما يجب على الكاتب مراعاته وصية رب كل ولاية من الولايات المعتبرة بما يناسبها .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا حَسُنَ وَصِيَّةُ الْمَوْلَى بِهِ ، حَسُنَ وَصْفُهُ بِهِ . وَالْوَصَايَا مُخْتَلِفَةٌ بِاخْتِلَافِ مَوْضُوعَاتِهَا ، إِلَّا أَنَّ الْجَمِيعَ يَشْتَرِكُ فِي الْوَصِيَّةِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَهِيَ الْأُسُّ الَّذِي يَبْنَى عَلَيْهِ ، وَالرُّكْنُ الَّذِي يُسْتَنْدُ إِلَيْهِ . وَهَذَا الْبَابُ هُوَ الَّذِي يَطُولُ فِيهِ سَبْحُ الْكَاتِبِ ، وَيَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى سَعَةِ الْبَاعِ ، فَإِنَّهُ مَا لَمْ يَكُنِ الْكَاتِبُ حَازِقًا بِمَا يَلْزَمُ رَبَّ كُلِّ وِلَايَةٍ لِيُوفِّيَهَا فِي الْوَصِيَّةِ حَقَّهَا ، وَإِلَّا ضَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَحَادَّ عَنِ جَادَةِ الصَّنْعَةِ . وَلِذَلِكَ يُقَالُ لِلْكَاتِبِ : « الْقَلَمُ الْأَكْبَرُ » : لِأَنَّهُ بِصَدَدِ أَنْ يُعَلِّمَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ مَا يَلْزَمُهُ فِي وِلَايَتِهِ .

وحيث إن كان المتولى « نائب سلطنة » وصى بتفقد العساكر، وعرض الجيوش، وإنهاضها للخدمة للوظائف من يليق بها، وتنفيذ الأحكام الشرعية، ومعاونة حكام الشرع الشريف، وإجراء الأوقاف على شروط واقفيها، وملاحظة البلاد وعمارتها، وإطابة قلوب أهلها، والشّد من مباشرى الأموال، وتقوية أيديهم، وملازمة العدل، وعدم الانفكالك عنه، وتحصين ما لديه من القلاع، وأستطلاع الأخبار والمطالعة بها، والعمل بما يرد عليه من المراسيم

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة ولعله « وأنتقاه » للوظائف الخ .

السلطانية، وأنَّ ما أشكل عليه يستضىء فيه بالآراء الشريفة، والإحسان إلى الجند،
وتعيين إقطاع مَنْ مات منهم لولده إن كان صالحا، ونحو ذلك .

وإن كان « نائبا قلعة » وُصِيَ بحفظ تلك القلعة، وعمارة ما دعت الحاجةُ
إلى عمارة منها، والأخذ بقلوب من فيها، وجمعهم على الطاعة، وأخذ قلوبهم
بالإحسان إليهم، وتحصينها بالآلات الحصار، وأدخال آلات الحرب : من المجانيق
والقسيِّ وسائر الآلات : من السهام، واللبوس، والستائر، وغير ذلك . وكذلك
آلات أرباب الصنائع، كالآلات الحدادين، وصنَّاع القسيِّ وَمَنْ في معناهم مما
يُحتاج إلى عمله في آلات القلعة، والأعتناء بغلق أبواب القلعة وفتحها، وتفقد
متجددات أحوالها في كل مساء وصباح، وإقامة الحرس، وإدامة العسس،
وتعريف أخبار المجاورين لها من الأعداء، وإقامة نوب الحمام بها، والمطالعة بكل
ما يتجدد لديه من الأخبار .

وإن كان «وزيرا» وُصِيَ بالعدل وزيادة الأموال وتمييزها، والإقبال على تحصيلها
من جهات الحِلِّ، واختيار الكفأة الأمانة، وتجنب الخونة، وتطهير بايه، وتسهيل
حجابه، والنظر في المصالح، وأنه لا يستبدل إلا بمن ظهر لديه عجزه أو خيائته،
والنظر في أمر الرواتب وإجرائها على أربابها .

وإن كان «كاتب سِر» وُصِيَ بالأهتمام بتلقى أخبار الممالك وعرضها على المواقف
الشريفة، والإجابة عنها بما تبرز به المراسيم الشريفة، وتعريف التواب في الوصايا
التي تُكتب في تقاليدهم عن المواقف الشريفة ما أهدم عليهم، وبين لهم ما يقفون

(١) جرى على اللغة القليلة والكثير الشائع إغلاق فتنه .

عند حدّه ، والنظر في تجهيز البريد والنجابة ^(١) ، وما يُبعث فيه من المصالح وينفّذ فيه من المهمّات والقُصّاد ، ومعرفة حقوق ذوى الخدمة والنصيحة ، وإجرائهم في رسوم الرواتب وعوائد البر والإحسان على أتمّ العوائد ، وتأليف قلوبهم ، والأخذ بنحو أطيرهم ؛ والنظر في أمر الكشافة والديّاب والنظارة والمنّاور والمحرقات وأبراج الحمام ؛ وصرف نظره إلى رسل الملوك الواردة ، ومعاملتهم بالإكرام ، والأخذ في صون سرّ الملك وكتابه حتى عن نفسه ، وضبط ألواح البريد ، والأحتراز فيما تؤخذ عليه العلامة الشريفة ، ومراعاة كتاب ديوان الإنشاء ، والإحسان إليهم ، وأن لا يستكتب في ديوانه إلا من علم صلاحه لذلك وكفايته ، ووثق منه بكنان السرّ كما يثق به من نفسه .

وإن كان « ناظر جيش » وصّى بالأحتراط في أمر ديوانه ، والوقوف على معالم هذه المباشرة ، وجرائد الجند ، والإقطاعات ، وتحرير الكُشوف والمحاسبات ، وأستيضاح أمر من يموت من أرباب الإقطاعات من ديوان المواريث أو من المقدمين والنقباء ، والأحتراز في أمر المربعات وجهات الإقطاعات وما يترتب عليها من المناشير ، والنظر في أمر المقطعين : من الجند ، والعرب ، والتركان ، والأكراد ، ومن عليه تقدمة أو درك بلاد أو غير ذلك .

وإن كان « ناظر خاص » وصّى بالأحتراط لِدِيوانه ، والأخذ في تحصيل أموال جهاته وتتميتها وتميرها ، وزيادتها وتوفيرها ، والتحرز فيما يرفع من حسباناتها ، والأهتمام بأمر التشاريف والخلع ، وما يختص بكل ولاية وغيرها من التشاريف ،

(١) جرى العامة في هذا الاستعمال .

وما جرت به العادة من الهدايا المحضرة إلى ملوك الأقطار، والأخذ في ذلك كله بالخط الأوفى للديوان السلطاني، وما يجري مجرى ذلك .

وإن كان «مستوفى صحبة» وصى بإلزام الكتاب بما يلزمهم من الأعمال وتحريرها، وعمل المكلفات وتقدير المساحات، وتمييز ما بين تسجيل القدن في كل بلد بحسب ما يصلح لها من الزراعة، وتمييز قيم بعضها على بعض، ومستجد الجرائد، وما يقابل عليه من ديوان الإقطاعات والأحباس وغير ذلك .

وإن كان «ناظرًا لخزانة الخاص» وصى بتحصيل ما يحتاج إليه لتفصيل الخاص وتشاريف أرباب السيوف والأقلام : العرب، والتركان، والأكراد، وغيرهم؛ وهدايا الملوك وما يجري مجرى ذلك : من العتابي والأطلس، والمشر بش، والمقنّس والمتمّر، والطرازات على اختلافها : من الزركش، والباهي، وأنواع المستعملات، وما يحمل من دار الطراز، وما يتباع للخزانة العالية، وما هو مُرصد لها من الجهات التي يحمل إليها متحصلها : لينفق في أثمان المبيعات ومصروف المستعملات، والاحتراز فيما يُنفق من الأثمان وقيمة المبتاع، وشهادات الرسائل المكتتبه إليه بالحمول وما يكتب بها من الرجعات، وأن يحصل كل شيء هو بصدد الحاجة إليه قبل الاحتياج .

وإن كان «قاضيا» وصى بالتروى في أحكامه قبل إمضاءها، وأن يراجع الأمر مرّة بعد أخرى، واستشارة أهل العلم، والرّجوع إليهم فيما أشكل عليه، واستخارة الله تعالى قبل الإقدام على الحكم، والقضاء بحق الخصم بعد وضوحه، والتسجيل له به، والإشهاد على نفسه بذلك، والتسوية بين الخصوم حتى في تقسيم النظر إلى الخصمين، والتحرى في استيداء الشهادات، وأن لا يقبل من الشهود الا من عرف

بالعدالة : من ربّ قلم أو سيف ، والتنقيب عما يصدر من العقود ، ولا يعول من شهود القيمة إلا على كل عارف بالقيم خبير بها ، والنظر في أمر الرسل والوكلاء ، والنظر في أمور أهل مذهبه ، والأعتناء بشأنهم .

ويُزاد « الشافعي » التوصية بالنظر في دعاوى بيت المال ومحاكماته ، والأحترار في قضاياها ولا يُقبل فيها بينة لو كِل بيت المال فيها مدفع ، ولا يُعمل فيها بمسألة ضعيفة ، والنظر في أمر أموال الأيتام وأمر المتحدثين فيها بالإحسان إليهم ، وكذلك أموال الصدقات الجارية تحت نظره ، والتيقظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها ، وأن لا يعمل في مسألة تفرد بها مذهبه إلا بما نص عليه إمامه أو كان عليه أكثر أصحابه ، ولا يعتمد في ذلك مرجوحا ولا ما تفرد به قائله ، وأن لا يولى في البرئانبا إلا من عُرف استحقاقه وأهليته لما يتولاه .

ويُزاد « الحنفي » الوصية بالعمل بما اقتضاه مذهبه من الأمور التي فيها صلاح لكثير من الناس : كترويح المعصرات ، وشفعة الحوار ، ونفقة المعتدة البائن ، وعدم سماع بينة الإعسار إلا بعد مضي المدة المعتبرة في مذهبه ، والإحسان إلى من ضمه نطاق ولايته ممن نزع إليه من أهل الشرق وأقاصي الشمال .

ويُزاد « المالكي » الوصية بالتحري في بينات الدماء ، والإعذار إلى الخضم ليدي مالديه من دافع ، والعمل بما تفرد به مذهبه مما فيه فسحة للناس : كالثبوت بالشهادة على الخط ، وولاية الأوصياء ، وإسقاط الرّيع في الوقف المسترد بعد البيع ، والإحسان إلى من لديه من غرباء أهل مذهبه ، لاسيما من أتاه من بلاد المغرب .

ويُزاد « الحنبلي » الوصية بالاحتياط في بيع مادّثر من الأوقاف والاستبدال بها ، ورعاية المصلحة في ذلك لأهل الوقف بما أمكن ، والفسخ على من غاب عن زوجته

الغيبية المستوجبة للفسخ عندهم ، ووقف الإنسان على نفسه ، وأمر الجوائح التي يحصل بها التخفيف عن ضعفاء الناس ، والمعامل على الزرع بالحرث ونحوه ، وغير ذلك مما يجرى هذا الجرى ، والوصية بأهل مذهبه الذين هم أقل المذاهب عدّة وأنزرتهم وظائف وأوقافا ، ومعاملتهم بالإحسان .

وإن كان « قاضى عسكر » وصى بنحو ما يوصى به [القاضى] وأن يتخذ معه كاتباً يكتب للناس ، وأن يقبل من الجند من كان ظاهره العدالة ، فإنّ الشهود المعدّين لتحمل الشهادة يعزّ وجودهم فى العسكر ، وأن يكون له منزل معروف يقصد فيه إذا نصبت الخيام ، وأحسن ما يكون ذلك عن يمين الأعلام السلطانية ؛ وأن يكون مستعداً للأحكام التي يكثر فضلها فى العسكر : كالغنائم ، والشركة ، والقسمة ، والمبيعات ، والردّ بالعيب ؛ وأن يسرع فى فصل القضاء بين الخصوم : لئلا يكون فى ذلك تشاغل عن مواقع الحرب ومقدماته ، وغير ذلك مما يجرى هذا الجرى .

وإن كان « محتسبا » وصى بالنظر فى أمر المكاييل والموازين وسائر المقادير؛ والتحذير من الغش فى الطعام والشراب ؛ وأن يتعرّف الأسعار ، ويستعلم الأخبار فى كل سوق من غير علم أهله ؛ وأن يقيم على الأسواق وأرباب المعاييس من ينوب عنه فى النظر فى أمورهم من الأمناء المأمونين ؛ وأن لا يمكن أحداً من العطارين من بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يستراب به بخط مططب لمريض ؛ وأن يمنع المتحيلين على أكل أموال الناس بالباطل : من الطرّفة وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى بنى ساسان من تعاطى ما يتعاطونه من ذلك ، ويقمعهم ويحسّم مادّتهم ، والتصدي للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمنع من الغش

(١) أى المنجمين الذين يدعون معرفة المغيبات بمقتضى النظر فى النجوم .

وإخبار المشتري بأزيد مما اشترى به ، والنظر في أمر فقهاء المكاتب والعالمات من النساء ، ولا يمكن منهم أحدا [أن] يتعاطى ذلك إلا من عرفت أمانته ، وأثرت صيانتته ، وأن لا يستنيب إلا أهل العفة والأمانة والنزاهة ممن بعد عن الطمع ، ونأى عن مطاعم السوء .

وإن كان «وكيل بيت المال» وصى بالعمل بالشرع الشريف في جميع أحكامه ، وأن من مات وله ورثة تستوعب ميراثه لا يكفهم ثبوتا فيه تعنت ومدافعة عن حقهم ؛ والتشديد في أمر من كانت قصته منكرا ، والتحرز من شهود الزور في مثل ذلك ، وأن يرجع في كل ما يساع ويؤجر إلى العوائد ، وأن يتحرز في شهادة شهود القيمة ، ولا يرجع فيها إلا لمن يوثق به ممن يكون عنده معرفة بقيمة الأشياء ، وينبئه على أن له أن يدعى بحق المسلمين حيث شاء عند من يشاء من أصحاب المذاهب ، وأن الدعوى عليه لا تكون إلا في مجلس الحكم العزيز الشافعي ، على ما جرت به العادة القديمة ، والأحتياط في حق بيت المال ، وليختار للأستنابة في الأعمال من يصلح لذلك .

وإن كان «مدرسا» وصى بأن يقبل على جماعة درسه بطلاقة وجه ، وأن يستميلهم إليه جهد استطاعته ، ويربيهم كما يربي الوالد ولده ، ويستحسن نتائج أفكارهم التي أتون بها في درسه ، ويقدم منهم من يجب تقديمه ، وينزل كل واحد منهم منزلته ، ليهزم ذلك إلى الإيجاب على الأشتغال والأزدياد في التحصيل . ثم يأتي [في] كل مدرس بما يناسبه من أمور العلم الذي يدرس فيه إن كان يدرس في علم خاص .

وإن كان «خطيبا» وصى برعاية حق رتبة الخطابة والقيام بحق ازدواجها ، وأن يأتي من المواعظ بما يقرع الأسماع بالوعد والوعيد ، ويأين القلوب القاسية ،

وَأَنْ يُعَدَّ لِكُلِّ مَقَامٍ يَقُومُهُ مَقَالًا يَقُولُهُ ، وَأَنْ يُخَفِّفَ الْخُطْبَةَ ، وَيَأْتِيَ بِهَا بَلِيغَةً مَفهُومَةً ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَتَعَلِّقَاتِ الْخُطَابَةِ .

وَأِنْ كَانَ «شَيْخَ خَانِقَاهُ» وَصَّى بِالْأَجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ ، وَالْمَشْيِ عَلَى طَرِيقِ السَّلَفِ : مِنْ الزُّهْدِ ، وَالْوَرَعِ ، وَالْعِفَافِ ، وَأَنْ يَأْخُذَ جَمَاعَتَهُ بِمَا أَخَذَهُ فِي الْأُمُورِ ، وَأَنْ يَعْرِفَ لِمَجَاعَةٍ مَكَانَهُ حُقُوقَهُمُ الْوَاجِبَةَ لَهُمْ وَيُنْزِلَهُمْ مَنَازِلَهُمْ خُصُوصًا أَوْلَى السَّابِقَةِ مِنْهُمْ ، وَيَأْخُذَ فِي الرَّفْقِ بِهِمْ وَمُدَارَاتِهِمْ ، مَعَ تَرْتِيبٍ مِنْ أَسْتَجَدَّ مِنْهُمْ ، وَإِجْرَائِهِمْ عَلَى طَرَائِقِ الصُّوفِيَّةِ ، وَتَعْرِيفِهِمُ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَدْرِيجِ الْمُرِيدِينَ عَلَى قَدَرِ مَا تَحْتَمِلُهُ أَفْهَامُهُمْ ، دُونَ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَحْوَالِ الطَّرِيقِ بِمَا لَا تَحْتَمِلُهُ عُقُولُهُمْ . وَ [اتِّبَاعِ] سَبِيلِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اللَّذِينَ مِنْ حَادٍ عَنْهُمَا ضَلَّ ، وَمَنْ نَجَرَ عَنْ جَانِبَيْهَا زَلَّ ، وَكَفَّهُمْ عَنِ ارْتِكَابِ الْبِدْعِ وَالْحَرَى عَلَى مَنَاجِحِهَا ، وَمَنْ أَتَى ذَنْبًا خَفِيَ بِهِ التَّوْبَةُ وَالْأَسْتِغْفَارُ ، وَالْإِنْكَارُ عَلَى مَنْ أَخَذَ فِي الشُّطْحَاتِ ، وَالخُرُوجُ عَنِ قَانُونِ ظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ ، وَمَنْعٌ مِنْ نَحَا هَذَا النُّحُوًّا أَوْ جَرَى عَلَى هَذِهِ الْجَانِبِ ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ يَقْدَمُ عَلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ ، وَحُسْنُ التَّلَقُّيِّ لَهُ ، وَإِكْرَامُ نُزُلِهِ بَعْدَ أَنْ يَعْبُجَ لَهُ بِالْإِذْنِ ، وَالْأَمْرُ بِأَخْذِ عُنَايَةِ الْفِرَاشِ بِسَجَادَةٍ ، وَمَا يَنْخَرِطُ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ .

وَأِنْ كَانَ «رَئِيسَ الْأَطْبَاءِ» وَصَّى بِالنَّظَرِ فِي أَمْرِ طَائِفَتِهِ ، وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ ، وَيَأْمُرُ الْمَعَالِجَ أَنْ يَعْرِفَ أَوَّلًا حَقِيقَةَ الْمَرَضِ وَأَسْبَابَهُ وَعِلَامَاتِهِ ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى السِّنِّ وَالْفَصْلِ وَالْبَلَدِ ، وَحِينَئِذٍ يَشْرَعُ فِي تَخْفِيفِ الْحَاصِلِ ، وَقَطْعِ الْوَاصِلِ ، مَعَ حِفْظِ الْقُوَّةِ ، وَأَنْ لَا يَهَاجِمَ الدَّاءَ ، وَلَا يَسْتَعْرِبُ الدَّوَاءَ ، وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى الْأَبْدَانِ إِلَّا مَا يَلِئُهَا ، وَلَا يُخْرِجُ عَنِ عَادَةِ الْأَطْبَاءِ وَلَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ الْإِصَابَةُ حَتَّى يَتَبَصَّرَ فِيهِ بِرَأْيِ أَمْثَالِهِ ، وَيَتَجَنَّبُ الدَّوَاءَ ، مَا أَمَكَّتَهُ الْمَعَالِجَةُ بِالْغِذَاءِ ، وَالْمَرْكَبُ مَا أَمَكَّتَهُ الْمَعَالِجَةُ بِالْمَفْرُودِ ،

ويتجنب القياس إلا ما صحَّ بتجريب غيره في مثل من أخذ في علاجه، وما عرض له،
وسنّه، وفصله، وبلده، ودرجة الدواء؛ وأن يحذر التجربة فإنها خطر، مع الاحتراز
في المقادير والكيفيات، وفي الاستعمال والأوقات، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر
عنه؛ ولا يأمر باستعمال دواء ولا ما يستغرب من غذاء حتى يحقق حقيقته، ويعرف
جديده من عتيقه، ليعرف مقدار قوته في الفعل .

وإن كان «رئيس الكحالين» وصى بالنظر في حال جماعته أيضا، ومعرفة
أحوالهم، وأن لا يصرف منهم إلا من عرف بحسن المداراة والملازمة في العلاج،
ويأمر كلاً منهم أن لا يقدم على مداواة عين حتى يعرف حقيقة المرض، وأن
يلاطفها بما يناسبها من الغذاء، وأن يتخير من الكحل ما فيه شفاء العين وجلاء
البصر، وأن يستشير الأطباء الطبائعية فيما أهم، مما لا يستغنى عن رأى مثلهم فيه،
من تخفيف المادة بالاستفراغ أو نقص دم أو غير ذلك .

وإن كان «رئيس اليهود» وصى بضم جماعته، ولمّ شملهم، والحكم فيهم بقواعد
ملائته، والنظر في أمور الأنكحة عندهم، وما يعتبر عندهم فيها على الإطلاق، وما يفتقر
إلى الرضا من الحائنين في العقد والطلاق، والنظر فيمن أوجب حكم دينه عليه
التحريم، والتوجه في صلاتهم تلقاء بيت المقدس إلى جهة قبلتهم، وإقامة حدود
التوراة على ما أنزل الله تعالى من غير تحريف ولا تبديل للكلمة بتأويل ولا غيره،
وآتباع ما أعطوا عليه العهد مع إزامه لهم [ما التزموه] من حكم أمثالهم من أهل الذمة
الذين أقرّوا في دار الإسلام على الصغار والإذعان لأهل الإسلام، وعدم مضايقتهم
للمسلمين في الطرق، وتميزهم بشعارهم في الحمام، كي لا يحصل اللبس بالمسلمين، وحمل
شعار الذمة على رؤوسهم: وهى العائم الصفّر؛ ويأخذهم بتجديد صبغه في كل حين،
وعدم التظاهر بما يقتضى المناقضة: من ذكر الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم

بسوء، أو إظهار الخمر أو معتقدتهم في العزير عليه السلام . وله أن يرتب طبقاتهم على ما تقتضيه مراتبهم عنده، وكذلك له التحدث في كنائس اليهود المستمرة إلى الآن بأيديهم، من حين عقد الذمة، من غير تجديد متخرب، ولا فعل ما لم تُعقد عليه الذمة ويقرهم عليه السلف الأول .

وإن كان « بطرك النصارى المليكانيّة » وصّى بما عليه بناءً شرعته من المساحة والاحتمال والصبر على الأذى، وعدم الأكرات به، وأخذ نفسه بهذه الآداب، وأنه يُقدّم المصالحة بين المتحاكين إليه قبل فصلها على البت فإنه قاعدة دينه المسيحي، ولم تُخالف فيه الملة الإسلامية، وأنه ينقى صدور إخوانه من الغل، ويتخلّق بكل خلق جميل، ولا يستكثر من الدنيا، ويتنزّه عن أموال جماعته والتوسل إلى أخذها، وأن إليه أمر الكنائس والبيع، وعليه أن يتفقدها في كل وقت، ويرفع ما فيها من الشبهات، ويحذر رهبان الديارات من جعلها مصيداً للال، وأن يتجنبوا فيها الخلوة بالنساء، ولا يؤوى إليه أحداً من الغرباء القادمين عليه يكون فيه ريبة، ولا يكتم ما أطلع عليه من ذلك عن المسامع الشريفة السلطانية، ولا يخفى كتاباً يرد عليه من أحد من الملوك، أو يكتب له جواباً، ويتجنب البحر وما يرد منه من مظان الريب .

وإن كان « بطرك البعاقبة » قيل في وصيته نحو ما تقدم في وصية بطرك المليكانيين، إلا أنه لا يقال : وأعلم أنك في المدخل إلى شريعتك طريق الباب، بل يقال : وأعلم أنك في المدخل إلى شريعتك قسيم الباب، ومساو له في الأمر والنهى والتحليل والتحريم . ويقال بدل قوله « وليتجنب البحر » : « وليتوق ما يأتيه سرا من تلقاء الحبشة » .

قلت : وهذه الوصايا مدخل إلى ما يرضى به أصحاب الولايات ممن تقدم ذكره والأمر في الزيادة والنقص في ذلك بحسب المناسبة راجع إلى نظر الكاتب . على أن المقر الشمهاني ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر في "التعريف" عدة وصايا ليست مما يكتب الآن ، فأضربنا عن ذكر مقاصدها هنا : لتورد برمتها في الكلام على ما يكتب في متن التقاليد والتواقيع ونحوها ، مع النسخ التي تورد هناك على صورة ما أوردها ، لينسخ على منوالها إن أمر بكتابة شيء منها .

المقصد الثاني

(في بيان مقاصد ما يكتب في الولايات ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في بيان الرسوم في ذلك ، ومقادير قطع الورق لكل صنف منها)

على سبيل الإجمال)

وهي على أربعة أنواع :

النوع الأول

(التقاليد)

جمع تقليد . يقال : قلّده أمر كذا إذا وليته إياه . قال الجوهري : وهو مأخوذ من القلادة في العنق ، يقال قلّدت المرأة فنقلدت ، قال : ومنه التقليد في الدين أيضا .

ثم التقاليد تشتمل على طرة ومتن ، فأما الطرة فقد أشار إليها في "التعريف" بقوله : وعنوانها «تقليد شريف لفلان بكذا» . وأوضح ذلك في "التحقيق" فقال :

وصورته : ان يكتب : تقليد شريف بان يفوض الى المقتز الكريم ، او الى الجناب الكريم ، او الى الجناب العالى الاميرى الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، اعز الله تعالى انصاره ، او نصرته ، او ضاعف الله تعالى نعمته ، نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، او بحاب المحروسة ، او بطرابؤس المحروسة ، او نحوها ، على اجمال العوائد فى ذلك و اكل القواعد على ما شرح فيه .

قلت : وتفصيل هذا الإجمال : إن كان المكتوب له التقليد هو النائب الكافل ، كتب فى طرة تقليده : تقليد شريف بان يفوض الى المقتز الكريم العالى ، الاميرى ، الكبيرى ، الكفيل ، الفلانى ، فلان الفلانى ، بلقب الإضافة الى لقب السلطان ، كالناصرى مثلا ، كقالة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية ، أعلاها الله تعالى على اجمال العوائد فى ذلك و اكل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتب : تقليد شريف بان يفوض الى المقتز الكريم العالى ، الاميرى ، الكبيرى ، الكفيل ، فلان الناصرى ، مثلا كقالة السلطنة بالشام المحروس على اتم العوائد فى ذلك و اجمال القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بناية السلطنة بحاب ، كتب : تقليد شريف بان يفوض الى الجناب الكريم العالى ، الاميرى ، الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، فلان الناصرى ، اعز الله تعالى نصرته ، نيابة السلطنة الشريفة بحاب المحروسة ، على اجمال العوائد فى ذلك و اكل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بناية طرابؤس ، كتب : تقليد شريف بان يفوض الى الجناب العالى ، الاميرى ، الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، فلان الناصرى : ضاعف الله

تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة، على أجمل العوائد في ذلك
وأكل القواعد، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بنيابة السلطنة بحمّة، أُبدل لفظ طرابلس بحمّة .

وإن كان بنيابة السلطنة بصفد، أُبدل لفظ طرابلس وحمّة بصفد، والباقي على
ما ذكر في طرابلس .

وإن كان التقليد بنيابة السلطنة بغزة - حيث جعلت نيابة - كتب : تقليد
شريف بأن يفوض إلى الجناب العالى، الأميرى، الكبيرى، الكافى، الفلانى،
فلان الناصرى : أدام الله تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بغزة المحروسة، على
أجمل العوائد، وأكل القواعد، على ما شرح فيه .

فإن كان مُقدم العسكر كما هو الآن، أُبدل لفظ نيابة السلطنة الشريفة بلفظ
«تقدمة العسكر المنصور» والباقي على ما ذكر .

وإن كان التقليد بنيابة السلطنة بالكرك، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى
المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلانى، فلان الناصرى : أدام الله تعالى
نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس، على أجمل العوائد، وأكل القواعد،
على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بالوزارة، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجناب العالى
الصاحي، الفلانى، فلان الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته، الوزارة الشريفة
بالمالك الإسلامية أعلاها الله تعالى، على أجمل العوائد، وأكل القواعد، بالمعلوم
الشاهد به الديوان المعمور، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بكتابة السر، كُتِبَ : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى الجنب العالى، القاضوى، الكبيرى، اليمينى، الفلانى، فلانٍ الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته، صحابةً دواوين الإنشاء الشريفة بالممالك الإسلامية، أعلاها الله تعالى، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، كُتِبَ : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى الجنب العالى، القاضوى، الكبيرى، الفلانى، فلان : أعز الله تعالى أحكامه، قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الحنفية، كتب كذلك، إلا أنه يُبدل لفظ الشافعية بلفظ الحنفية .

وإن كان التقليد لأمر مكة، كتب : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الشريفى، فلانٍ الفلانى : أدام الله تعالى نعمته إمرة مكة المشرفة، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شرح فيه .

وإن كان بإمرة المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والتحية والإكرام، كتب كذلك إلا أنه يُبدل لفظ مكة المشرفة بلفظ المدينة الشريفة .

وإن كان بإمرة آل فضل، كتب : تقليدٌ شريفٌ بأن يفوض إلى المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلانى : أدام الله تعالى نعمته إمرة آل فضل، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شرح فيه .

هذه جملة ما عهدت كتابته من التقاليد المكتتبة من ديوان الانشاء بالأبواب الشريفة، فإن حدث كتابه ما يستحق أن يكتب له تقليدًا، كالأتابكية ونحوها، كتب بالألقاب اللائقة بصاحبه .

ثم وراء ذلك أمران : أحدهما - أنه قد تقدم نقلا عن "التعريف" أنه يكتب في العنوان الذى هو الطرة : «تقليد شريف لفلان بكذا» فإن كتب تقليدًا بكفالة السلطنة مثلا، كتب : «تقليد شريف للقر الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى»، الفلانى، بكفالة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية، على أجمال العوائد، وأكمل القواعد، على ما شرح فيه» .

الثانى - أنه اقتصر فى "التثقيف" على قوله فى آخر الطرة، على أجمال العوائد فى ذلك وأكمل القواعد، وليس الأمر منحصرًا فى ذلك، بل لو عكس بأن قيل : تقليد شريف بأن يفوض إلى فلان كذا، أو تقليد شريف لفلان بكذا على أكمل القواعد واجمل العوائد على ما شرح فيه، لكان سائغًا .

فإن كان صاحب التقليد على الرتبة : كالنائب الكافل، ونائب الشام، ونائب حلب، والوزير، وكاتب السر، ونحوهم، كتب على أجمال العوائد وأتمها، وأكمل القواعد وأعمها، أو بالعكس : بأن يكتب على أجمال العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها، على ما شرح فيه .

وأما متن التقليد، فقد قال فى "التعريف" : إن التقاليد كلها لا تفتح إلا بالحمد لله وليس إلا، ثم يقال بعدها : أما بعد، ثم يذكر ما سنع من حال الولاية وحال المولى، وحسن الفكر فيمن يصلح، وأنه لم يراحق من ذلك المولى ويسمى، ثم يقال ما يفهم أنه

هو المقدم الوصف أو المتقدم إليه بالإشارة؛ ثم يقال: رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى (ويدعى له) أن يقلد كذا، أو أن يفوض إليه كذا، والأول أجل؛ ثم يوصى بما يناسب تلك الولاية مما لا بد منه تارةً جُملياً وتارةً تفصيلاً، وينبّه فيه على تقوى الله تعالى؛ ثم يختم بالدعاء للمولى، ثم يقال: وسبيل كل واقف عليه العمل به بعد الخطّ الشريف أعلاه.

قال: ولفضلاء الكتاب فى هذا أساليب، وتفنن كثير الأعاجيب، وكل ما لوف غريب، ومن طالع كلامهم فى هذا وجد ما قلناه، وتجلّى له ما أهمناه.

وذكره فى "التتيف" بأوضح معنى وأبين، فقال: ويكتب بعد الصدر بحُطبة مناسبة أولها الحمد لله إلى آخرها، ثم أما بعد، ويذكر ما يرى ذكره من حال الولاية والمولى، ويذكر اسمه، وهو أن يقال: ولما كان المقر، أو الجناّب، وألقابه ونعوته إلى آخرها، ويدعى له: أعزّ الله أنصاره أو نصرته، أو نحوه، على ما جرت به عادته، ولا يزداد على دعوة واحدة؛ ثم يقال ما يفهم أنه المراد بهذه الأوصاف، أو المعنى بهذه الإشارة أو نحو ذلك؛ ثم يقال: آقتضى حُسن رأينا الشريف، ويذكر ما يقتضى تكريمه وتعظيمه؛ ثم يقال: فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى (ويدعى له) بما يناسب الحال ثلاث دعوات أو أربعا) أن يفوض إلى المشار إليه كذا؛ ثم يقال: فليقلد ذلك، أو فليتلق هذا التفويض، أو نحو هذا؛ ثم يوصى بما يناسب تلك الولاية مما لا بد منه، ويحرص أن ينبّه فيه على العمل بالتقوى؛ ثم يختم بالدعاء للمولى بالإعانة والتأييد ونحو ذلك ثلاث دعوات، وأكثرها أربع، وأقلها اثنتان؛ ثم يقال: بعد الخطّ الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه أعلاه إن شاء الله تعالى؛ ثم التاريخ

والمستند، والحمدلة، والحسبة على العادة . ولم يقل فيه : وسبيل كل واقف عليه ، كما قال في "التعريف" .

وأعلم أن التقاليد على اختلافها لا تخرج في مقادير قطع الورق عن مقدارين :
الأول - قطع الثلثين بقلم الثلث الثقيل . وفيه يكتب لثواب السلطنة بمصر والشام مطلقا ، وكذلك الوزير ، والمشير ، وكاتب السر ، وقاضي قضاة الشافعية والحنفية بالديار المصرية .

الثاني - قطع النصف بقلم الثلث الخفيف . وفيه يكتب لذوى التقاليد من أمراء العرب : وهم أمير مكة المشرفة ، وأمير المدينة الشريفة ، وأمير آل فضل من عرب الشام على ما تقدم ذكره . ولا يكتب من التقاليد شيء فيما دون هذا المقدار من قطع الورق بحال . وسيأتي الكلام على نسخ التقاليد فيما بعد ، إن شاء الله تعالى .

النوع الثاني

(مما يكتب في الولايات السلطانية المراسيم)

جمع مرسوم ، أخذًا من قولهم : رسمت له كذا فارتسمه إذا آمنتله ، أو من قولهم : رسم على كذا إذا كتب ، ويحتمل أن يكون منهما جميعا .

وهي على ضربين :

الضرب الأول

(المراسيم المكبرة)

ولم يتعرض لها المقتر الشهابي ابن فضل الله في "التعريف" لأنها لم تكن مستعملة

في زمنه وإنما حدثت بعده .

قال فى "التثقيف" : وهى على نمط التقاليد ليس بينهما اختلافٌ إلا فى أمرين : أحدهما - أنه لا يكتب شىءٌ من المراسيم فى قطع الثلثين بل فى قطع النصف أو الثالث . الثانى - أنه لا يقال فيها «تقليدٌ شريفٌ» بل «مرسومٌ شريفٌ» .

قلت : ويفترقان من أربعة وجوه . أحدها - أنه يقتصر فى طرّة المرسوم على «الأميرى» دون «الكبرى» بخلاف التقاليد فإنه يقال فيها «الأميرى الكبرى» . الثانى - أنه يقال فى المرسوم : «أن يستقر» ولا يقال : «أن يفوض» ولا : «أن يُقلد» . الثالث - أنه لا يقال : «على أجمل العوائد وأتم القواعد» بل يقال : «على عادة من تقدمه وقاعدته» . الرابع - أنه لا يقال فى الصّدر : «أما بعد» بل «وبعد» .

قال : وهى تختص بتّواب القلاع المنصورة بالممالك الإسلامية، وأمراء العربان^(١) أو من بالشام وحلب، وشادى مراكز البريد وغيرهم .

ثم هى على طبقتين :

الطبقة الأولى - ما يكتب فى قطع النصف بقلم خفيف الثلث . وذلك للتّواب بالقلاع : من مقدّمى الألوّف والطّبليخانات : كئائب حمص، والرحبة، والبيرة، وقلعة المسامين، ومطية، وطرسوس، وأذنة، وبهسنى، والفتوحات الجاهانية وغيرها من يكتب له المجلس العالى والسامى بالياء أو بغيرياء على ما تقدم بيانه فى المكاتبات إليهم . وكذلك بعض أمراء العربان وهم أمير آل على، وأمير آل مرأ، وأمير بنى عقيبة . قال فى "التثقيف" : وصورة ما يكتب فى الطرّة أن يكتب :

(١) لعله من بالشام الخ . تأمل .

« مرسوم شريف بأن يستقر المجلس العالى أو السامى الأميرى ، الفلانى ، فلان (ويدعى له بما يناسبه) فى النيابة فى الجهة الفلانية على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه » .

فإن كانت النيابة مقدمة ألف : كنيابة الرحبة ونحوها ، كُتب فى طرة مرسوم نائبها : « مرسوم شريف بأن يستقر المجلس العالى الأميرى الفلانى فلان ، أدام الله تعالى نعمته ، فى المكان الفلانى على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كانت النيابة طبخاناها كتب : « مرسوم شريف بأن يستقر المجلس السامى الأمير فلان ، أدام الله تعالى تأييده فى النيابة بمكان كذا ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » ، أو كتب : « مرسوم شريف أن يستقر المجلس السامى الأمير فلان الدين فلان ، أدام الله تعالى تأييده فى النيابة بمكان كذا ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كانت نيابة قلعة دمشق ، كتب : « مرسوم شريف بأن يستقر المجلس العالى ، الأميرى ، فلان ، أدام الله تعالى نعمته فى النيابة بالقاعة المنصورة بدمشق المحروسة ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته ، على ما شرح فيه » . وكذلك كل قلعة بحسب ألقاب نائبيها التى يكتب بها .

ثم يكتب فى الصدر بعد البسملة خطبة مفتحة بالحمد لله ، ثم يقول : وبعد ، ويأتى بنحو ما تقدم ذكره فى التقاليد ، ثم يقال : ولما كان المجلس العالى أو السامى إلى آخر ألقابه ، ثم يقال : فلان ، ويدعى له بما جرت به عادته ، ويقال ما يفهم منه أنه المقصود بما تقدم ذكره من المدح والأوصاف السابقة ؛ ثم يقال : فلذلك رسم

بالأمر الشريف إلى آخره أن يستقر المشار إليه في كذا على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته، فليتلق ذلك ونحوه . ثم يوصى بما يناسب وظيفته التي تولّاها ، ويختم بنظير ما تقدم ذكره في ختم التقاليد .

الطبقة الثانية — من المراسيم المكبرة ما يكتب في قطع الثلث بقلم التوقيعات . قال في "التثقيف" : وصورته في الطرة والصدور على ما تقدم في الطبقة الأولى، إلا أن خطبته تفتتح بأما بعد حمد الله، وتختتم بما تقدم ذكره . قال : وقد تكتب لنواب القلاع من أمراء العشرات : مثل نائب بغراس ، ونائب الدر بساك ، ونائب كركر، ونائب الكختا، ونحوها . قال : وكذلك أرباب الوظائف غير النيابات، مثل شادّ الدواوين بالشام وحلب ، وشادّ مراكز البريد بهما، ونحو ذلك ؛ وبعض أمراء العرب : كأمر بنى مهدي ، ومقدم عرب جرم ، ومقدم عرب زبيد على ندره فيه . فإن كان المرسوم بناية من النيابات المذكورة وغيرها، كتب : «مرسوم كريم بأن يستقر المجلس السامى، الأمير فلان الدين أعزه الله تعالى، فى النيابة ببغراس ، أو بالدر بساك ، أو بكركر، وما أشبه ذلك على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بشدّ بالشام أو بحلب ، كتب : «مرسوم كريم أن يستقر المجلس السامى، الأمير، فلان الدين : أعزه الله تعالى فى شدّ الدواوين بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه» . وإن كان بشدّ مراكز البريد، أبدل لفظ «شدّ الدواوين» بلفظ «شدّ مراكز البريد بالمكان الفلانى» . وإن كان بإمرة بنى مهدي ، كتب : «فى إمرة بنى مهدي ، على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب جرم، كتب : «فى تقدمه عرب جرم، على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب زبيد، أبدل لفظ جرم بزبيد، وعلى ذلك .

الضرب الثاني

(من المراسيم التي تكتب بالولايات المراسيم المصغرة)

وهي ما يكتب في قطع العادة، وبها يكتب لأرباب السيوف بالولايات الصغيرة مثل نظير الأوقاف ونحوه . وهي صنفان :

الصنف الأول — ما يُترك فيه أوصالٌ بياض بين الطرة والبسمة، وهي أعلاها، ويكتب بالسامى بغير ياء أو مجلس الأمير :

وصورتها أن يكتب في الطرة : « مرسومٌ شريفٌ أن يستقر المجلس السامى الأمير فلان الدين ، أو مجلس الأمير فلان في كذا وكذا بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الوقف ، أو نحو ذلك ، على ما شرح فيه » ثم يكتب في الصدر بعد البسمة ماصورته : « رُسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطاني ، الملكى ، الفلاني » (باللقب الخاص ولقب السلطنة) ويدعى له بما فيه براعة الاستهلال بذكر الوظيفة أو اسم صاحبها أو لقبه ونحو ذلك ، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد « أن يستقر المجلس السامى ، الأمير ، الأجل » (إلى آخر ألقابه) ، أو أن يستقر مجلس الأمير ، الأجل (إلى آخر الألقاب) لما له من كذا وكذا (ويأتى من صفات المدح بما يناسب المقام) ثم يقال : فليباشر ذلك ، أو فليتلق ذلك ، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة بكذا ونحو ذلك . ثم يوصى بما يليق به ، ويدعى له بدعوتين فقط ؛ ثم يقال : بعد الخط الشريف العالى أعلاه الله تعالى .

قلت : وهذا الصنف إن روعى صاحبه ، كتب في قطع العادة المنصوري ، وإلا ففي قطع العادة الصغير . قال في "التثقيف" : ومما ينبه عليه أنه لا يكتب

مرسوم شريف في قطع العادة إلا بمثل نيابة الشقيف بصنف وصرخد ومجلون^(١) والصبيبة ، فإنه لا يؤلى فيها إلا مقدم حلقه او جندي ، ومثل هذا لا يكتب عن المواقف الشريفة إلا نادرا ، فإن كفال الممالك يستبدون بالتولية في ذلك .

الصنف الثاني — ما يكتب في هيئة ورقة الطريق ، ويكون في ثلاثة أوصال ، وصورته أن يكتب في الطرة ماصورته : «مرسوم شريف أن يستقر فلان ، أو أن يرتب فلان في كذا وكذا ، على ما شرح فيه» ويكون ذلك في سطرين ، ولا يكتب في أعلاه الأسم الشريف كما يكتب في غيره : لأن من المعلوم أنه لا يكتب في هذا إلا الأسم الشريف فيستغنى عن ذكره ، ثم يكتب في آخر ذلك الوصل : «رسم بالأمر الشريف» على نحو ما تقدم ، إلا أنه لا يحتاج في الدعاء إلى ما يكون فيه براعة استهلال ، بل يكفي «أعلاه الله وشرفه ، وأنفذه في الآفاق وصرفه» ونحو ذلك «أن يستقر فلان في كذا أو يرتب في كذا ، فليعتمد ذلك ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى» .

النوع الثالث

(ما يكتب في الولايات السلطانية التفاويض)

جمع تفويض ، وهو مصدر فوض الأمر إلى زيد إذا رده إليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ أى أردده إليه . قال في "التعريف" : وبه يكتب لعامة القضاة ، يعنى ممن دون أرباب التقاليد ، وهى من نمط التقاليد ، غير أنها يقال في تعريفها « تفويض شريف لفلان بكذا » . ومقتضى ما ذكره أنه إذا

(١) لعله وصفد بواو العطف . تأمل !

كتب « تفويض شريف بقضاء قضاة الديار المصرية مثلاً » يكتب في الطرة :
 « تفويض شريف للجلّاس العالى ، القاضوى ، الكبيرى » ، بقضاء قضاة المالكية
 بالديار المصرية ، على أجمال العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان
 المعمور على ما شرح فيه » ثم يأتى بنحو ما تقدّم ترتيبه فى التقاليد ، إلا أنه
 يكون أخصر .

قلت : ولم أقف على نسخة تفويض غير نسخة واحدة من إنشاء المقرّ الشهابي
 ابن فضل الله لبعض قضاة دمشق . وقد أنشأت أنا تفويضاً بقضاء قضاة المالكية
 بالديار المصرية لقاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطى ، حين ولى على أثر
 ولاية قاضى القضاة جلال الدين البلقينى^(١) قضاء قضاة الشافعية ، أفتتحته بلفظ :
 « الحمد لله الذى شفع جلال الإسلام بجماله » وكتبت له به ، وكتبت فى طرته :
 « تفويض شريف للجلّاس العالى ، القاضوى ، الجمالى » ، يوسف البساطى المالكى ،
 أعز الله تعالى أحكامه بقضاء قضاة المالكية بالديار المصرية ، على أجمال العوائد ،
 وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه » . وقرأته بالمجلس العام بالمدرسة المنصورية .
 وسأتى ذكر نسخته فى الكلام على النسخ فى المقصد الثانى من هذا الطرف ،
 إن شاء الله تعالى .

(١) بلقينة بضم الباء وسكون اللام وكسر القاف كما فى المعجم والقاموس .

النوع الرابع

(التواقيع ، جمع توقيع)

قد تقدّم في مقدّمة الكتاب عن ابن حاجب الثّمان في ذخيرة الكُتاب : أنّ التوقيع معناه في اللغة التأثير الخفيف ، ومنه قولهم : ناقةٌ موقّعةٌ الجنبه إذا أثر فيها الرّحل تأثيراً خفيفاً ، وأنه يحتمل غير ذلك . وفي اصطلاح الأقدمين من الكُتاب أنه اسم لما يُكتب في حواشى القصص نخطّ الخليفة أو الوزير في الزمن المتقدّم ، وخط كاتب السّر الآن ؛ ثم غاب حتّى صار علماً على نوع خاصّ مما يُكتب في الولايات وغيرها . قال في "التعريف" : وهي على أنموذج التفاوض . قال : وقد يقال : أن يرتّب ، وأن يقادّم ، ثم قال : وعنوانها « توقيع شريف لفلان بكذا » ولا يقال فيها على اختلافها : « وسبيل كل واقف عليه » كما في التقاليد ، بل يقال : « فليعتدّ ما رسم به فيه بعد الخطّ الشريف أعلاه » . وقد ذكر في "التعريف" أنها تكون لعامة أرباب الوظائف جليلها وحقييرها ، وكبيرها وصغيرها ، حتّى الطبليخانات اللاحقين بساؤ الكبار فمن دونهم . وقال في "التتقيف" : إنها مختصة بالمتعّممين من أرباب الوظائف الدينيّة والديوانية ، ولا يُكتب لأرباب السيوف منها إلا القليل : مثل نظر السيارستان ، ونظر الجامع الجديد ، ونظر الحرمين الشريفين ، يعنى حرم القدّس وحرم الخليل عليه السلام .

قلت : والجامع بين كلاميهما أنه في زمن صاحب "التعريف" كانت التواقيع تُكتب بالوظائف لأرباب السيوف من الثيابات وغيرها قبل أن تُحدّث المراسيم الكبرى المقدّمة الذكر ؛ ثم خصّصت التواقيع بعد ذلك بالمتعّممين دون أرباب

(١) الجنب والجانب والجنبه محرّكة شق الانسان . قاموس .

السيوف . ومضى الأمرُ على ذلك في زمن صاحب "التثقيف" بخرى على حكمه ولم يبقَ ممن يكتب له توقيعٌ من أرباب السيوف سوى نُظار الجهات الثلاث المتقدمة الذّكر : من البيارستان المنصوري ، والجامع الجديد الناصري بمصر، ونظر الحرمين : حرم القدس الشريف ، وحرم الخليل عليه السلام . والحكمُ باق على ذلك إلى الآن .

ثم التواقيع على اختلافها لا تخرج عن أربع طبقات :

الطبقة الأولى

(ما يفتتح بخطبة مفتحة بالحمد لله ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع النصف بقلم خفيف الثلث . قال في "التثقيف" : وصورته يعني ما يكتب به لأرباب الأقلام أن يكتب في الطرة : « توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالي ، القاضوي ، الكبيرى ، الفلانى » (ويدعى له دعوة واحدة) بما جرت به عادته ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت على ما شرح فيه .

قال : فإن كان حاكماً ، كتب له بعد الكبيرى ، الحاكمى . وإن كان كاتب السرّ ، كتب له بعد الكبيرى ، اليمينى ، لا غير . ثم يكتب في الصدر خطبة مفتحة بالحمد لله ثم يقال : أما بعد ، والتّمة على نظير ما ذكر في التقاليد إلا فيما يليق بالوظيفة والمتولى لها مما يناسب الحال . وقد ذكر في "التثقيف" أنه كان يكتب بذلك للقضاة الأربعة بالديار المصرية ، والقضاة الأربعة بالشام ، وكاتب السرّ بمصر

(١) لم يذكر المفوض به إليه للعلم به من نظائره والأصل أن يفوض الى المجلس نظر الجامع

الجديد الناصرى مثلاً بما جرت به الخفتنه .

والشام ، وناظر الجيش بهما ، وناظر الدواوين المعمورة والصَّحْبَةُ الشريفة ، وهو ناظرُ الدولة .

وحينئذ فإن كتب بذلك لقاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية على ما كان الأمر عليه أولاً ، كتب فى الطرة « توقيع شريف بأن يستقر المجلس العالى ، القاضى ، الكبيرى ، الفلانى ، فلان : أعز الله تعالى أحكامه ، فى قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية ، على أجمل العوائد وأتمها ، وأكمل القواعد وأعمها ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور ، على ما شرح فيه » .

وإن كتب به لقاضى القضاة الحنفية ، على ما كان الأمر عليه أولاً أيضاً ، كتب له نظير قاضى القضاة الشافعية إلا أنه يُبدل لفظ الشافعية بـ «الحنفية» .

وإن كتب لقاضى القضاة المالكية ، على ما الأمر مستقر عليه الآن ، كتب له كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية والحنفية بـ «المالكية» .

وإن كتب لقاضى القضاة الحنابلة فكذلك ، ويقال فيه «الحنابلة» .

وإن كتب به لأحد من القضاة الأربعة بالشام ، فكذلك ، إلا أنه يقال قضاء قضاة الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو الحنابلة بالشام المحروس .

وإن كتب به لكاتب السر على ما كان الأمر عليه أولاً ، كتب : « توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالى ، القاضى ، الكبيرى ، اليمينى فلان ، ضاعف الله تعالى نعمته ، صحابة دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية أعلاها الله تعالى ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور ، على ما شرح فيه » .

وإن كُتِبَ به لكتابِ السمرِّ بالشام، أُبدِلَ لفظُ الممالكِ الإسلامية: «الشام المحروس» .

وإن كُتِبَ به لناظر الجيش بالديارِ المصريَّة، كتب: «توقيعُ شريفٍ بأن يفوض إلى المجلسِ العالی، القاضويِّ، الكبيرِ، الفلانيِّ، ضاعفَ الله تعالى نعمته، نظرُ الجيوش المنصورةِ بالممالكِ الإسلاميَّة، أعلاها الله تعالى على ما شرح فيه» .

وإن كُتِبَ به لناظرِ الجيشِ بالشام، أُبدِلَ لفظُ الممالكِ الإسلاميَّة: «الشام المحروس» .

وإن كُتِبَ به لناظرِ الدولة، كُتِبَ: «توقيعُ شريفٍ بأن يفوض إلى المجلسِ العالی، القاضويِّ، الكبيرِ، الفلانيِّ، فلان، ضاعفَ الله تعالى نعمته، نظرُ الدواوين المعمورةِ والصَّحْبَةُ الشريفةُ، على أجملِ العوائد، وأكملِ القواعد، بالمعلومِ الشاهدِ به الديوانُ المعمورُ على ما شرح فيه» .

وإن كُتِبَ به لناظرِ البيمارستانِ لصاحبِ سيفٍ، كتب: «توقيعُ شريفٍ أن يفوض إلى المقرِّ الكريم، أو الجنابِ الكريم، أو العالی (على قدر رُتبته) الأميرِ، الكبيرِ، الفلانيِّ، فلانِ الناصريِّ مثلاً: أعزَّ الله أنصاره، أو نُصرتَه، أو ضاعفَ الله تعالى نعمته (بحسب ما يُلِيقُ به) نظرُ البيمارستانِ المعمورِ المنصوريِّ، على أجملِ العوائد، وأكملِ القواعد، بما لذلك من المعلومِ الشاهدِ به الديوانِ المعمورِ على ما شرح فيه» . وكذلك نظرُ الجامعِ الحديدِ ونظرُ الحرمینِ الشريفینِ كلُّ بما يناسب الألقاب . وعلى ذلك .

المرتبة الثانية من التواقيع — ما يكتب فى قَطْعِ التلث بقلم التوقيعات ، وهو لمن مرتبته السامى بالياء . قال فى "التثقيف" : وصورته فى الطَّرة والصدر على ما تقدم شرحه لكن بأخصر مما تقدم . قال : وبذلك يكتب لتقيب الأشراف ولقضاة القضاة بحلب وطرابلس وحماة وصدف والكرک ، وكذلك لقضاة العسكر بالممالك المذكورة والمفتين بدار العدل بها ، ووكلاء بيت المال بها ، والمحتسين ، ونظار الجيش بها ، وكتاب الدشت بمصر والشام ، وناظر البيوت بالديار المصرية . وكذلك ناظر خزائن السلاح ، ومستوفى الصحبة ، وناظر بيت المال ، وناظر الخزانة الكبرى وخزانة الخصاص ، وناظر الأحباس ، ومشايخ الخواص الجبار : كسعيد السعداء ، وبيبرس بالقاهرة ، والشميمصاتيبة بدمشق . وكذلك مقدمة التركان بالشام ، وتقديم الأكراد به ، ومشيخة العائد .

فإن كتب بذلك لتقيب الأشراف ، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، الأميرى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى علوه ، فى نقابة الأشراف بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه وقاعدته ، على ما شرح فيه» .

وإن كتب لقضاة الشافعية بحلب ، كتب «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أيد الله تعالى أحكامه ، فى قضاء قضاة الشافعية بحلب المحروسة ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه» .

وإن كتب للحنفى بها كتب كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية بـ«الحنفية» وكذا فى المالكية والحنابلة .

وإن كتب لأحد قضاة القضاة غيرها : كطرابلس ، وحماة ، وصدف ، والكرک ، أبدل لفظ حلب بلفظ تلك المدينة ، والباقي على حكمه .

وإن كتب لأحدٍ من قضاة العسكر بالممالك المذكورة ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، فلان الشافعى ، مثلا أونحو ذلك : أيد الله تعالى أحكامه ، فى قضاء العسكر المنصور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب بإفتاء دار العدل بشىء من هذه الممالك ، أبدل لفظ « قضاء العسكر » بلفظ « إفتاء دار العدل » والباقى على حكمه .

وإن كتب لأحدٍ من وكلاء بيت المال بها ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى وكالة بيت المال المعمور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من المحتسبين بهذه الممالك ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى نظر الحسبة الشريفة بالمكان الفلانى على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من وكلاء بيت المال بها ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى وكالة بيت المال المعمور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من نظار الجيش بها ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى نظر الجيوش المنصورة بالمملكة الفلانية ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من كُتَّاب الدَّست بالديار المصرية، كتب «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى، القضاءى، الفلانى، فلان: أدام الله تعالى رفعتَه، فى كتابة الدَّست الشريف بالأبواب الشريفة». ثم إن كان عن وفاة عينه أو نزول عينه . وإن كان بالشام، أُبدل لفظ «بالأبواب الشريفة» بلفظ «بالشام المحروس» .

وإن كتب بذلك فى نظر البيوت بالديار المصرية، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى، القضاءى، الفلانى: أدام الله رفعتَه، فى نظر البيوت المعمورة» .

وإن كُتب لأحدٍ بنظر خزانة السلاح بالديار المصرية، كتب «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى، القضاءى، الفلانى: أدام الله رفعتَه، فى خزانة السلاح المنصورة، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب باستيفاء الصُّحبة، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى، القضاءى، الفلانى: أدام الله رفعتَه، فى آستيفاء الصُّحبة الشريفة، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب بنظر بيت المال، كتب «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى، القضاءى، الفلانى: أدام الله رفعتَه، فى نظر بيت المال المعمور، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب بنظر الخزانة الكُبرى، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى، القضاءى، الفلانى: أدام الله رفعتَه، فى نظر الخزانة العالية الكُبرى، على عادة من تقدّمه وقاعدته» .

وإن كتب بنظر خزانة الخاص ، أبدل لفظ الخزانة العالية الكبرى بلفظ خزانة الخاص الشريف ، والباقي على ما تقدم .

وإن كتب بنظر الأحباس ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضائى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، في نظر الأحباس المبرورة ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته » .

وإن كتب بمشيخة الخانقاه الصلاحية (سعيد السعداء) كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، الشيخى ، الفلانى : أعاد الله تعالى من بركاته ، في مشيخة الخانقاه الصلاحية ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب بمشيخة خانقاه بيبرس ، أبدل لفظ « الخانقاه الصلاحية » بلفظ « الخانقاه الركنية بيبرس » والباقي على ما تقدم .

وإن كتب بمشيخة الشميصاتية بدمشق ، أبدل ذلك بلفظ « الخانقاه الشميصاتية بالشام المحروس » .

وإن كتب بتقدمة التركان بالشام ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، الفلانى : أعزّه الله تعالى ، في تقدمه التركان بالشام المحروس ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب بتقدمة الأكراد ، أبدل لفظ « التركان » بلفظ « الأكراد » .

وإن كتب بمشيخة العائد ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى الفلانى : أعزّه الله تعالى ، في مشيخة العائد ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .
وعلى ذلك .

الطبقة الثانية

(من التواقيع ما يُفْتَح بلفظ « أما بعد حمد الله » وهو لمن رُتِبته

السامى بغير ياء ، وهى على مرتبتين)

المرتبة الأولى - ما يُكْتَب فى قَطْع الثلث ، وهو الاصل فيما يُكْتَب فى الثلث ثم تَرُقُّ عنه إلى رُتْبَةِ الاَفْتِتاح بالحمد . ألا ترى أن المناشِيرَ التى تُكْتَب فى قَطْع الثلث بقلم التوقيعات تَفْتَح كلُّها بلفظ « أما بعد » على ما سيأتى بيانه فى المقالة السادسة ، فى الكلام على المناشير ، إن شاء الله تعالى .

وصورته أن يكتب فى الطزرة « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، فلان الدين أو الشيخ فلان الدين فى كذا ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته ، على ما شرح فيه » ثم يكتب فى الصدر « أما بعد حمد الله » ويصل على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : « فإن أولى الأمور بكذا من هو بصفة كذا » أو « إن أولى الناس بالتقديم من هو متصف بكذا » ونحو ذلك ، ثم يقال : « ولما كان المجلس » ويؤتى بنحو ما تقدم فى المفتاح بالحمد لله .

قلت : وقد قلَّ استعمال هذا الضرب بديوان الإنشاء الشريف وإن كان هو الأصل فيما يكتب فى هذا القطع ، حتى لا يكاد يكتب به إلا فى النادر ، تعالياً فى رفعة المكتوب لهم ، مع المسامحة لهم فى مثل ذلك .

المرتبة الثانية - ما يُكْتَب فى قَطْع العادة المنصورى .

والأمر فيه على ما تقدم فيما يكتب من هذه الطبقة فى قطع الثلث . قال فى « التثيف » : وهو قليل جداً لا يكون إلا فى تدريس كبير ، أو نظري وقفي

كبير، أو مشيخة الحرم الشريف بالقدس الشريف، إن لم يكن في قطع الثلث؛
أو لرجلٍ كبيرٍ قديمٍ المهجرة في الخدمة الشريفة، إلا أن الوظيفة صغيرة لا تقتضى أن
تكون في قطع الثلث .

الطبقة الثالثة

(من التواقيع ما يفتتح بلفظ «رُسم بالأمر الشريف» وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع العادة المنصوري بقلم الرقاع، وهو لمن
رتبته السامى بغيراء ممن لم تبلغ رتبته قطع الثلث . قال في «التثقيف»: «وصورته
أن يكتب في الطرة «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى القاضى فلان الدين؛
أعزه الله تعالى في كذا، أو أن يُرتب، أو أن يُقدم» ويذكر ما تضمّنه الشاهد
من قصة أو قائمة من ديوان الوزارة أو الخصاص أو غير ذلك «على ما شرح فيه». قال:
ثم يكتب في الصدر بعد البسملة «رُسم بالأمر الشريف العالى، المولى،
السلطانى، الملكى، الفلانى، الفلانى، باللقب الخاص، ولقب السلطنة»: «
مثل الناصرى، الزينى، ونحو ذلك (ويدعى للسلطان بأدعية تناسب الوظيفة
والمولى لها، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد) «أن يستقر المجلس السامى، القاضى،
فلان الدين فلان، أو مجلس القاضى فلان الدين فلان: أعزه الله تعالى في كذا،
لما له من صفات هي كذا وكذا (ويأتى من صفات المدح بما يناسب المقام)
ثم يقال: فليباشر ذلك، أو فليتناق هذا الإحسان، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة»
ونحو ذلك؛ ثم يوصى بما يليق بتلك الرتبة، ويدعى له بسجعتين فقط . ثم يقال:
«بعد الخط الشريف أعلاه». ثم قال: وبذلك يكتب لكتاب الدرّج، ومستوفى

الدولة ، وناظر الأَهْرَاء ، وناظر المَطَابِخ ، ومشايع الخَوَانِق الصَّغَار ، والتَّدْرِيس الصَّغَار ، وأنظارِ الأَوْقَافِ الصَّغَار ، ونحو ذلك مما لا يأخذه حَضْر .

وحيثُذ فإن كُتِبَ بِذَلِكَ لِكَاتِبِ دَرَج ، كُتِبَ فِي الطَّرَةِ « تَوْقِيعِ شَرِيفُ »
 أَن يَسْتَقَرَّ مَجْلِسُ الْقَاضِي فَلَانَ الدِّينِ فَلَانَ : أَعَزَّهُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابَةِ الدَّرَجِ
 الشَّرِيفِ » .

وإن كُتِبَ بِهِ لِمَسْتَوِفٍ مِنْ مَسْتَوِفِي الدَّوْلَةِ ، كُتِبَ « أَن يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِي ،
 الْقَاضِي ، فَلَانَ الدِّينِ فَلَانَ : أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ ، فِي آسْتِيفَاءِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى عَادَةِ
 مِنْ تَقَدَّمَهُ » .

وإن كُتِبَ لِنَازِرِ الأَهْرَاءِ ، كُتِبَ « أَن يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِي ، الْقَاضِي ،
 فَلَانَ الدِّينِ فَلَانَ : أَدَامَ اللهُ رَفَعَتَهُ ، فِي نَظَرِ الأَهْرَاءِ السَّعِيدَةِ » .

وإن كُتِبَ بِنَظَرِ مَطَابِخِ السُّكَّرِ ، كُتِبَ « أَن يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِي ، الْقَاضِي ،
 فَلَانَ الدِّينِ فَلَانَ : أَدَامَ اللهُ تَعَالَى رَفَعَتَهُ ، فِي نَظَرِ المَطَابِخِ السَّعِيدَةِ » .

وإن كُتِبَ بِمَشِيخَةِ خَانِقَاهِ صَغِيرَةٍ ، كُتِبَ « أَن يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِي ، الشَّيْخِي ،
 فَلَانَ الدِّينِ فَلَانَ ، أَوْ مَجْلِسُ الشَّيْخِ فَلَانَ الدِّينِ فَلَانَ : نَفَعَ اللهُ تَعَالَى بِرَكَتِهِ ، فِي مَشِيخَةِ
 الْخَانِقَاهِ الْفَلَانِيَةِ ، عَلَى عَادَةِ مِنْ تَقَدَّمَهُ فِي ذَلِكَ وَقَاعَتِهِ » .

وإن كُتِبَ بِتَدْرِيسِ صَغِيرٍ ، كُتِبَ « أَن يَسْتَقَرَّ فِي تَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ الْفَلَانِيَةِ ،
 عَلَى عَادَةِ مِنْ تَقَدَّمَهُ وَقَاعَتِهِ » .

وإن كُتِبَ بِنَظَرِ وَقْفٍ ، كُتِبَ « أَن يَسْتَقَرَّ فِي نَظَرِ الْوَقْفِ الْفَلَانِيِّ »
 وَنَحْوِ ذَلِكَ .

ثم إن كان لشيء من ذلك معلوم يشهد به الديوان السلطاني ككتابة الدرّج وأستيفاء الدولة ، كُتِبَ بعد قوله وقاعدته : « بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور » .

وإن كان الشاهد بالمعلوم كتاب وقف ، كتب « بما لذلك من المعلوم الشاهد به كتاب الوقف المبرور » . ويقول في آخر طرّة كل ولاية من التقاليد ، والتفاويض ، والمراسيم ، والتواقيع على اختلافها : « على ما سُرح فيه » .

الطبقة الرابعة

(التواقيع الصّغار ، وهي لأصغر ما يكون من الولايات :

من نظروقف صغير ونحو ذلك ، وتكون في ثلاثة أوصال ونحوها)

وهي على ضربين

الضرب الأوّل — ما يكتب على مثال أوراق الطّريق .

وصورتها أن يكتب في أعلى الدرّج : « توقيع شريف بأن يستقر فلان في كذا ، على ما سُرح فيه » . ويكون ذلك في سطرين ، ثم يكتب في آخر ذلك الوصل : « رُسم بالأمر الشريف العالی المولوي السلطاني » إلى آخر ما تقدم في الطبقة الثالثة . ويقال في الدعاء : « أعلاه الله وشرفه ، وأنفذه وصرّفه » ونحو ذلك . ثم يقال : « أن يستقر فلان في كذا » ويشرح ما تضمنه الجواب في هامش القصة . ثم يقال : « فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، من غير عدول عنه ولا خروج عن معناه ، بعد الخط الشريف أعلاه » .

الضرب الثانى - ما يكتب على ظهور القصاص .

وكيفيته أن تلصق القصة التي شملها جواب كاتب السر أو غيره على واصلين من ورق العادة الصغير . قال في "التثقيف" : وصورتها أن يكتب في ظاهر القصة بغير بسملة قبل الوصل الذي وصله بنحو أربعة أصابع ماصورته : « رُسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى » على نحو ما تقدم . ويدعى له : « أعلاه الله وشرفه » ، وأنفذه وصرفه « على ما تقدم في الضرب الأول . ثم يقال : « أن يتأمل ما أنهاه رافعها باطنا ، وليتقدم بكذا وكذا » ويشرح ماتضمنه الجواب في هامش القصة . ثم يقال : « فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخط الشريف أعلاه » . قال : وإن كان رافع القصة ممن هو متميز بعض التميز قيل : « مترجمها » بدل « رافعها » . فإن زيد في قدره ، قيل : « ما ذكره مجلس القاضى أو المجلس السامى القاضى » إن كان من هذه الرتبة ، وتذكر بعض ألقابه . ثم يقال : « أدام الله علوه » أو « أعزه الله ، فليتقدم » ويكمل إلى آخره .

وأعلم أن المقر الشهابى ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر في "التعريف" افتتاحات أخرى للتواقيع بين رتبة «أما بعد حمد الله» ورتبة «رسم بالأمر الشريف» فقال : بعد الافتتاح بأما بعد حمد الله : وقد تستفتح بقول : «أما بعد فإن أولى ما كان كذا» أو ما هذا معناه ، وقد تستفتح بقول : «من حسنت طرائقه ، وحمدت خلائقه» أو ما هذا معناه ، وجعلها رتبة بعد رتبة .

قلت : وهذه الافتتاحات كانت مستعملة في الدولة العباسية ببغداد ، وفي الدولة الفاطمية بالديار المصرية والبلاد الشامية ، ثم في الدولة التركية إلى زمن المقر الشهابى

المشار إليه في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون؛ ثم رُفِضَتْ بعد ذلك، وتُرك استعمالها بالديار المصرية البتّة، فلم يكن أحدٌ من كُتّاب ديوان الإنشاء يستعمل شيئاً منها .

المقصد الثالث

(في بيان كيفية وضع ما يكتب في هذه الولايات في الورق ،
ويتعلّق به عشرة أمور)

الأمر الأول — الطّرة، وهي في اصطلاحهم عبارة عن طَرَف الدَّرَج من أعلاه، ثم أطلقوه على ما يكتب في رأس الدَّرَج مجازاً، تسميةً للشيء باسم محلّه .

قلت : وليس صحيحاً من حيث اللغة، فإنّه في الأصل مأخوذ من طُرة الثوب . وقد ذكر الجوهريّ وغيره أن طُرة الثوب هي طَرَفه الذي لا هُدب فيه، والذي لا هُدب فيه من الثوب هو حاشيته، بخلاف أعلاه وأسفله . نعم يجوز أن تكون مأخوذة من الطَّر بمعنى القطع ، لأن الطّرة مقتطعة عن كتابة المتن ، يفصل بينهما بياض ، ومنه سُمي الشَّعر المرسل على الصُّدغ طُرة . وقد جرت العادة في كل ما يكتب له طُرة أن يكتب في أعلى الدَّرَج في الوَسَط بقلم الرِّقاع بكل حالٍ ماصورته « الأسم الشريف » ثم تكتب الطّرة تلو ذلك من أول عَرْض الدَّرَج إلى آخره ، دون هامشٍ عن يمينٍ ولا شمال : بحيث تكون أطراف المنتصبات من أول السطر الأول ملاصقةً لأسفل ما كُتب في أعلى الدَّرَج مما تقدّم ذكره . ويأتي بالطّرة المناسبة : من تقليد ، أو رسوم ، أو تفويض ، أو توقيع ، بالقلم المناسب لمقدار قطع ذلك الورق على ما تقدّم بيانه ، ويأتي على ما يكتب في الطّرة على ما تقتضيه

الحال ، على ما سبق ذكره إلى أن ينتهى إلى آخره . فإن أنتهى فى أثناء سطرٍ ، تركَ باقىه بياضا ، وكتب فى آخره «على ماشرح فيه» بحيث يوافق آخر ذلك آخر السطر . وإن أنتهى ما يكتب فى الطرة فى آخر السطر ، كتب تحت ذلك السطر على حياىل آخره «على ماشرح فيه» كما تقدم ، لا يختلف الحال فى ذلك فى مكتوب ولاية ، إلا فيما يكتب على ظهور القمص : فإن العادة جرت فيه أن لا يكون له طرة ، ولا يكتب فى أعلاه الأسم الشريف : لأنه قد علم أنه لا يكتب فيه إلا الأسم الشريف ، فلم يحتج إلى تنبيه على ذلك .

الأمر الثانى — البسمة الشريفة . ومن شأنها أن تكتب فى أول كل ولاية لها شأن ، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « كل أمرى ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجدم » يعنى ناقص البركة . ومحلها من كتب الولايات فى أول الوصل الرابع بعد أوصال البياض . أما ما لا بال له من كتب الولايات : كالتواقيع التى على ظهور القمص وما هو منها على صورة أوراق الطريق ، فقد جرى الاصطلاح على أنه لا يكتب فى أولها بسمة أصلا ، بل تفتح بـ «رسم بالأمر الشريف» .

قلت : وقد كان القاضى علاء الدين على الكركى حين ولى كتابة السر الشريف بالديار المصرية فى أول سلطنة الظاهر برقوق الثانية أمر أن تكتب فى أول هذه التواقيع بسمة لطيفة المقدار ، طلبا للتبرك ، ثم ترك ذلك بعد موته وانتقال الوظيفة إلى غيره . ولا يخفى أن ما عليه الاصطلاح هو الوجه : فإن النبى صلى الله عليه وسلم قد قيد ما يبدأ بالبسمة بما يكون له بال من الأمور ، ومقتضاه أن ما لا بال له لا يبدأ فيه بسمة . على أنه قد كان أمر أن تجعل البسمة قبل قوله «رسم بالأمر

الشريف» ومقتضى ذلك أن تقع العلامة فوق البسمة، وفيه ما لا يخفى. بخلاف غيره من الولايات الكبار فإن العلامة تكون فيها تحت السطر الثاني من البسمة، على ما سيأتي بيانه.

الأمر الثالث — الأفتاح الذي يلي البسمة. وقد علمت مما تقدم أن الذي استقر عليه أفتاح كتب الولايات على اختلافها من أعلى وأدنى لا يخرج عن ثلاثة أصناف:

أحدها — الأفتاح بالحمد لله، وهو أعلاها. ثم تختلف رتبته بعد ذلك باختلاف ما يكتب فيه من مقادير قطع الورق: إذ هو تارة تفتتح به التقاليد، وتارة تفتتح به المراسيم المكبرة، وتارة تفتتح به التفاويض، وتارة تفتتح به بأر التواقيع.

الثاني — الأفتاح بأما بعد حمد الله. وهو المرتبة الثانية من المراسيم المكبرة، والتواقيع الكبار. وتكون في قطع الثلث تارة، وفي قطع العادة المنصوري أخرى.

الثالث — الأفتاح برسم بالأمر الشريف. وهو المرتبة الثالثة من المراسيم والتواقيع، وهي أدنى رتبها. وتكون في قطع العادة الصغير، وربما كتبت بها في قطع العادة المنصوري.

الأمر الرابع — البعدية فيما يفتتح فيه بالحمد لله، وهو على ضربين.

الأول — أن يقال بعد التحميد والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: أما بعد، وهو الأعلى. وتكون في التقاليد خاصة.

الثاني — وبعد، وهي دون أما بعد. وتكون في التفاويض وكبار المراسيم والتواقيع. وقد مر القول على ذلك مستوفى في الكلام على القوائم في المقالة الثالثة.

الأمر الخامس — وصفُ المتولّى بما يُناسب مقامه ومقام الولاية من المدح والتقريض . وقد مرّ القولُ على ذلك فى المقصد الأوّل من هذا الطّرف، فى الكلام على مقدّمات الولايات .

الأمر السادس — الألقابُ المختصّة بصاحب الولاية . قد تقدّم أنه يذكر فى الطّرة بعض الألقاب التابعة للقب الأصيل : من المقرّ والجناب وغيرهما، مع التصريح باسم المتولّى والدعاء له بما يُناسبه، على ما تقدّم بيّنه هناك . أما فى أثناء الولاية، فإنه يُستوعب جميع ألقابه ويعاد ذكر الأسم والدعاء المذكور فى الطّرة . وقد تقدّم ذكر الألقاب مستوفى فى المقصد الأوّل من هذا الفصل فى الكلام على مقدّمات الولايات .

الأمر السابع — وصيّة صاحب الولاية بما يُناسب ولايته . وقد تقدّم التنبيه على ذلك فى الكلام على مقدّمات الولايات أيضا .

الأمر الثامن — الدعاء لصاحب الولاية بما يُناسبه إذا كان مستحقاً لذلك . وقد ذكر فى " التعريف " أن من استصغر من المولّين لا يدعى له فى أوّل ولاية ولا آخرها، وربما قيل بدل الدعاء أو بعده : « والخيرُ يكون » .

الأمر التاسع — الخواتم : من كتابة « إن شاء الله تعالى » والتاريخ، والمستند، والحمدلة، والتصلية، على نحو ما تقدّم فى المكاتبات .

فأما المشيئة، فإنه يكتب فى آخر مكتوب كل ولاية : « إن شاء الله تعالى » فى سطرٍ منفردٍ .

وأما التاريخ، فإنه يكتب فى سطرين كما تقدّم فى المكاتبات، فيكتب « كتب فى يوم كذا من شهر كذا » فى سطر، ويكتب « سنة كذا وكذا » فى سطر تحته .

وأما المستند، فإنه يكتب تحت التاريخ، كما تقدم في المكاتبات . فإن كان بتلقّي كاتب السرّ، كُتِبَ في سطرٍ واحد « حسبَ المرسومِ الشريفِ » . وإن كان برسالة الدوّادار، كتب « حسبَ المرسومِ الشريفِ » في سطر ، ثم كتب في سطرٍ تحته « برسالة الجناب العالي الأميريّ ، الكبيريّ ، الفلانيّ الدوّادار ، الناصريّ » مثلا . وإن كان بخط السلطان، كتب « حسبَ الخطِّ الشريفِ » . وإن كان بإشارة النائب الكافل، كتب « بالإشارة العالية الأميرية الكبرى الفلانية » في سطر، وكتب « كافل الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى » في سطرٍ تحته . وإن كان بإشارة الوزير، كتب « بالإشارة العالية الصحاحية الوزيرية الفلانية » في سطر ، ثم كتب في السطر الثاني « مدبر الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى » . وإن كان الوزير صاحب سيف ، أسقط منها « الصحاحية » . اللهم إلا أن يكون مرسوماً صغيراً أو توقيعاً صغيراً مما كُتِبَ في هيئة ورقة الطريق أو على ظهر القصة ، فإنه إن كان بتلقّي كاتب السرّ، كُتِبَ المستند على حاشية التوقيع على سَمْت ما بين السطر الأول والثاني . وإن كان بإشارة النائب الكافل كُتِبَ هناك « بالإشارة العالية » سطرين ، على نحو ما تقدم فيما يُكْتَب تحت التاريخ . وإن كان بإشارة الوزير، فالأمر كذلك . وإن كان برسالة الدوّادار، كتب على الحاشية هناك « حسبَ المرسومِ الشريفِ » ، ثم كُتِب تحت التاريخ « برسالة الجناب العالي » إلى آخر المستند .

وأما الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ففي سطر تحت المستند ، كما في المكاتبات ، يكتب فيها « الحمد لله وحده » ثم يُحَلَّى بياضاً ، ثم يكتب « وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه » .

وأما الحسبة ، ففي سطر تحت ذلك يكتب فيه « حسبنا الله ونعم الوكيل » على ما تقدم في المكاتبات .

الأمر العاشر — البياض الواقع في كُتب الولايات، وله ستة مواضع :
الأول — فيما بين الطرة والبسمة ، وهي ثلاثة أوصال بالوصل الذى فيه الطرة ، لا يتجاوز ذلك في مقدار قطع كبير ولا صغير . إلا أنه ربما اقتصر على وصلين فيما استصغر شأنه من الرتبة الثالثة من التواقع .

الثانى — الحاشية فيما على يمين البسمة وما بعدها . وأهل زماننا يعبرون عن ذلك بالهامش ، ولم أجد له أصلا في اللغة . وقد تقدم القول عليها في المقالة الثالثة ، في الكلام على متعلقات قطع الورق وما ينخرط في سلكه . أما آخر الأسطر فإنه لا بياض فيه ؛ على أن ملوك الروم يجعلون لكتبهم حاشية من أول الأسطر وحاشية من آخرها ، على ما تقدم القول عليها في الكتب الواردة عن صاحب القسطنطينية .

الثالث — بيت العلامة ؛ وهو فيما بين السطر الأول : وهو الذى يلي البسمة ، وبين السطر الثانى : وهو الذى يكون فى آخر وصل البسمة . وقد تقدم فى الكلام على مقادير الورق فى المقالة الثالثة أن مقداره فى الزمن القديم كان قدر شبر ، وقد شاهدناه دون ذلك بقليل فيما كتب به فى الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" على ما يشهد به الموجود من تواقعهم ؛ ثم تناقص قليلا . فلما غلا الورق وقصرت الأوصال نقص مقداره حتى صار نحو شبر^(١) ، وهو على ذلك إلى الآن . ويزيد ذلك وينقص باعتبار قطع الورق فإنه فى القطع الكبير يكون الوصل أطول منه فى القطع الصغير .

(١) لعله نحو "نصف شبر" كما لا يخفى .

الرابع — ما بين الأسطر في متن الولاية . وهو على مقدار النصف من بيت العلامة في القطع الكبير والقطع الصغير ، لا يكاد ذلك يختلف إلا في التواقيع والمراسيم التي هي على هيئة أوراق الطريق ، والتي على ظهور القصص فإن ما بين السطرين منها يكون متضابقاً حتى يكون بقدر ثلاثة أصابع مطبوقية .

الخامس — ما بين أسطر اللواحق فيما بعد «إن شاء الله تعالى» فإنه يكون ما بين كل سطرين من ذلك قدر نصف ما بين السطرين في متن الولاية ، إلا في المستند إذا كان سطرين ، مثل أن يكون برسالة الدوادار ونحوها ، فإن السطرين يكونان متلاصقين .

السادس — ما بعد اللواحق في آخر الكتاب ، وهو قدر يسير يكون قدر إصبعين مطبوقين أو ثلاثة أصابع مطبوقات وما قارب ذلك .

المهيع الثاني

(في ذكر نسخ مما يكتب في متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكبرة والتفاويض والتواقيع)

قلت : وقد كنت هممت أن أجعل آت التقاليد ، والتفاويض ، والمراسيم ، والتواقيع : من الأفتتاح «الحمد لله» أو «رأما بعد حمد الله» أو «رسم بالأمر الشريف» في فصل مستقل ، ومقاصدها المتعلقة بالوظيفة ... (١) ... الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب من الأبتدآت المناسبة للاسم أو اللقب ونحوهما ثم يبين القصد المتعلق بالوصف . ثم أضربت عن ذلك وأتيت بالنسخ على صورتها لأمر : منها — أن في تضييع النسخة إفساداً لصورتها وضياع فضيلة المنشئين (١) بياض بالأصل في غير نسخة ولعله «في فصل على حدة ليخار الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب الخ» .

وإشاعة ذكركم . ومنها - أن يعرف أن الصورة التي تُورد مما كُتِب به في الزمن السابق ، وأنها مصطلح قد أصطلح عليه أهل ذلك الزمان . ومنها - أن يعرف المنشئ ترتيب من تقدم لينسج على منواله . وإذا أراد من لأدربة له بالإشياء أخذ تجميدة من تقليد أو توقيع وغيرهما ونقلها إلى مقصد من مقاصد الولاية لم يعجزه ذلك .

ثم قسمته على ثلاثة أقسام .

القسم الأول

(ولايات وظائف الديار المصرية ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(الولايات بالحضرة ، وهي على ستة أضرب)

الأضرب الأول

(ولايات ارباب السيوف ، وهي على طبقتين)

الطبقة الأولى

(ذوات التقاليد ، وهي ثلاث وظائف)

الوظيفة الأولى

(الكفالة ، وهي نيابة السلطنة بالحضرة)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف المملكة في المقالة الثانية أن الكفالة هي أعلى رتب نيابة السلطنة ، وأن النائب الكافل يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ، ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك ؛ بخلاف غيره من النواب فإن كل نائب لا يعلم إلا على ما يختص بمخاصه نيابته . وقد تقدم في مقدمة الولايات أن لقبه «المقرّ الكريم» على ما استقر عليه الحال .

وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة ، كُتِبَ بها من إنشاء الشهاب محمود الحلبي
رحمه الله ، وهي :

الحمد لله الذي جعل ركن الدولة في دولتنا القاهرة ثابت القواعد ، على فرقد
الفرأقد ، راقياً في رتب العلو الآخذة من أفق التأييد بالمطالع ومن نطق العز بالمعاقد ؛
حالياً بعقود المهابة التي لا تزال لرعيها على الأعداء طلائع خيل في المراقب وورائع
خيال في المراقد ، حاوياً من أنواع المفانر ما لو كثرته الدراري غدت وهي
لمجموعه فرأقد ، أو فخرته الدرر ثقتها الأفكار النواقد ، مقلداً من سيوف الظفر
ملا تلبو في نصره الإسلام مضاربه وكيف تلبو وأوامرنا لعقود حمائها على عواتق
مجده عواقد .

نحمده على نعمه التي عدقت أمور دولتنا بمن يرفع بأسه منارها ، وعقدت قواعد
مملكتنا بمن يوالى فضله أنوارها ، وعضدت همم أوليائنا بمن إذا تخيلت أعداء الدين
مواقع صوارمه كان أمنع صونها إيسارها وأنفع سلاحها فرارها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشرق همم ، بلوأمعها ، وتُسرف
الكلم ، بجوامعها ، وتركو الأمم ، بما تنقل الألسنة منها عن القلوب إلى مسامعها ؛
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أقامنا الله لنصر دينه ، وألهمنا تفويض مصالح
أمتيه إلى كل ولي ما رفعت راية نصر إلا تلقاها عرابه مجده بيمينه ؛ وعضدنا
في جهاد أعدائه بأعز صفي ينوب بأسه للجيش عن طليعته ويقوم رأيه في الحرب
مقام كمينه ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين آخترهم لصحبتهم وأرتضاهم ،
وأرهنهم لإقامة ملته وانتضاهم ، فمنهم من فاز بمنزلة سببه وتصديقه ، ومنهم من
كان الشيطان ينكب عن طريقه ، ومنهم من آختر الشهادة على الانتصار بفريقه

ورَفِيقه، ومنهم مَنْ أقامه بِشَرَفِ الأُخُوَّةِ معه مُقامَ شَقِيقه، صلاةً يَبْلُغُه إِخْلَاصُ مَقِيمِها، وَيُعْرَضُ عليه إِيمانُ مَدِيمِها، وسلم .

أما بَعْدُ، فَإِنا من حِينِ أَوْرَثنا اللهُ مُلْكَ الإسلامِ لَاعنِ كَلالِه، وألَبَسنا فى مَواقِفِ الذَّبِّ عن دينِه حُللَ العِزِّ المُعَلِّمَةَ بِالْحَلالَةِ، ومَكَّنْ لَنا فى أرضِه، وأنهَضنا بِمَسْئُونِ الجِهادِ وفَرَضِه، ونَشَرَ دَعوَةَ مُلْكنا فى طُولِ الوُجودِ وعَرَضِه - لم نَزَلْ نَرْتادُ لِكفالَةِ المِمالِكِ الإِسلامِيَّةِ من تَأوى مِنْهُ إلى رُكْنِ شَدِيدِ، ورَأى سَدِيدِ؛ وَحَزْمِ يَقَرِّبُ من مَواهِبِ النِّصرِ كُلِّ بَعِيدِ، وَعَزْمِ إِذا أَرهَفَ صِوارِمَه من أَدنى الصَّعِيدِ، وَجَفَّ هُولُ مَواقِعِها بِأَبِ الحَديدِ؛ فَهو المَطوِيُّ فى أَثناءِ ضَمائِرِنا وَإِنْ تَقَلدنا قَبْلَه سِواه، وَالْمَنوِيُّ فى أَحْياءِ سَرائِرِنا وَإِنَّمَا لِأَمْرِيَّ ما نَواه؛ قَد حَلَبَ قَدَمَ هِجْرَتِه، الدَّهْرَ أَشْطَرَه، وَكُتِبَ حُسْنُ خِبرَتِه، من عُنْوانِ السَّيرِ أَشْطَرَه، وَتَمَثَّلَتْ صِراةُ الزِمانِ لِفِكرِه فَاجتَلَى صُورَ الوَاقِعِ فى صَفائِها، وَتَرَدَّدَتْ تِجارِبُ الأُممِ على سَمْعِه فَسَلِمَ ما يَأتى وما يَدْرُ فى تَرْكِها وَأَقْتِفاءِها؛ وَأَسْتَقْبَلِ دِولَةَ أسلافِنا الشَّرِيفَةَ من فِواجِئِها: فَكانَ لسانَ حَاسِنِها، وَبَنانَ مِياهِنا؛ وَخِزانَةَ سَرِّها، وَكِكانَةَ نَهْيا وأَمْرِها؛ وَطَليعَةَ تَأْيِيدِها، وَذَرِيعَةَ أَوْلِياها إلى عِوارِفِها وَجُودِها؛ وَعُنوانَ أَخبارِها، وَعِناةَ سِوابِقِها التى لا تُدْرِكُ ما تُرُ من سَلَفِ شَقِّ غُبارِها؛ وَيَمِينَ قَبْضَتِها المَصْرَفَةَ بَينَ البَاسِ والنَّدى، وَأَمِينَ آرائِها المُؤَيِّدَةَ بِالتَوفِيقِ اللِّدْنِيِّ على العِدا؛ وَرُكْنَها المُشَيِّدَ بِالأَسَلِ وَهو ما تُبْنى عليه المِمالِكُ، وَحِصْنَها المِصْفَحَ بِالصَّفاحِ فلا تَسْتَطِيعُ الأَهْواءُ أَنْ نَتَوَقَّلَ إِليه تِلْكَ المِسالِكُ؛ وَزَعِيمَ جِوشِها التى أَجْتَنَّتْ من قَصبِ قَواضِبِه ثَمَّ النَّصرِ غَيرَ صَرِّه، وَمَقَدَّمَ عِسا كَرها التى أَجْتَلَّتْ بِه وَجُوهَ الظَّفَرِ الحُلُوةِ فى أَيامِ الكَريهِةِ المُتَرَّةِ .

ولما كان المقتر الكريم (الفلاني) هو معنى هذه الصفات المبهمة ، ومبنى هذه القواعد المحكمه ، وطراز حُلل هذه الأحوال المعلمه ؛ وسر المقاصد الظاهره ، وسلك هذه [النجوم] الزاهية بل فلک هذه الدراري الزاهره ؛ تُحلق صَوادِحُ البراعة ، فتقع دون أوصافه بمراحل ، وتغوص سواجح البراعة ، فيلقيها العجز عن أستخراج دُرر نُعوتِه بالسواحل ، فأوصافه تُدكر على وجه الإجمال لضيق نطاق الفصاحة عن تفصيلها ، ومناقبه تُشكر بلسان الإجماع لعجز ألسنة الأقلام عن بلوغها إلى غايتها ووصولها ؛ فذلك اقتضت آراؤنا الشريفة أن نفسح مجال الهدى ، بتفويض إيالة الممالك إليه ، وأن نقطع آمال العدا ، بالأعتماد في زعامة الجيوش الإسلامية عليه ، وأن نُقر عيون الرعايا بإلقاء مقاليد العدل والإحسان إلى يديه ؛ وأن نصون عقائل الممالك من مهابة بما يغدو سورا لعواصمها ، وسواراً لمعاصمها ؛ وشنباً تفتُر ثغورها عن بروقه ، أو لها يقطع طريق أمل العدا عن تخيل خيالها في طروقه ؛ ليعتضد الدين منه بركنه ، ويتغلب [على] الشرك في حالي حربيه ووهنه ، ويتقلب كل من رعايانا بين وهاد يمينه ومهاد آمنه - رُسم بالأمر الشريف - لا زال ملكه على الأركان ، راقياً من أفق النصر إلى أعلى مكانة وأرفع مكان - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالديار المصرية ، والممالك الإسلامية ؛ على أكمل العوائد ، وأجمل القواعد ؛ تفويضاً تمضي أحكامه في الممالك الإسلامية شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ؛ فلا يخرج منها شيء عن أوامره وأحكامه ، ولا يعدل في سلمها وحربها عن حكمي سيوفه وأقلامه .

فليستقر في هذه الرتبة العالية أستقرار الأركان الموائم ، والأطواد اللوات ؛ والأصول النوات ، والنجوم الثواب ؛ مؤثلاً قواعدا بأيه السديد ورايته ، معوّداً كالمها بسيف النصر وآيته ، مبتدئاً في إعلاء منارها من العدل بأقصاه

ومن الإحسان بغايته ، مكثراً أعداد الجيوش الإسلامية برأيه السعيد ، مقرباً من مطامح النصر النائية كلَّ بعيد ، موكلاً بحركات العدو وسكاته جفنًا لا يالف الغرار ، وسيفًا لا يعرف الفرار ، وعزماً لا يرضى من عدوه دون أضطلامه الفرار ؛ فلا تزال جيوش الإسلام بجميل تعاهده منراحة العوائق ، منزاله العلائق ؛ لامانع لها عن الركوب ، ولا قاطع عن الوثوب ؛ قد أعدتها عزائمها ، فكلُّ زمانها بالتأهب للقاء وقت إمكانه ، وأمدت بأسها صوارمه ، فهي لا تسأل عن عدد عدوها بل عن مكانه ؛ مقيماً منار العدل الذى هو أساس الملك ودعامته ، ورأس الحكم بأمر الله فى خلقه وهامته ، ونور الحُصْب الكافل بمصالح العباد والبلاد وعامته ، ناشراً له [فى] أقطار الممالك ، ماحياً بنور إقامته آية ليل الظلم الحالك ؛ معاضداً أحكام الشريعة المطهرة بالانقياد إليها ، والأعتماد فى الحُلِّ والعقد عليها ، والاحتفال برفع منارها : فإن ذلك من أفضل ما قدمته الدول الصالحة بين يديها ، مقدماً عمارة البلاد على كلِّ مهمٍّ : فإنها الأصل الذى تنفوع عنه المصالح على أفتراقها ، والمادة التى تستطيل الجيوش الإسلامية على العدا بتوسعها فى إنقادها وإنفاقها ، والأسباب التى تُعين الغيوث على نماء ما بسط الله لعباده من أرزاقها ؛ وأكَّد مصالحها الرفق الذى ما كان فى شىء إلا زانه ، والعدل الذى ما أتصف به مُلك إلا حفظه وصانه ، فقد جعلنا أمره فى ذلك جميعه من أمرنا المطاع ، وأقتصرنا عن ذكر الوصايا بما فى خصائصه الكريمة من حُسن الإضطلاع وجميل الأطلاع ، وأكتفينا بما فى خلائقه الجميلة من محاسن لو تخير نفسه لم يردّها على ما فيه من كرم الطباع ؛ والله تعالى يؤيده وقد فعل ، ويجعل ركنه من أثبت قواعد الدين وقد جعل ، إن شاء الله تعالى .

(١) الغرار النوم القليل أو القليل من كل شىء . انظر اللسان ج ٦ .

(٢) العامة قبض الحصد إذا اجتمعت بعد حصدها وجمعها عام . كذا يؤخذ من اللسان .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة أيضا، وهي :

الحمد لله الذى زانَ دولتنا القاهرةَ من حُسامِها بتقليده ، وصانَ حِمى ممالكنا
الشريفة من أوليائنا بمن تَعُدُّو مواقعَ سيوفه من كلِّ عُدُو قلائدِ جِده ، وزادَ جلالَةَ
الملكِ بمن إذا ركبَ فى مواكبِ نِيايته أوردَ جِدادَ رُعبه من كلِّ مُتَوَجِّجٍ من ملوكِ
العِدا مناهلَ وريده ، وفوضَ تَقْدِمة جُيوشنا المنصورةِ إلى مَنْ تُضاعِفُ مهابتَه
فى عيونِ العِدا عددَ جنوده ، وتغزوه سرايا خيله فى يقظتِه وتطلُّعِ عليه طلائعِ خياله
فى هُجُوده ، وإذا صلتْ سيوفُه فى موقِفٍ وعى أغرتْ رأسَ كلِّ مستكبرٍ لم يعرفِ اللهَ
قبلَ ركوعه بسجُوده ؛ مشرِّفِ أقدارِ أوليائنا من المراتبِ بما تشرفُ به أقدارُ المراتبِ
فى نفسها ، ومفضِّلِ أيامِ دولتنا على الدُّولِ بما ألفتَه من جلالَةِ مُلكها فى أمسيها ،
ومجِّلِ سيرِ أصفِيائنا من المعدلةِ بما إذا غرستَه فى قلوبِ الرعايا كان الدعاءُ الصالحُ
ثمرةَ غرسيها ، ومقلِّدِ خواصِّنا من إيالةِ المُلكِ ما إذا خطبتْ به الأفلامُ على منابرِ
الأناملِ نقلتِ البلاغةَ فى تلكِ الأوصافِ عن قُسمها ، ومُفِيضِ حُلِّ الأبناءِ المرقومةِ
بأسنى الرتبِ على مَنْ إذا زانتْ حبرها اللابسُ زانها بلبسها ، وإذا أشرقتْ به هالةُ
المواكبِ لوغى سقطتْ فوارسُ ملوكِ العِدا عن مراكبها وأضطربتْ الأيسرةُ بملوكِ
فُرسها ، وإذا كتمته الأعداءُ أنباءها نطقتْ ألسنةُ رِياحه بأسرارِ أهلِ الشركِ ولا يرى
أسمعُ من صُمتها ولا أفصحُ من حُرسها ، وإذا تطاولتْ أبطالُ الوقائعِ للقاءه أقرتْ
ثغورُ سيوفه عن شنبِ النصرِ لإلفها بمعانقةِ الأعناقِ وأنسها .

نحمده على نعمه التى أعادتْ شرفَ أسمائنا إلى أسماعِ المنابرِ ، وأنطقتْ بمضاعفةِ
الأبناءِ لأوليائنا ألسنةَ الأفلامِ فى أفواهِ المحابرِ ، وأعادتْ بسيفِ النصرِ حقوقَ مُلكنا
الذى تلقيناه مع الأُوليةِ والأولويةِ من أسلافنا الكرامِ كابرًا عن كابرٍ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال سيوفنا بإعلاء منارها
 ناهضة ، وجياد جهادنا لنشر دعوتها فى الآفاق راكضة ، ومواد نعمنا ونقمنا لآمال
 حاملها باسطة ولأرواح جاحديها قابضة ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى
 ايدته الله تعالى بنصره ، وآتاه من معجزاته ما يحول البصر دون حصره ، وجعله أمام
 الأنبياء وإمامهم مع تأخر عصره ، ونصره بالرعب الذى زحزح كل ملك عن سريره
 وأنزل كل متوج من قصره ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هجروا فى نصرته ،
 مأوف الأوطان والأوطار ، وركبوا فى إقامة ملته ، مخوف الأهوال والأخطار ،
 وفتحوا بمن دعوته ، ما أشتمت عليه المشارق والمغارب من الأرجاء الممتدة والأقطار ؛
 صلاة لا يزال سيف جهادنا لدوامها مقيا ، وحكم جلا دنا لإقامتها مديما ؛ وسلم
 تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من سميت التقاليد بأوصافه ، وصرفت أمور الممالك بين بأسه
 وإنصافه ؛ وحلت مواقف الخدمة الشريفة من جواهر مهابته ، بما هو جدير بحلى
 السيف ، وزيت مجالس العدل من إيالته ، بما هو مبرأ من الميل والهوى منزه عن
 الظلم والحيف ؛ ومليت القلوب من مخافته ، بما يمنع ذا القوة فى الباطل من توهم
 البطش وذا الصبوة فى الهوى من استزاره (؟) ويحسن لها الفرار ، ويهون عليها
 فى جنب ما تتوقمه من مواقع سيوفه السبى والإسار ، وعُدق به من مصالح الأقاليم
 ما يصرفه بيمين دأبها إيمان ويسار شأنها اليسار ؛ وفوضت زعامة الجيوش منه إلى همام
 يقوم بأمرها على ما يجب ، وليت لو لم ينهض بألوفها المؤلفة فى الوقائع لكان من
 نفسه وحدها فى بحفل لحب ؛ ومقدام آلاف العدا فى شجاعته آحاد ، وضربام
 قسور أهل الكفر بين يدي وثباته وثباته وأسودهم تقاد ؛ من لم نزل نعهده فى أركان
 البيت الشريف المنصورى بالخصاص ، ونعده للمواقف التى ليس للدين فيها غير تأييد

اللهِ وَحَدَّ السَّيْفِ نَاصِرًا ، وَتَدَحَّرَهُ مِنْ مَعَادِنِ أَوْلِيَانَا الَّذِينَ تَمَسَّكُوا مِنَ الْإِنْتِمَاءِ إِلَيْنَا بِأَمَكْنِ الْأَسْبَابِ وَأَقْوَى الْأَوَاصِرِ ، وَنَقَلَدَ أَعْطَافَ الْأَوَاصِرِ مِنْهُ سَيْفًا يُرْمَى مِنْهُ بَيْتُ الْعِدَا وَمَعَا قُلُوبَهُمْ بِأَفْتِكِ حَاصِدٍ وَأَفْلَلِ حَاصِرٍ ؛ فَكَمْ مِنْ مَوَاقِفَ شَفَعَتْ فِيهَا الشَّجَاعَةُ بِالْخُضُوعِ لِرَبِّهِ ، وَمَوَاطِنَ لَيْسَ فِيهَا قَلْبَةٌ عَلَى الدَّرْعِ إِذَا لَيْسَ غَيْرُهُ الدَّرْعَ عَلَى قَلْبِهِ ؛ وَمَسَالِكَ سَلَكَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِنَا وَالسُّيُوفِ تَنْفِرُ مِنْ قُرْبِهَا ، وَمَشَاهِدَ شَهِدَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِنَا وَالتَّلُوبِ تَفِرُّ مِنْ حُجْبِهَا ، وَلَيْكَالٍ قَطَعَهَا فِي خِدْمَتِنَا لَمْ يَصْحَبْ غَيْرَ أَلْسِنَةِ أَسْنَتِهِ وَأَعْيُنِ شُهُبِهَا ، وَمَقَاصِدِ الدِّينِ بَلَّغَهَا وَالسَّهَامِ لِاتِّجَالِهَا مِنَ الْفَرَقِ قَوَادِمُ النُّسُورِ ، وَسَرَائِيَا وَقَفَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعِدَا فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ مِنْ شَجَاعَتِهِ بِسُورٍ ، وَبِحَارِ حَرْبٍ لَمْ تَجْبَسِرِ السَّوَابِجُ عَلَى قَطْعِهَا حَتَّى مَدَّ عَلَيْهَا مِنْ مُعَوَّجَاتِ سَيْوْفِهِ قَنَاطِرَ وَمِنْ مُقَوِّمَاتِ ذَوَائِلِهِ جُسُورَ ؛ وَكَمْ أَنَامَ الرِّعَايَا فِي مِهَادِ عَدْلِهِ فَلَمْ يَطْرُقْهُمْ طَيْفٌ ظَالِمٌ فِي الْكِرَا ، وَلَا رَوَعَ سِرْبَهُمْ خِيَالٌ مُغِيرٌ أَوْ هَمَّهُمْ الشَّرِيُّ ؛ بَلْ كَانُوا مَحْفُوظِينَ بِمَهَابَتِهِ مُحْفُوفِينَ بِمَوَاهِبِهِ ، وَادْعِينَ فِي ظِلِّهِ الَّذِي مَادَجَا عَلَيْهِمْ لَيْلُ حَطْبٍ إِلَّا أَطْلَعَ لَهُمْ بَدُورَ الْأَمْنِ فِي غِيَابِهِ .

ولما كان (فلان) هو الذي سار بذكر مهابته المثل ، وصار له في قلوب الأعداء من الرعب ما تشابه فيه القاتلان الوجل والنجل ، وجمع محاسن الصفات فما أخذ عنه أو نطق به أو نظر إليه إلا وجد (ملء المسامع والأفواه والمقل) ؛ ولا جرد على العدا سيفًا إلا وودعت أرواحهم الأجساد ، ولا أرهف في مجالس العدل والإحسان قلما إلا وضمت له الآجام التي نساها (كرم السيول وسطوة الآساد) ؛ ولا طلع في أفق مواكب إلا وهالت العدا هالة بدره ، ودلت على عظم سلطانتنا رفعة قدره ، وشهدت له بحسن طاعتنا طاعة أمرائنا لأمره ؛ وأسلف من خدمة والدنا السلطان الشهيد ما لم تر له به عندنا حقوق مرعيه ، وسوابق مرضيه ،

ورتبةُ تقديمِ سيِّئه ، ومزِيَّةُ تقريُّبِ جعلته مُشَاهداً بالعيانِ مقدِّماً في النيَّة - أقتضتْ
 آراءُنا الشريفةُ أنْ نُروِّعَ العِدا بسيفه ، ونُزيِّهم من تقدِّمته على الجيوشِ يقظةً
 ما كانوا يروُّنه حُلماً من طَيْفه ؛ وليعلمَ الأعداءُ معاجلةَ أخذهم بالعُنْفِ والحَيْفِ ،
 وأننا لا تأخُذنا في الله لومةٌ لأئمِّ فليس بيننا وبين أعداء الله ورسوله (صلى الله عليه
 وسلم) إلا السَّيفُ .

فلذلك رُسمَ بالأمرِ الشريفِ - لا زالتْ ممالكُ الإسلامِ به مُقترةُ المَباسِمِ ، عالية
 مدى المَهابةِ إذا طرقتْها عواصفُ رياحِ العِدا وقفتْ دُونَ بُلُوغها داميةً المناسِمِ -
 أنْ تُفَوِّضَ إليه نيابةُ السلطنةِ الشريفةِ بالممالكِ الإسلاميةِ على العادةِ في ذلك
 والقاعدةِ تفويضاً يُفِيضُ على الممالكِ حَلَّ المَهابةِ ، وَيَسْلُبُ أعداءَ الدينِ رداءَ
 الأَمْنِ فلا يَنْفَعُهُم الخُضُوعُ ولا الإِنابةُ ، وَيُضَاعِفُ لنا أدعيةَ الرعايا الصالحةِ بإجرائهم
 على ما أَلْفُوهُ من العدلِ والإِحسانِ فمنهم الدعاءُ الصالحُ ومن كَرَّمَ الله الإِجابةُ .

فليثقلدْ هذه الرُّتبةُ الدالَّةُ على ارتفاعِ قدره لدينا ، الشاهدةُ له باحتفالنا بما أوجبه
 إخلاصُه من حقوقِ الطاعةِ والولاءِ عَلَيْنَا ؛ المنبِّهَةُ على أنه سيفُنا الذى نَصُونُ الممالكِ
 بحُدِّه ، ونَصُولُ على العِدا بِمَصانئِهِ الذى تَهَلَّلُ وُجوهُ النصرِ كُلِّها أسْفَرَ من غمِّه ؛
 وليستقرَّ في ذلك نافذاً فى المصالحِ الإسلاميةِ أمرُه ، مُغيِراً على جيوشِ الأعداءِ
 ذِكْرُه ، معمَّلةً فى حمايةِ الدينِ بِيضِهِ المرهفةِ وسُمره ، جُمَّلةً بإشراقِ طلعتِهِ مطالعُ
 المَواكبِ ، مسيرةً نُجومِ أسنَّتِهِ إلى قلوبِ أعداءِ الدينِ مَسِيرِ الكَواكبِ ، مُحْفِقَةً
 بِحُفُوقِ رايتهِ مَساعِيَ الكُفْرِ الصادرةِ عن آمالهم الكَواذِبِ ؛ ليعلمَ عدوُّ الله أنه أشدُّ
 طلباً له من أجله ، وألزمُ لعنقه من عمَلِه ؛ وأسبقُ إليه من رَجَعِ صوتِه ، وأنزلَ عليه
 من مُفاجأةِ موتهِ . وليجْمَلِ النظرَ فى مصالحِ الجيوشِ الإسلاميةِ بما يُضَاعِفُ عدتها ،

ويبقى على توالى الأحقاب حداثتها وجدتها؛ ويأخذهم بإدامة التمرن في الحروب، وإطالة عنان التأهب للركوب؛ ويُعين كلاً منهم بملاحظة حاله على أستدامه قوته وإمكانه؛ ويجعلهم بالآقتباس من شجاعته من القوم الذين لا يسألون عن عدد عدوهم بل عن مكانه. وليكن لكلمة الشريعة الشريفة رافعا، ولشبهه من يمتنع عن الانقياد إلى الأحكام دافعا؛ وعلى يد من يتطرق إلى الخروج عن أحكامه آخذا، ولمن لم يسلك الأدب بين يدي حكامه بما يقتضيه تعظيم الحكيم العزيز مؤاخذا. وليأمر النواب بإقامة منار العدل الذى يوم منه خير للأرض من أن تُمطر أربعين يوما، ويصرف إلى مصالح الثغور الإسلامية وحمايتها فكرا لم يختر دعة ونظرا يأنف أن يألف نوما؛ وملاك الوصايا تقوى الله وهى من خصائص نفسه الكريمة، وراحة روجه التى هى للفكر فى مصالح الإسلام مُدِية؛ فليجتهد فى المحافظة عليها ما أستطاع، ويمض بها فى مصالح الإسلام أمره الذى جعلناه من أمرنا مطاع.



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة أيضا، كُتِبَ به عن السلطان الملك أبي بكر ابن الناصر محمد بن قلاوون للأمير طُغُزْدُمُر أمير مجلس، فى سنة اثنتين وأربعين وسبعائة، بعد أن بطلت النيابة فى دولة أبيه الملك الناصر عدة سنين، وهى:

الحمد لله الذى أصطفى لسلطاننا المنصور من ينوب عنا فى رعاية الجمهور أحسن مناب، وأضفى على ملكنا المعمور من رياسته أسر سربال ومن حراسته أجل جلاب، وكفى دولتنا الشريفة بسياسته مهمات الأمور فلتأيد بها بقيامه دوام ولتشيدها باهتمامه أستصحاب، وشفى الصدور بصدور إشارته المباركة التى لها بأوامرنا العالية اقتران ومن ضمائرنا الصافية اقتراب، وأوفى له من برنا العميم بحقه

الذى [له] بعهدہ استحقاقاً للتقديم وإيجاب ، وسبقه القديم الذى له من سعيد المصاهرة أكرم أشاج ومن حميد المظاهرة ألزم أنتساب .

نجدہ على أن بصر آراءنا بطرق الوفاق وسبل الصواب ، ونشكره على أن نضر راياتنا فى الآفاق : فلقلوب العدا من خوفها إرهاب وإرهاب .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزّهة عن الشك والارتياب ، موجهة إلى قبلتها التى ترضاها الألباب ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أظفر عزّمه بالثبات وقهر خصمه بالتباب ، ووفر قسمه من الإنجاد ويسر حربه للإنجاب ، وأظهر اسمه بعد اسمه فخلاً فى الأفواه ذكره وطاب . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا من بعده فى رعاية عهده أحسن الآداب ، صلاة متصلة الأسباب ، موصلة إلى خير مآل متكفلة بنعم باب (؟) لا يزال لسحب جودها فى الوجود أنصباب ، ولتقرب وفودها ورود إلى مظان الرضوان من غير إغباب ، ما جرد انتقامنا على الأعداء سيفاً سطاً يقدر الرقاب ، وأورد إنعامنا الأولياء بجر ندى زاخر العباب ، وجدد قيامنا بعلم هدى مرت عليه الأعوام وما لمح له أثر ولا فتح له باب ، وأعتمد مقامنا الشريف ، فى الجمع للقلوب والتأليف ، على أعلى ولى وأعلى جناب ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد ، فإن أولى من أعتمدنا فى الإنجاب والإنجاح على ديانتِهِ ، وأنتجدنا فيما أردنا من الاستصحاب للصالح بإعانتِهِ ، وأعتصدنا فى تقطين الممالك وتأمين المسالك بصيالته وصيانتِهِ ، ورعينا عند الدنا الشهيد - سقى الله عهده صوب الرضوان - على علو مكانه ودنو مكانته ، فاكتفينا فى كفالة الأمة وإيالة النعمة بنحشيتِهِ من ربه واستكانته - من حُدت سبحاياه ، وتعددت مزاياه ، واستندت

إلى ما أمر الله تعالى به من العدل والإحسان في الأحكام قضاياه ، ووجدت منه الزهد والرفق رعاة الإسلام ورعاياه ، فهو الممدوح فعله ، من جميع الألسنة ، الممنوح فضله ، في سائر الأزمنة ، الممهور عليه آثار القبول الظاهر من عناية الله لما نواه من الخير لخلق الله وأبطنه ، فهو عاضد السلطنة الذي حلّ من العلياء موطنه ، وكافل المملوك ، الذي سبق إلى كل مجد فأدركه ، وسيف الدولة ، الحامي الحوزة البادية الصولة ، ومن له أشتمال على العلياء ، ومن يقارن التحقيق له رأيا ، ولا يباين التوفيق له سعيًا ، ويعاون الهدى والنهى على طول المدى له أمرا ونهيا ، ويعين الورى لسلطاننا المنصور منه مهديًا يجل لدولتنا حفظًا ويحسن لملكنا رعيًا .

وكان فلان هو الذي لم يرل متعبن المحاسن ، متبين الميامن ، متمكن الرياسة في كل الأماكن ، فحلمه إذا اضطربت الجبال الرواسي ثابت ساكن ، وعلمه الزائد بأوضاع السياسة وأنواع النفاسة للوجود من بهجته زائن ، ورأيه الصائب للبلاد والعباد صائنا ، ورعيه للخلق بالحق : القوي منه خائف والضعيف إليه راكن ، ونشره هاد للرائي وباد للعاين ، وذكره الجميل سائر في الآفاق والأقطار والمدائن ، حتى أظهر الله تعالى بإمداد نيرنا الأعظم من إشراق بدره الكامل ما هو في سر الغيب كامن ، وشهر سيفه الذي يغدو الإيمان من مهايته في كنف منيع وحرم آمن .

ولما مضت على منصب النيابة الشريفة في أيام والدنا الشهيد بضع سنين ، وأنقضت الأيام والليالي والدهر بموهبتها ضنين ، ولا وطيت لها ربوه ، ولا أمطيت لها صهوه ، وكانت في سلك ملكه مندرجه ، وبصفو سلطنته ممتزجه ، إلى أن قضى عليه الرضوان النخب ، وأفضى من الجنان إلى الخلل الرعب ، رأينا بعده بمن كان يتحقق وده أن نستأيس ، وأمضينا وصيته المباركة في اختيار ثمرة الإخلاص بمن

كان له الأختصاص يَغرس ، وأفضينا إليه بالمتاب عتا لما كان من أنوار والدنا الشهيد فى كل تسديد يقتبس ، ومن الاستثنائات بحالسته يفوز فيحوز حكم الحكم لأنه كان أمير ذلك المجلس ، وقضينا باعتماد أمره الكريم بعد أمرنا الشريف : لأنه الخبير الذى لا ينهم عليه شئ من خفايا القضايا ولا يلتبس - أقتضى حسنُ الرأى الشريف إلقاء ما فى أيدينا من مقاليد الممالك إلى يده ، وإبقاء وديعة هذا الأمر العظيم إلى صونه وعونه وتشدده ، وإيفاء جنابه إلى حميد هذه الغاية التى هى للناسبة مناسبة لسؤدده .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازل يجمع شمل الإسلام بتعيينه وتفترده ، ويرجع أمر الأنام منه إلى مأمون الرأى رشيد سَفَّاح السيف مهتده ، منصور العزم مؤيده ، ويوسع الخليفة إذا وليهم بالرفقة والرحمة ومن أولى من أبى بكر أن يخص أصحاب محمد عند الخلافة بإعذاب منهل الجود ومورده - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية - أعلاها الله تعالى - نيابة شاملة محيطة ، كاملة بسيطة ، تعنى كل أمير ومأمور ، وتدنى أمرها الذى يعامل بالإجلال ويقابل بالسرور ، برأ وبحرا ، وسهلا ووعرا ، غورا ونجدا ، بعدا وقربا ، شرقا وغربا ، وما منحه الله تعالى لوالدنا الناصر من الممالك ويدخر لسلطاننا المنصور ويحجى : تستوعب أمر ما نأى من هذه الأقاليم ودنا ، وتجب طاعته فيها على كل من كان مؤمنا ، ويمتثل فى ذلك كله أمره ، وتعمل فيه الروية فيجمل فكره ، ويؤمل فيه فتحه ونصره ، وينقل به مدحه وشكره ، ولا ينفصل منحه وبره ، ناظرا فى هذه النيابة الشريفة بفكره التام ، سائرا فيها السير الجميل من الدربة والإلهام ، ناشرا ظلال المعدلة على من سار أو أقام ، مظاهرا بجنابه منا أجل مقام . ونحن وإن كنا نتحقق من خلاله الحسنى ، كل وصف يسنى ، ويتق منه بذى الصدر السليم الذى هو على

المقاصد يُعان وبالحماد يُعنى ، فلسنا نُحِلُّ بالوصية التي نَعلم أنَّ له عنها آسْتِغْنَا ؛
ولكننا لا نترك بها التبرُّك ولا ندع ماسنَّ الله تعالى منها وشرع ، ولا نُفْعِلُ ، ما يجب به
أن يُحتَقَل ؛ فقد وصَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأمضى أمره
المسموعَ كلَّ ذى رجوع إلى الله تعالى منهم وإنا بة ؛ فقد أولاه الله تعالى كلَّ جميل
قبل أن ولَّاه ، وحلَّاه بالسَّيات والمكْرَمات قبل أن رَفَعَ علاه ؛ وأعطاه ما أُرْهب
العدا من سَطَّاه ، وهداه إلى كلِّ رُشدٍ تَأتمُّ به الهداه .

فأهمُّ ذلك تقوى الله تعالى وهو عليها مُجْبُول ، وأمرها عنده متلقِّ بالقبول .
والعدلُّ فهو منه مأمول ، والاتصافُ بالإنصاف فهو دأبه فيما يفْعَلُ ويُقُولُ ؛
والجهادُ : فعزائمُه في ميدانه تُجول ، وصورامُه بها من قِرَاعِ فُرسانه فُلُول . والزعماءُ
والأكابرُ فلهم من محافظته اعتناءً وبملاحظته شُمُول . والعساكرُ الإسلامية فتباييده
تَبْطِشُ أيديهم بالعدا وتُصُول . وزعماءُ البلادِ فلهم إلى ظِلِّ رحمة إيواءٍ وبكَنْفِ
نعمته ظُلُول . وممالكُ الإسلامِ فما منها إلا معمورٌ بما أوتته كَفالته مأهول ؛ ونُغوره
فكَلها بَسامُ بفتكاته التي ألقى رُعبها في البحر فهو بين كلِّ فاجر وبين البحر يُجول ،
وما هو بذلك من حميد المسالك موصُول ، ومحلُّه المقدم لأنه أهمُّ الأصول : من إكرام
الحُكَّام ، وإبرامِ الأحكام ؛ وأستيفاءِ الحُدود ، وأقتفاءِ السننِ المعهود : من إنجاز
الوَعود ، وإحرازِ السُّعود ؛ والإجهازِ على كلِّ كُفُورٍ وِجْجود ، والأحترازِ من فِظاظِ
الناسِ بإفاضةِ الجُود ؛ فكلُّ ذلك على خاطرهِ مَسْرُود ، ولما آثرهُ مَوْرُود ؛ وفي ذخائره
موجُود ، ومن خِبرته معلومٌ معهود ، وعن فكرته مشهورٌ ومن فِطْرته مَشْهُود ، فليَسَّعْ
أمرنا هذا جميعَ الأصرارِ والجُنود ، وليرجعْ إليه كلُّ من هو من جملةِ المِلَّةِ معدود ؛
وليُقَابِلْ مرسُومنا بالسمع والطاعة ، أهلُ السنة والجماعة ؛ ساعةَ الوقوفِ عليه وحالةِ
الوُرُود ؛ والله تعالى يُصلحُ ببقائه الوُجُود ، ويمنحُ باهتمامه المقصُود ، ويفتحُ المعاقِلَ

باعترامه الذى ليس بمردود عن مراده ولا مَصْدود ، بل يُصْبِحُ الكُفْرُ من خوفه محصورا ويُمسَى وهو بسيفه محصود ؛ والعلامة الشريفة أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لنائب سلطنة ، أوردها فى "التعريف" قال :

يُوصَى بتقوى الله تعالى وتنفيذ الأحكام الشرعية ، ومعاوضة حكامها ، واستخدام السيف لمساعدة أقلامها ؛ وتفقد العساكر المنصورة وعرضها ، وإنهاضهم لنوافل الخدمة وفرضها ؛ والتخير للوظائف ، وإجراء الأوقاف على شرط كل واقف ؛ والملاحظة الحسنى للبلاد وعمارة أوطانها ، وإطابة قلوب سكانها ، ومعاوضة مباشرى الأموال مع عدم الخروج عما ألف من عدل هذه الأيام الشريفة وإحسانها ؛ وتحسين مآلديه ، وتحسين كل ما أمره إليه ؛ وأستطلاع الأخبار والمطالعة بها ، والعمل بما يرد عليه من المراسيم المطاعة والتمسك بسببها ؛ وأنه مهما أشكل عليه يستضىء فيه ، بنور آرائنا العالية فهو يكفيه ، ومن قُتِل من الجند أو مات وخلف ولدا يصلح لإقطاعه يعين له ليقوم بخلفيه ، ويقال من هذا ما يقوم بتمام الغرض ويوفيه .

الوظيفة الثانية

(الوزارة لصاحب سيف)

وأعلم أن أول من أطلق عليه لقب الوزارة فى الإسلام "أبو حفص الخلال" وزير أبى العباس السفاح أول خلفائهم كما ذكره القضاعى^(١) فى "عيون المعارف فى أخبار الخلائف" ثم صارت الوزارة بعد ذلك للخلفاء والملوك دائرة بين أرباب السيف

(١) أى خلفاء العباسيين .

والأقلام ، تارةً يليها صاحبُ سيف وتارةً يليها صاحبُ قلم ، إلا أنها في أرباب
الأقلام أكثر. وعلى ذلك جرى عُرف الديار المصرية من ابتداء الأمر وإلى الآن.
ومما يذنبه عليه أن الوزير إذا كان صاحبَ سيف ، كان في مجلس السلطان قائماً
في جملة الأمراء القائمين . وإذا كان صاحبَ قلم ، كان جالساً كما يجلس أرباب
الأقلام : من كاتب السرّ وغيره .

وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كتب به للأمير سيف الدين بكتمر . وهي :

الحمد لله الذي شدّ أزر دولتنا القاهرة ، من أوليائنا بأمضى سيف ، وعضد أيامنا
الزاهرة ، من أصفيننا بأعدل ولي لا يوجد في حكمه حيف ، وعدق تدير أمور
ممالكنا الشريفة بمن تحجب مهابته ذوى الأطباع الطامحة عما لا يحب فلا يلم بهم فيها
خاطر [ولا] يطرفهم بها طيف ، جاعل التأييد لآرائنا مصاحباً ، والتوفيق موافقاً
لأوامرنا التي لا تهمل من مصالح الإسلام مندوباً ولا تدع من مهمات الملك واجباً ،
والإقبال تالياً لمراسميننا في ارتياد من يقدو قلب الحق من حيفه ساكناً وقلب المبطل
من خوفه واجباً ، واليمن تابعا لاستخارتنا في انتخاب من لم يزل في خدمتنا الشريفة
للأدعية الصالحة جالبا ، ولمنافع الإسلام والمملك طالبا ، ولمضارهما حاجبا .

نحمده على نعمه التي عضدت أيامنا بمن جمعت أدواته ، رتبتى السيف والقلم ،
وعدقت تدير ممالكنا بمن أحرزت [صفاته] ، مزيتى العلم والعلم ، وشدّ أزر دولتنا
بمن يبيض بمعدلته من صحائف أيامنا ما هو أحب إليها من حمر النعم .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نُعدّها للقائه ، ونتيمن بها
في افتقاد من نعتضد به في مصالح أهلها وانتقائه ، ونقدمها أمام كل أمر ندخره
لأعتلاء ولينا بالتقى وارتقائه ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله إلى الأمم

طُرًا، وخصه بالأمة التي جعل أماره سبها إلى الخيرات أن غدت محجة غرًا ،
وأيدته بنصره وبالمؤمنين الذين ما منهم إلا من أعرض عن زُحرف الدنيا وإن كان
حُلوا وقال الحق وإن كان مرًا ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ولوا أمته
فعدلوا، والذين تمسكوا بسنن سنته فما حادوا عنها ولا عدلوا؛ صلاة لا تزال الألسن
لإقامتها مديمه، والقلوب لإدامتها مقيمه ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من أبرزت الضمائر، في الاعتضاد به مكنون طويتها، وأعمدت
الخواطر، في تصريح علانيتها بأولويته لمصالح الإسلام على نيتها، وتشوفت البلاغة
لرقم مفاخره، وتنافست المعاني في تخليد ما أثره ؛ وهنأت المعدلة نفسها، برافع لوايها،
وأبدت الدولة أنسها، بناشر برها في الأقطار وآلائها؛ وأقترت ثغور الأقاليم المحروسة
بمن تلهج بمصالحها السنة أفلامه ، وأخضرت ربي آمال الأولياء بما يسفر عنه من
تهلل بهاء غرر أيامه ؛ من هز زنا منه لمصالح الإسلام سيفًا يصل ما أمر الله به أن
يُوصل، ويفصل من مهمات الممالك ما يقتضى الحق أن يفصل ؛ ويبرز من معادن
العدل والإحسان ما هو في سر خلائقه كامن، وينزل من استقامت سيرته في الحمى
الخُصب والحريم الآمن ؛ ويصون الأموال بمهابة فلا تمتد إليها هواجس الأطاع ،
ولا تنجس أبصار غير الأمناء أن تقص نبروتها على الأسماع ؛ ويضاعفها بخبرته
التي تهديها الأمانة إلى معادنها ، وتدلمها النزاهة على مواظمتها ، وتبدي لها ظواهر
الأعمال أسرار بواطنها، ويعمر بيوت الأموال بعارة البلاد، ويثمر فروع الطوارف
من مصالحها بحفظ أصول التلاد؛ ويكف أ كف الظلم عن الرعايا فلا يخشى محق
على حقه ، ولا يخاف مستقيم على ما قسم له من رزقه ؛ ولا يطمح قوى إلى من
يستضعف جانبه، ولا يطمع باغ في الحيف على أحد مخالطه في نسب كان أو مجانبه .

ولما كان الجناب العالى (الفلانى) هو الذى أشير إلى مناقبه ، وأعتضد منه بمطيع لله فى السر والعلن ومراقبه ؛ وفوض تدير الممالك منه إلى من لا تأخذه فى الحق لومة لائم ، وأعتمدت أيامنا الزاهرة منه على من طامأ سرى فى مصالحها على جيات العزائم ؛ وشهد أزر الملك من موازرتة بمن يكسو دست الوزارة أبهة وجلالا ، ويلبس منصبها سنا لو ملكته الشمس مارامت عن بروج شرفها انتقلا ؛ ويمد على الرعايا لواء عدل لا يقلص له هجير الظلم كما تنقلص الظلال ظلالا ؛ وتطلع به شمس الأرزاق على أولياء دولتنا لكن لا ترهب كالشموس غروبا ولا زوالا ؛ مع مهابة تحيف الأسد فى أجماتها ، ومعدلة تعين الفيوث على رفع محول البلاد ودفع أزماتها ؛ وديانة زانها التقي ، وخبرة صانها الورع وهما أفضل مابه يرتقى .

وكانت الوزارة الشريفة نظام المملكة وقوامها ، وذروة الدولة وسنامها ؛ وتاج المراتب وإكليلها ، وعتاد الخزائن الجامع دقيق المصالح الإسلامية وجليلها - أقتضت آراؤنا الشريفة أن تزين هذه الرتبة بجوهر فرنده ، وأن يصدر منصبها عن مناقب لا تصدر إلا عن جهته ومفانح لا ترد إلا من عنده ؛ وأن يطلق فى مصالحها قامه ، ويمضى فى قواعدها إشاراته وكلمه ؛ ويطلع فى أفقها شمس تديره ، ويعدق به ما يراه فى أمورها من صغير الأمر وكبيره ؛ وأن نجعل مسامع الأقاليم على سعتها إلى أوامره ونواحيه مضغيه ، وأن نصد بسمعته عن بعد عوارض الإهمال الملهية ومواقع الإهمال المطغية .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت سحائب بره مستهله ، وركائب المحامد إلى حرم نعمه مهله - أن تفوض إليه الوزارة الشريفة بالممالك الإسلامية على أكمل القواعد ، وأجمل العوائد ؛ تفويضا يعلى مراده ، ويمضى مضاء السنة الأسنة أقلامه ،

ويُسْطُ في مصالِح الأقاليم المحروسة يَدَه ولسانَه ، ويلقى إليه من مهمّات كلِّ قُطْرٍ
أزَمته ليصَرِّف على ما يراه من المصالح عِنايَه .

فليستقر في هذه الرتبة الالهية استقرار الدرر في أسلاكها ، والدرارى في أفلاكها ؛
نافذ الأمر في مصالِح شرفها وغربها ، مُطاع القول في بُعد أماكنها منه وقربها ؛
ناشراً كلمة العدل في أرجائها ، محققاً بالإحسان آمال أممٍ قصرت على كرمنا ممدود
رجائها ؛ معلماً منار الشرع الشريف بمعاودة حُكَّامه ، والوقوف عند أوامره المطاعة
وأحكامه ؛ حافظاً أقدار الرتب بأكتفائها ، معتمداً على ذوى البيوت المحافظين على
اتباع سير أسلافهم وأقتنائها ؛ معولاً على ذوى الخبرة التامة مع الديانة ، مُراعياً
مع ظهور المعرفة جانب العقبة والنزاهة والصيانة ؛ مُوكِّلاً بمصالح بيوت الأموال
والخزائن المعمورة موادّ الأموال ومعينها ، صارفاً إلى عمارة البلاد جميل تدير تعضد
البحار والسحب منه بمساعدتها على رى الأرض ومعينها ؛ ميسراً موادّ أرزاق خدام
دولتنا القاهرة وأولياؤها بحمائل بشره وحسن روائه ، مسهلاً مطالب أرباب الرواتب
والصدقات بطلاقة وجه لو تأمله أمرؤ صادى الجوانح لأرتوى من مائه ؛ ليتوفّر
أهل الوظائف على خدمتهم بقلوب منبسطة الآمال ، ويُنَاضِل عنها الفقراء بسهام^(١)
الليل التي لا تطيش إذا طاشت النبال ؛ فقد جعلنا أمره في ذلك جميعه من أمرنا
فليكتب يمتثل ، وليقل في مصالحننا بما يراه يسر كلامه سرى الرياح ويسر قوله
سير المثل ؛ ولا يُمض عقد ولا حل ، ولا ولاية ولا عزل ؛ ولا رفع ولا خفض ،
ولا إبرام ولا نقض ؛ إلا عن رأيه وإشارته ، وبنص خطّه وعبارته .

وفي سيرته السريّة ، وديانته التي هي من أسباب الهوى عريّه ، ما يُغني عن وصايا
تُملى على فكره ، وقواعد تُجلى على ذكركه ؛ وملاكها تقوى الله : وهي من أخصّ

(١) المراد دعوات السحر كما لا يخفى .

أوصافه ، ونشر العدل والإحسان وهما من نتائج إنصاته لأُمور الرعايا وإنصافه ؛ لكن على سبيل الذكرى التي تنفع المؤمنين ، وترفع درجات المتقين ؛ فليجعلها نجى خاطره ، وقبلة ناظره ؛ والله تعالى يعلى قدره وقد فعل ، ويجعله من عباده المتقين وقد جعل ؛ بمنه وكرمه . والأعتماد [على الخط الشريف أعلاه] إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(الإشارة) ، وهى وظيفة قد حدثت كتابتها ولم يُعهد بها كتابةً فى الزمن القديم) وهذه نسخةٌ تقليد أثنائه بالإشارة للأمير جمال الدين يوسف البشاسى إستاندار فى الدولة الناصرية فرج ، حين فوّضت إليه الإشارة مضافةً إلى الإستدارية ، وكتب له به المقر الشمسى العمرى كاتب الدست الشريف ، فى شعبان سنة تسع وثمانائة ، وهى :

الحمد لله الذى جدد للديار المصرية بالمحاسن اليوسفية رونق جمالها ، وأعز جانبها بأجل عزيز ملأت هيئته الوافرة فسيح مجالها ، وأسعد جدها بأسعد مشير أدارت أراؤه الصائبة متعاس الأمور ما بين يمينها وشمالها ، وأكرم ما بها بأمثل كاف عاد حسن تدبيره بضروب من المصالح أنام الخلق فى ظلالها ، وأجاب سؤلها بأكل لم تعدل عن خطبتها له وإن أطال فى مطالها .

نحمده على أن أغاث الدولة القاهرة بمن أخصب به بعد الإحمال ربُّعها ، وطال بطوله بعد القصور فرعها ، وحسن فى المناظر بحسن تأتبه لذى التأمل ينفعها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى شرع المشورة وحث عليها ، وعدق أمور السيف والقلم بها فردّهما عند اختلاف الرأى إليها ؛ شهادة ترفع قائلها إلى أسنى المراتب وتعليه ، وتقرب المخلص فى آتجالها من مقام الاستخلاص وتُدنيه .

ونشهد أنّ محمدا عبده ورسوله الذى وردَ وارِدُ الأُمة من منهلِ شرعته المطهرة
 ماعذبَ مشرعه وردا وصَدرا ، وألقتبتِ السَّيَّارةُ أحاديثَ فضله فصيرتْها للرفاق
 سَمرا ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه الذين تقبَّلوا مساحِبَ أذياله فى العدلِ فعدُّوا ،
 ولزِموا منْهَجِ سُنَّته الواضِحِ فما حادُّوا عن سِواءِ السَّبيلِ ولا عدُّوا ؛ صلاةٌ تفوقُ العَدَّ
 حَضرا ، وترفعُ بركاتها عن الأُمة حَضرا وتبَدِّلُ العُسْرَ يُسرا ، فبُعِيدَ عِجَافُ الزمانِ
 سِمانا وسُنْبِلاتِ الوقتِ بعدَ اليُسِّ حَضرا ؛ وسَلَّمَ تسليما كثيرا .

أما بعدُ ، فإنَّ للمملكةِ قواعدَ تُبنى عليها ، وأركانًا تستندُ إليها ، ودعائمٌ يُشَدُّ
 بالأعتضادِ بها بُنائُها ، وعمدًا يعتمدُ عليها فى المهمَّاتِ سلطانُها ؛ وهذه المَباني وإنَّ
 أَسعَ نطاقها ، وأمتدَّ بامتدادِ المملكةِ رُواقها ؛ فإنَّ بالسيفِ والقلمِ قوامها ، وبالتعلُّقِ
 بحبالها بقاءها ودوامها ؛ إذ كانا قُطْبينِ عليهما مدارُ فلَكها ، ونقطتينِ عنهما ينشأ
 الخطُّ المستقيمُ فى تدبيرِ مُلكها ؛ وزعيمينِ يترافَعُ إليهما عندَ التخاصُّمِ ، وحاكِمينِ يرجَعُ
 إلى حُكْمهما عندَ التَّحاكُمِ ؛ إلا أنهما لا يَسْتَقِلَّانِ بأنفسهما عندَ التَّحالُفِ ، ولا يقومُ
 أحدهما برأسه لدى التَّخالُفِ ؛ بل لهما إمامٌ يرجعانُ إليه ، ويعولانِ عندَ اضطرابِ
 الأمورِ عليه ؛ وهو الرأى الذى لا يُقَطَّعُ أمرٌ دونَ حكمه ، ولا يهتدى سارٍ فى مهامِه
 المهمَّاتِ إلا بنَجْمِه ؛ إذ كان على الشجاعةِ مُقدِّما ، ودليله من المعقولِ والمنقولِ
 مسلما ، والمتَّسِمِ به لا يزالُ عندَ الملوكِ مَبجَلًا معظَّمًا ؛ لا يقدِّمونَ عليه ولدا ولا والدا ،
 ولا يُؤثِّرونَ على مُعاصدته عَضدا ولا ساعدا ؛ إنَّ أشارَ برأى تمسكِ الملكِ منه بالحبلِ
 المتينِ ، أو محضه كلامَ نصحِ قال : (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) .

ولما كانَ الجَنابُ العالى ، الاميرى ، الكبيرى (إلى آخر ألقابه) يُوسُفُ
 الناصرى : ضاعف اللهُ تعالى نعمته ، هو الذى حنَّكتَه التَّجارِبُ و«حَلَبَ الدَّهْرَ

أشطره»، وعرف بتقليب الأمور على ممر الزمان محبّره؛ مع ما أشتمل عليه من الرأي الصائب، والفكر الذى اذا أبدت قريحته فى الارتباء عجباً أتت فطرته السليمة بالعجائب.

هذا وقد علا فى الدولة القاهرة مقامه، ورشقت أغراض مقاصدها بانقضاء الآجال فى الوقائع سهاؤه؛ وساس العساكر فأحسن فى سياستها التدبير، وبذل فى نفقاتها الأموال فال فيها إلى الإسراف دون التقدير؛ وأستجلب الخواطر فأخذ منها بجامع القلوب، وأقتاد النفوس الأبيّة قهراً فأطاعه من بين الشمال والجنوب؛ وقام من المهمات الشريفة بما لم يسبقه إليه سابق، وأتى من خوارق العادات فى التنفيذ بما لم يلحقه فيه لاحق، وبادر إلى ترتيب المصالح فرتبها ولم يعقه فى آتهاز الفرصة عن دفع المفاسد عائق؛ وأخذ فى حط الأسعار فورد منها من المعروف صافياً، وأمر بإبطال المعاملين فكان له عملاً على توالى الأزمان باقياً؛ ولازم بعد رضا الله تعالى رضا مملكه ففاز بأشرف المآثر فى الحديث والقديم، وتأسى فى تعريفه بنفسه بيوسف عليه السلام فقال: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ - اقتضى حُسن الرأي الشريف تنويعها بذكره، وتقديمه على غيره ممن رام هذه الرتبة فحُجِبَ دونها ﴿والله غالب على أمره﴾.

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الناصرى، الزينى - لا زال يجمع لأوليائه شمل العالى، ويرقى أصفياه فى درجات العز على ممر الأيام والليالى - أن تُفوض إلى المشار إليه الإشارة الشريفة التى هى أسنى المقامات وأعلاها، وأقصى المرامات لدينا وأغياها؛ مع ما أنضم إلى ذلك من النظر فى الوزارة الشريفة التى جل قدرها، وعلا فى المناصب ذكرها؛ والخاص الذى أختص بمهماتنا

الشريفة، والديوان المفرد الذى عمّر من ممالكنا السعيدة ذا الوظيفة وغير ذى الوظيفة، وتعلقات المملكة شرقاً وغرباً، ولوازمها المنفردة بعداً وقرباً .

فليتأتى مأفوض إليه بيمينه التى طالبا رَحت فى الطاعة صَفَقْتُهَا، ويقابلُه بالقبول الذى محلّه من القلوب مُهَجَّتْهَا؛ مقدّماً تقوى الله تعالى فيما خَفِيَ من مقاصده وظَهَرَ، مؤثراً رضاه فى كل ما يأتى ويَدْرُ؛ معتمداً فى المصالح اعتماد ذى اليَقَظَةِ الساهر، آتياً من غرائب الرغائب بما يحقّق قول القائل: «كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ» .

والوصايا كثيرة ومن بحره تُسْتَخْرَجُ دُرَرُهَا، ومن سوابق آرائه تُسْتَوْضَعُ أَوْضَاحُهَا وَعُزْرُهَا؛ والله تعالى يُدِيمُ عَلَيْهِ نِعَمَ إِقْبَالِنَا الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، ويتولّاه من العناية بما يحقّق له دائم قوله: ﴿أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ . والاعتمادُ على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه، إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية

(من يكتب له من أرباب السيوف ذوات التواقيع، وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(نظر البيارستان لصاحب سيف)

(١)

الحمد لله رافع قدر من كان فى خِدْمَتِنَا الشريفة كَرِيمِ الْخِلَالِ، ومُعَلِّيِ دَرَجَةِ مِنْ أَضْفَى عَلَيْهِ الْإِخْلَاصُ فى طَاعَتِنَا الْعَلِيَّةِ مَدِيدِ الظَّلَالِ، ومَجْدِدِ نِعَمٍ مَنْ لَمْ يُحْصَهِ اعْتِنَاؤُنَا بِغَايَةِ الْإِرْقَتِهِ هَمَمُهُ فِيهَا إِلَى أَسْنَى رُتَبِ الْكَمَالِ، ومَفْوُضِ النَّظْرِ فى قُرْبِ

(١) فى بعض نسخ الأصل بياض ولعله كان متروكا لنسبة القول الى منشئه كما يأتى فى نظيره بعد .

الملوك السالفة إلا من لم يلاحظ من خواصنا أمرا إلا سرنا ما نشاهد فيه من الأحوال الحوال .

نحمد على نعمه التي لا تزال تسرى إلى الأولياء عوارفها ، ومنهاه التي لا تبرح تستمل على الأصفياء عواطفها ، وآلائه التي تسد آراءنا في تفويض القرب إلى من إذا باشرها سر بسيرته السرية مستحقها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص لواءها ، وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضياءها ، ووالى الايقان إعادة أداها بمواقف الحق وإبداءها .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بعموم الشفاعة العظمى ، المقصود في السنة ذكر حوضه الذي من شرب منه شربة فإنه بعدها لا يظما ، المنصوص على نبوته في الصحف المنزلة وبشرت به الهواتف نورا ونظما ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالرتب الفاخرة ، وحازوا بالإخلاص في محبته ، سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظوظهم من رضا الله ورضاه فلم يلبوا على خدع الدنيا الساحرة ؛ صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس دولتها من الغروب والزوال ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الأمور بالنظر في مصالحها ، وأحقها بتوفير الفكر على اعتبار مناهجها وأعتاد مناججها ، أمر جهات البر التي تقرب بها السلطان الشهيد الملك المنصور (قدس الله روحه) إلى من أفاض نعمه عليه ، وتوقع في إنشائها فأحسن فيها كما أحسن الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله : لعلمه أن ذلك من أنفس الذخائر التي أعدها بين يديه ، وحل منها في أكرم بقعة نقله الله بها عن سيره إلى مقعد صدق عند ربه ،

وعمرها مواطن العبادَة في يومِ سلّمه بعد أن عَفَى بها معاقِل الكفر في يومِ حربِه ؛ وأقام بها منارَ العلوم فعلا منالها ، وأعدّ للضعفاء بها من موادّ البر والإلطف مالو تعاطته الأغنياء قُصرت عن التطاولِ إليه أموالها ؛ وأن نرتاد لها من إذا فوّضنا إليه أمرا تحقّقنا صلاحه ، وتيقّنا نجاحه ، واعتقدنا تنمية أمواله ، واعتمدنا في مضاعفة ارتفاعه وانتفاعه على أقواله وأفعاله ، وعلمنا من ذلك ما لا نحتاج فيه إلى اختبار ولا اعتبار ، ولا يُحتاج في بيان الخيرة فيه إلى دليلٍ إلا إذا احتاج إليه النهار ، لنكون في ذلك بمثابة من ضاعف لهذه القرب أسباب ثوابها ، أو جدّد لها وقفاً : لكونه أتى بيوت الإحسان في ارتياد أ كفاء النّظر لها من أبوابها .

ولما كان فلان هو الذى نهت أوصافه على أنه ماوّلَى أمرا إلا وكان فوق ذلك قدرا ، ولا اعتمد عليه فيما تضيق عنه همم الأولياء إلا رُحِبَ به صدرا ، ولا طلع في أفق رتبة هلالا إلا وتأمّنته العيون لأجل رتب الكمال بدرا ؛ يدرك مانأى من مصالح ما يليه بأذنى نظر ، ويسبق في سداد ما يباشره على ما يجب سداد الآراء ومواقع الفكر . ونحن نزداد غبطة بتدييره ، ونتحقّق أنّ كل ما عدّقنا به إليه من أمرٍ جليل فقد أسدناه إلى عارفه وفوضناه إلى خبيره - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نعدّق بجميل نظره هذا المهمّ المقدم لدينا ، وأن نفوّض إليه نظر هذه الأوقاف التي النّظر في مصالحها من أكّد الأمور المتعيّنة علينا .

فُرِسِم بالأمر الشريف - لا زال فضله عميما ، ويره يقّدم في الرتب من كان من خواصّ الأولياء كريما - أن يفوّض إليه كيت وكيت .

فليل هذه الرتبة التي أريد بها وجه الله وما كان لله فهو أهمّ ، وقصد بها النفع المتعدى إلى العلماء والفقراء والضعفاء ومراعاة ذلك من أخصّ المصالح وأعمّ .

ولينظر في عموم مصالحتها وخصوصها نظراً يسدّ خللها ، ويزيح علالها ، ويعمر أصولها ، ويثمر محصولها ، ويحفظ في أمانها أموالها ، ويقم بها معالم العلوم في أرجائها ، ويستزل بها مواد الرحمة لساكنها باللسنة قراءتها ، ويستعيد صحة من بها من الضعفاء بإعداد الذخائر لملاطفة أسقامها ومعالجة أدوائها ، ويحافظ على شروط الواقف في إقامة وظائفها ، وأعتبر مصارفها ، وتقديم ما قدمه مع ملاءة تديره باستكمال ذلك على أكل ما يجب ، وتميز حواصلها بما يستدعي إليها من الأصناف التي يعز وجودها ويحتب ، وضبط تلك الحواصل التي لا خرائن لها أوثق ، من أيدي أمنائه وثقاته ، ولا مودع لها أوفق ، من أمانة من يتقى الله حق ثقاته ، فذلك وكناه في الوصايا إلى حسن معرفته وأطلاعه ، ويؤمن نهوضه بمصالحنا وأضطلاعه ، إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظرالجامع الطولوني)

من إنشاء المقرّ البدرىّ ابن المقرّ العلاءي بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء الشريف ، في الدولة الظاهرية برقوق ، كتب به المقرّ الشمسي العمريّ كاتب الدست الشريف لأبي يزيد الدوّادار ، وهي :

الحمد لله الذي أقام من أوليائنا خير ناظر ، يقتر به كل ناظر ، وأدام بنا بناء المعروف الزاهر وحسنه الباهر ، وأنام الأنام في مهاد الأمن بانتقاء ولي لسان الكون حامد له ومدح وشاكر ، وفتح أبواب السعادة باصطفاء صفيّ طاب بسفارته كل خاطر من مقيم وخاطر ، ومنح أسباب السيادة بأوفى وفيّ عمر بوجوده

الوجودَ وعَمَرَ بِجُودِهِ كُلَّ بَادٍ وَحَاضِرٍ ، وَأَبْصَرَ بِالدِّينِ الْمَتِينِ وَالْفَضْلِ الْمَبِينِ فَأَقْنَسَاهُ
لِلنَّظَرِ عَلَى بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَوْلَوِيَّتِهِ بِذَلِكَ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي ظَهَرَتْ بِالْمَزِيدِ فَسَرَّتِ السَّرَائِرَ ، وَظَهَرَتْ بِنُورِ الرُّشْدِ الْمَدِيدِ
فَأَشْرَقَ بِهَا الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَزِيزُ
الْقَادِرُ ، شَهَادَةً صَدَقَتْ فِي الْإِخْلَاصِ بِهَا الْأَلْسِنَةُ وَالضَّمَائِرُ . وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مَعْدِنُ الْأَسْرَارِ ، وَبِحَجْرِ الْجُودِ الزَّاحِرِ ، وَمَنْبَعِ الْأَنْوَارِ ، صَاحِبِ الْآيَاتِ
الظَّاهِرَةِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْمَفَاحِرِ ، الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَجْمُودًا بِحَمْدِهِ الْأَوَائِلُ
وَالْأَوَاخِرُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ النُّجُومِ الزَّوَاهِرِ ، الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ
حَقَّ جِهَادِهِ فَكَانَ كُلُّ مِنْهُمْ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ أَعْظَمَ مَجْتَهِدٍ وَمُؤَيِّدٍ وَنَاصِرٍ ، وَسَلَّمَ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدَ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ أَلْقَيْتُ إِلَيْهِ مَقَالِيدُ الْأُمُورِ ، وَصَرَّفَانَا فِي جَمِيعِ مَصَالِحِ
الْجُمْهُورِ ، وَفَوَّضْنَا إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى لِيَعْمُرَهَا بِنَظَرِهِ السَّعِيدِ وَتَضَاعَفَ لَهُ
الْأَجُورُ ، وَمَكَانًا لَهُ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ حَتَّى صَارَ قُطْبَ فَلَكِهَا عَلَيْهِ تَدْوِيرٌ ، وَبَسَطْنَا
يَدَهُ وَلِسَانَهُ فَهُوَ يَنْطِقُ عَنَّا وَيَأْمُرُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَسْدَرِ فِي الْوُرُودِ وَالصُّدُورِ ، وَقَيَّدْنَا
الْأَرْزَاقَ بِقَلَمِهِ ، وَالْمِهْمَاتِ بِكَلِمِهِ ، فَلَا فَضْلَ إِلَّا مَنْ فَيَضُهُ الْمُنْشُورُ - مِنْ أَمْتَازِ
عَلَى غَيْرِهِ بِفَضِيلَتِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَتَقَدَّمَ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ بِأَثْبَتِ قَدَمٍ ، كَانَ بِهَا
مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقَدَمِ ، وَأَتَّصَفَ بِالشَّجَاعَةِ وَالشَّهَامَةِ وَالْمَعْرِفَةِ النَّاقَةِ وَالْحِلْمِ
وَالْعَدْلِ وَالْحِكْمِ ، فَهُوَ التَّرْجُمَانُ عَنَّا النَّاطِقُ بِفَصْلِ الْخَطَابِ فِي السَّرِّ لِلتُّرْكِ وَالْعَرَبِ
وَالْعَجَمِ ، وَعُرِفَ بِالرَّأْيِ السَّعِيدِ ، وَالنَّظَرِ السَّعِيدِ ، وَالتَّوْبِ الْخَمِيدِ ، وَالْقَوْلِ الْمُنْفِيدِ ،

(١) ظَهَرَتْ بِالْمَزِيدِ قَوِيَّتُهَا وَظَهَرَتْ بِنُورِ الرُّشْدِ وَضَحَّتْ وَبَانَتْ .

والجُود والكَرم ، وطِيع على الخير الجَزِيل ، والدين الجميل ، عُمره في الحق قائم ،
لا تأخذه في الحق لومة لائم ، طالما أحيأ بحسن السفارة من العدم .

هو واحد في الفضل والنظر السعيد لأبي سعيد .

فن الذي يحكيه في الشرف العتيد بطل الوغى أبو يزيد .

قد تفرّد في العفة والديانة ، والثقة والأمانه ، وألتحف بالصفاء ، وتردئ بالوفا ،
وشفى بالخير والخير من كان بالفقر على شفا فحصل له الشفا؛ ووفى بالعهود والمواثيق
وذلك أمر ماخفى ، ولحق في الجود والدين بسميه أبن يزيد البسطامي الولي :
(١)

قالوا : الولي أبو يزيد قد مضى * وهو الفريد بفضله والصادق !

قلت : الأمير أبو يزيد مثله * هناك سابقه وهذا اللاحق !

ولما كان فلان هو المشار إليه بهذه الصفات الحسنه ، والمناقب التي تتوعت
في مدائحها الألسنه ، وعُرف بالجود فلما حبه الأفتدة فارتفعت الأصوات بالدعاء
له معلنه ؛ طالما أنال النعم ، وأزال النقم ؛ وجبر القلوب ، وكشف الكروب ، وجلا
ظلام الخطوب ؛ ونشر المعروف ، وأغاث الملهوف ؛ وأنقذ من المهالك ، وعمر
بتدبيره الممالك ؛ ووصل الأرزاق ، وأجرى الأطلاق على الإطلاق - أقتضت
أراؤنا الشريفة أن نعتمد في جميع الأشياء عليه ، ونلقى مقاليد الأمور إليه ، وننوط
به المهيمات وغيرها : ليكون العلم بالكليات والجزئيات لديه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازال يتحف بالمزيد من كرمه ، ويسبغ جلاييب
نعمه ، ويجرى بحر فضله الواسع ، ويعم بنظره المقربين من أوليائه كل جامع للخير
(٢)
جامع ، أن يستقر

(١) جرى على لغة طي ، نظر السجع فتنبه .

(٢) بياض بالأصل والمراد "في نظر الجامع الطولوني" الخ وكثيرا ما يفعل ذلك في مثل هذه المواضع .

فَلْيَتَلَقَّ هَذَا التَّفْوِيضَ الْجَلِيلَ بِقَبُولِهِ ، وَيَبْلُغَ الْجَامِعَ الْمَذْكُورَ مَا يَرْتَقِبُهُ مِنْ عِمَارَتِهِ
الَّتِي هِيَ غَايَةُ مَأْمُولِهِ . وَمِنْهُ تَوْخَذَ الْوَصَايَا لِأَنَّهُ لِسَانُنَا النَّاطِقُ ، وَسَفِيرُ مَمْلَكَتِنَا الْعَالَمِ
بِالْحَقَائِقِ وَالذَّقَائِقِ ، فَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يُوصَى وَلَا أَنْ نَفْتَحَ مَعَهُ فِي الْوَصِيَّةِ أَبَا ، وَمَا يَصْلُحُ
أَنْ يُقَالَ لِغَيْرِهِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ خِطَابًا :

وَمِثْلُكَ لَا يُدَلُّ عَلَى صَوَابٍ * وَأَنْتَ تَعَلَّمِ النَّاسَ الصَّوَابَا!

وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُعِمُّ بِوُجُودِهِ وَجُودَهُ الْوُجُودَ وَقَدْ فَعَلَ ؛
وَيُبْقِيهِ مَدَى الدَّهْرِ ، وَيَسْتَعِدُّ لِسُعُودِهِ السَّاعَةَ وَالْيَوْمَ وَالْجُمُعَةَ وَالشَّهْرَ ، وَيَجْعَلُ
بَابَهُ الطَّاهِرَ مَفْتُوحًا لِلْقَاصِدِينَ عَلَى الدَّوَامِ ، وَيُقِيمُهُ وَاسِطَةً عِنْدَ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ
أَيُّمَا كَانَ وَرَحْمَةً لِلْأَنَامِ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثالثة

(تَقَابَةُ الْأَشْرَافِ)

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ وَظَائِفِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ
مَوْضُوعَهَا التَّحَدُّثُ عَلَى الْأَشْرَافِ ، وَهُمْ أَوْلَادُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قُلْتُ : وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنَّ الَّذِي يَتَوَلَّى هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ يَكُونُ مِنْ رُءُوسِ
الْأَشْرَافِ ، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ ، وَإِنَّمَا أوردتهُ مَعَ أَرْبَابِ السُّيُوفِ
لِأَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ قَدْ ذَكَرَ فِي بَعْضِ دَسَاتِيرِهِ الشَّامِيَّةِ أَنَّهُ يُكْتَبُ
لِنَقِيبِ الْأَشْرَافِ « الْأَمِيرِيِّ » وَلَا يَكْتَبُ لَهُ « الْقَضَائِيُّ » وَلَوْ كَانَ صَاحِبَ قَلَمٍ .

وقد رأيت له عدّة تواقع على ذلك مكتتبه من الأبواب السلطانية وعن نائبي الشام وحب وغيرهما، معبراً عنه فيها «الأميرى» وتوقيع في قطع الثلث مفتتح بحُطبة مفتحة بـ«الحمد لله» .

(١)

وهذه نسخة [توقيع] بتقابة الأشراف، وهى :

الحمد لله مشرف الأنساب، ومو فى الأحساب، حقوق ملاحظتهم بغير حساب،
وجاعل أيماننا الشريفة تحمد الأكتساب .

نحمده بحامد حسنة الإيجاد والإيجاب . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شك فى مقالها ولا أرتياب . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبىه الذى أنزل عليه الكتاب، وشرف به الذرارى من شجرته المباركة الأعقاب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تتوارى شمسها بحجاب .

وبعد، فإن خير ما صرفت الهمم إلى تشييد مبانيه، وتقويد مهمل رواعيه وملاحظة قاصيه ودانيه، المحافظة على كل ما يرفع قدر الآل ويعليه، ويرد إليهم عنان الاعتناء ويثنيه .

ولما كانت العترة الطاهرة النبوية وراث الوحي الذين آل إليهم ميراثه، وأهل البيت الذين حصل لهم من السؤدد آياته، وقد سأل الله وهو المسؤل لهم القربى، وخصهم بمزايا حقيق بمثل متصرفهم أنه بها يُجى وأنها لهم تُجى : لما فى ذلك من بركات تُرضى سيد المرسلين وتُعجبه، ويُسطر الله [الأجر] لفاعله ويكتبه، وكان لا بد لهم من رئيس يُضد سلكهم وينظمه، ويعظم نخرهم ويفخمه، ويحفظ أنسابهم،

ويصقل بمكارمه أحسابهم ، ويمى بتدييره ريعهم ، ويتابع تحت ظل هذه الشجرة الزكية ما زكى ينعمهم ، ويحفظهم في ودائع النسل ، ويصد عن شرف أرومتهم من الأذعياء المدعين بكل نسل^(١) ، ويحرس نظامهم ، ويوالي إكرامهم ، ويأخذهم بمكارم الأخلاق ، ويمددهم بأنواع الإرفاد والإرفاق ، ويتولى ردع جانبيهم إذا لم يسمع ، ويتدبر فيه قوله : « أنفك منك وإن كان أجدع » .

ولما كان فلان هو المشار إليه من بنى هذه السلالة ، وله من بينهم ميزة باطنة وظاهرة وإن كانوا كلهم شيئاً واحداً في الإجلال والإعظام ، فقد تميزت من بين الأناهل السبابة على الخنصر والنصر والوسطى والإبهام ، ولم تخرجني فضل بعضه على بعض في الأكل وهو يسقى بماء واحد ، وقد أمتاز على بنى هاشم سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام - أقتضى حسن الرأي المنيب ، أن رسم بالأمر الشريف - لا بريح يختار وينتقى ، ويحتجى من يخشى الله ويتقى - أن تفوض إليه نقابة الأشراف الطالبيين على عادة من تقدمه من الثقباء السادة .

فليجمع لهم من الخير ما يهيج الزهراء البتول فعله ، ويفعل مع أهله وقرباته منهم ما هو أهله ، وليحفظ مواليدهم ، ويحرر أسانيدهم ، ويضبط أوقافهم ، ويعتمد إنصافهم ، ويثمر متحصلاتهم ، ويكثر بالتدبير غلاتهم ، ويأخذ نفسه بمساواتهم ، في جميع حالاتهم ، وليأخذهم بالتجمع عن كل ما يشين ، والعمل بما يزين ، حتى يضيفوا إلى السؤدد حسن الشيم ، وإلى المفاخر فخر القيم ، وكل ما يفعله معهم من خير أو غيره هو له وعليه ، ومنه وإليه ، والله يحفظه من خلفه ومن بين يديه ، بمنه وكرمه ! .

(١) البسل الشدة كما في اللسان . وقع في الاصل « نسك » بالنون والكاف وهو تصحيف .



وهذه نسخة وصية لنتيب الأشراف أوردها في "التعريف" فقال :

ونحن نُجِلكَ عن الوصايا إلا ما تَتَبَرَّكَ بِذِكْرِهِ ، وَيُسْرِكَ إِذَا أَشْمَلْتَ عَلَى سِرِّهِ ؛
فَأَهْلَكَ [أَهْلَكَ ؛ رَاقِبٌ] ^(١) اللَّهُ وَرَسُولَهُ جَدَّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أَنْتَ عَنْهُ مِنْ
أُمُورِهِمْ مَسْئُولٌ ، وَأَرْفُقُ بِهِمْ فَهَمُّ أَوْلَادِ أُمَّكَ وَأَيْبُكَ حَيْدَرَةَ وَالتَّبُولُ ؛ وَكُفَّ يَدَ مَنْ
عَلِمْتَ أَنَّهُ [قَدْ] ^(١) اسْتَطَالَ بِشَرْفِهِ فَتَدَّ إِلَى الْعِنَادِ يَدًا ، وَأَعْلَمَ أَنَّ الشَّرِيفَ وَالْمَشْرُوفَ
سِوَاءٌ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا مَنْ أَعْتَدَى ؛ وَأَنَّ الْأَعْمَالَ مَحْفُوظَةٌ ثُمَّ مَعْرُوضَةٌ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ
فَقَدِمَ فِي الْيَوْمِ مَا تَفَرَّحَ بِهِ غَدًا ؛ وَأَزَلَّ الْبِدْعَ الَّتِي يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْعُلُوِّ فِي وَلَائِهِمْ ،
وَالْعُلُوِّ فِيمَا يُوجِبُ الطَّعْنَ عَلَى آبَائِهِمْ ؛ : لِأَنَّهُ يُعْلَمُ أَنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
كَانُوا مَنَزَّهِينَ عَمَّا يَدَّعِيهِ خَلْفُ السَّوِّءِ مِنْ أَفْتِرَاقِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، وَيَتَعَرَّضُ مِنْهُمْ أَقْوَامٌ
إِلَى مَا يُجْزَهُمْ إِلَى مَصَارِعِ حَيِّنِهِمْ ؛ فَلِلشَّيْخَةِ عَثْرَاتٌ لَا تُقَالُ ، مِنْ أَقْوَالٍ تُقَالُ ؛ فَسُدَّ
هَذَا الْبَابَ سَدًّا لَيْبِ ، وَأَعْمَلْ فِي حَسْمِ مَوَادِّهِمْ عَمَلَ أَرِيْبٍ ؛ وَقُمْ فِي نَهْيِهِمْ وَالسَّيْفِ
فِي يَدِكَ قِيَامَ خَطِيبٍ ، وَخَوْفِهِمْ مِنْ قَوَارِعِكَ [مَوَاقِعُ] ^(١) كُلِّ سَهْمٍ مُصِيبٍ ؛ فَادْعِ
« بِحَيٍّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ » إِلَى خَيْرٍ مِنَ الْكُتُبِ وَالسَّنَةِ وَالْإِجْمَاعِ [فَانظِمَّ فِي نَادَى
قَوْمِكَ عَلَيْهَا عَقُودَ الْأَجْتِمَاعِ] ^(١) . وَمِنْ أَعْتَرَى إِلَى أَعْتَرَلَ ، أَوْ مَالَ إِلَى الزَّيْدِيَّةِ فِي زِيَادَةَ
مَقَالَ ؛ أَوْ أَدْعَى فِي الْأئِمَّةِ الْمَاضِينَ مَا لَمْ يَدَّعُوهُ ، أَوْ أَقْنَفَى فِي طُرُقِ الْإِمَامِيَّةِ بَعْضَ
مَا أَبْتَدَعُوهُ ؛ أَوْ كَذَبَ فِي قَوْلِ عَلَى صَادِقِيهِمْ ، أَوْ تَكَلَّمَ بِمَا أَرَادَ عَلَى لِسَانِ نَاطِقِهِمْ ؛
أَوْ قَالَ : إِنَّهُ تَلَقَّى عَنْهُمْ سِرًّا ضَمَّنُوا عَلَى الْأُمَّةِ بِلَاغَهُ ، وَذَادُوهُمْ عَنْ لَذَّةِ [مَسَاغِهِ] ^(١٧) ،
أَوْ رَوَى عَنْ يَوْمِ السَّقِيفَةِ وَالْجَمَلِ غَيْرَ مَا وَرَدَ أَخْبَارًا ، [أَوْ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ مَنْ يَقُولُ :
عَبْدَ شَمْسٍ قَدْ أَوْقَدْتُ لِبَنِي هَاشِمٍ نَارًا] ^(١١) أَوْ تَمَسَّكَ مِنْ عَمَائِدِ الْبَاطِنِ بِظَاهِرٍ ، أَوْ قَالَ

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٣٠ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

إِنَّ الذَّاتَ الْقَائِمَةَ بِالْمَعْنَى تَخْتَلِفُ فِي مَظَاهِرٍ ، أَوْ تَعَلَّقَ لَهُ بِأُتَمَّةِ السَّرْجَاءِ ، أَوْ أَنْتَظِرَ مُقِيمًا بَرَضَوِيٌّ عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ ، أَوْ رَبَطَ عَلَى السَّرْدَابِ فَرَسَهُ لِمَنْ يَقُودُ الْخَيْلَ يَقْدِمُهَا اللَّوَاءَ ، أَوْ تَلَفَّتْ بِوَجْهِهِ يُظَنُّ عَلَيْهِ كَرَمَ اللَّهِ وَجْهَهُ فِي الْغَمَامِ ، أَوْ تَلَفَّتْ مِنْ عِقَالِ الْعَقْلِ فِي أَشْرَاطِ الْعِصْمَةِ فِي الْإِمَامِ . فَعَرَفَهُمْ أَجْمَعِينَ أَنَّ هَذَا مِنْ فِسَادِ أَذْهَانِهِمْ ، وَسُوءِ عَقَائِدِ أَدْيَانِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ عَدَلُوا فِي التَّقَرُّبِ بِأَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ عَنْ مَطْلُوبِهِمْ ، وَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُمْ طَلَبُوا فَقُلْ لَهُ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ .

وَأَنْظُرْ فِي أُمُورِ أَنْسَابِهِمْ نَظْرًا لَا يَدَعُ مَجَالًا لِلرَّيْبِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مَعَهُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِمْ بِغَيْرِ نَسَبٍ ، وَلَا يَخْرُجَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ سَبَبٍ ، وَسَاوِقِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي أُمُورِهِمْ فِي كُلِّ حِسَابٍ وَأَحْفَظْ لَهُمْ كُلَّ حَسَبٍ . وَأَنْتَ أَوْلَى مِنْ أَحْسَنَ لِمَنْ طَعَنَ فِي أَسَانِيدِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَوْ تَأَوَّلَ فِيهِ عَلَى غَيْرِ مُرَادِ قَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأْدِيبًا ، وَأَرَاهُمْ مِمَّا يُوَصِّلُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ طَرِيقًا قَرِيبًا . وَنَكَّلَ بَيْنَ عِلْمَتِ أَنَّهُ قَدْ مَالَ عَلَى الْحَقِّ أَوْ مَالَ إِلَى فَرِيقِ الْبَاطِلِ فَرَقًا ، وَطَوَى صَدْرَهُ عَلَى الْغِلِّ وَغَلَبَ مِنْ أَجْلِهِ عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَقْدِيمِ مَنْ تَقَدَّمَ حَقًّا ؛ [وَجَارَ وَقَدْ]^(١) أَوْصَحَّتْ لَهُمُ الطَّرِيقَةَ الْمُثَلِّيَ طُرُقًا ؛ وَأَرَدَعَهُمْ إِنْ تَعَرَّضُوا فِي الْقَدْحِ إِلَى نِضَالِ نِضَالٍ ، وَأَمْنَعَهُمْ إِنْ فَرَقَهُمْ كُلَّهَا وَإِنْ كَثُرَتْ خَابِطَةٌ فِي ظِلَامٍ ضَلَالٍ ؛ وَقَدَّمَ تَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ عَقْدٍ وَحَلٍّ ، وَأَعْمَلَ بِالشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ فَإِنَّهَا النَّسَبُ الْمَوْصُولُ الْحَبْلُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيَّ بْنَ فَضْلِ اللَّهِ قَدْ ذَكَرَ فِي "التعريف" عِدَّةَ وَصَايَا لِمَجْمَاعَةِ مِنْ أَرَبَابِ السُّيُوفِ ، لَمْ يُكْتَبْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي زَمَانِنَا ، بَلْ رُفِضَ اسْتِعْمَالُهَا وَأُهْمِلَ . وَنَحْنُ نَذْكُرُهَا حِفْظًا لِدِكْرُهَا ، وَأَحْتِيَاطًا أَنْ يَقْتَضِيَ الْحَالُ فِي زَمَنِ كِتَابَةِ شَيْءٍ مِنْهَا .

(١) بياض بالأصل والتصحيح من التعريف ص ١٣٢ .

إحداها — وصية أتابك المجاهدين

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن أصله أطابك بالطاء المهملة ومعناه الأب الأمير ، وأن أول من لقب بذلك زنكي أطابك صاحب الموصل ، ثم غلبت فيه التاء المثناة بدل الطاء ، وهي :

وأنت ابن ذلك الأب حقيقه ، وولد ذلك الوالد الذي لم تعمل له إلا من دماء الأعداء عقيقه ؛ وقد عرفت مثله بثبات الجنان ، وصلت بيدك ووصلت إلى مالم يصل إليه رُح ولا قدر عليه سنان ؛ ولم يزاحك عدو إلا قال له : أيها البادى المقاتل كيف تزاحم الحديد ، ولا تسمى أسمك لجبار إلا قال له : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ . وأنت أولى من قام بهذه الوظيفة ، وألف قلوب هذه الطائفة التي ما حلم بها حالم إلا وبات يردد خيفه ؛ فلما أخذ هذا الأمر بزمامه ، وليعمل لله وإمامه ؛ وليرم في حب البقاء الدائم بنفسه على المنية ، ولينادى على معاقره الدماء زهور سكاكينه الحنية ؛ وأطبع منهم زورا تطاول السيوف بسكاكينها ، وتأخذ بها الأسود في عرينها ؛ وتمتد كأنها آمال ، لما تريد ، وترسل كأنها آجال ، ولهذا هي إلى كل عدو أقرب من جبل الوريد ؛ وأذك منهم شعلا إذا دعيت بأحسابها لا تجد إلا متحاميا ، وأرم منهم سهاما إذا دعيت (؟) بأنسائها الاسماعيلية فقد جاء أن إسماعيل كان راميا ؛ وفرج بهم عن الإسلام كل مضيق ، وأقلع عن المسلمين من العوانية كل حجر في الطريق ؛ وصرف رجالك الميامين ، وتصيّد بهم فإنهم صقور ومناسرهم السكاكين ؛ وأخطف بهم الأبصار فأيمانهم كل سكينه كأنها البرق الخاطف ، وأقطف الرؤوس فإنها ثمرات أينعت لقاطف ؛ وأعرف لهم حقهم وضاعف لهم

تكريماً، وأدم لهم بناً برّاً عَمِيماً، وقدم أهل النفع منهم فقد قدمهم الله ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

وأعلم أنهم مثل الوحوش فزد في تأنيبهم ، وأشكر إقدامهم فظالمًا اقتحموا على
الملوك وما هابوا يقظة حرسهم ، وأرفع بعضهم على بعض درجاتٍ في نفقات تسافرهم
ويعود مجلسهم ، ولا تسو بينهم فاهم سواءً و﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
غَيْرِ أُولَى الضَّرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ . وأصل هذه الدعوة
ما زالت تتنقل بالمواريث حتى انتهت إلينا حرقها ، وأومضت بنا حيث خلعت
هياكلها بجرعاء الحمى بروقها ، والله تعالى يوفقه ويرشده ، ويطول باعه لما قصرت
عنه سواعد الرماح ووصلت إليه يده .



الثانية — وصية أستاذ الدار .

وليتفق أحوال الحاشية على اختلاف طوائفها ، وأنواع وظائفها ، وليرتبها
في الخدمة على ما يجب ، وينظر في أمورهم نظراً لا ينجى معه شيء مما هم عليه
ولا يحتجب ، وليبدأ بهم السباط المقدم الذى يقدم ، وما يتنوع فيه من كل مطعم ،
وما يمتد منه في كل يوم بكرة والعصر ، وما يستدعى معه من الطوارئ التي لا يجدها
الحد ولا يحصرها الحصر ، وأحوال المطبخ الكريم الذى منسه ظهور تلك الخافى ،
ووفاء ذلك الكرم الوافى ، والتقدم إلى الأمانة والمشرفين فيه بأمانة الإنفاق ، وصيانة
المالك كل مما يعاب على الإطلاق . ثم أمر المشروب وما تغلق عليه أبواب الشراب خاناه
السعيدة من لطائف مأكول ومشروب ، وشيء عزيز لا يوجد إلا فيها إذا

عزَّ المطلوب ؛ ومراجعة الأطباء فيما تجرى عليه قوائنها ، وتُسبُّ لطبخه من حمر
اليواقيت كوائنها ؛ وإفراز ما هو للخاص الشريف منها وما هو للتفرقة ، وما لا يصرف
إلا بخط الطيب ولا يسلم إلا إلى ثقه . ثم الطشت خاناه السعيدة التي هي خزانة
اللباس ، وموضع ما يبرز به من الزينة للناس ؛ وما يحتاج إليه من آلات التطيب ،
وما يعين لها من الصابون وماء الورد والطيب ، وغير ذلك من بقية ما هي مستقره ،
ويؤخذ منها مستدره ؛ ومن يستخدم بها ممن برئ من الريب ، وعرف بالعفاف
والأدب ؛ وعلم أنه من أهل الصيانة ، وعلى ما سلم إليه ومن خالطة الأمانة .
ثم الفراش خاناه وما ينصب فيها من الخيام ، وما يكون فيها من فرش سفر ومقام ،
وشمع يفضض كأفور كأفوريته أنوس الظلام . ثم غلمان الإصطبل السعيد والتجاجة
وإن كان إلى سواه استخدامهم ، ولدى غيره مستقرهم ومقامهم ، لكنهم ما خرجوا
من عديده ، ولا يروفهم ويروعهم إلا حسن وعده وخشن وعيده . ثم المناجات
السلطانية وما بها من جمال ، وما يسرح فيها من مال وجمال ؛ ومن يستخدم فيها
من سيروان ومهمرد ، وما فيها من قطار مزدوج وفرد ؛ فيوفر لهذه الجهة نصيباً
من النظر يشاهد أمورها وقد غابت في الأقطار ، وتفرقت كالسحب يلزمها القطار
القطار ؛ وليكونوا على بالله فإنهم يسرقون الذرة من العين ومعهم الذهب العين مجلاً
بالقطار ؛ فليحسن منهم الإرتياد ، وليتخير أرقهم أفئدة فإنهم بكثرة ملازمتهم للإبل
مثلها حتى في غاظ الأجداد . وطوائف المعاملين ، والأبقار ومن عليها من العاملين ،
وزرائب الغنم وخولها ورعاها ، وأصناف البيوت الكريمة وما تطلبه في استدعائها ؛
ونفقات الأمراء الممالك السلطانية في إهلال كل هلال ، وما يصرف في كساهم

على جارى عادتيم أو إذا دعت إليه ضرورة الحال ؛ وما يؤخذ عليه خطه من
 وصولات تكتب ، وأستدعات تُحسب من لوازمه وهى للكثرة لا تُحسب ؛ فليكن
 لهذا كله مراعىا ، ولأموره وإعيا ، وما يجب فيه دون ما لا يجب مستدعياً وإليه
 داعياً ؛ وهو كبير البيت وإليه يرجع أمر كل مملوك ومستخدم ، وبأمره يؤخر
 من يؤخر ويقدم من يقدم ، ومثله يتعلم منه ولا يعلم ؛ وعصاه على الكل محمولة
 على الرقاب ، مبسوطة فى العنق والعقاب ، ومكانه بين يدينا حيث نراه ويرانا ولدينا
 قاب قوسين أو أدنى من قاب .

وعليه بتقوى الله فيها تمام الوصايا وكال الشروط ، والأمر بها فعصاه محمكة
 وأمره مبسوط ، وكل ما يئاط بنا : من خاصة أمورنا فى بيتنا - عمره الله ببقائنا وزاد
 تعميره - بتديره منوط .

الثالثة - وصية أمير اخور .

وقد تقدم فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أنه مرَّكب من لفظين :
 عربى وهو أمير ومعناه معروف ، وأخور فارسى ومعناه العلف ، والمعنى أمير العلف .
 وكأنه فى الأصل كان هو المتولى لعلوفة الخيل ، ثم ارتفعت وظيفته حتى صار صاحبها
 من أكابر الأمراء المقدمين ، وهو يتحدث فى الإصطبلات السلطانية وما حوته
 من خيل وبغال ودواب وجمال وأثاث ، وغير ذلك .

وهذه نسخة وصيته :

وليكن على أكل ما يكون من إزاحة الأعذار ، والتأهب لحركاتنا الشريفة فى ليل
 كان أونهار ، مقدماً الأهم فالأهم من الأمور ، والأبدأ فالأبدأ من [تقديم] ^(١) مرَّا كبتنا

(١) الزيادة عن "التعريف" وهى لازمة كما لا يخفى .

السعيدة وتهيئة موكبنا المنصور؛ وترتيب ذلك كله على ما جرت به العوائد، وتحصيل ما تدعو الحاجة إليه على قدر الكفاية والزوائد؛ والنظر في جميع اصطبلاتنا الشريفة، والجشرات السعيدة، وخيل البريد، والركائب المعدة لقطع كل مدى بعيد؛ وما يجتمع في ذلك وينقسم، وما يركب منها ويجنب مما يسيم الأرض بالبدور والأهلة من كل حافر ومنم، وما هو برسم الإطلاق، وما يعد للمالك الطباقي، وخيل التلاد، وما يجلب من قود كل قبيلة من القبائل ويحيى من كل بلد من البلاد؛ والمشتري مما يباع من الموارث ويستعرض من الأسواق، وما يعد للواكب والسباق؛ وليجل رأيه في ترتيب ذلك كله في مراتبه على ما تقتضيه المهمات، والاحتراز في التلاد مما لعله يبدل ويقال هو هذا أو يؤخذ بحجة أنه مات؛ وليجتهد في تحقيق ما نفق، [وليحرره على حكم ما يتحقق عنده لا على ما أتفق،] وكذلك فليكن فضبه ممن يستخدم عنده من الغلمان، ولا يهمل أمورهم مع معاملتهم بالإحسان؛ ولا يستخدم إلا من شكر سيرته في أحواله، وتعرف خبرته فيما يراد من أمثاله؛ وكذلك الركابة الذين تملك أيديهم أئنة هذه الكرائم، والتحرز في أمرهم ممن لعله يأوى إليهم من أرباب الجرائم؛ والأوشاقيّة الذين هم مثل مماليكه وهم في الحقيقة إخوانه، وجماعة المباشرين الذين هم في مباشرة الإصطبلات السعيدة ديوانه؛ وكل هؤلاء يلزمهم بما يلزم أمثالهم من السلوك، ويعلمهم بما يجب عليهم أن يتعلموه من خدمة الملوك؛ ولا يسمح لأحد منهم في أمر يفضى إلى إخلال، ولا يقتضى قرط إذلال، وليقيم أودهم بالأدب فإن الأدب مافيه إذلال؛ وكل هؤلاء الطوائف ممن يتجنب العامة مخالطتهم لما طار في أيام من تقدم عن أمثالهم من سوء السمع،

(١) في اللسان من معاني "القوق الخيل" وهو المناسب هنا .

(٢) الزيادة عن "التعريف" (ص ١٠٠) وهي لازمة كما لا يخفى .

وَيَتَخَوَّفُ مِنْهُمْ السُّرْعَةَ ؛ فليكن لهم منك أعظم زاجر ، ومن شكى إليك منهم فسارع إلى التنكيل به وبادر ؛ وأشهر من فعلك بهم ما يوجب منهم الطمأنينه ، ولا يعود أحد بعده يكذب يقينه ؛ وأمراء أخوريه الذين هم أتباعك ، وبهم يمتد باعك ، هم بحسب ما تجعلهم بصدده ، وما منهم إلا من يقدر [أن] يتعدى حدّه فى مقام قدمه وبسط يده ؛ فاجعل لكلّ منهم مقاما معلوما ، وشيئا تجعل له فيه تحكيا .

وتتمين الخيول المشتراة والتقاديم قومها بأهل الخبرة تقويم عدل ، وقيل الحق ولا يأخذك فيه لوم ولا عدل ؛ وما يُصرف من العليق برسم الخيول السلطانية ومن له من صدقاتنا الشريفة عايق ، مرّ بصرفه عند الاستحقاق وأضبطه بالتعليق ؛ وتصرف فى ذلك كله ولا تتصرف إلا تصرف شفيق ، وصنّه بأقلام جماعة الديوان ولا تقنع فى غير أوقات الضرورة برفيق عن رفيق ؛ وكذلك البراسيم السلطانية أصلا وزياته ، ولا تصرف إلا مانأمر به وإلا فلا تخرج فيه عن العاده ؛ ونزلاؤك من أمراء العربان عاملهم بالجميل ، وزد فى أخذ خواطرهم ولو بسط بساط الأوس لهم فما هو قليل ، : لتضاعف رغبتهم فى كل عام ، وليستدلوا ببشاشة وجهك لهم على ما بعده من الإنعام ؛ وبغال الكؤوسات السعيدة والأعلام المنصوره ، وأثقال الخزانة العالية المعموره ؛ أجعلها من المهمات المقدمه ، والمقدمات لتأخر أيام النصر المعلمه ؛ ورتبها فى مواقينها ، وأتمها أتم ما يكون من وظائفها ؛ فيها تثبت مواقف العسكر المنصور ، وإليها يأوى كل مستظل ورحى الحرب تدور ؛ وغير ذلك من فئاش الإضطرابات السعيدة من الذهب والفضة والحريه ، وكل قليل وكثير ؛ باشره مباشرة من لا يتخلى ، وأحصيه خرجا ودخلا ؛ وإياك والأخذ بالرخص ، أو إهمال الفرس ، أو طلب فائت جرم أهملته حتى نكص .

الرابعة — وصية مُقدّم المالك .

وقد تقدّم في الكلام على أرباب الوظائف أنه يتحدّث في أمر الممالك السلطانية والحكم بينهم، ويركب خلفهم إذا ركب السلطان كأنه يحفظهم . والوصية هي :

وليُحسّن إليهم ، وليُعلم أنه واحد منهم ولكنه مقدّم عليهم ، وليأخذ بقلوبهم مع إقامة المهابة التي يُخيّل إليهم بها أنه معهم وخلفهم وبين يديهم ، وليُزِم مقدّم كل طبقة بما يلزمه عند تقسيم صدقاتنا الجارية عليهم : من ترتيب الطّباق ، وإجراء ساقية جارية من إحساننا إليهم ولا ينس السّواق ؛ وليُكن لأحوالهم متعهّدا ، ولأموالهم متفقّدا ؛ وليستعلم أخبارهم حتى لا يزال منها على بصيره ، وليُعرف ما هم عليه مما لا يخفى عليه فإنهم وإن لم يكونوا له أهلاً فإنهم جيره ؛ وليأمر كلّاً منهم ومن مقدّميهم والسّواقين لهم بما يلزمهم من الخدمه ، وليرتبهم على حكم مكاتبتهم منّا فإن تساوا فليقدّم من له قُدمه ؛ وليُعدل في كل تفرّقه ، وليُحسن في كل عرض ونفقه ، وليفرّق فيهم ما لهم من الكساوى ويُسبّل عليهم رداء الشّفقه ؛ وليُعدّ منهم لغنايا الحمى سبّاعا تفترس العاديه ، وليُجمّل النظر في أمر الصّغار منهم والجار أصحاب الطّبقات العاليه ؛ وليأخذهم بالركوب في الأيام المعتاده ، والدّخول إلى مكان الخدمه الشريفة والخروج على العاده ، وليُدّرهم في أوقات البيا كير والأسفار نطاقاً دائر الدّهليز المنصور ، وليأمرهم أمراً عاماً بأن لا يركب أحدٌ منهم إلا بدسّور ولا ينزل إلا بدسّور ؛ وليحترز عليهم من طوائف الغلمان ، ولا يستخدم منهم إلا معروفاً بالخير ويقيم عليهم الضّمان ؛ وليحرّر على من دخل عليهم وخرج ، ولا يفتح لأحدٍ منهم إلا من علم أنه ليس في مثله حرج ؛ ولا يدع للريبة بينهم مجالاً للأضطراب ، وليؤص مقدّميهم بتفقّد ما يدخل إليهم فإن الغش أكثره من الدّعام والشّراب ؛ وليدّم مراجعتنا في أمرهم فإنّ بها يعرف الصواب ، وليعمل بما نأمره به ولا يجدّ جوى في جواب .

الضرب الثانى

(ممن يكتب له بالولايات بالديار المصرية أربابُ الوظائف الدينية،

وهو على طبقتين)

الطبقة الأولى

(أصحابُ التقاليد ممن يكتب له بالجناب العالى)

وتشتمل على عدة وظائف

الوظيفة الأولى

(القضاء)

قد تقدّم فى المقالة الثانية فى الكلام على ترتيب الوظائف أن الديار المصرية كان يليها قاض واحد، إلى أن كانت الدولة الظاهرية «بيرس» فى أوائل الدولة التركية، وقاضى القضاة يومئذ القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعزّ الشافعى، فاضطرب الأمر لاختلاف المذاهب، فاقتضى رأى السلطان تقرير أربعة قضاة من كل مذهب قاض، وقرّر القاضى تاج الدين ابن بنت الأعزّ فى قضاء قضاة الشافعية على حاله، وكتب لكلّ منهم تقليدًا بذلك؛ ثم خصّ قاضى القضاة الشافعية بالتولية فى بلاد الريف دون غيره من القضاة الثلاثة، واستمرّ الأمر على ذلك إلى الآن. إلا أنه لما حدث بديوان الإنشاء تنويع ما يكتب لأرباب الأقاليم إلى تقاليد، فى قطع الثلثين، وتفاوض، وتوقيع، فى قطع النصف، تقرّر الحال على أن يكتب للقضاة الأربعة توقيع فى قطع النصف بـ«المجلس العالى»، ولم يز، الأمر على ذلك إلى أن ولي القاضى عماد الدين أحمد الكركى الأزرقى قضاء قضاة

الشافعية في أول سلطنة الظاهر « برقوق » الثانية ، وأخوه القاضي علاء الدين عليّ كتب السرّ ، فعني بأخيه عماد الدين المذكور ، فكتب له تقليدا في قطع الثلثين «الجناب العالی» . وبقى الثلاثة على ما كانوا عليه من كتابة التواقيع إلى أن وليّ القاضي جمال الدين محمود ألبليّ القيسريّ المعروف بالعجميّ رحمه الله قضاء قضاء الحنفية في الدولة الظاهرية أيضا ، مضافا إلى نظر الجيش ، فكتب له تقليد في قطع الثلثين بالجناب العالی أيضا ، وبقى المالكيّ والحنبليّ على ما كانا عليه من كتابة التواقيع في قطع النصف . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن وليّ قاضي القضاة جمال الدين يوسف البساطيّ قضاء قضاء المالكية في الدولة الناصرية «فرج بن الظاهر برقوق» فأنشأت له تفويضا وكتبت له به ، ولم يكن أحد ممن عاصرناه كتب له تفويض غيره . ثم لما وليّ الشيخ جمال الدين عبد الله الأقفهسيّ قضاء المالكية ، كتب له توقيع في قطع النصف ، إلا أنه كتب له «الجناب العالی» كما يكتب لأصحاب التقاليد ، وجرى الأمر فيمن بعده على ذلك . ولم يبق من هو على التّط الأوّل سوى قاضي القضاة الحنابلة ، ويوشك أن يكتب لكل من المالكيّ والحنبليّ أيضا تقليد : لمساواتهم بغيرهم من الأربعة . وقد ذكرت ما يكتب لهم من تقاليد وتواقيع هنا جمعا للفتريّ وتقريبا للماخذ .

وهأنا أذكر ما يكتب للأربعة على الترتيب .

الأول (قضاء القضاة الشافعية)

وهذه نسخة تقليد قضاء القضاة الشافعية ، كتب به لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعزّ رحمه الله ، حين استقرّ أحد القضاة الأربعة بعد انفراده بالوظيفة على ما تقدّم ، وهي من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى ، وهي :

الحمد لله مجرد سيف الحق على من اعتدى، وموسع مجاله لمن راح إليه وأعتدى،
وموضح طريقه لمن اقتاد وأقتدى، ومزين سمائه بنجوم تستمد الأنوار من شمس
الهدى، الذى أعذب لشرعة الشريعة المحمدية يتبوعا، وأقامها أصلا مديتار
الرشد فروعا .

نحمده على نعمه التى ألزمتنا لتشييد مبانيها شروعا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة نعمة بها من القلوب والأفواه ربوعا . ونصلى على سيدنا محمد الذى
أرسله الله إلى الخلائق جميعا، وقام بعبد الأمر يصنع حسنا ويحسن صديعا ،
صلى الله عليه وعلى آله صلاة لا يرح برؤها ملموعا، ولا ينفك وترها بالتسليم مشقوعا .

وبعد، فإن أحق من جدد له شرف التقرىض، وخلد له إرضاء الأحكام وإمضاء
التفويض، وریش جناحه وإن لم يكن المهيض، وفسح مجاله وإن كان الطويل
العريض، ورفع قدره على الأقدار، وتسمت من سحابه الأنواء ومن أشعته
الأنوار، من غزر مده فخرت منه فى رياض الحق الأنهار، وغدا تخشع لتقواه القلوب
وتنصت لقوله الأسماع وترنو لمحياه الأبصار؛ قد أوفد من إرشاده للأمة لطفًا فطفا،
وأوقد من علمه جذوة لالتجوب وقبسا بالهوى لا يطفى، وفات النظراء والنظار فلا يرسل
أحد معه طرفا ولا يمد إليه من حياته طرفا، وأحتوى من علوم الشريعة على ماتفرق
فى غيره، وغدا خير دليل إلى الحق فلا يقتدى فى المشكلات إلا برأى أجهاده
ولا يهتدى فى المذاهب إلا بسيره، وكان لفلک الشريعة المحمدية قُطبا، وجُثمانها
قَلبٌ ولسوارها قَلبًا، ولدليلها برهانًا، ولإنسانها عينا ولعينها إنسانًا؛ فكم أرضى بنى
الأنام عن الأيام، وكم أغضى حياء مع قدرته على الانتقام؛ وكم أمضى لله حكما
لا انفصال لعروته ولا انفصام، وكم قضى بالجور فى ماله وبالعدل فى الأيتام؛

فلو استعداهُ الليلُ على النهار لأنصفه من تعديهِ ، ولم يُداجه لما ستره عليه من تعديهِ في دياجيهِ ؛ فهو الصادعُ بما أمر اللهُ به ولو على نفسه ، والمستردُّ الحقوقَ الذاهبةَ من غير محاباةٍ حتى لئده من يومه وليومه من أمسه .

ولما كان قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ممن هو في أحسن هذه السمات قد تصوّر ، وكادت نجومُ السماء بأنواره تتكثّر ، وتجوهر بالعلوم فأصبح حقيقةً هو التاجُ الجوّهر ؛ وله مزايا السؤدد التي لا يُسك فيها ولا يُرتاب ؛ وسجايا الفضل التي إذا دخل [إليه] غيره من باب واحد دخل هو إليه من عدة أبواب ؛ وهو شجرة الأحكام ، ومصعد كلِّ الحكم ؛ ومطلع أنجم شرائع الإسلام ، ومهيّط وحي المقدّات والإرتسام ، ومجتمع رفاق القضايا في الحلال والحرام - خرج الأمر الشريف بتجديد هذا التقليد الشريف له بقضاء القضاة بالديار المصرية : فليستصحب من الحق ما هو مليّ باستصحابه ، وليستمر على إقامة منار الحق الذي هو موثقُ عراه ومؤكّد أسبابه ، وليحتلب من أخلاف الإنصاف ما حفّله آجتهاده ليد احتلابه ؛ عالماً بأن كل إضاءة إنارتها من قبسه ، وإن استضاء بها في دياحي المنى ، وكل ثمرة من معتزسه ، وإن مد إليها يد الاجتينا ؛ وكل جدوى هو من بجره وإن بسط إليه راحة الاعتراف ، وكل منجج هو من جادته وإن ثنى إلى سلوكه عنان الإنصاف لا الإيخلاف ؛ وهو بحمد الله المجتهد المصيب ، والمأدّة للعناصر وإن كان نصيبه منها أوفر نصيب ؛ وسجاياه يتعلم منها ، كيف يوصى ويعلم ، ومزاياه تقوم الأود ، كيف يقوم ، والله الموفق بمنه وكرمه ! .

الثاني - قاضي قضاة الحنفية على ما استقر عليه الحال من لدن القاضي جمال الدين محمود القيسري وإلى آخر وقت . وموضوعها النظر في الأحكام

الشرعية على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، ويخصّ نظره بمصر والقاهرة خاصة .

وهذه نسخة تقليد بقضاء قضية الحنفية كتب به لمن لقبه شمس الدين ، وهى :

الحمد لله الذى أطلع فى أفق الدين الحنيف شمساً منيرةً ، ورفع درجة من جعله من العلم على شريعة ومن الحكم على بصيره ؛ وقد أمور الأمة لمن يعلم أن بين يديه كتاباً لا يُعادِر صغيرةً ولا كبيرةً ، ووفق لمنصل القضاء من مثلى على قدم أقدم الأئمة فسار فى مذهبه المذهب أحسن سيره ؛ الذى أدخر للحكم فى أيامنا الشريفة من نفائس العلماء أفضل ذخيره ، وقضى بإرجاء أمره لنختار له من تحلى به بعد العطل وكل قضاءٍ خير ، وأيقظ عنايتنا لمن رقد الدهر عن فضله فباتت عين الاستحقاق باستقرار رتبته قريره .

نحمده حمد من توافقت إليه النعم الغزيرة ، وتوالت عليه المنن الكثيرة فى المدد اليسير ، وأخصبت فى أيامه رياض الفضائل فهى بكل عالم عدم النضير نصيره ؛ وأفتتح دولته برفع منار العدل فأمال أهل الظلم عن تعاطيه قاصرةً وأيدى أهل الباطل عن الأمتداد إليه قصيره ، وخص المناصب فى ممالكه بالأكفاء فإذا تلبست بها همم غيرهم عادت خاسئةً أو امتدت إليها أبصار من دونهم رجعت حسيه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تُصاحح العنان والسريه ، وتُصيح بها القلوب موقنةً والألسن ناطقةً والأصابع مشيرةً ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعث الله به الرسل محبرةً وأنزل الكتب بمبعثه بشيره ؛ وأجتاباه فى خير أمة من أكرم أرومة وأشرف عشيره ، وأظهر أنوار ملته إلا لمن أعمى النى بصيرته وهل ينفع العمى شمس الظهير ؛ وخصه بالأئمة الذين وفقهم للاستعانة بالصبر

والصلاة وإنما لكبيره، وجعل علماءهم ورثة الأنبياء فلو أدعيت لأحكامهم العصمة لكانت بذلك جديره؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً نتقربُ بدوامها إلى الله فيضاعفها لنا أضعافاً كثيرة، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى الأمور بأن تُشاد قواعده، وتُعهد معاهدته؛ ويُعلَى مناره، وتفاضَ بطلوع شمسه أنواره؛ ويُجلى به بعد العطل جيده، ويُنظَم في سلك عقود الأمة فريده؛ وتكَلَّ به قوى الدين تكلمة الأجساد بقوى الطباع الأربع، وتُعمَّر به ربوعُ الملة التي ليس بعدها من مصيف لمة ولا مَرَبَع، وتُثَبَّت به قوائمُ الشرع التي ما للباطل في إمالة بعضها من مطمع؛ وتُجلى به عمن ضاق عليه المجال في بعض المذاهب الغمَّة، ويستقرَّ به عددُ الحُكَّام على عددِ الأئمة المستقرِّ على عددِ الخلفاء الراشدين من خلفاء الأمة؛ ويمتدَّ به على الخلق جناح الرحمة وافِر القوائد وإرف الظلال، ويجمع به عليهم ما جمع الله في أقوال أئمَّتهم من الحق وما ذابعد الحق إلا الصلال، - أمر القضاء على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه الذى أشقَّ الله له من الملة الحنيفة نسبة سرت في الآفاق، وأفاض عليه من مواد القياس الجلى كنوزاً نمت على الإنفاق، وعصَّد أيامه بوليَّ عهدٍ قولهما حجة فيما تفردا به من الخلاف أو اجتمعا عليه من الوفاق؛ وعدَّ من التابعين لقدم عهده، وسمى «سراج الأمة» لإضاءة نوره بهما من بعده .

ولما خلا بانتقال مباشره إلى الله تعالى، توقَّف مدَّة على آرتياد الأكَفاء، وآرتياد من هو أهل الأصطفاء؛ وأختيار من تكلم به رفعة قدره، ويعيد لدسته بتصدُّره على لِساط سليمانِه بهجة صدره؛ ويغدو لِسراً إمامه بعد إماتة هذه الفترة باعثاً، ويُصيح وإن كان واحدَ عصره لأبى يوسف ثانياً ولمحمد بن الحسن ثالثاً؛

وَيُسَبَّهَ بِهِ الْبَلِيحِيُّ زُهْدًا وَعِلْمًا ، وَالطَّحَاوِيُّ تَمَسُّكًا بِالسُّنَّةِ وَوَهْمًا ؛ وَيُنْتَرَفُ الْقُدُورِيُّ
 مِنْ بَجْرِهِ ، وَيُعْتَرَفُ الْحُصْرِيُّ بِالْحَصْرِ عَنْ إِحْصَاءِ فَضْلِهِ وَحَصْرِهِ ؛ وَيَقِفُ مِنْ
 مَذْهَبِ ابْنِ ثَابِتٍ ، عَلَى أَنْبَتِ قَدَمٍ وَيُنْتَمِي مِنْ فِقْهِ النَّعْمَانِ إِلَى فَرْعِ زَاكٍ وَأَصْلٍ
 ثَابِتٍ ، وَيُنَشِّرُ مِنْ أَحْكَامِهِ مَا إِنْ وَافَقَ الْأُئِمَّةَ فَهُوَ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ وَمُحَجَّةٌ سَاطِعَةٌ ؛
 أَوْ خَالَفَهُمْ بِمَذْهَبِهِ فَهُوَ رَحْمَةٌ وَسِعَتْهُ ، وَنِعْمَةٌ [و] إِنْ كَانَتْ بَيْنَ الطَّرِيقِ فَارِقَةً فَإِنَّهَا عَلَى
 الْحَقِّ جَامِعَةٌ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمُنْتَظَرُ لِهَذِهِ الرَّتَبَةِ أَنْتَظَرَ الشَّمْسَ بَعْدَ الْعَسَقِ ، وَالْمُرْتَقَبُ
 لِبُلُوغِ هَذِهِ الْمُنْزَلَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ إِلَيْهَا بُوَادِرُ اسْتِحْقَاقِهِ فِي السَّبْقِ ، وَالْمَعْطُوفَ عَلَى مَنْ
 وَصِفَ مِنَ الْأُئِمَّةِ وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْ زَمَانِهِ عَطَفَ النَّسَقُ ؛ وَهُوَ الَّذِي مَادَامَ يَعْدِلُ دَمَ
 الشَّهَادَةِ مَدَادُ أَقْلَامِهِ ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ مِنْ نَقْلِ خَطَوَاتِهِ
 فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَعَى أَقْدَامِهِ ؛ وَدَخَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُمْرَةِ مَنْ حُصِرَ بِإِنَّمَا^(١) ،
 وَهَجَرَ الْمُضَاجِعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَلَوْ عَدَّتْ هَجَعَاتُهُ لَقَامَا ؛ وَهَجَرَ فِي إِحْرَازِ
 الْفَضَائِلِ فَقِيْدَ أَوَابِدِهَا ، وَأَحْرَزَ شَوَارِدَهَا ؛ وَجَلَّحَ فِي بِيحَارِ الْمَعَانِي فِقَاصَ عَلَى
 جَوَاهِرِهَا ؛ وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي نُجُومِ الْعُلُومِ فَاحْتَوَى عَلَى زُهْرِهَا وَرَادَ نَحَائِلَ الْفَضَائِلِ
 فَاسْتَوَى عَلَى أَزَاهِرِهَا ؛ وَأَنْتَهَى إِلَيْهِ عِلْمُ مَذْهَبِهِ فَبَرَزَ عَلَى مَنْ سَلَفَ ، وَجَارَى عِلْمَاءَ
 عَصْرِهِ فَوْقَ أَبْصَارِهِمْ عَنْ رُؤْيَةِ غُبَارِهِ وَمَا وَقَّفَ ، وَنَحَا نَحْوَ إِمَامِهِ فَلَوْ قَابَلَهُ
 يَعْقُوبُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ فِي بَحْثٍ لَأَنْصَرَفَ ؛ وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَإِنْ كَانَ فَرَضَ كِفَايَةَ
 لَا فَرَضَ نَعْيٍ ، وَقَدَّمَ التَّرْجِيحُ الَّذِي جَعَلَ رُتْبَتَهُ هَمْزَةً اسْتِفْهَامٍ وَرُتْبَةَ غَيْرِهِ بَيْنَ
 بَيْنَ - آقْتَضَى رَأْيًا الشَّرِيفُ أَحْتِصَاصَهُ بِهَذَا التَّمْيِيزِ ، وَالتَّنْبِيْهِ عَلَى فَضْلِهِ الْبَسِيطِ بِهَذَا
 الْفِظِ الْوَجِيزِ .

(١) يريد الإشارة إلى قوله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

فلذلك رُسم أن يفوض إليه كيت وكيت . فليتول هذه الرتبة التي أصبح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نائباً وبشرعه قائماً، ويتقلدها تقلد من يعلم أنه قد أصبح على حكم الله مُقدِّماً وعلى الله قايماً، ويتثبت تثبت من يعتصم بالله في حكمه فإن أحد الخصمين قد يكون ألحن بحجته وإن كان ظالمًا ، ويلبس لهذا المنصب حلة تمنع المبطّل من الإقدام عليه، وتدفع الظالم عن التطاول إلى أمر تزعج الشرع من يديه ، وتؤمن الحق من امتداد يدي الجور والحيف إليه ؛ وليسويين الخصمين في مجلسه ولحظه ، ويعديل بينهما في إنصاته ولفظه ؛ ليعلم ذو الجاه أنه مساوٍ في الحق لخصمه ، مكفوف باستماع حجته عن الطمع في ظلمه ؛ ولا ينقض حكماً لم يخالف نصاً ولا سنةً ولا إجماعاً، وليشارك فيما لا يحمله من القضايا غيره من العلماء ليريد بذلك مع اطلاعه اطلاعا، وليغتنم في ذلك الاستعانة بأرائهم فإن الله تعالى لا يترع هذا العلم انتزاعاً، وليسد مسالك الهوى عن فكره، ويصرف دواعي الغضب لغير الله عن المرور بذكره؛ وليجعل العمل لوجه الله نتيجة علمه، وليحكم بما أراه الله (والله يحكم لا معقب لحكمه) ؛ إن شاء الله تعالى .

الثالث - قاضي قضاة المالكية :

وهذه نسخة تقليد بقضاء قضاة المالكية ، لقاضي القضاة جمال الدين يوسف البساطي المُقدّم ذكره ، في العشر الأخير من رجب الفرد سنة أربع وثمانمائة ، وهو :

الحمد لله الذي شفع جلال الإسلام بجماله ، وناط أحكامه الشرعية بمن أقرن بحميد مقاله جميل فعّاله ، وخصّ مذهب عالم المدينة بخير حاكم ما جرى حديثه

الحسن يوماً إلا وكان معدوداً من رجاله ، وعدق النظر في أحكامه بأجل عالم لو طلب له في الفضل مثل لعجز الزمان أن يأتي بمثاله .

نجمه على أن أخلف من النبعة الزكية صنواً زاكياً ، وأدال من الأخ الصالح أخاً للعلوم شافياً ، ولمنصبه العليّ والله الحمد وإفياً . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مجرد سيف الحق على كل مبطل معاند ، ومرهف حده القاضى لكل ملحد عن سواء السبيل حائد ، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل نبي فاق الأنام بفضله وعم البرية بعدله ، وسد باب التوبة على متنقصه فلم تكن لتقبل توبه مثله ، وكان إلى مالك مصيره فلا جرم قضى بإهدار دمه وتحتم قتله ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ذبوا عن حياى الدين وذادوا ، وسلخوا سبيل المعدلة إذ حكموا فاضلوا عن سنن الطريق ولا حادوا ؛ صلاة تبقى بقاء الدهور ، ولا تزول بهجة جاملها بتوالى الأعوام والشهور ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى ما قصر عليه النظر ، وأستغرقت فيه الفكر وعرا العيون فيه السهر ؛ وصرفت إليه الهمم ، ورغبت في البراءة من تخلفه الذمم - النظر في أمر منصب الشرع الشريف الذى يأوى الملهوف إلى ظله ، ويأجأ المستجير إلى عدله ، ويتعلق العنفة بوثيق عروته وميتين حبله ؛ وبرهته يكف الظالم عن ظلمه ، وينتصف اللحم من خصمه ، ويذعن العاصى إلى طاعته وينقاد الأيى إلى حكمه ، ويأتم به الخائر فى دجى الجهل فيستضيء بنوره ويهتدى بنجمه ؛ لاسيما مذهب مالك الذى لم يزل للدين من أهل الإلحاد مثيراً ، وللقصاص من أهل العناد مبتدراً ، وبسل سيف الحق على الطغاة المتمردىن مشتيراً ؛ ففاز من سطات الإرهاب بأرفع المراتب ، وعلا رقاب الملحدىن بأرهم القواضب ، وخص من

سَفَكَ دِمَاءَ الْمُبْطِلِينَ عَلَى الْبَتِّ بِمَا لَمْ يَشَارِكْهُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمَذَاهِبِ ؛ فَوَجَبَ أَنْ يُخْتَارَ لَهُ مِنْ يَنْصُ الْأَخْتِبَارَ عَلَى أَنَّهُ أَهْلٌ لِلْإِخْتِبَارِ ، وَيَقْطَعُ الْمُنَافِسَ أَنَّهُ الرَّاجِحُ وَزَنَا عِنْدَ الْأَعْتِبَارِ ، وَتَأْخُذُ مَنَاقِبُهُ الْبَسِيطَةَ فِي الْبَسْطِ فَلَا تَنْفَدُ إِذَا نَفَدَتْ مَنَاقِبُ غَيْرِهِ الْمُرَكَّبَةُ عِنْدَ الْأَخْتِصَارِ ؛ وَيَشْهَدُ لَهُ ضِدُّهُ بِالتَّقَدُّمِ فِي الْفَضْلِ وَإِنْ لَمْ تَتَقَدَّمْ مِنْهُ دَعْوَى ، وَيَعْتَرِفُ لَهُ بِالْإِسْتِحْقَاقِ خَصْمُهُ فَيَتَمَسَّكَ مِنْ عَدَمِ الدَّافِعِ فِيهِ بِالسَّبَبِ الْأَفْوَى ، وَيُحَكِّمُ لَهُ بَعْلُو الرُّتْبَةِ مُنَاوِنُهُ فَيَرْتَفِعُ الْخِلَافُ وَتَقْطَعُ النَّجْوَى ، وَيَسَجَّلُ لَهُ حَاسِدُهُ بَثُوتِ الْمَفَاحِرِ الْمَحْكُومِ بِصِحَّتِهَا فَلَا يَنْقُضُهَا حَاكِمٌ وَإِنْ بَلَغَ مِنْ تَدْقِيقِ النَّظَرِ الْغَايَةَ الْقُصْوَى ؛ وَتَنْفِذِ أَحْكَامِهِ فِي الْبَرِيَّةِ فَلَا يُوجَدُ لَهَا مُخَالَفٌ ، وَتَحَذَرُ شَيْعَةُ الْبَاطِلِ سَطْوَتَهُ فَلَا يَرَى لِبَاطِلِ مُخَالَفٍ ، وَيَشْتَهَرُ عَنْهُ مِنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ مَا يَأْمَنُ مَعَهُ الْمُسْتَضْعَفُ الْخَائِفُ ، وَيَتَحَقَّقُ فِيهِ مِنْ قِيَامِ الْعَدْلِ مَا يَرْتَدِعُ بِهِ الظَّالِمَ الْخَائِفَ ؛ وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ فِي لُزُومِ الْحَقِّ الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ؛ وَلَا يُفَرِّقُ فِي لَازِمِهِ بَيْنَ الْمَشْرُوفِ وَالشَّرِيفِ ؛ وَلَا يُمَيِّزُ فِي حَمْلِ الْأَعْبَاءِ الشَّرْعِيَّةِ بَيْنَ الشَّاقِّ وَغَيْرِهِ وَلَا بَيْنَ الثَّقِيلِ وَالْخَفِيفِ ؛ وَلَا يُجَاهِي قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ ، وَلَا جَلِيلًا لْجَلَالَتِهِ ، وَلَا ظَالِمًا خَوْفَ ظَاهِمِهِ وَلَا إِذَا اسْتَطَالَتْ لَاسْتِطَالَتِهِ ، وَلَا يَسْتَرِلُهُ دَوْلَسَنَ لِّلْسِنَةِ وَلَا بَلِغًا لِّبَلَاغَتِهِ ، وَلَا يُخَالَفُ بَيْنَ الصِّدِّيقِ الْمَلَاظِفِ وَغَيْرِهِ إِلَّا فِي مَنَعِ قَبُولِ شَهَادَتِهِ .

ولما كان المجلس العالی القاضوی ، الکبیری ، الإمامی ، العالی ، الصّدری ، الرئیسی ، الأوحیدی ، العلامی ، الکاملی ، الفاضلی ، المفیدی ، الفریدی ، الحنجی ، القدوی ، الخاشعی الناسکی ، الحاکمی ، الجمالی ، جمال الإسلام ، شرف الأنام ، حاکم الحکام ، أوجد الأئمة ، مفید الأئمة ، مؤید الملله ، معز السنه ، شمس الشریعه . سیف المناظرین ، لسان المتکلمین ، حکم الملوك والسلاطین ، خالصه أمير المؤمنین ،

أبو المحاسن «يوسف البساطى» المالكى - أدام الله تعالى نعمته - هو المراد من هذه الصفات ، التى وقعت من محله الكريم موقعها ، والمقصود من هذه السمات ، التى ألفت من سيرته الفاضلة موضعها ، وقارع صفة هذه الدرورة التى ما كان ينبغى لغيره أن يقرعها ، وشمس الفضل الحقيقى بمثلها أن لا يتوارى جملها بحجاب الغروب ، وفاصل مشكلات القضاء إذا اشتد إشكالها وعظمت فى فصلها الخطوب ، ومتعين الولاية التى إذا كانت فى حق غيره على الإباحة كانت فى حقه على الوجوب ، وقد درب الأحكام وخبرها ، وعرف على التحقيق حالها وخبرها ، وورد من مشاربها الرائقة أصفى المناهل فأحسن ورددتها وصدرها ، ونفست جواهر فوائده ففافت جواهر المعادن ، وغطت محاسن فضله فضائل غيره ولا تنكر المحاسن «يوسف» وهو «أبو المحاسن» ، فعلموه المدونة بالبيان والتحصيل كإفله ، ومقدمات تنبيهاته بنتائج النوار الحسنة متواصله ، وتهذيب ألفاظه المنقحة تؤذن بالتحجير ، وعيون مسائله المتواردة لا تدخل تحت حصر ولا تقدير ، فلوراه «مالك» لقال : ما أعظم هذه الهمة ، أو أدركه «أبن القاسم» لوفر من الشاء عليه قسمه ، أو عاصره «أبن عبدالحكم» لحكم له بأن سهمه قد أصاب الغرض وغيره أطاش الريح سهمه ، أو عاينه «أشهب» لقال قد ركب هذا الشهباء أتى يلحق ، أو سمع «أبن وهب» كلامه لقطع بأنه هبة ربانية وبمثله لم يسبق ، أو بلغ «أبن حبيب» خبره لأحب لقاءه ، أو بصر به «سحنون» لتحقق أنه عالم المذهب ما وراءه ، أو استشعر بقدمه «أبن سيرين» لبشره ، أو جاوره «أبن عوف» لعاف مجاورة غيره أو مجاوزة طنبه ، أو جالسه «أبن يونس» لتأنس بجالسته ، أو حاضره «أبو الحسن بن القصار» لأشجى قلبه بحسن محاضرتة ، أو جاراها «القاضى عبد الوهاب» لقضى بعلو مكانته ، أو اتصل ذكره «بالمازرى» لزرى على «مازر» لبئدها عن دار إقامته ، أو أطلع

«القاضي عياض» على تحقيقاته لاستحسن تلك المدارك، أوناظره «أبن عبد السلام»
 لَسَلَّمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي الْمُنَاطَرَةِ نَظِيرٌ وَلَا فِي تَدْقِيقِ الْبَحْثِ مُشَارِكٌ ، أَوْ مَرَّ بِهِ
 «أبن الجلاب» جَلَبَ فَوَائِدَهُ إِلَى بِلَادِهِ ، أَوْ حَضَرَهُ «أبن الحاجب» لِتَحَقُّقِ أَنَّهُ
 جَامِعُ الْأُمَمَاتِ عَلَى آتِفَرَادِهِ .

هَذَا وَقَدْ حُفَّ بِجَلَالِ لَا عَهْدَ لِأَحَدٍ بِمِثْلِهِ ، وَلَا طَاقَةَ لِفَاعِلٍ بِمُقَاوَمَةِ فَضْلِهِ ،
 وَلَا يَسْمَحُ الزَّمَانُ بِنَظِيرِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَمَا لَمْ يَسْمَحْ بِهِ مِنْ قَبْلِهِ ، فَاجْتَمَعَ مِنْ جَمَالِ الْجَلَالِ ،
 وَجَلَالِ الْجَمَالِ ، مَا لَمْ يَكُنْ لِيَدْخُلَ تَحْتَ الْإِمْكَانِ ، وَعُزِّزَ عَدُّهُمَا مِنْ أَعْلَامِ الْأُمَّةِ
 بِثَالِثٍ وَرَابِعٍ فِقَامَ بِنَاءِ الدِّينِ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ ، وَلَا عِبْرَةَ
 بِمَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ الذَاهِبُونَ مِنْ كِرَاهَةِ التَّرْبِيعِ تَبَعًا لِلتَّجْمِينِ فِي آعْتِقَادِهِمُ الْفَاسِدِ ، فَقَدْ
 وَرَدَ أَنَّ زَوَايَا الْحَوْضِ عَلَى التَّرْبِيعِ وَذَلِكَ فِيهِ أَعْظَمُ دَلِيلٌ وَأَقْوَمُ شَاهِدٌ .

وَكَانَ مَذْهَبُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْوِلَايَةِ بِالتَّخْصِيسِ ،
 وَالْمَجْلِسُ الْجَمَالِيُّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ هُوَ الْمَقْصُودُ بِهَذَا التَّنْوِيزِ بِالتَّنْصِيسِ - أَقْتَضَى حَسَنُ
 الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُؤَيِّ مَرْتَبَتَهُ السَّنِيَّةَ حَقَّقَهَا ، وَنُبَوِّئَ النِّعَمَ مُسْتَحَقَّهَا ، وَنَمَلَّكَ رِقَابَ
 الْمَعَالِي مُسْتَرَقَّهَا ، وَنَقَدَّمْ عَلَى طَائِفَةِ الْمَالِكِيَّةِ مِنْ أَضْحَى لَهُمْ جَمَالًا ، وَتُخَفِّهِمْ بِمَنْ
 أَمْسَى لِعِزِّهِمْ كَمَالًا ، وَنَفَوِّضْ قَضَاءَ مَذْهَبِهِمْ إِلَى مَنْ إِذَا جَرَى فِي مِيدَانِ حُكْمِهِ قَالَتْ
 مُحَاسِنُ قَضَايَاهُ : (هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا) . وَتُسْنِدُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةَ إِلَى مَنْ هُوَ
 بِهَا أَعْرَفُ ، وَتَقْفِيهَا عَلَى مَنْ عُرِفَ أَنَّهُ عَلَى الْحَقَائِقِ مَاضٍ وَعِنْدَ السُّنَّةِ يَتَوَقَّفُ ،
 وَتُعَدِّقُ أَمْرَهَا بِمَنْ أَلْفَ التَّرَاهَةَ فَنِكْرَةَ الْمَطَامِعِ عِنْدَهُ لَا تَتَعَرَّفُ ، وَنِكَلَ النَّظَرَ فِيهَا
 إِلَى مَنْ أَمْسَى لَشُرُوطِ الْأَسْتِجَابِ جَامِعًا ، وَنُقَدَّمْ فِي وِلَايَةِ هَذَا الْمُنْصَبِ مِنْ شَفَعِ
 لَهُ أَسْتَحْقَاقُهُ وَكَفَى بِالْأَسْتَحْقَاقِ شَافِعًا .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لازل يَنْسَطُ لأوليائه من بساط الأُنس ما كان مَطْوِيًّا ، وَيُنِيلُهُمْ من رَغَائِبِ الآمال ما كان عنهم في سالفِ الأزماتِ مَزْوِيًّا - أن يُفَوِّضَ إليه قُضَاءَ قُضَاءِ مذهبِ عالمِ المدينة ، وإمامِ دارِ الهجرة ، مالكِ بنِ أنسٍ الأصمِّحى : قدَّسَ اللهُ تعالى رُوحَه . فليتلَقَّ ما فُوِّضَ إليه بأفضلِ تلقٍّ يليقُ بمثلِه ، ويتقبَّلَه تقبُّلاً يناسبُ رِفْعَةَ مَحَلِّه ، ويتبرَّجَ بأجلِّ تفويضٍ لم يُسْمَحَ بتمنيهِ لآخر من قبَلِه .

ومن أهمِّ ما نُوصِيه به ، ونوجِّه القولَ إليه بسببِه ؛ تقوى اللهُ تعالى التى هى مِلاكُ الأمرِ كُلِّه ، وقوامُ الدينِ من أصلِه ؛ والأشتمالُ عليها فى سِرِّه وجهره والعملُ بها فى قوله وفعله ، ثم برُّ الخلقِ والإحسانُ إليهم ، والتجاوُزُ عنهم إلا فيما أوجبهُ الشرعُ من الحقوقِ عليهم ؛ ففى التقوى رضا الله وفى البرِّ رضا الخلقِ وناهيك بجمعهما من رُتْبَةِ فائزِه ، إذ لا شكَّ أنَّ من حصَّلَ رضا الله ورضا الخلقِ فقد حصَّلَ على خيرِ الدنيا والآخرة ؛ ووراءَ ذلكِ قاعدةٌ فى الوصايا جامعُه ، وتذكُّرُ لذوى الذكْرِ نافعُه ؛ وهى أن يتأمَّلَ أحوالَ غيره تأمُّلَ من جعلها لنفسه مثالا ، ولنسجِه مِنوالا ؛ فاستحسنه منها أتى مثله ، وما استقبجه تجنَّبَ فعله ؛ واقفاً فى ذلكِ عند ما وردتْ به الشريعةُ المطهِّرةُ بنصِّ صريحٍ أو تأويلِ صحيحٍ ، معْرِضا عن العقلياتِ المحضَةِ فلا مجالَ للعقلِ فى تحسينٍ ولا تقييحٍ .

وأما أدبُ القضاءِ الجارى ذكرُ مثله فى العهودِ ، والنظرُ فى أمرِ الثَّوابِ وكُتابِ الحكمِ والشُّهودِ ؛ فهو به أدربُ وأدرى ، وبمعرفةِ ذلكِ لهم وعليهم أجقُ وأحرى ؛ غيرَ أنَّا نُوصِيه بالثبَتِ فى أمرِ الدِّماءِ وعلاقتها ، وتحقُّقِ حكمها قبلَ الحكمِ بإرائتها ؛ فإنَّ ذلكَ لمادَّةُ القلقِ فيها أحسمُ ، ومن تبعاتها فى الدارينِ أسلمُ ؛ والوصايا كثيرةٌ

ولكنها منه تُستفاد، وعنه تؤخذُ وإليه تُعاد؛ والله تعالى يتولاه، ويحُوطه فيما
ولاه، ويُديم عليه هذه النعمةَ فما فوق مَنْصِبِهِ مَنْصِبٌ يَتَمَنَّاهُ ؛ والاعْتِمَادُ ... (١) ...
إن شاء الله تعالى .

وَكُتِبَ لِسْتٍ إِنْ بَقِيَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ عَامٍ أَرْبَعٍ وَثَمَانِمِائَةٍ ، حَسَبَ
الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ ، بِمَقْتَضَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ .



وهذه نسخة توقيع بقضاء القضاة الحنفية بدمشق ، من إنشاء القاضي ناصر الدين
أَبْنِ النَّشَائِي ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَنَارَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مُسْتَمِرًّا عَلَى الدَّوَامِ ، وَشَمَلَ مَنْصِبَ
الْحَكْمِ الْعَزِيزِ لِلْعَالِمِ بَعْدَ الْعَالِمِ عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ ؛ وَأَجَلَ آتِنَابَ مَنْ يَقُومُ بِأَعْيَانِ الْقَضَايَا ،
وَمَنْ تَدُومُ بِهِ مَزَايَا السَّجَايَا ، فَيُتَخَيَّرُ لِذَلِكَ الْإِمَامِ بَعْدَ الْإِمَامِ ؛ وَأَقْبَلَ بَوَجْهِ أَجْتِنَابِهِ
عَلَى وَلىٍّ تَتَأَكَّدُ بِإِنصَاتِهِ وَإِنصَافِهِ إِحْكَامَ الْأَحْكَامِ ، وَعَدَلَ بِأَعْتِنَائِهِ إِلَى تَعْيِينِ مَنْ
تَرْتَفِعُ بِهِ فِي الْعُلُومِ أَعْلَامُ الْإِعْلَامِ ، وَمَنْ يَتَأَيَّدُ بِهِ الْحَقُّ فِي كُلِّ تَقْضٍ وَإِبْرَامِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَةِ الْوَأْفَرَةِ الْأَقْسَامِ ، السَّافِرَةِ [اللسام] عَنْ وَجْهِ الزِّيَادَةِ الْوَسَامِ ،
وَنَشْكُرُهُ عَلَى مِنَّةِ الْحَسَامِ ، وَمَوَاهِبِهِ الَّتِي لَا تَبْرُحُ تُغَوِّرُ إِحْسَانَهَا لِذَوِي الْأَسْتِحْقَاقِ
وَإِضْحَاقَةِ الْإِبْتِسَامِ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً كَفِيلَةً بِالْمَرَامِ ، مُنِيلَةً لِلْإِكْرَامِ ،
بِحِمْلَةِ التَّلْفُظِ وَالْإِلْتِمَامِ ، جَزِيلَةً الْكَنْفِ وَالْإِعْتِصَامِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي أَقَامَ اللَّهُ بِهِ شَعَائِرَ الْإِسْلَامِ ، وَأَظْهَرَ شَرَائِعَ الدِّينِ الْحَنِيفِ بِحُسَامِ نَصْرِهِ الْحَسَامِ ،

(١) أى إلى آخر ما يكتب في مثله ، وحذفه من باب الاختصار .

وأورث مَنْ أهله من أمته كنوز العلوم التي لا تنفد فونئها مع كثرة الإنفاق مدى السنين والأعوام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هدوا المؤمنين بإلهام الكلام، وعدوا على المشركين بيمام الكلام، وأبدوا من إرشادهم إلى خفايا القضايا ما يظهر بتهديبهم ظهور بدر النمام، صلاة دائمة باقية تُجزل لقائلها الأجر التام، وترسل إليه سحاب المواهب هاطلة الغمام، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من تذهب به مذهبه، وتحلّ به محلّ الشرع الشريف ومنصبه، وأثار بنور إرشاده ليل الشك وغيبه، ومهل بتقريره على فهم الطالب مطلبه، وهى به وإيل العلم وضيئه، وأتيح به الاستفيد كثر الفوائد التي يدنو بها أربه، وشيم من برق شيمه باشام ما وجد في الجود صادق وقصد خله - من علا في العلوم نسبه، وتأكد في الدين سببه، وشيد مبنى المعالى معربه، وصقل مرآيا الأنهام مهديه، وزاحم منكب الجوزاء في ارتفاع القدر منكب، وجمل مواكب المباحث في الأصول والتروع موكبه، وسخت بدقائق الحقائق سحبه، وأشتاق إلى قربه موطن الحكم العزيز فما زال يرتقبه، وأرتاح الزمان إلى عفافه وإنصافه فأرشد حيث نختاره لذلك وننتخبه .

(١)

ولما كان المجلس العالى أيد الله أحكامه هو الذى أرشد الطالبين
 (٢) فى الهدايه ، وأفاد المنتهين درجات النهايه ، وأفهم المستفدين صواب الهدايه ،
 وذا سابقا [فى] حلبة العلماء إلى أقصى غايه . كم قرب إلى الأذهان ذامض المشكل
 وأوضح مفهومه ، وكم أشاع فرائد فوائده التي طبقت الأرض بها علومه ، وكم أباح لقط
 ألفاظه المشحونه بالحكم فتحلّى الناس بدررها المنثرة والمنظومه ، مع ماله من دين

(١) يياض بالأصل متروك لتلكه الألتاب المعلومة كالأميرى الكبيرى الخ .

(٢) فى المصباح مانصه : "والبدايه بالياء . مكان الهمز غامى نص عليه ابن برى وجماعة" .

متين ، وأستحقاق للتقدم ميين ، وصلاحي بلغ به درجات المتقين المرتقين ، وأتباع
لسنن الحق في الحكم بين الخلق عن يقين - أقتضى حُسن الرأي الشريف أن يُقرن
منصب القضاء بحاله ، وأن يعوّض عن إمامه المنقود بإمامه الموجود ليستمر
الأمر على حاله .

فلذلك رُسم - لا زالت أئمة العلم الشريف في أيامه يخلف بعضهم بعضاً ،
وأقدارهم تدوم رفعتها مدى المدد فلا تجد نقصاً ولا نقصاً - أن يفوض (١)
فليأشُر ذلك بعلمه المأثور، وحُكمه المشهور، وإنصافه الذي يعدل فيه ، وأصافه
بالحق الذي ما برح يوفيه ، قاضياً بين الخصوم بما أمر الله عز وجل ، مراقباً
لخشية الله على عادته ، مديعاً لليلة الحنيفة أنواع إفادته ، قاطعاً بنصل نصه مُشكل
الإلباس ، جامعاً في أحكامه المسددة بمقتضى مذهبه بين الكتاب والسنة والقياس .
والوصايا كثيرة وملا كلها التقوى وهي مادته ، وطريقه المستقيم وجانته ، وما زالت
عمدته التي يعتمد عليها ، وعدته التي يستند في إسناد أمره إليها ، والله تعالى يجمل
الأيام بأحكامه ، ويبلغه من خير الدنيا والآخرة غاية مُرادِه ومَرامِه ، إن شاء الله
تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية أيضاً، أنشأته لقاضي القضاة جمال الدين
البساطي المذكور عند عودِه إلى الوظيفة ، لأربع بقين من ذى القعدة سنة
سبع وثمانمائة . وقد وافق عودُه عودَ شيخ الإسلام جلال الدين عبدالرحمن البلقيني
إلى قضاء قضاة الشافعية أيضاً ، وهي :

(١) بياض في الاصل والمراد واضح مما تقدم .

الحمد لله الذى أعاد لرتبة القضاء رونق « جمالها » وأسعد جدّها بأسعد قرآنٍ
 ظهرت آثارُ يمينه بما آثرته من ظهور « جلالها » ، وأجاب سُؤلها بأجل حاكمٍ
 لم تعدل عنه يوماً فى سُؤالها ، وأسعدَ طليتها بأكلٍ كُفٍ لم تنفك عن خطبته وإن
 أطال فى مطالها ، وأكرم ما بها بأكرم كافٍ ما فاتها منسألٍ ماضٍ إلا أدركته به
 فى ما لها .

نحمده على أن أعطيت القوس باريتها ، وأعيدت مياه الاستحقاق إلى مجاريها ،
 ورددت الشاردة إلى مالكٍ ألفت منه بالآخرة ما ألفت من خيره فى مباديها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً يحقق بالإخلاص منأطها ،
 ويزداد مع طول الأمد نساؤها ، ولا ينطوى على ممر الأيام - إن شاء الله تعالى -
 بساؤها . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل نبي رفع قواعد الدين وشاد ،
 وقام فى الله حق القيام فحسم بسيف الشرع مادة الفساد ، وأحكم بسد الذرائع
 سدّ الأمور فجرت أحكام شريعته المطهرة على السداد ؛ صلى الله عليه وعلى آله
 وصحبه الذين استنشق من معدلتهم أطيب عرف ، وخصوا من صفات الكمال بأحسن
 حلية وأكل وصف ؛ صلاة توهى عمرا الإلحاد ، وتفصمها ، وتبك أعناق أهل
 العناد ، وتفصمها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فلاخفاء فى أن الأبصار تتشوف لرؤية الهلال مع قرب الغيبة للأخذ منه
 بنصيبها ، والشمس يتربط طلوعها فى كل يوم وإن قرب زمان مغيبها ، والمسافر
 يسر ياباه وإن تكرر قدومه من بعيد المسافة وقربها ، والسهران يتطلع من ليلته
 الطويلة إلى طلوع فجرها ، والمناصب السنينة تارز إلى مستحقها كما تارز الحية
 إلى جحرها .

ولما كان المجلس العالى، القاضوى، (إلى آخر ألقابه) أعز الله تعالى أحكامه هو الذى حُمدت فى القضاء آثاره، وسارت بحسن السيرة فى الآفاق أخباره، وحسن بحسن تأتية فى الورد والصدور إرادته وإصداره، وتنافس فى جميل وصفه الطرس والقلم، وظهرت فضائله (ظهور نار القرى ليلاً على علم)؛ ونشرت الأيام من علومه ما تطوى إليه المراحل، وجادت مواطر فكره بما يُحصب به جناب المربع الساحل؛ وعمرت من منصب القضاء بولايته معاهدته، وجرت بقضايا الخير فى البدء والعود عوائده؛ ونفذت بنفاد أوامره فى الوجود أحكامه، ورُقِم فى صحائف الأيام على توالى الدهور نقضه وإبرامه؛ وسُجِّل بثبوت أحقيته فانقطعت دُونَ بلوغ شأوه الأَطَاع، وحُكِم بموجب فضله فانعقد على صحّة تقدمه الإجماع؛ ففرائد فوائده المدونة تُؤذن بالبيان والتحصيل، ومقدمات تنبيهاته المحققة، تكفى نتائج إفضالها عن الإجمال والتفصيل؛ وجواهر ألفاظه الرائقة، نعم الذخيرة التى تُقنى، ومدارك معانيه الفائقة، حسبك من ثمرة فكر تُجتنى؛ وتهذيب إراداته الواضحة تُغنى فى إدراكها عن الوسائل، وتحقيق مسائله الدقيقة يُحقق فيها أنها عيون المسائل - وكانت وظيفة قضاء قضاة المالكية بالديار المصرية فى رفيع رتبته، ووافر حرمتها، قد أُلقت إليه مقاليدها، ورفعت بالانتماء إلى مجلسه العالى أسانيدها، وعمرت محله الرفيع فتعلقت منه بأعز منال، وحظيت بجماله اليوسفى المرة بعد الأخرى فقالت: لا براح لى عن هذا الجمال؛ وعجمت بتكرار العود عوده فأعرضت عن السوى، وقرت بالإياب إليه عينا «فألقت عصاها وأستقر بها النوى» - أقتضى حسن الرأى الشريف أن نعيد الوظيفة المذكورة إليه، ونعول فى استكشاف مشكلات الأحكام على ما لديه، إقراراً للأمر فى نصابه، ورداً له بعد الشراء إلى مثابه، وإسعافاً للنصب بطلبته وإن أتعب غيره نفسه فى طلايه .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لا زال يُبدى المعروف ويُعيدُه ، ويوفّر نصيبَ الأولياء ويَزِيدُه - أن يفوّضَ إلى المجلس العالى المشارِ إليه قضاءَ القضاة بمذهب عالم المدينة وإمام دار الهجرة «مَالِكِ بْنِ أَنَسِ الْأَصْبَحِيِّ» رضى الله عنه ، على جارى عادته المتقدّمة فى ذلك . وأن يُضَافَ إليه تدريسُ قُبَّةِ الصالح والأنظارُ الشاهد بها توقُّعه الشريف ، وأن لا يقرَّرَ أحدٌ فى دروس المالكية من مدرّس ومُعِيد إلا بتعيينه ، على أتم العوائد وأجملها ، وأعمّ القواعد وأكملها .

فليُمدَّ إلى رُتبته السنية برفع قدره وعلى همته ، ويقابل إحساننا بالشكر تُخفِّفه بمزيد الإقبال إذ لا زيادة فى العلو على رُتبته . ثم أوّل ما نُوصيه به ، ونؤكِّد القول عليه بسببه ، تقوى الله التى هى ملاك الأمور كلّها ، وأولى المفترضات فى عقْد الأمور وحلّها ، فهى العِصمة التى من لجأ إليها نجّى ، والوقاية التى ليس لمن حاد عنها من لحاق قوارع الله مُلتجأ . ونُتبعُ ذلك بالتلويح إلى الأختياط فى المسائل التى تفترّد بها مذهبُه الشريف ضيقاً وسعه ، وأختصّ بها إمامه الأصبحيّ دون غيره من الأئمة الأربعة ، وهى مسائل قليلة ، آثارتها فى الورى كثيرةٌ جليله ، منها سفك دم المتقيّ والساب ، وتحمُّ قتلته على البت وإن تاب ، فعليه أن يأخذ فى ذلك بالأهتمام ، ولا يُعطى رُخصة فى حقِّ أحدٍ من الأنبياء والملائكة عليهم السلام ، ليكون ذلك وسيلةً إلى الخلوص عن القدى ، وذريعةً إلى سلامة الشرف الرفيع من الأذى ؛ إلا أنا نُوصيه بالثبوت فى الثبوت ، وأن لا يعجلَ بالحكم بإراقة الدم فإنه لا يُمكِنُ تداركه بعد أن يثبوت . ومنها : الشهادة على الخط وإحياء مامات من كُتب الأوقاف والأملاك ، وتقريب ماشطٍ فلا يقبل فيه إلا اليقظ الواقف مع تحقُّقه دون حدسه ، ولا يطلق عنان الشهود فإنَّ الكاتب ربما أشتبّه عليه خطُّ

نفسه - ومنها : ثبوت الولاية للأوصياء، فيجربها على اعتقاده، ولكن إذا ظهرت المصلحة في ذلك على وفق مراده - ومنها : إسقاط غلة الوقف إذا استرد بعد بيعه مدة بقائه في يد المشتري ، تحذيرا من الإقدام على بيع الوقف وعقوبة رادعة لبائعه المجترى . إلى غير ذلك من مسائل الأفراد، وما شاركه فيه غيره من المذاهب لموافقة الاعتقاد، فيمضى الحكم فيه بأقوى العزائم، ويلزم فيها بما استبان له من الحق ولا تأخذه في الله لومة لائم .

وأما غير ذلك من الوصايا الراجعة إلى أدب القضاء فلديه منها الخبر والخبر، ومنه تستملى فوصيته بها كنقل التمر إلى حجر، والله تعالى يعامله بلطفه الجميل، ويحفه بالعباية الشاملة في المقام والرحيل؛ إن شاء الله تعالى؛ والاعتماد



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الحنابلة ، وهي :

الحمد لله الذي أطلع في أفق الدين القيم^(١) شمساً منيره ، ورفع درجة من جعله من العلم على شريعة ومن الحكم على بصيره ، وقلد أمور الأمة بمن يعلم أن بين يديه كتابا لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة ، ووفق لفصل القضاء من مشي على قدم إمامه الذي أدخر منه للحكم في أيامنا الشريفة من نفائس العلماء أفضل ذخيره ، وقضى بإرجاء أمره لنختار له من تحلى به بعد العطل وكل قضاء خيره ، وأيقظنا من رقد الدهر عن فضله فباتت عين الاستحقاق باستقرار رتبته قريره .

نحمده حمد من توافقت إليه النعم الغزيرة ، وتوالت عليه المنن الكثيرة في المدد اليسيره ، وأخصبت في أيامه رياض الفضائل فهي بكل عالم عدم النظر نصيره ،

(١) تقدمت في تقليد حنفى بأطول من هذا ويبيح تغيير .

وَأَفْتَحَ دَوْلَتَهُ بِرَفْعِ مَنَارِ الْعَدْلِ فَأَمَالَ أَهْلَ الظُّلْمِ عَنْ تَعَاطِيهِ قَاصِرَةً وَأَيْدِي أَهْلِ الْبَاطِلِ
عَنِ الْإِمْتِدَادِ إِلَيْهِ قَصِيرَةً ، وَخَصَّ الْمَنَاصِبَ فِي مَمَالِكِهِ بِالْأَكْفَاءِ فَإِذَا تَلَبَّسَتْ بِهَا
هِمْمٌ غَيْرُهُمْ عَادَتْ خَاسِئَةً أَوْ أَمْتَدَّتْ إِلَيْهَا أَبْصَارٌ مِّنْ دُونِهِمْ رَجَعَتْ حَسِيرَةً .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُصْلِحُ الْعَلَنَ وَالسَّرِيرَةَ ،
وَتُصْلِحُ بِهَا الْقُلُوبُ مُوقِنَةً وَاللُّسُنَ نَاطِقَةً وَالْأَصَابِعُ مُشِيرَةً . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرِّسَالَ مَخْبِرَةً وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ بِمَبْعَثِهِ بَشِيرَةً ، وَأَجْتَبَاهُ فِي خَيْرِ
أُمَّةٍ مِنْ أَكْرَمِ أَرْوَمَةٍ وَأَشْرَفِ عَشِيرَةٍ ، وَأَظْهَرَ أَنْوَارَ مِلَّتِهِ إِلَّا مَنْ أَعْمَى الْغَيُّ بِصِيرَتِهِ
وَهَلْ تَنْفَعُ الْعُمَى شَمْسُ الظُّهَيْرِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً نَتَقَرَّبُ
بِدَوَامِهَا إِلَى اللَّهِ فَيَضَاعِفُهَا لَنَا أضعافًا كَثِيرَةً ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى الْأُمُورِ بِأَنْ تُشَادَ قَوَاعِدُهُ ، وَتُعْتَهَدَ مَعَاهِدُهُ ، وَيُعْلَى مَنَارُهُ ،
وَتُقَاضَى بَطْلُوعُ شَمْسِهِ أَنْوَارُهُ ، وَتُكَمَّلَ بِهِ قُوَى الدِّينِ تَكْمَلَةَ الْأَجْسَادِ بِقُوَى الطَّبَائِعِ
الْأَرْبَعِ ، وَتُعَمَّرَ بِهِ رُبُوعُ الْمِلَّةِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا مِنْ مَصِيفِ الْمِلَّةِ وَلَا مَرْبَعِ ، وَتُتَبَّتْ
بِهِ قَوَائِمُ الشَّرْعِ الَّتِي مَا لِلْبَاطِلِ فِي إِمَالَةِ بَعْضِهَا مِنْ مَطْمَعٍ ، أَمْرُ الْقَضَاءِ عَلَى مَذْهَبِ
الْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ « أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ قَدْ خَلَا بِانْتِقَالِ مَبَاشِرِهِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَوَقَّفَ مَدَّةً عَلَى آرْتِيَادِ الْأَكْفَاءِ ، وَالْإِرْشَادِ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُ
الْأَصْطِفَاءِ ، وَأَخْتِيَارِ مَنْ تَكَمَّلَ بِهِ رِفْعَةُ قَدْرِهِ ، وَيُعِيدُ لِدَسْتِهِ عَلَى لِسَانِ سُلَيْمَانِهِ
بِهَجَّةٍ صَدْرَهُ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمُنْتَظَرُ لِهَذِهِ الرَّثِمَةِ أَنْتَظَرَ الشَّمْسَ بَعْدَ الْغَسَقِ ، وَالْمُرْتَقِبَ
لِبُلُوغِ هَذِهِ الْمُنْزِلَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ إِلَيْهَا بَوَادِرُ اسْتِحْقَاقِهِ فِي السَّبْقِ ، وَالْمَعْطُوفَ عَلَى
الْأُمَّةِ مِنْ أَصْحَابِ إِمَامِهِ - وَإِنْ تَأَخَّرَ زَمَانُهُ - عَطْفَ النَّسَقِ ، وَهُوَ الَّذِي مَا زَالَ

يَعْدِلُ دَمَ الشَّهَدَاءِ مِدَادُ أَقْلَامِهِ ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أُجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ مِنْ تَقَلُّ
خُطُواتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَعَى أَقْدَامِهِ ، وَدَخَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُمرَةٍ مِنْ
حُصْرِ بَائِمًا ، وَهَجَرَ الْمُضَاجِعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَلَوْ عُدَّتْ هَجَعَاتُهُ لَقَلَّمَا ؛
وَهَجَّرَ فِي إِحْرَازِ الْفَضَائِلِ فَقَيَّدَ أَوَائِدَهَا ، وَأَحْرَزَ شَوَارِدَهَا ؛ وَبَلَغَ فِي بَحَارِ الْمَعَانِي
فِعَاصَ عَلَى جَوَاهِرِهَا ، وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي نُجُومِ الْعُلُومِ فَاحْتَوَى عَلَى زُهرِهَا وَزَارِ نَحَائِلِ
الْفَضَائِلِ [فَاستوى] عَلَى أَزْهَرِهَا ؛ وَأَتَهَى إِلَيْهِ عِلْمَ مَذْهَبِهِ فَبَرَزَ عَلَى مَنْ سَلَفَ ،
وَجَارَى عِلْمَاءَ عَصْرِهِ فَوَقَّتْ أَبْصَارَهُمْ عَنْ رُؤْيَةِ غُبَارِهِ وَمَا وَقَفَ ؛ وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ
الْقَضَاءُ وَإِنْ كَانَ فَرَضَ كِفَايَةً لِأَفْرَاضِ عَيْنٍ ، وَقَدَّمَهُ التَّرْجِيحُ الَّذِي جَعَلَ رُتْبَتَهُ هَمزَةً
أَسْتَفْهَامَ وَرُتْبَةَ غَيْرِهِ بَيْنَ بَيْنٍ - أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفَ اخْتِصَاصَهُ بِهَذَا التَّمْيِيزِ ،
وَالْتَنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ الْبَسِيطِ بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَجِيزِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . فَلِيَتَوَلَّى هَذِهِ الرُّتْبَةَ الَّتِي أَصْبَحَ فِيهَا
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَائِبًا وَبَشْرَةً قَائِمًا ، وَيَتَقَلَّدُهَا تَقَلُّدًا مَنْ يَعْلَمُ
أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى مُقَدِّمًا وَعَلَى اللَّهِ قَادِمًا ، وَيَتَثَبَّتْ تَثَبُّتٌ مِنْ يَعْنِصُمِ
بِحَبْلِ اللَّهِ فِي حِكْمِهِ فَإِنَّ أَحَدَ الْخَصْمَيْنِ قَدْ يَكُونُ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا ،
وَيَلْبَسُ لِهَذَا الْمَنْصِبِ حُلَّةً تَمْنَعُ الْمَبْطِلَ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، وَتَدْفَعُ الظَّالِمَ عَنِ التَّطَاوُلِ
إِلَى أَمْرِ نَزَعِهِ الشَّرِيفُ مِنْ يَدَيْهِ ، وَيُؤَمِّنُ الْحَقَّ مِنْ أَمْتِدَادِ يَدِ الْجَوْرِ وَالْحَيْفِ
إِلَيْهِ ؛ وَلَيْسَ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ فِي مَجْلِسِهِ وَلَحِظِهِ ، وَيَعْدِلُ بَيْنَهُمَا فِي إِنْصَاتِهِ وَلَفِظِهِ :
لِيَعْلَمَ ذُو الْجَاهِ أَنَّهُ مَسَاوٍ فِي الْحَقِّ لَخَصْمِهِ ، مَكْفُوفٌ بِاسْتِمَاعِ حُجَّتِهِ عَنِ الطَّمَعِ
فِي ظُلْمِهِ ؛ وَلَا يَنْقُضُ حُكْمًا لَمْ يَخْلَفْ نَصًّا وَلَا سُنَّةً وَلَا إِجْمَاعًا ، وَلِيُشَارِكَ فِيهَا لَا يَجْهَلُهُ
مِنَ الْقَضَايَا غَيْرَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِتَرْتِيدِ بِنْدِكَ مَعَ أَطْلَاعِهِ أَطْلَاعًا ، وَلِيُغْنِمَ فِي ذَلِكَ الْإِسْتِعَانَةَ

بآرائهم : فإن الله تعالى لا يتترع هذا العلم انتزاعاً؛ وليسد مسالك الهوى عن فكره،
ويصرف دواعى الغضب لغير الله عن المرور بذكره؛ وليجعل العمل لوجه الله
نتيجة علمه، وليحكم بما أراه الله (والله يحكم لا معقب لحكمه) .



وهذه نسخة وصية أوردتها في "التعريف" تشمل القضاة الأربعة ، قال :
وصية جامعة [لقاض] من أى مذهب كان ، وهى :

وهذه الرتبة التى جعل الله إليها منتهى القضايا ، وإنهاء الشكايا ؛ ولا يكون
صاحبها إلا من العلماء ، الذين هم ورثة الأنبياء ؛ ومتولى الأحكام الشرعية بها
كما ورث عن نبي الله صلى الله عليه وسلم علمه ، كذلك ورث حكمه ؛ وقد أصبح بيده
زمام الأحكام ، وفصل القضاء الذى يعرض [بعضه] ^(١) بعده على غيره من الحكماء ؛
وما منهم إلا من ينقد نقد الصيرفي ، وينفذ حكمه نفاذ المشرفي ؛ فليتروا فى أحكامه
[قبل إمضاءها ، وفى المحاكمات إليه] ^(١) قبل فصل قضائها ؛ وليراجع الأمر مرة بعد
مرة حتى يزول عنه الإلتباس ، ويعاود فيه بعد التأمل كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم والإجماع والقياس ؛ وما أشكل عليه بعد ذلك فليجئ ظلمه
بالاستخاره ، وليجئ شككه بالاستشارة ، ولا يرتقضا عليه إذا استشار فقد أمر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بالشورى ، ومر من أقول السلف من جعلها بينه وبين
خطأ الاجتهاد سورا ؛ فقد يسنح للراء ما أعيأ غيره وقد أكثر فيه الدأب ، ويتفطن
الصغير لما لم يفطن إليه الكبير كما فطن ابن عمر رضى الله عنهما للنخلة [و] مامنعه
أن يتكلم إلا صغر سنه ولزوما مع من هو أكبر منه للأدب ؛ ثم إذا وضح له الحق

(١) الزائد من "التعريف" ص ١١٦ .

قضى به لمستحقته ، وسجل له به وأشهد على نفسه بثبوت حقه ؛ وحكم له به حكما يسره يوم القيامة أن يراه ، وإذا كتب له به ، ذكر بخير إذا بلى وبقى الدهر ما كتبت يده . وليسو بين الخصوم حتى في تقسيم النظر ، ويجعل كل عمله على الحق فيما أباح وما حظر ؛ ويجيد النظر في أمر الشهود حتى لا يدخل عليه زيف ، ولتحرر في استيلاء الشهادات فرب قاض ذبح بغير سكين وشاهد قتل بغير سيف ؛ ولا يقبل منهم إلا من عرف بالعدالة ، وألف منه أن يرى أوامر النفس أشد العدا له - وغير هؤلاء ممن لم تجر له بالشهادة عاده ، ولا تصدئ للارتزاق بسختها ومات وهو حى على الشهادة ، فليقبل منهم من لا يكون في قبول مثله ملامه ، فرب عدل بين منطقتي وسيف وفاسق في فرجة وعمامة - ولينقب على ما يصدر من العقود التي يؤسس أكثرها على شفا جرف هار ، ويوقع في مثل السفاح إلا أن الحدود تدرأ بالشبهات ويبقى العار - وشهود القيمة الذين يقطع بقولهم في حق كل مستحق ومال كل يتيم ، ويقلد شهادتهم على كل أمر عظيم ؛ فلا يعول منهم إلا على كل رب مال عارف لا تخفى عليه القيم ، ولا يخاف معه خطأ الحدس وقد صقل التجريب مرآة فهمه على طول القدم . ولينان في ذلك كله أناة لا تقضى بإضاعة الحق ، ولا إلى المطاولة التي تقضى إلى ملل من استحق . ولينهذ لرمسه ، ولا يتعلل بأن القاضى أسير الشهود وهو كذلك وإنما يسعى للخلاص نفسه - والوكلاء هم البلاء المبرم ، والسياطين المسؤلون لمن توكؤوا له الباطل ليقتضى لهم به وإنما تقطع لهم قطعة من جهنم ، فليكف بمهاتته وساوس أفكارهم ، ومساوى بغارهم ؛ ولا يدع لجنى أحد منهم ثمرة إلا ممنوعه ، ولا يدأعتداء تمتد إلا مغلولة إلى عنقه أو مقطوعه . وليطهر بابه من دنس الرسل الذين يمشون على غير الطريق ، وإذا رأى واحد منهم درهما ودلو حصل في يده ووقع في نار الحريق ؛ وغير هذا مما لا يحتاج به مثله أن يوصى ،

ولا أن يُحصى عليه منه أفراد عمله وهو لا يُحصى ، ومنها النظر في أمور أوقاف أهل مذهبه نظر العموم ، فليعمرها بحمىل نظره فربّ نظرة أنفع من مواقع الغيوم ؛ وليأخذ بقلوب طائفته الذين خُصّ من بينهم بالتقديم ، وتفاوت بُعد ما بينه وبينهم حتى صار يُزيل عارض الرجل منهم النظرة [منه] ويأسو حراحه منه التكليم . وهذه الوصايا إنما ذكرت على سبيل الذكرى ، وفيه - بحمد الله - أضعافها ولهذا وليناه والحمد لله شكراً ؛ وقد جعلنا له أن يستنيب من يكون بمثل أوصافه أو قريباً من هذه المتأبه ، ومن يرضى له أن يحمل عنه الكّل ويتاسمه ثوابه ؛ وتقوى الله تعالى هى جماع الخير ولا سيماً لصاحب هذه الوظيفة ، ولمن وليها أصلاً وفرعاً لا يستغنى عنها ربّ حكم مطلق التصرف ولا خليفه .

ويُزاد الشافعى :

وليعلم أنه صدر المجلس ، وأنه أدنى القوم وإن كانوا أشباهه منا حيثُ نجلس ، وأنه ذو الطيلسان الذى يخضع له ربّ كل سيف ويُبلس ؛ وليتحقق أنه إنما رفعه علمه وتقاؤه ، وأن سبب دينه لأدنياه هو الذى رقاؤه ؛ فليقدر حقّ هذه النعم ، وليقف عند حدّ منصبه الذى يودّ لو أشرى سواد مداده بجزء النعم .

ويقال فى وصيته : وأمر دعاوى بيت المال المعمور ، ومحاكماته التى فيها حقّ كل فردٍ فردٍ من الجمهور ؛ فليحترز فى قضاياها غاية الاحتراز ، وليعمل بما يقتضيه لها الحقّ من الصيانة والإحراز ؛ ولا يقبل فيها كّل بينة للوكيل عن المسلمين فيها مدفع ، ولا يعمل فيها بمسألة ضعيفة يظن أنها ما تضرّ عند الله فإنها ما تنفع ؛ وله حقوق فلا يجحد من يسعى فى تملك شىء منها بالباطل منه إلا الياس ، ولا يلتفت إلى من رخص لنفسه وقال : (هو مال السلطان) فإنه مالنا فيه إلا ما لواحدٍ من الناس .

(١) ذكر فى "القاموس" أن لام الطيلسان مثناة .

وأموال الأيتام الذين حذر الله من أكل مالهم إلا بالمعروف لا بالشبهات ، وقد مات
 أبائهم ومنهم صغار لا يتدنون إلى غير الثدي للرضاع ومنهم حمل في بطون الأمهات ؛
 فليأمر المتحدثين لهم بالإحسان إليهم ، وليعرفهم بأنهم سيجزون في بينهم بمثل
 ما يعملون معهم إذا ماتوا وتركوا ما في أيديهم ، وليحذر منهم من لا ولد له :
 ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ﴾ . وليقتص عليهم
 في مثل ذلك أبناء من سلف تدكيرا ، وليتل عليهم القرآن ويذكرهم بقوله تعالى :
 ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً ﴾ .
 والصدقات الموكولة إلى تصريف قلمه ، المأكولة بعدم أمانة المباشرين وهي
 في ذمه ، يتقظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها ، والعمل بما
 لا يجب سواه في أخذها وإنفاقها . والمسائل التي تفرد بها مذهبه وترجح عنده بها
 العمل ، وأعد عنها الجواب لله إذا سأل ، لا يعمل فيها بمرجوح إلا إذا كان نص
 مذهب إمامه أو عليه أكثر الأصحاب ، وراه قد حكم به أهل العلم ممن تقدمه لرُجحانه
 عنده وللاستصحاب . وتواب البر لا يقلد منهم إلا من تحقق استحقاقه ، فإنه إنما
 يوليه على مسلمين لا علم لأكثرهم فهم إلى ذى العلم أشد فاقه ؛ هذا إلى ما يتعرف
 من ديانتهم ومن عقافتهم الذى يتجزع المرء منهم به مرارة الصبر من الفاقة وهو به
 يتحلى ، ثم لا يزال له عين عليهم فإن الرجال كالصناديق المقلدة لا يعرف الرجل ما هو
 حتى يتولى .

ويزاد الحنفى :

وليعلم أن إمامه أول من دون الفقه وجمعه ، وتقدم وأسبق العلماء من تبعه ؛
 وفي مذهبه ومذاهب أصحابه أقوال في المذهب ، ومسائل مالحة فيها مالك وهو أول

مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ وَمَنْ يُعَدُّ مِنْ سَوَابِقِهِ أَشْهَبُ ؛ وَمِنْ أَهْمِهَا تَرْوِجُ الصَّغَائِرَ ، وَتُحْصِنُهُنَّ
بِالْأَكْفَاءِ مِنَ الْأَزْوَاجِ خَوْفًا عَلَيْهِنَ مِنَ الْكِبَائِرِ ؛ وَشُفْعَةُ الْحَوَارِ الثِّبَانِ لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ
رَأْيِهِمْ لَمَا أُمِنَ جَارُ السُّوءِ عَلَى رَغْمِ الْأَنْوْفِ ، وَلَا أَقَامَ الرَّجُلُ الدَّهْرَ سَاكِنًا فِي دَارِهِ
بَيْنَ أَهْلِهِ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْخَوْفَ ؛ وَكَذَلِكَ نَفَقَةُ الْمُعْتَدَةِ الَّتِي هِيَ فِي أَسْرِ مَنْ طَلَّقَهَا وَإِنْ
بَتَّتْ مِنْ حِبَالِهِ ، وَبَقِيَتْ لَا هُوَ بِالَّذِي يُنْفِقُ عَلَيْهَا وَلَا هِيَ بِالَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَزَوَّجَ
مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَيْهَا مِنْ مَالِهِ ؛ وَمَنْ أَسْتَدَانَ مَالًا فَأَكَلَهُ وَأَدْعَى الْإِعْسَارَ ، وَلَفَّقَ لَهُ
بَيْنَةً أَرَادَ أَنْ تُسْمَعَ لَهُ وَلَمْ يَدْخُلِ الْحَبْسَ وَلَا أَرْهَقَ مِنْ أَمْرِه الْأَعْسَارَ ، وَأَهْلُ
مَذْهَبِهِ عَلَى أَنَّهُ يُسَجَنُ وَيَمُكُّ مَدَّةً ، ثُمَّ إِذَا أَدْعَى أَنْ لَهُ بَيْنَةٌ أَحْضَرَتْ ثُمَّ هَلْ تُقْبَلُ
أَوْ لَا . فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا فِيهِ عَمُومٌ صَالِحٌ ، وَعَظِيمٌ نَفْعٌ مَا فِيهِ جُنَاحٌ ؛ فَلْيَقْضِ فِي هَذَا
كَلَّهُ إِذَا رَأَى بِمَقْتَضَى مَذْهَبِهِ ، وَلِيَهْتَدِ فِي هَذِهِ الْأَرْوَاحِ وَسِوَاهَا بِقَمَرِ إِمَامِهِ الطَّالِعِ أَبِي حَنِيفَةَ
وَشُبُهَةِ ؛ وَلِيُحْسِنَ إِلَى فَتَاهِ أَهْلِ مَذْهَبِهِ الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ أَكْثَرُهُمُ الْإِعْتِرَابُ ، وَحَقَّقَ
بِهِمْ إِلَيْهِ طَائِرَ النَّهَارِ حَيْثُ لَا يَحْتَقِقُ الْبَازِي وَجَنَاحَ اللَّيْلِ حَيْثُ لَا يَطِيرُ الْغُرَابُ ؛ وَقَدْ
تَرَكَوْا وَرَاءَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ ، وَالْأَمْدَادِ الْوَاسِعَةِ ؛ مَا يُرَاعَى لَهُمْ حَقُّهُ إِذَا عُدَّتْ
الْحَقُوقُ ، وَيَجْمَعُهُ وَإِيَّاهُمْ بِهِ أَبُوهُ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَا مِثْلُهُ مِنْ يُنْسَبُ إِلَى الْعُقُوقِ .

ويزاد المالكي :

ومذهبه له السيف المصلت على من كفر، والمذهب بدم من طل دمه وحصل
به الظفر؛ ومن عدا قدره الوضيع ، وتعرض إلى أنبياء الله صلوات الله عليهم بالقول
الشنيع ؛ فإنه إنما يقتل بسيفه المجرد ، ويراق دمه تعزيرا بقوله الذي به تفرّد ؛ ولم
يزل سيف مذهبهم بارز الصفحه ، مسلما لهم إلى مالك خازن النار من مذهب
مالك الذي مافيه فسحة ؛ وفي هذا ما يصرح غدر الدين من القذى ، وما لم تطل دماء

هؤلاء (لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى)؛ وإنما نوصيه بالتحري في الثبوت ،
 [والبينة التي لا يستدرك بها ما يفوت،] ^(١) وإنما هو رجل يحيا أو يموت ، فليتمهل
 قبل بتّ القضاء ، وليعذر إليهم لأحتمال ثبوت تفسيق الشهود أو بغضاء ؛ حتى
 لا يعجل تلافيا ، ولا يعجل بما لا يتلافى ، فكما أننا نوصيه أن لا ينقض في شدّ الوثاق
 عليهم أبراما ، فهكذا نوصيه أن لا يصيب بغير حقه دما حراما ؛ وكذلك قبول الشهادة
 على الخط ، وإحياء مامات من الكُتُب وإدناء ما سَطَّ ؛ فهذا مما فيه فسحة للناس ،
 وراحة ما فيها باس ؛ إلا أنه يكون الثبوت بهذه البينة للاتصال ، لا للترغ يد ولا إلزام
 بمجردا بمال ؛ وهكذا يراه من ولاية الأوصياء وهو مما تفرّد به هو دون البقية ، وفيه
 مصالحة وإلزام معنى الوصية ؛ وهو زيادة احتراز ما تضر مراعاة مثلها في الأمور
 الشرعية ؛ وسوى هذا مثل إسقاط الربح في وقف أسترّد وقد بيع ، وعطل المشتري
 من التكبّب بذلك المال مدة لا يشتري ولا يبيع ؛ وهذا مما يبتّ قضاءه في مثله ،
 ويجعل عقاب من أقدم على بيع الوقف إحرامه مدة البيع من مغلّه ؛ وسوى ذلك
 مما عليه العمل ، ومما إذا قال فيه قال بحقّ وإذا حكم عدل . وفقهاء مذهبه في هذه
 البلاد قليل ما هم ، وهم غرباء فليحسن ما وأهم ، وليكرم بكرمه مثوهم ؛ وليستقر بهم
 النوى في كنفه فقد ملأوا طول الدرب ، ومعاناة السفر الذي هو أشدّ الحرب ،
 وليُنسهم أوطانهم برّه ولا يدع في مآقيهم دَمعا يفيض على الغرب .
 ويزاد الحنبلى :

والمهّمّ المقدم - وهو يعلم ما حدث على أهل مذهبه من الشّاعة ، وما رُموا به
 من الأقوال التي نتركها لما فيها من البشاعة ؛ ونكتفى به في تغطية آثارها ، وإماطة

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٢١ .

أذآها عن طريق مذهبها لتأمن السالكة عليه من عثارها ؛ فتعالى الله أن يعرف بكيف ، أو يجاوب السائل عنه بهذا إلا بالسيف ؛ والانضمام إلى الجماعة والحد من الأفراد ، وإقرار آيات الصفات على ما جاءت عليه من الاعتقاد ، وأن الظاهر غير المراد ، والخروج بهم إلى النور من الظلماء ، وتأويل مالا بد من تأويله مثل حديث الأمة التي سئلت عن ربها : أين هو فقالت في السماء ؛ وإلا ففي البلية بإثبات الجهة مافها من الكوارث ، ويلزم منها الحدوث والله سبحانه وتعالى قديم ليس بحدوث ولا محلاً للحوادث ؛ وكذلك القول في القرآن ونحن نُحَدِّثُ مَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ بِصَوْتٍ أَوْ حَرْفٍ ، فما جزء من قال بالصوت إلا سوط وبالْحَرْفِ إِلَّا حَتْفٌ ؛ ثم بعد هذا الذى يزعم به الجهال ، ويرد دون غايته الفكر الجوال ، ينظر في أمور مذهبها ويعمل بكل ما صحَّ نقله عن إمامه وأصحابه : من كان منهم في زمانه ومن تخلف عن أيامه ؛ فقد كان رحمه الله إمام حق نهض وقد قعد الناس تلك المدة ، وقام نوبة المحنة مقام سيد تيم - رضى الله عنه - نوبة الردة ؛ ولم تهب به زعازع المريسى وقد هبت مريسا ، ولا ابن أبي دؤاد وقد جمع له كل دود وساق إليه من كل فطر عيسا ؛ ولا نكت عهدته ما قدم له المأمون في وصية أخيه من المواقى . [ولا روعه سوط المعتصم وقد صب عليه عذابه ولا سيف الواثق] .^(١)

فليقف على أثره ، وليقف بمسنده [على مذهبه] كله أو أكثره ، وليقض بمفرداته وما آختره أصحابه الأخيار ، وليقلدهم إذا لم تخلف عليه الأخبار ؛ وليحترز لدينه في بيع ما دثر من الأوقاف وصرف ثمنه في مثله ، والاستبدال بما فيه المصلحة لأهله ؛ والفسخ على من غاب مدة يسوغ في مثلها الفسخ ، وترك زوجة لم يترك لها

(١) الزيادة من «التعريف» (ص ١٢٢) .

نفقة وخلّاهما وهي مع بقائها في زوجيته كالمعلّقه ؛ وإطلاق سراحها لتتزوج بعد ثبوت الفسخ بشروطه التي يبقى حكمها به حكم المطلقه ؛ وفيما يمنع مضارة الجار ، وما يتفرّع على قوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » ، وأمر وقف الإنسان على نفسه وإن رآه سوى أهل مذهبه ، وطلعت به أهلة علماء لولاهم لما جلا الزمان جُنح غيبه ؛ وكذلك الجوائح التي يخفف بها عن الضعفاء وإن كان لا يرى بها الإلزام ، ولا تجرى لديه إلا مجرى المصالحة بدليل الالتزام ؛ وكذلك المعاملة التي لولا الرخصة عندهم فيها لما أكل أكثر الناس إلا الحرام المحض ، ولا أخذ قسم الغلال والمعامل هو الذي يزرع البذور ويحراث الأرض ؛ وغير ذلك مما هو من مفرداته التي هي للرفق جامعته ، وللرعايا في أكثر معاشهم وأسبابهم نافعته ؛ فإذا استقرت الفروع كانت الأصول لها جامعته . وفقهاء مذهبه هم الفقهاء لقلة الحصول وضعف الأوقاف ، وهم على الرقة كالرماح المعدة للثقاف ؛ فخذ بنحو أطيرهم ، ومدّ آمالهم في غائب وقتهم وحاضرهم ؛ وأشملهم بالإحسان الذي يرغبهم ، ويقبل به طلبهم لوجوه الغنى ويكثر طلبهم .

(١) عبارة "التعريف" « وإذا استقرت الأصول كانت الفروع لها تابعه » .

الطبقة الثانية

(من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التواقيع ، وتشتمل على مراتب)

المرتبة الأولى

(ما كان يكتب في النصف بـ «المجلس العالى» كما كان يكتب للقضاة الأربعة أولاً ، وقد تقدم)

المرتبة الثانية

(ما يكتب في قطع الثلث بـ «السامى» بالياء)

وأعلم أن الأصل فيما يكتب من التواقيع أن يفتح بـ «أما بعد» إلا أن الكُتاب تسامحوا فيه فافتتحوا لمن علت رتبته حيث اقتضى الحال الكتابة له في الثلث بـ الحمد لله ، وأبقوا من انحطت رتبته عن ذلك على ما كان عليه من الأفتاح بـ «أما بعد» وهأنا أورد ماسح من ذلك مما أنشأه الكُتاب في ذلك من الأفتاحين جميعاً . ويشتمل على وظائف .

الوظيفة الأولى

(قضاء العسكر)

وقد تقدم في المقالة الثانية أن موضوعها التحدث في الأحكام في الأسفار السلطانية وأن له مجلساً يحضره بدار العدل في الحضر . وقد جرت العادة أن يكون قضاء العسكر أربعة : من كل مذهب قاض .

وهذه نسخة توقيع شريف بقضاء العسكر المنصور بالحضرة السلطانية ، وهى :

الحمد الذي رفع للعالم الشريف في أيامنا الزاهرة منارا ، وزاد بإعلاء رتب أهله
دولتنا القاهرة رفعةً ونخارا، وزان أحكامه الشريفة بحكامه الذين دلعوا في غياهب
مشكلاته بدورا وتدققوا في إفاضته في الأحكام الشرعية بحارا .

نحمده على نعمة التي حلت فحلت ، ومنته التي أهلت الجود فاستهلت .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لقائلها ذخرا ، وتعلي
لتمسك بها في الملائ الأعلى ذكرا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي هو أسبق
الأنبياء رتبة وإن كان آخرهم عصرا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أضحوا
للمقتدين بهم شموسا منيرة وللمهتدين بعلمهم نجوما زهرا ، صلاة لا تزال الألسن
تقيمها ، والأسماع تستديمها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من نوهنا بذكره ، ونبهنا على رفعة قدره ، وأطلعنا ألسنة الأفلام
في وصف مفاخره وشكره ، وأثلنا قواعد مجده التي لو رام بنان البيان استقصاءها حال
الحصر دون حصره ، ونقدنا كلام حكمه ورفعنا في أندية الفضائل أوية فنونه وأعلام
نصره ؛ من لم يزل دم الشهداء يعدل مداد أفلامه ، وتقيم منار الهدى أدلة فضائله
وشواهد أحكامه ، وتوضح الحق حتى يكاد المتأمل يلحظ الحكم لوضوحه ويصره ،
وينصر الشرع بأمداد علمه وينصرن الله من ينصره ؛ وشيّد مذهب إمامه الإمام
الفلاني فأصبح فسيح الأرجاء وإن لم يكن فيه فسحة ، وجدّد قواعد العدل في قضايا
عسا كرنا المنصورة فهو مشاهد من كلمه ومن نظره في لجه ملحه .

ولما كان فلان هو الذي نعنتنا بما تقدم من الخطاب خلافة الحسنى ، وأثنينا
على ما هو عليه من الإقبال على جوهر العلم دون التعرض إلى العرض الأذنى ؛ مع
ما حواه من مواد فضائل تركو على كثرة الإنفاق ، وفرائد فوائد تجلب على أيدي

الطَّلَبَةُ إِلَى الْآفَاقِ ، وَقُوَّةٌ فِي الْحَقِّ ، الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ فِيهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَعَدْلٌ أَحْكَامٌ فِي الْخَلْقِ ، أَلَدٌّ مِنْ سِنَةِ الْكَرْبِيِّ فِي جَفْنِ نَائِمٍ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُوَطَّدَ فِي عَسَاكِرِنَا الْمَنْصُورَةِ قَوَاعِدَ أَحْكَامِهِ ، وَنُوَطَّنَ كَلًّا مِنْهُمْ عَلَى أَنَّهُ تَحْتَ مَا يُمِضِيهِ فِي أَقْضِيَتِهِ النَّافِذَةِ مِنْ نَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ قِضَاءُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ الشَّرِيفَةِ : عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ، وَأَكْمَلِ الْقَوَاعِدِ ؛ وَأَنْ تُبَسِّطَ كَلِمَتُهُ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ . فَلِيُحْكَمْ فِي ذَلِكَ كَلَّهُ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ مِنْ عِلْمِهِ ، وَأَتَاهُ مِنْ حِكْمِهِ وَحُكْمِهِ ، وَيَبِينُ لَهُ مِنْ سُبُلِ الْهُدَى ، وَعَيْنَهُ لِبَصِيرَتِهِ مِنْ سُنَنِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي مِنْ حَادٍ عَنْهَا فَقَدْ جَارَ وَأَعْتَدَى ؛ وَلِيُقِفَّ مِنَ الْأَحْكَامِ عِنْدَ مَاقَرَّرْتَهُ الشَّرِيعَةُ الْمَطْهُرَةُ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَعْطِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ، وَيَأْمُرُ كَلًّا مِنْ الْمُتَقَاضِينَ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا حُدِّدَ لَهُ : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . وَالْوَصَايَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَمِنْ مِثْلِهِ تَفَادًا ، وَإِنْ جَلَّتْ فَسَمِعُهُ فِي غَنَى عَمَّا يُبْدَأُ لَهُ مِنْهَا وَيُعَادَى ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ شِعَارُ أَنْبِيَاءِهِ ، وَحِلْيَةُ يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَسُدُّهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُوقِّعُهُ لِمَا يَرْضَاهُ وَيُصَوِّتُهُ مِنَ الْخَطِيئَاتِ وَالْخَطَلِ .



وهذه وصية لقاضى العسكر، أوردتها في "التعريف" وهي أن يقال :

وهو الحاكم حيث لا تتقذ إلا أقضية السيوف، ولا تزدحم الغرماء الا في مواقف الصنوف، والماضى قلبه وكل خطي يمد بالدماء، والماضى سبيله وقد طوى العجاج كالكتاب سجيل السماء، وأكثر ما يتحاكم إليه في الغنائم التي لم تحل لأحد قبل هذه الأمة، وفي الشركة وما تطلب فيه القسمة، وفي المبيعات وما يرد منها بعيب،

وفي الديون المؤجلة وما يُحكّم فيها بغيّب ، وكلُّ هذا مما لا يَحتمل طول الأناة في القضاء ، وأشتغال الجند المنصور عن مواقف الجهاد بالتردد إليه بالإمضاء ، فليكن مستحضراً لهذه المسائل ليبتّ الحكم في وقته ، ويُسارع السيف المُصلت في ذلك الموقف بتهبه ، وليعلم أن العسكر المنصور هم في ذلك الموطن أهل الشهادة ، وفيهم من يكون جرحه تعديلاً له وزيادة ، فليقبل منهم من لا تخفى عليه سيما القبول ، ولا يردّ منهم من لا يضره أن يردّه هو وهو عند الله مقبول ، وليجعل له مستقراً معروفاً في المعسكر يُقصد فيه إذا نُصبت الخيام ، وموضعاً يمشى فيه ليقضى فيه وهو سائر وأشهر ما كان على يمين الأعلام ، وليلزم ذلك طول سفره وفي مدد المقام ، ولا يخالفه ليُبهم على ذوى الخوائج فما هو بالصالحية بمضّر ولا بالعادلية بالشام ، وليتخذ معه كتاباً تكتب للناس وإلا فن أين يوجد مركز الشهود ، وليسجل لذي الحق بحقه وإلا فما آتسد باب الجود ، وتقوى الله هي التي بها تُنصر الجنود ، وما لم تكن أعلى ما يكون على أعلام الحرب وإلا فما الحاجة إلى نشر البنود .

الوظيفة الثانية

(إفتاء دار العدل)

وموضوعها الجلوس بدار العدل حيث يجلس السلطان لفصل الحكومات ، والإفتاء فيما لعله يطرأ من الأحكام بدار العدل . وهي وظيفة جليّة ، لصاحبها مجلس بدار العدل يجلسه مع القضاة الأربعة ومن في معناهم .

وهذه نسخة توقيع لمن لقبه «جمال الدين» يُنسخ على منوالها ، وهي :

الحمد لله جعل العلم للدين جمالاً ، وللدنيا عصمةً وثملاً ، ولأسباب النجاة والنجاح شارةً إذا تحلّى بها ذو التمييز كان أحسن ذوى المراتب حلالاً ، وأجلهم

فى الدارين مَبْدَأً وَمَا لآ ، وَأَحَقَّهُمْ بِرَبَّةِ التَّفْضِيلِ الَّتِي ضَرَبَتْ لَهَا السَّنَةَ الْمُطَهَّرَةَ
فَضَلَ الْبَدْرَ عَلَى الْكَوَاكِبِ مِثَالًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي خَصَّتْ دَارَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِأَكْفَائِهَا ، وَأَصْطَفَتْ
لَنَا قُرْبَ مِنْ مَجْلِسِنَا الْمَعْظَمِ مَنْ دَلَّ عَلَى أَنَّ التَّيِيدَ قَرِينُ أَصْطَفَائِهَا .

وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَفْتَرُّ عَنْ شَنْبِ الصَّوَابِ ،
تَعْرِفُهَا ، وَيَتَفَتَّحُ عَنْ فَصْلِ الْخَطَابِ ، زَهْرَهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ
الْمَخْصُوصُ بِحُكْمِ التَّنْزِيلِ ، الْمَنْصُوصُ فِي الصَّحْفِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى ذِكْرِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ
عَلِمُوا هُمْ كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هُمْ كَالنُّجُومِ
الْمُشْرِقَةِ ، مِنْ اقْتَدَى بِهِمْ آهْتَدَى ، وَكَالرُّجُومِ الْحَرِيقَةِ ، مِنْ أَعْتَدَى وَجَدَ مِنْهَا شَهَابًا
رَصَدًا ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا أَرْتَدُنَا لَهُ مِنْ رِيَاضِ الْعِلْمِ مَنْ سَمَّا فِيهِ فِرْعُهُ ، وَرَحَّبَ بِتَلَقَّى أَنْوَاعِ
الْعُلُومِ ذُرْعُهُ ؛ وَبَسَقَتْ فِي فُنُونِ الْفَضَائِلِ أَفْنَانُهُ ، وَنَسَقَتْ فَرَائِدَ الْفَوَائِدِ فِي سَلَكِ
الطَّرِيقِ بِنَانُهُ - فُتِيَا دَارَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ الَّتِي أَحْكَمْنَا لَهَا تَابِعَهُ ، وَأَغْصَانُ الْعَدْلِ
بِثَارِ فِتَاوِيهَا مُورِقَةٌ بِإِنْعَامِهِ ، وَأَعْيُنُنَا إِلَى أَفْوَاهِ مُفْتِيهَا رَامِقَةٌ وَأَذَانُنَا لِمَقَالَاتِهِمْ سَامِعَةٌ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ ثَمَرَةٌ هَذَا الْإِرْتِيَادِ ، وَنُجْبَةٌ هَذَا الْإِنْتِقَادِ ؛ الْمَعْقُودُ عَلَيْهِ فِي اخْتِيَارِ
الْعُلَمَاءِ بِالْخُنَاصِرِ ، وَالْعَرِيقُ فِي أَصَالَةِ الْعُلُومِ بِأَصَالَةٍ ثَابِتَةٍ الْأَوَاصِرِ ؛ وَالَّذِي إِذَا أَجَابَ
تَدَفَّقَتْ أَنْوَاءُ الْفَوَائِدِ ، وَتَأَلَّقَتْ أَضْوَاءُ الْفَرَائِدِ ، وَأَتُّخِذَتْ مَسَائِلُ فَفَهْمِهِ قَوَاعِدُ
تَرْتَّبِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَيْهَا وَمَصَادِرُ وَحْيِهِ مَوَارِدُ - اقْتَضَتْ آرَائُنَا الشَّرِيفَةَ
أَنْ نُزَيِّنَ بِهِجَةَ هَذِهِ الْوُضُفَةِ بِجَمَالِهِ ، وَنُنَزِّهَ إِشْرَاقَهَا بِنُورِ فَضَائِلِهِ الَّتِي لَوْ قَابَلَهَا بِدُرِّ الْإِفْقِ
نَازَعَتْهُ حُلَّةَ كَمَالِهِ .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت أحكامه مع أوامر الشرع الشريف واقفه ، ومعدته الشريفة باقتفاء آثار الحق لمشتكيات الظلم كاشفه - أن يفوض إليه كذا : فليباشر هذه الوظيفة السنوية مفعراً ينابيع العلوم في أرجائها ، محققاً للفتاوى بتسهيل مواردها وتقريب أوحائها ، موضحاً طرقها بإقامة براهينه وأدلته ، مبدياً دقائقها التي يُشرق بها أفق الفكر إشراق السماء بنجومها والأفق بأهنته ؛ مظهرها من غوامضها ما يُقرب على الأفهام مناله ، ويفسح لحياد القرائح مجاله ، وينقح لكل ذي ترو ورويته ولكل مرتجل بديته وأرتجاله ؛ فإنه الكامل الذي قطع إلى بلوغ الغاية مسالك اللبالي ، والإمام الذي غاص فكره من كل بحر لجج المعاني فاستخرج منها مكنون الآلى ؛ مع أن علمه المهذب غنى عن تنبيه الوصايا ، ملي بما يلزم هذه الوظيفة من الخصائص والمزايا ؛ فإن البحر يأبى إلا تدفقاً ، والبدر إلا تألقاً ؛ والله تعالى يزيد من فضله ، ويزين به أفق العلم ويزيد من أدنوا قرب محله .

الوظيفة الثالثة

(الحسبة)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث على أرباب المعاش والصنائع ، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته . وحاضرة الديار المصرية تشمل على حسبتين :

(١) الأولى - حسبة القاهرة : وهي أعلاهما قدراً ، وأخفهما رتبة ؛ ولصاحبها مجلس بدار العدل مع القضاة الأربعة وقضاة العسكر ومفتي دار العدل وغيرهم . وهو يتحدث في الوجه البحري من الديار المصرية في ولاية الثواب وعزهم .

(١) أى والثانية حسبة الفسطاط التي سيأتى لها توقيع بعد صفحات .

قلت : ولم تزل الحِسْبَةُ تُؤَلَّى للتعممين وأرباب الأقاليم إلى الدولة المؤيَّدية شيخ ،
فولَّاهَا للأمير سيف الدين منكلى بغا الفقيه أمير حاجب مضافة إلى الجُوبِيَّة . على
أنَّ في سِجِّلاتِ الفاطميين ما يشهد لها في الزمن المتقدم . وربما أُسْنِدَتْ حِسْبَةُ
القاهرة إلى والى القاهرة ، وحِسْبَةُ مصر إلى والى مصر .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهى :

الحمد لله مجدِّد عوائد الإحسان ، ومُجْرِى أولياء دولتنا القاهرة ، فى أيامنا الزاهرة ،
على ما أَلْفُوهُ من الرُّبِّ الحِسان ، ومضاعِفِ نِعْمنا على من آجنتى لنا بِحَسَنِ سِيرته
الدعاء الصالح من كل لسان .

نحمده على نِعْمه التى لا تُحصى بِعَدها ، ولا تُحصر بِجَدِّها ؛ ولا تُسترادُ بِغيرِ شُكْرِ آلِ
المنعم وَحَمْدِها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُقيِّمها فى كُلِّ حُكْم ، وتُحاولُ
سيوفنا جاحديها فنَهَضْ فتنَطَّقُ بِالْحِجَّةِ عليهم وهم بكم ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
أشرف من أتمت بالعدل والإحسان ، وأعدل أمرٍ أُمَّته بالوزن بالقسط وأن لا يُخسروا
الميزان ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين آحتسبوا فى سبيل الله جُلَّ عَنادهم ،
وَآحتسبوا أنفُسهم فى مقاطعة أهل الكُفْر وَجِهَادهم ؛ فلا تُتَهَبَ جَنائِبها فى الوجود ،
وتَسرى نَجائِبها فى التَّهائم والنُّجود ؛ وسَلِّمَ تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنَّ أولىَّ مَنْ دعاه إِحساننا لرفعِ قَدْرِهِ ، وإِنارةِ بَدْرِهِ ؛ وإِعلاءِ رُتْبَتِهِ ،
وإِدناءِ منزلتِهِ ؛ وإِعلامِ مُحْلِصِ الأُولياءِ بِمضاعِفَةِ الإحسانِ إليه أنَّ الله لا يُضِيعُ أَجْرَ
مَنْ أَحسَنَ عَمَلًا ، وأنَّ كَرَمنا لا يُحِبُّ لِمَنْ أسلفَ سَوابِقَ طاعتهِ فى أيامنا الشريفة
أَمَلًا ؛ مَنْ لم تزلْ خِدْمَتُهُ السابِقةُ إلى الله مَقَرَّبَهُ ، وعن طُرُقِ الهوى مُنكِبَهُ ، وبالله

مُدَّكَرُهُ ، وَعَلَى الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ مَوْقَرُهُ ؛ مَعَ مَا أَضَافَهُ إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرٍ
بِمَعْرُوفٍ ، وَإِغَاثَةِ مَلْهُوفٍ ؛ وَنَهْيٍ عَنِ مَنَكِرٍ ، وَاحْتِسَابٍ فِي الْحَقِّ أْتَى فِيهِ بِكُلِّ مَا تُجَمِّدُ
خَلَائِقُهُ وَتُشْكِرُ ، وَاجْتِنَابٍ لِأَعْرَاضِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ ، وَاجْتِهَادٍ لِمَا يُرِضِي اللَّهَ وَيَرْضِينَا
مِنْ أَتْبَاعِ سَيِّرَتِنَا السَّرِيَّةِ ؛ وَشِدَّةٍ فِي الْحَقِّ حَتَّى يُقَالَ بِهِ وَيُقَامَ ، وَرِفْقٍ بِالْحَلِيقِ
إِلَّا فِي بَدْعٍ تُنْتَهَكُ بِهَا حَرَمَةُ الْإِسْلَامِ ، أَوْ غِشٍّ إِنْ لَمْ يُحْصَ ضَرَرُهُ الْخَاصُّ فَإِنَّ ذَلِكَ
يَعْمُ الْعَامُ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أَخْتَصَّ مِنْ خِدْمَتِنَا ، بِمَا رَفَعَهُ لَدَيْنَا ، وَأَسْلَفَ مِنْ
طَاعَتِنَا ، مَا أَقْتَضَى تَقْرِيْبَهُ مِنَّا وَاسْتِدْعَاءَهُ إِلَيْنَا ، وَنَهَضَ فِيهَا عَدَقَاهُ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ
الرَّعَايَا وَكَانَ مَشْكُورًا الْمَسَاعِي فِي كُلِّ مَاعْرِضٍ مِنْ أَعْمَالِهِ فِي ذَلِكَ عَلَيْنَا - أَقْتَضَى رَأْيِنَا
الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا ، فَلَيْسَتْ قَرَّةٌ فِي ذَلِكَ مَجْتَهِدًا فِي كُلِّ مَا يَعْمُ الْبَرَايَا نَفْعُهُ ،
وَيَجْمَلُ لَدَيْهِمْ وَقَعُهُ ؛ وَيَمْنَعُ مِنْ يَتَعَرَّضُ بِالْيَسَارِ ، إِلَى مَا لَهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ، أَوْ يَضِيقُ
بِالْإِحْتِكَارِ ، عَلَى ضَعْفَائِهِمْ مَا بَسَطَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ رِزْقٍ ؛ وَيَذُبُّ عَنْهُمْ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ شُبُهَ
تَعْطِيلِهَا ، وَيَعْرِفُهُمْ بِالْحَفَظَةِ عَلَى الْحَقِّ فِي الْمَعَامَلَاتِ قَوَاعِدَ تَحْرِيْمِهَا وَتَحْلِيلِهَا ؛ وَيُرِيهِمْ
بِالْإِنْصَافِ مَنْ أَرَقَسَطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ ، وَيُؤَدِّبُ مِنْ يَجِدُ فِيهِمْ مِنْ
الْمُطَفِّفِينَ : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾
وَيَأْمُرُ أَهْلَ الْأَسْوَاقِ بِإِقَامَةِ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ ، وَيَقَابِلُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ بِالنَّادِيَةِ
الَّذِي يَرْدَعُ مِنْ أَصْرَفِهِ عَلَى الْمُخَالَفَةِ وَيَزَعُ ؛ وَيُلْزِمُ ذَوِي الْهَيْئَاتِ بِالصِّيَانَةِ الَّتِي تُنَاسِبُ
مَنَاصِبَهُمْ ، وَتُؤَافِقُ مَرَاتِبَهُمْ ، وَتَنْزَهُ عَنِ الْأَدْنَسِ مَكَاسِبَهُمْ ، وَتُصَوِّنُ عَنِ الشَّوَابِ
شَاهِدَهُمْ وَغَائِبَهُمْ ؛ وَلَا يَمَكِّنُ ذَوِي الْبُيُوعِ أَنْ يَغْنَبُوا ضَعْفَاءَ الرَّعَايَا وَأَغْيَاءَهُمْ ،
وَلَا يُفْسِحَ لَهُمْ أَنْ يَرْفَعُوا عَلَى الْحَقِّ أَسْعَارَهُمْ وَيَخْسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ .

وليجمل كلاً منهم على المعاملات الصحيحة ، والعقود التي غدت لها الشريعةُ
 الشريفةُ مبيحةً ، ويحنبهم العقودُ الفاسدةُ ، والحيل التي تُعزبتد ليس السِّلَع الكاسدهُ ؛
 وهو أخبر بالبيع المنصوص على فسادها في الشرع الشريف ، وأدرى بما في عدم
 تحريم المكاييل والموازين من الإخسار والتطفيف ؛ فليعمل ذلك في كل
 ما يجب ، ويحتسب فيه ما يدخره عند الله ويحتسب ؛ ولتكن كلمته في ذلك مبسوطه ،
 ويد تصرفه في جميع ذلك مُحيطه وبما يستند إليه من أوامره مُحوطه ؛ ولْيُوص نُوابه
 بمثل ذلك ، ويوضح لهم بإشارة طريقته كل حالٍ حالِك ؛ ويقدم تقوى الله على كل
 أمر ، ويتبع فيه رضا الله تعالى لارضا زيد وعمرو ، والخطُ الشريفُ أعلاه .



وهذه نسخة توقيع من ذلك بحسبة القسطاط المعبر عنه الآن بمصر عوداً
 إليها ، وهى :

الحمد لله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشاهد بالعدل الذى تقوى به كلمة
 الإيمان وتُنصر ؛ والغامر بالجوود الذى لا يُحصى والفضل الذى لا يُحصَر ، العاصِر
 ربوع ذوى البيوت بتقديم من أعتقدت الخناصر على فضله الذى لا يُحَد ولا يُنكر .

نحمده على نعمه التى لا تزال السنة الأقسام ترقم لها في صحف الإنعام ذكراً ،
 وتجدد لها بإصابة مواقع الإحسان العام شكراً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدع بنورها ليل الشرك
 فيقول جفراً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى قمع الله به من أغتر بالمعاصى
 وغرر ، وأقام بشريعته لواء الحق الأطهر ومَنار العدل الأظهر ، وعلى آله وصحبه

الذين سلكوا من الهداية بإرشاده مَنهج الحق الأنور ، وأحتبسوا نفوسهم في نصرته
ففازوا من رضاه بالحظ الأوفى والنصيب الأوفر .

وبعد ، فإن الله تعالى لما جعل كلمتنا المبسوطة على العدل والإحسان مقصوره ،
وأوامرنا الشريفة بإقامة منار المعروف مؤيدة منصوره ، وأحكامنا المشهورة
بالإنصاف في صحائف الدهر بالمحاسن مسطوره ، وألهمنا من أتباع الشرع الشريف
ما غدت به قلوب الرعايا آمنة مسروره - قصدنا أن نختار لمراتب الديانة والعفاف
من لم يزل بيته بالصدارة علياً ، ووصفه بأنواع المحامد والمآدح مالياً .

ولما كان فلان هو الذي ورث السيادة ، عن سلف طاهر ، وتلقى السعادة ،
عن بيت فروعه التقوى فأزرت بالروض الزاهي الزاهر ، وسرت سرائره بحسن سيرته
وسيره ، وأبطن من الديانة ما أظهرته أدلة خيره ، ونبه في المراتب الدينية فأرنب
في حسن السلوك على غيره ، وسلك من الأمانة الطريق المثلى ، وأعتد ما عديم به
مضاهيا ومثلا ، وجنى ما نطق بإنصافه فضل الكيل والميزان ، ورجاه من أهل
الخير كل ذي إحسان وخشية أهل الزيغ والبهتان ، وكانت الحسبة المباركة بمصر
المحروسة قد ألفت قضاياها وأحكامه ، وعرفت بالخبر معروفه وشكرت نقضه
وإبرانه ، وفارقها على رغمها منه اختيارا ، وعادت له خاطبة عقيمة نزاها التي
لا تجارى .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى أن يفوض إليه كذا . فليقدم خيرة الله
في مباشرة هذه الوظيفة ، وليقيم منارها بإقامة حدودها الشريفه ، ولينظر في الكيل
والميزان اللذين هما لسان الحق الناطق ، ولينشر لواء العدل الذى طالما خفقت
بنوده في أيامنا حتى غدا قلب المجرم وهو خائف ، وليحسن النظر في المطاعم

والمشارب ، وليردع أهل البدع من هو مستخف بالليل وسارب ، وفيه - بحمد الله تعالى - من حسن الأئمة ما يغني عن الإسهاب في الوصايا ، ويعين على السداد في نفاذ الأحكام وفصل القضايا ، وكيف لا وهو الحسير بما يأتي ويذر ، والصدر الذى لا يعدو الصواب إن ورد أو صدر ، والله تعالى يعمر به للعدل معلما ، ويكسوه بالإقبال في أيامنا الشريفة ثوبا بالتواب معلما ، والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه .



وهذه وصية محتسب أوردها في "التعريف" وهى :

وقد ولى أمر هذه الرتبة ، ووكل بعينه النظر في مصالح المسلمين لله حسبه ، فلينظر في الدقيق والحليل ، والكثير والقليل ، وما يحرص بالمقادير وما لا يحرص ، وما يؤمر فيه بمعروف أو ينهى عن منكر ، وما يشتري ويبيع ، وما يقرب بتحريره إلى الجنة ويبعد من النار ولم يكن قد بقي بينه وبينها إلا قدر باع أو ذراع ، وكل ما يعمل من المعاش في نهار أوليل ، وما لا يعرف قدره إلا إذا نطق لسان الميزان أو تكلم فم الكيل . ويعمل لديه معدلا لكل عمل ، وعيارا إذا عرضت عليه المعايير يعرف من جار ومن عدل ، ولينفق أكثر هذه الأسباب ، ويحذر من الغش فإن الداء أكثره من الطعام أو الشراب ، ولتعرف الأسعار ويستعلم الأخبار ، في كل سوق من غير إعلام لأهله ولا إشعار ، وليقيم عليهم من الأمانة من ينوب عنه في النظر ، ويطمئن به وإن غاب إذا حضر ، ويأمره بإعلامه بما أعضل ، ومراجعته مهما أمكن فإن رأى مشله أفضل . ودار الضرب والنقود التى منها تنبت ، وقد يكون فيها من الزيف ما لا يظهر إلا بعد طول اللبث ، فليصدها لمهماتا بصدوره الذى لا يخرج ،

وليعرض منها على المحك من رأيه مالا يجوز عليه بهرج ؛ وما يعلق من الذهب المكسور ويروبص من الفضة ويخرج ، وما أكلت النار كل لحامه أو بعضه فليقيم عليه من جهته الرقباء ، وليقيم على شمس ذهبه من يرقب منه ما ترقب من الشمس الحرباء ؛ وليقيم الضمان على العطارين والطرقية من بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يستراب فيه وهو معروف ، وبخط متطبب ماهر لمريض معين في دواء موصوف . والطرقية وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى ساسان ، ومن يأخذ أموال الرجال بالحيلة ويأكلهم باللسان ، وكل إنسان سوء من هذا القبيل هو في الحقيقة شيطان لا إنسان ؛ امنعهم كل المنع ، وأصدعهم مثل الزجاج حتى لا يجبر لهم صدع ، وصب عليهم النكال وإلا فما يئدى في تأديبهم ذات التأديب والصفع ؛ وأحسم كل هذه المواد الخبيثة ، وأقطع ما يجدد ضعفاء الناس من هذه الأسباب الرثيثة ؛ ومن وجدته قد غش مساماً ، أو أكل بباطل درهما ؛ أو أخبر مشترياً بزائد ، أو خرج عن معهود العوائد ؛ أشهره في البلد ، وأركب تلك الآلة قفاه حتى يضعف منه الجسد ؛ وغير هؤلاء من فقهاء المكاتب وعالمات النساء وغيرهما من الأنواع ممن يخاف من ذنبه العائث في سرب الأطباء والجاذر ، ومن يقدم على ذلك ومثله وما يحاذر ، أرسقهم بسهامك ، وزلزل أقدامهم بإقدامك ؛ ولا تدع منهم إلا من آخبرت أمانته ، وآخرت صيانتته . والنوآب لا ترص منهم إلا من يحسن نفاذاً ، ويحسب لك أجر استنابته إذا قيل لك من استنبت فقلت هذا ؛ وتقوى الله هي نعم المسالك ، وما لك في كل ما ذكرناه بل أكثره إلا إذا عملت فيه بمذهب مالك .

الوظيفة الرابعة

(وَكَالَةُ بَيْتِ الْمَالِ)

وهى وظيفة عظيمة الشأن رفيعة المقدار ، وقد تقدم أن موضوعها التحدث فيما يتعلّق بمبيعات بيت المال ومشترواته ^(١) : من أرض وأدر وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، وأن متولّيها لا يكون إلا من أهل العلم والديانة ، وأن له مجلساً بدار العدل : تارة يكون دون مجلس المحتسب ، وتارة فوق مجلسه ، بحسب رفعة قدر كل منهما فى نفسه . وقد أضيف إليها فى المباشرة نظر كسوة الكعبة الشريفة وصاروا كالوظيفة الواحدة .

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال :

الحمد لله جامع المناصب الدينية ، لمن خطبته لها رتبتان : العلم والعمل ، ومكّله الرتب السنية ، لمن وجدت فيه أهبتان : الورع والتقوى وعُدت منه خلتان : الحرص والأمل ، جاعل اختصاص الرتب بكفائها حلية الدول ، والنظر فى مصالحها الخاصة والعامة زينة أيامنا التى نتلفت إلى محاسنها أجياد الأيام الأول .

نحمده على نعمه التى عصمت آراءنا من اعتراض الخلل ، وأمضت أوامرنا من مصالح الأمة بما تسرى به المحامد سرى النجوم ويسير به الشكر سير المثل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لم نزل نستنطق بها فى الجهاد ، السنة الأسل ، ونوقظ لإقامتها عيون جلاذ ، لها الغمود جفون والسهام أهداب ، والسيوف مقل ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أظهر الله دينه على الأديان وشرف ملته على الملل ، وأسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى سدره

(١) جرى على اللغة العامية والافصواب العربية مشترياته بالياء .

المتنبى وعاد ولم يكمل الليل بين السير والقفل ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هجروا في المهاجر إليه الأحياء والحلل ، وشفوا بأسنة سنته العلل والغلل ، وتفردوا بكال المفاحر فإذا خلعت الأقلام على أوصافهم حلا غدت منها في أبهى من الحلل ، صلاة تتوالى بالعشى والإبكار وتتواتر في الإشراق والظفل ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الرتب بإنعام النظر في آرتياد أكفائها ، وانتقاد فرائد الأعيان لها وانتقائها ، واستخارة الله تعالى في اختيار من يكون أمر دينه هو الميم المقدم لديه ، واستنارة التوفيق في اصطفاء من يكون مهم آخرته هو المرئى المصور بين عينيه ؛ مع ما أتصف به من محاسن سجايا جيلت عليها طباعه ، وخُصَّ به من سوابق مزايا رُحِبَ بها في تلقى المصالح الدينية صدره وباعه ، رتبتان يعم نفعهما ويخص ، ويحسن وقُعمهما بما يُسديه من أوصافه ويقص ؛ ويتعلق كلُّ منهما بجماعة الأمة فردا فردا ، ويشتملان على منافعهم على اختلافها بدءا وإعادةً وعكسا وطردا ؛ ويكون المتصدى لها مناقشا على حقوقهم وهم ساهون ، ومفتشا عن مصالحهم وهم عنها لاهون ؛ ومناضلا عنهم وهم غافلون ، ومشمرا للسعى في مصالحهم وهم في حبر الدعة رافلون ، ومتكلفا لاستماع الدعوى عنهم جوب فلوات الجواب ، ومتكفلا بالتحري في المحاوره عنهم وإصابة شاكلة الصواب ، ومؤديا في نصيحهم جهده تقربا إلى مراضينا وله عندنا الرضا وابتغاء ثواب الله : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴾ وهما وكالة بيت المال المعمور والحسبة الشريفة بالقاهرة المحروسة : فإن منافع وكالة بيت مال المسلمين عائدة عليهم ، آئلة بأحكام الشريعة المطهرة إليهم ؛ راجعة إلى ما يعمهم مساره ، معدة لما تدفع به عنهم من حيث لا يشعرون مضاره ؛ صائنة حقوقهم من تعدي الأيدي الغاصبه ، حافظة بيوت أموالهم من اعتراض الآمال

العاملية الناصبه ؛ وكذلك نظر الحسبة : فإنه من أخص مصالح الخلق وأعمها ،
وأكدر الوظائف العامة وأكملها استقصائية لمصالح الدينية والدنيوية وأتمها ، يحفظ
على ذوى الهيئات أقدارهم ؛ ويبين بتجنب الهنات فى الصدر مقدارهم ، ويصون
بتوقى الشبهات إيرادهم وإصدارهم ؛ وينزه معاملاتهم عن فساد يعارضها ، أو شبه
تتافى كمال الصحة وتتافىضا ؛ ويحفظ أوقاتهم من غش متلف ، أو غلو مجحف ؛
إلى غير ذلك من أدوية لا بد من الوقوف على صحة ترتيبها وتركيبتها ، وتتبع الأقوال
التي تجرى بها الثقة إلى غاية تجريبها ؛ ولذلك لا تجمعان إلا لمن أوقفه علمه على جادة
العمل ، واقتصر به ورعه على مادة الحق فليس له فى التعرض إلى غيره أمل ؛
وسمى به أوصافه إلى معالم الأمور فوجد التقى أفضل ما يرتقى ، وعرضت عليه
أدواته جوهر الذخائر فوجد العمل الصالح أكمل ما ينتقد منها وما ينتقى ؛ وتحلى
بالأمانة ، فصارت له خلقا وسجية ، وأنس بالنزاهة ، فكانت له فى سائر الأحوال للنجاة
نجية ؛ وأرته فضائله الحق حيث هو فتمسك بأسبابه ، وتشبث بأهدائه ، وأنصف
به فى سائر أحواله فإن أخذ أخذ بحكمه وإن أعطى أعطى به ؛ وأحترز لدينه
فهو به ضنين ، وأستوثق لأمانته وإن لم يكن فيها بحمد الله متما ولا عليها بظنين ،
وأجتى ثمار المحامد الحلوة من كمال الأمانة المره ، وعلم أن رضا الله تعالى فى الوقوف
مع الحق فوقف معه فى كل ما ساءه للخلق وسره .

ولما كان فلان هو الذى أمسكت الفضائل بما كملها من آداب نفسه ونفاسه
آدابه ، وتجاذبته الرتب للتحلى بمكانته فلم تكن هذه الرتبة بأحق به من مجالس العلم
ولا أولى به ؛ وشهدت له فضائله معنى بما شهدت له به الأئمة الأعلام لفظا ،
ونوهت بذكره العلوم الدينية التى أتقنها بحثا وأكملها دراية وأثبتها حفظا ؛ فأوصافه
كالأعلام المشتقة من طباعه ، الدالة بدوامها على انحصار سبب الاستحقاق فيه

وَأَجْتَمَاعِهِ ؛ الْمُنْبَهَةِ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِهَذِهِ الْإِشَارَاتِ الَّتِي وَرَاءَهَا كُلُّ مَا يَجْمَدُ مِنْ
أَضْطِلَاعِهِ بِقَوَاعِدِ هَذِهِ الرُّتَبِ وَأَطْلَاعِهِ ؛ فَهُوَ سِرٌّ مَا ذَكَرَ مِنْ نَعَوَاتٍ وَأَوْصَافٍ ،
وَمَعْنَى مَا شَهَرَ مِنْ مَعْدَلَةٍ وَإِنْصَافٍ ، وَرُقُومٍ مَأْحَبٍّ مِنْ حُلَلٍ أَفِيضَتْ مِنْهُ عَلَى أَجْمَلِ
أَعْطَافٍ - رُسِمٍ ^(١) أَنْ يَفُوضَ ^(١) تَفْوِيضًا يَقَعُ بِهِ الْأَمْرُ فِي أَحْسَنِ
مَوَاقِعِهِ ، وَنَضَعَ بِهِ الْحُكْمَ فِي أَحْمَدِ مَوَاضِعِهِ ؛ وَيُحِلُّ مِنْ أَجْيَادِ هَذِهِ الْمَنَاصِبِ مَحَلَّ
الْفَرَائِدِ مِنَ الْقَلَائِدِ ، وَيَقَعُ مِنْ رِيَاضِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ وَقُوعَ الْحَيَا الَّذِي سَعِدَ بِهِ
رَأَى الرَّائِدَ .

فَلْيَبْشُرْهُاتَيْنِ الْوُضُفِيَّتَيْنِ مُرْهَفًا فِي مَصَالِحِهِمَا هَمَّةً غَيْرَ هَمَّةٍ ، مُجْتَهِدًا مِنْ قَوَاعِدِهِمَا ^(٢)
فِيمَا تَبَرَّأَ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ مِنَّا وَمِنْهُ الذَّمُّ ، مُحَاقِقًا عَلَى حَقُوقِ بَيْتِ الْمَالِ حَيْثُ كَانَتْ
مُحَاقِقَةً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَطْلُوبٌ بِذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَّةِ ؛ مُتَحَرِّيًا لِلْحَقِّ فَلَا يَغْدُو لِمَا يَجِبُ
لَهُ مُهْمَلًا ، وَلَا لِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مُمَاطِلًا ، وَاقِفًا مَعَ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى الْجَلِيلِيِّ فِي الْأَخْذِ
وَالْعَطَاءِ فَإِنَّهُ سَيَّانٍ مَنْ تَرَكَ حَقًّا أَوْ أَخَذَ بَاطِلًا ؛ مُجْرِيًا عَوَائِدَ الْحِسْبَةِ عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ
تَدْيِيرِهِ ، وَعُرْفٍ مِنْ إِتْقَانِهِ وَتَحْرِيرِهِ ، وَشُهْرٍ مِنْ أَعْتِمَادِهِ لِلوَاجِبِ فِي سَائِرِ أُمُورِهِ ؛
مُكْتَفِيًا بِمَا أُطْلِعَ عَلَيْهِ قَدِيمًا مِنْ مَصَالِحِهَا ، مُنْتَهِيًا إِلَى مَا سَبَقَتْ مَعْرِفَتُهُ بِهِ مِنْ
أَسْبَابِهَا وَمُنَاجِحِهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوقِّعُهُ فِي أَجْتِهَادِهِ ، وَيُعِينُهُ عَلَى مَا يَدَّخِرُهُ لِمَعَادِهِ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصيةٌ ويكل بيت المال أوردتها في "التعريف" :

وهو الوكيل في جميع حقوق المساميين وماله معهم إلا حق رجل واحد، والمكلف
بالمخاصمة عنهم حتى يُقرَّ الجاحد ؛ وهو القائمُ للدَّعْوَى لَهِمْ وَعَلَيْهِمْ ، وَالْمَطْلُوبُ مِنَ اللَّهِ

(١) بياض في الموضوعين والغرض منه الاختصار والمبيض له مفهوم مما تقدم مرارا . (٢) أي غير ضعيفه .

ومتأ بما يُؤخذ لهم أو يُؤخذ من يديهم ؛ والمعد لتصحيح العقود ، وترجيح جهة بيت المال فى العقار المبيع والتمن المنقود ؛ والمتكلم بكتاب الوكالة الشرعية الثابتة ، والثابت القدم والأقدام غير ثابتة ؛ والمفسوح المجال فى مجالس الحكم ، والمجادل بلسان الحق فى الأحكام ؛ والموقوفة كل دعوى لم تُسمع فى وجهه أو فى وجه من أذن له فى سماعها ، والمرجوع إليه فى إماتة كل مخاصمة حصل الضجر من طول نزاعها ؛ وإبداء الدوافع ، ما لم يجد بدا من الإشهاد عليه بعدم الدافع ، والانتهاى إلى الحق كان له أو عليه ولا يقف عند تثقيل مثقل ولا شفاعاة شافع ، وبوقوفه تُحدد الحدود [وتمتحن الشهود] ويمشى على الطرق المستقيمة ، وتُحفظ لأصحابها الحقوق القديمة ؛ وبه يتم عقد كل بيع وإيجار إذا كانت المصلحة فيها لعامة المسلمين ظاهره ، ولهم فيما يوكل عنهم فيه الحظ والغبطة بحسب الأوقات الحاضره .

ونحن نوصيه فى ذلك كله بالعمل بما علم ، والانتهاى فى مقتضى قولنا إلى ما فهم ؛ وتقديم تقوى الله فإنه متى قدمها بين يديه سلم ، والوقوف مع رضا الله تعالى فإنه متى وقف معه غنم ؛ والعمل بالشرع الشريف كيفما توجهت به أحكامه ، والحد من الوقوف فى طريقه إذا نفذت سهامه ؛ ومن مات وله ورثة معروفة تستكمل بحقوق ميراثه ، وتحوز بحظها ثرائه ؛ لا يكلفهم ثبوتاً يكون من باب العنت ، والمدافعة بحق لا يحتاج [مستحقه]^(١) إلى زيادة ثبت ؛ وإنما أنت ومن كانت قضيتته منكروه ، والمعروف من مستحق ميراثه نكره ؛ فأولئك شدد فى أمرهم ، وأوط شهداءهم فى الاستفسار منهم على جرمهم ؛ وتنبع باطن الحال لعله عنك لا يتستر ، ولا يمشى عليك فيه الباطل ويمشى شاهد الزور بكيمه ويتبحر ؛ فإن تحققت صحة شهاداتهم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٣٢ .

والأفْشِرُهم في الدنيا ودَعَهُم في الآخرة لا يُخَفِّفُ عَنْهُم العَذَابَ ولا يَفْتَرُ؛ وكلُّ ما يُبَاعُ أو يُؤَجَّرُ أَرَجِعَ فِيهِ إلى العَوَائِدِ، وتَقَلَّدَ أمرَ الصَّغِيرِ، وَجَدَّدَ لَكَ أَمْرًا مَنَّا في الكَبِيرِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مِرَاعَاةِ مَا تَحِبُّ مِرَاعَاتُهُ، وَالتَّائِيَّ كُلَّ التَّائِيَّ حَتَّى يَثْبُتَ مَا يَنْبَغِي إِثْبَاتُهُ؛ وشُهُودُ القِيَمَةِ عَلَيْهِم المَدَارُ، وبشهادتهم يُقَدَّرُ المِقْدَارُ؛ وما لم يَكُونُوا من ذَوِي الأَقْدَارِ، وَمِنَ أَهْلِ الخُبْرَةِ بالبَزِّ والجِدَارِ، وَمَن اشْتَرَى العَقَّارَ وأَسْتَغْلَهُ وبَنَى الدَّارَ؛ وإلا فاعلم أَنَّ مِثْلَهُ لا يُرْجَعُ إِلَيْهِ، وَلا يُعَوَّلُ وَلا سَمِيًّا في حَقِّ بَيْتِ المَالِ عَلَيْهِ؛ فَاتَّفَقْ^(١) مَعَ وِلَاةِ الأُمُورِ مِن أَهْلِ الأَحْكَامِ، عَلَى تَعْيِينِ مَن تَعَيَّنَ لَتَقْلِيدِ مِثْلِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ، وَتَعَرَّفْ مِنْهُمْ مَن لَهُ كُلُّ الخُبْرَةِ حَتَّى تَعْرِفَ أَنَّهُ مِن أَهْلِ الزَّهَادَةِ؛ وَلِئِنْ تَدَّعَى بِحَقِّ المَسالِمِينَ حَيْثُ شِئْتُ مِمَّنْ تَرَى أَنَّ حَقَّهُ عِنْدَهُ يَتَرَجَّحُ، وَأَنَّ بَيْتَهُم تَكُونُ عِنْدَهُ أَوْضَحَ؛ فَأَمَّا الدَّعْوَى عَلَيْكَ فَمِنَ عَادَتِهَا أَنَّ لا تُسْمَعُ إِلا فِي مَجْلِسِ الحُكْمِ العَزِيزِ الشَّافِعِيِّ - أَجَلَهُ اللهُ تَعَالَى - وَنَحْنُ لا نَغَيِّرُ العَوَائِدَ، وَلا نَنْقُضُ ما بَنَيْتِ الدَّوْلُ السَّالِفَةُ عَلَيْهِ القَوَاعِدَ؛ فليُكُنْ في ذَلِكَ المَجْلِسِ سَماعُها إِذا تَعَيَّنَتْ، وإِقامَةُ البِئِناتِ عَلَيْها إِذا تَبَيَّنَتْ؛ وَاللهُ اللهُ في حَقِّ بَيْتِ المَالِ، ثُمَّ اللهُ اللهُ في الوَقْتِ الحاضِرِ والمَالِ؛ وَمَنْ تَسْتَنِيهِمْ عَنْكَ بالأَعْمالِ لا تُقَرِّبْ مِنْهُمْ إِلا مَن تَقَرَّبَ بِهِ عَيْنِكَ، وَيُوقِفُ بِهِ عِنْدَ اللهِ لا بِما تُحْصِلُهُ مِنَ الدُّنْيا دِينَكَ؛ وَمَنْ كان لِعَمَلِهِ مُصْلِحًا، وَلا مَلَّةَ مُنْجِحًا، لا تَغَبِّرْ عَلَيْهِ فِيا هُوَ فِيهِ، وَدَعَهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ خَافِيَهُ؛ وَلتَسْتَقْصِ في كُلِّ وَقْتٍ عَنْهُمْ الأَخْبارَ، وَلتَسْتَعْلِمِ حَقائِقَ ما هُم عَلَيْهِ بِنِ تَسْتَصْحِبُهُ مِنَ الأَخْيَارِ، وَلا تَزالْ مِنْهُمْ عَلَى يَقِينٍ، وَعَمَلٍ بِما فِيهِ خِلاصُ دُنْيا وَدِينٍ.

(١) كذا في التعريف أيضا والمراد أن المقومين يشترط فيهم أن يكونوا بتلك الصفات والا فلا يؤخذ

بتقويمهم ولا يعول على كلامهم .

الوظيفة الخامسة

(الخطابة)

وهى من أجلّ الوظائف وأعلاها رتبةً فى نفس الأمر . وموضوعها معروف .
وتختص هذه الطبقة من التواقيع بخطابة الجوامع .

وهذه نسخة توقيع بخطابة الجامع بقلعة الجبل المحروسة ، حيث مصّلّى السلطان ،
من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبيّ :

الحمد لله الذى أنار بالذّكر قلوب أوليائه ، وكشف بالذّكرى بصائر أصفياه ،
وأنال أهل العلم بالإبلاغ عنه إلى خلقه وراثته أنبيائه ، وأختار لإدكارنا بألاء الله
من فرسان المنابر من يُجاهد الأعداء بدعائه ، ويُجاهر الأوداء من مواعظه بما يعلم
كلّ منهم أنّ فى مؤلّم صوّادعه دواء دائه ، فإذا أفتتح بحمد الله أثنى عليه بهوّد علمه
حقّ ثنائه ، ونزهه بما ينبغى لسُبُحات وجهه وجلالِ قُدسه وتقدّس أسمائه ، وأثنى
كما يجبُ على نبيّه صلى الله عليه وسلم الذى آدمُ ومن بعده من الرّسلِ تحت لوائه ،
وإذا تليّت على خيل الله خطبته تشوّقت بقاء أعداء الله إلى لقاءه ، وخطبت الحنان
من بذل نفوسها ونفائسها بما أفتنته فى سبيل الله لأتقائه .

نحمده على أن جعلنا لذكره مستمعين ، ولأمره ونهيه متّبعين ، وعلى حمده فى كل
ملا من الأولياء مجتمعين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال تختال بذكرها أعطاف
المنابر ، وتتعطر الأعلام بما تنقله منها عن أفواه المحابر ؛ ونشهد أنّ محمداً
عبده ورسوله الذى هدى الله من تقدّم من الأمة بحُبره ومن تأخر بحُبره ، وجعل
روضة من رياض الجنة بين قبره ومينبره ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هم

أول من عُقدت بهم من الجُمع صلواتها، وأكرم من زُهيت به من الجهاد والمنابر صَوَّاتها؛ صلاةً لا نزال نُقيمها عند كلِّ مسجد، ونُدِيمها في كلِّ مُتَمِّم في الآفاقِ ومنجِد، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإنَّ أولى المنابر أن يُرتادَ له من أئمة العلماء علامةُ عصره، ورحلةُ مِصره؛ وإمامُ وقته الذي يصدع بالحق وإن صدع، وعالمُ زمانه الذي يقوم في كلِّ مقام بما يُناسبه مما يأخذ في الموعظةِ الحسنة وما يدع، منبرٌ نذَرُ بالاءِ الله على أعواده وإن لم نزل لها من الذَّاكرين، ونُنبه فيه على شكر الله بالرافة على خلقه وإن لم نبرح لها بذلك وغيره من الشَّاكرين، ونُسوقُ عليه إلى الجهاد في سبيل الله بما أعدَّ الله لنا على ذلك من النصر والأجر وإن كُنَّا على الأبدِ إليه مُبادرين، وإلى إقامةِ دعوة الحق به مُباكرين .

ولما كان فلان هو الذي تعين لرُقي هذه الرتبة فخطبَ لخطابتها، وتبين أنه كُفُوها الذي تتشوقُّ النفوس إلى مواعظه فترغبُ في إطاعتها لإطاعتها - آقتضت آراؤنا الشريفة أن نحلِّي بفضائله أعطافَ هذا المنبر الكريم، وأن نختصَّ نحن وأولياؤنا بسماعِ مواعظه التي تُرغب فيما عند الله بجهادِ أعداء الله ﴿والله عنده أجرٌ عظيم﴾ .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُطالعُ في أفقِ المنابر من الأولياء شمساً مُنيره، ويُقيم شعائر الدين من الأئمة الأعلام بكلِّ مُشرقِ العلانية طاهر السريه - أن يفوض إليه كذا: فيحلَّ هذه الرتبة التي لم تُقرب لغيره جِادها، ويحلَّ هذه العقيلة التي لا تُزَن بسوى العلم والعمل أجِادها، ويرق هذه الهضبة التي يطول إلا على مثله صعودها، ويلق تلك العصبه التي تجتمع للأولياء به (؟) حشودها. وهو يعلم أنه في موقف الإبلاغ عن الله لعباده، والإعلام بما أعدَّ الله في دار كرامته لمن

جاهد في الله حق جهاده ، والإنذار لمن قصر في إعداد الأهبة ليوم معاده ، وهو
 محض من حمّة الإسلام ، ومشهد من قلده من أمر أمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة
 والسلام ؛ فليقصر خطبه على طاعة الله بحض عليها ، وعزيمة في سبيل الله يسوق
 إليها ، ومعدلة يصف ما أعد الله لولاة أمر قدمتها بين يديها ؛ وتوبة بيعت الهمم ، على
 تعجيلها ، وأوقات مكرمة ينبه الأمم ، على احترامها بتقوى الله وتبجيلها ؛ ودنيا ينذر من
 خداعها ، وبين للفتن بها ما عرف من خلائقها المذمومة وألف من طباعها ؛ وأخرى
 يوضح للعرض عنها وشك قُدومها ، ويحذر المقصر في طلابها من عذابها ويبشر المشمر
 لها بنعيمها . وليعلم أن الموعظة إذا خرجت من الألسنة لم تعد الأسماع ، ولم
 يحصل منها على غير تعقل القرائن والأشباع ؛ وإذا خرجت من القلوب وقعت
 في مثلها ، وأثرت في الحال بالمحافظة على فرض الطاعة ونفيلها ؛ وسكنت في السرائر
 طباع طاعة تأبى على مُحاولِ نفلها ، وقدحت في البصائر من أنواع المعرفة ما لم يُعهد
 من قبلها . وليجعل خطبه في كل وقت مناسبة لأحوال مستمعها ، متناسبة
 في وضوح المقاصد بين إدراك من يعي غوامض الكلام ومن لا يعيها ؛ فخير الكلام
 ما قل ودل ، وإذا كان قصر خطبة الرجل وطول صلاته منبئين عن فقهه فما قصر
 من حافظ على ذلك ولا أخل ؛ وليوشح خطبه من الدعاء لنا وللمسلمين بما يرجو
 أن يوافق ساعة الإجابة ، وإذا تونحى الغرض بدعائه لعموم الأمة فقد تعينت
 - إن شاء الله - الإصابه ؛ وهذه الوصايا على سبيل الذكري التي تنفع المؤمنين ،
 وترفعُ المحسنين ، والله تعالى يجعله - وقد فعل - من أوليائه المتقين ؛ بمنه وكرمه ! ،
 إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية خطيب أوردتها في "التعريف" :

وَلْيُرَقَّ هَذِهِ الرَّتْبَةُ الَّتِي رُفِعَتْ لَهَا دُرَاهِمُ أَعْوَادِهَا ، وَقُدِّمَتْ لَهَا مِنَ الْمُنَابِرِ مُقَرَّبَاتٌ جَيَادِهَا ، وَلْيَصْعَدْ مِنْهَا عَلَى أَعْلَى دَرَجَةٍ ، وَلْيَسْعَدْ مِنْهَا بِصَهْوَةٍ كَأَنَّمَا كَانَتْ لَهَا مِنْ بَكْرَةِ يَوْمِهِ الْمَشْرِقِ مُسْرَجَةً ، وَلْيَرْعَ حَقَّ هَذِهِ الرَّتْبَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَالذَّرْوَةَ الَّتِي مَا أَعَدَّتْ إِلَّا لِلْإِمَامِ فَرْدٍ مِثْلِهِ أَوْ حَلِيفِهِ ، وَلْيَقِفْ حَيْثُ تَحَقُّقُ عَلَى رَأْسِهِ الْأَعْلَامُ ، وَبِتَكَلُّمٍ فَتَخَرَّسَ الْأَلْسِنَةُ وَتَجِفَّ فِي فَمِ الذَّرَا الْأَقْلَامِ ، وَلْيَقْرَعْ الْمَسَامِعَ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَيَذْكُرْ بِأَيَّامِ اللَّهِ مَنْ (كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) .

وَيُلَيِّنِ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ وَإِنْ كَانَ مِنْهَا مَا هُوَ أَشَدُّ قَسْوَةً مِنَ الْمِجَارَةِ وَالْحَدِيدِ ، وَيُكِنُّ قَدِ قَدَّمَ لِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَقَدَّمَ ، وَلْيُسَيِّلِ عَلَيْهِ دِرْعَ التَّوْبَةِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَلْيَجْعَلْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا يُقُومُ بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَيَفُوقُ مِنْهُ سَهْمًا لَا يَحْطِئُ مَوْقِعَهُ كَلَّ فَوَادٍ ، وَلْيَقُمْ فِي الْحِرَابِ مَقَامَ مَنْ يَخْشَى رَبَّهُ ، وَيَخَافُ أَنْ يَحْطَفَ الْوَجَلَ قَلْبَهُ ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ صَدْفَةَ ذَلِكَ الْحِرَابِ مَا أَفْلَقَتْ عَنْ مِثْلِ دُرَّتِهِ الْمَكْنُونَةِ ، وَصِنَادِيقِ الصُّدُورِ مَا أَطْبَقَتْ عَلَى مِثْلِ جَوْهَرَتِهِ الْمَخْزُونَةِ ، وَلْيُؤَمِّمْ بِذَلِكَ الْجَمِّ الْغَفِيرِ ، وَلْيَتَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّهُ السَّفِيرُ ، وَلْيُؤَدِّ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَرْكَانِ ، وَأَوَّلِ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ ، وَأَقْرَبِ الْقُرْبِ الَّتِي يَجْمَعُ إِلَيْهَا دَاعِي كُلِّ أَذَانٍ ، وَلْيَقُمْ بِالصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا ، وَلْيُرِخْ بِهَا النَّاسَ فِي أَوَّلِ مِيقَاتِهَا ، وَلْيَخَفِّفْ مَعَ الْإِتْمَامِ ، وَلْيَتَحَمَّلْ عَمَّنْ وَرَاءَهُ فَإِنَّهُ هُوَ الْإِمَامُ ، وَعَلَيْهِ بِالتَّقْوَى فِي عَقْدِ كُلِّ نِيَّةٍ ، وَأَمَامَ كُلِّ قَضِيَّةٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ مَنْ يَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مُسْرُورٌ ، وَيُنْصَبُ لَهُ مَعَ الْأَئِمَّةِ الْمُقْسَطِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ مُنَابِرٌ مِنْ نُورٍ ، بِمَنَّةٍ وَكْرَمَةٍ .

الوظيفة السادسة

(الإمامة بالجموع ، والمساجد ، والمدارس الجكار التى تصدر التولية
عن السلطان فى مثلها)

وهذه نسخة توقيع بالإمامة :

أما بعد حمد الله على نعمه التى جعلت أيماننا الشريفة تزيد أهل الفضائل إكراماً ،
وتخص بالسيادة والتقديم من أنشأه الله تعالى قوة أعين وجعله للبتقين إماماً ، وقدمه
على أهل الطاعة الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً .

والشهادة له بالوحدانية التى تكسو محاصها جلالاً وساماً ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد الذى أمّ الناس وعلمهم الصلاة وأظهر فى إقامة الدين مقالا محموداً
ومقاماً ، وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بسنته وثقوا واعتصموا - فإن خير الرتب
فى هذا العصر وفيما تقدم ، رتبة الإمامة حيث تقدم سيد البشر فى محرابها على الأمة
وأمّ ، فاختارها من أتبع الطريق المحمدية وشرعها ، وعلم سناءها ورفعها ، فزاد بذلك
سُموا إلى سموه ، وحصل على تضاعف الأجر ومؤد ، وهو فلان .

رسم - لازلت أيامه الشريفة تشمل ذوى الأصلة والصدارة بجزيل فضلها ،
وعوائد إنعامه تجرى بإتمام المعروف فتبقى الرتب الدينية بيد مستحقها وتسارع
إلى تخليد النعم عند أهلها - أن يستمر فلان فى كذا جارياً فيه على أجمال العادات ،
إعانة له على اكتساب الأجور بما يعتمده من تأهيل معهد العبادات ، ورعاية
لتكثير المبار ، وترجيحاً لما أشتمل عليه من حسن النظر فى كل إيراد وإصدار ،
وتوفيراً للنجاح التى عرفت من بيته الذى كم ألف منه فعل جميل وعمل بار ، ووثقاً

بأنه يعتَمِد في عمارة مساجد الله سبحانه وتعالى أنه تشهد به الملائكة المتعاقبون بالليل والنهار، والله تعالى يجعل النعم عنده مؤبدة الأستقرار؛ إن شاء الله تعالى .

الوظيفة السابعة

(التدريس، وموضوعه إلقاء المسائل العلمية للطلبة)

وهذه نسخة توقيع بتدريس كُتِب به للقاضي عز الدين ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، عوضاً عن والده، في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعائة، وهي :

الحمد لله متم فضله على كل أحد، ومقرّ النعمة على كل والد وولد، الذي خص أوليائنا ببلوغ الغايات في أقرب المدد، وأستصحاب المعروف فما ينزع منهم خاتم من يد إلا ليد .

نحمده بأفضل ما يحمده به من حمد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة باقية على الأبد، ونصلي على سيدنا محمد نبيّه الذي جعل شريعته واضحة الجدد، قائمة بأعلام العلماء قيام الأمد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين شبههم في الهدى بالنجوم وهم مثلها في كثرة العدد، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن نعمنا الشريفة لا تتحول، ومواهبنا الجزيلة تتحول،^(١) وكرمنا يمهد منازل السعود لكل بدر يتنقل، وشيمنا الشريفة ترعى الذم لكل من أنفق عمره في ولائها، وتحفظ ماها من المآثر القديمة بإبقائها في نجباء أبنائها، مع ما نلاحظه في أستحقاق التقديم، وأنتخاب من ترقى منهم بين العلم والتعليم، وحصل

(١) بياض بالأصل ولعله لا تزال لأوليائنا تتحول . وفي اللسان "التحول التعهد وحسن الرعاية" .

فى الزمن القليل العلم الكبير ، واستمد من نور والده وهو البدر المنير ، وعلم بأنه فى الفضائل سر أبيه الذى شاع ، وخليفته الذى لو لم ينص عليه لما انعقد [إلا] عليه الإجماع ، والواحد الذى ساد فى رتبة ابيه وما خلت من مثله - لا أخلى الله منه اليقاع ! .

وكان المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، هو المراد بما قدمنا من صفاته الجميله ، وتوسمنا أنه لمعة البدر وهى لا تخفى لأنها لا ترد العيون كليله ، ورأى والده المشار إليه من استحقاقه ما اقتضى أن ينوه بذكره ، وينبه على المعرفة بحق قدره ، فآثر التزول له عما باسمه من تدريس الزاوية بجامع مصر المحروسة ليقيم مقامه ، ويقرر فوائده وينشر أعلامه ، ويعلم أنه قد حلق فى العلياء حتى لحق البدر وبلغ تمامه ، فعلمنا أن البركة فيما اشار ، وأن الأيمن بحمد الله فيما رجحه من الاختيار .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - زاد الله فى شرفه ، وجعل أقطار الأرض فى تصرفه - أن يرتب فى هذا التدريس عوضاً عن والده ، أطال الله بقاءه على عادته وقاعدته إلى آخر وقتٍ لأنه أحق من استحق قدره الرفيع التميز ، وأولى بمصر من سواه لما عرفت به مصر من العزيز ثم من عبد العزيز .

ونحن نوصيك أيها العالم - وفقك الله - بالمداومة على ما أنت بصدده ، والمذاكرة للعلم فإنك لا تكاثر العلماء إلا بمدده ، والعمل بتقوى الله تعالى فى كل قصد وتصدير ، وتقريب وتقريب ، وتأثيل وتأثير ، وتقليل وتكثير ، ونص وتأويل ، وترتيب وترتيب ، وفى كل ما تزداد به رفعتك ، وتطير به سمعتك ، ويحسن به الثناء على دينك المتين ، ويقوم به الدليل على ما وضع من فضلك المبين .

وأعلم بأنك قد أدركت بحمد الله تعالى وبكرمنا وبأيك وباستحقاقك ما آرتد به كثير عن مقامك ، ووصلت في البداية إلى المشيخة في زاوية إمامك ؛ فاعمل في إفادة الطلبة بما يرفع الرافعي لك به الراية ، ويأتم بك إمام الحرمين في النهاية ؛ فقد أمسيت جار البحر فاستخرج جمانه ، واجتهد لتصيب في فتاويك فإن أوليك سهام رميها من كانه ؛ وسبيل كل واقف عليه العمل بمقتضاه والاعتد^(١) .



وهذه نسخة توقيع بتدريس زاوية الشافعي بالجامع العتيق أيضا ، من إنشاء المولى زين الدين بن الخضر موقع الدست ، كتب به لتاج الدين محمد الإخنائي شاهد خزانة النخلص ، بالنيابة عن عمه قاضي القضاة تقي الدين المالكي في أيام حياته ، مستقلا بعد وفاته ، وهي :

أما بعد حمد الله على أن زان مجالس المدارس في أيامنا الشريفة بتاجها ، وأقرها من ذوى الإنابة من يستحق النيابة عن تقي قوى الأحكام بإحكامها وإتاجها ، ورفع قدر بيت مبارك طالما أشتهر علم علمه وصدر عن صدره فكان مادة مسرة النفس وأبتهاجها ، وجعل عوارفنا ترى الدريرة الصالحة في عقبها وتولى كل رتبة من أضحى لأهلها بوجاهته مواجها ؛ والشهادة له بالوحدانية التي تنفى شرك الطائفة الكافرة ومعلول احتجاجها ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي استقامت به أمور هذه الأمة بعد أعوجاجها ، وتشرفت به علمؤها حتى صارت كأنبياء بنى إسرائيل بحسن استنباطها للجمل وجميل استخراجها ؛ وعلى آله وصحبه الذين علموا وعملوا وأوضحوا لهذه الملة قويم منهاجها - فإن أولى الأولياء بلوغ الأمل ، وتعاهد

(١) أى الى آخر ما يقال في مثله .

مدارس العلم بصالح العمل ؛ وإظهار سرِّ الفوائد للطالبيين ، وحلَّ عقود مُشكِها
بجميل الأطلاع وحسن اليقين ، من حوى معرفة الفروع والأصول ، وحاز من
مذهبه المذهب خيرَ محصول ؛ ونشأ في حجر الفضائل ، وأقتدى بحُكَّام بيته الذين لهم
في العلوم بمصر والشام أوضح البراهين وأقوى الدلائل ؛ وله في الآباء والأبوة ،
الديانةُ التي بلغ بها من الإقبال مَرَجُوه ؛ طالما سارت أحكامُ عمه - أجله الله -
في الأقطار، وحكم فأبدى الحكم بين أيدينا أوفى الأمصار، وله العفاف والتقى والمآثر
الجميلة وجميل الآثار ؛ والفتاوى التي أوضح بها مُشكِلا ، وفتح مقفلا ، والفصل بين
الخصوم بالحقُّ المُجْتَلَى ؛ والبركةُ التي لدولتنا الشريفة منها نصيبٌ وافر ، والتصميمُ
الذي أقترن بغيرارة العلم والوقار الظاهر ؛ فهو - أعز الله أحكامه - من العلماء
العاملين ، وله البُشْرَى بما قاله أصدق القائلين ؛ في النبيا الذي تتمُّ به الزيادة والنماء :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

ولما كان المجلس السامى هو الذى أستوجب التصدير لإلقاء الدروس ، وأضحى
مالِكًا مالكا أزمّة الفضائل حائراً من أنوابها أنخر ملبوس ؛ وله بجزارة خاصنا
الشريف وإصطبلاته السعيدة الشهادة البيّنه ، والكتابة التي هي العزُّ الحاضر
فلا يحتاج معها إلى إقامة بيّنه ، والكفالة التي نطقت بها الأفواه مُسرة ومُعَلِّنه ،
والأمانة التي حدّا فيها حدو أبيه وأتبع سننه .

فلذلك رُسم - لا زال يُديم النعم لأهلها ، ويُبقي المراتب الدينية لمن أضحى محلّه
مناسبا لمحلّها ، أن يستقر ... (1) ... فلينب عن عمه في هذا التدريس ،
وليَقْف ما يسر النفوس من أثره النفيس ؛ وليُقَد الطلبة على عادته ، وليُبد لهم من

(1) بياض بالأصل ومراده في تدريس زاوية الشافعى الخ .

التقول ما يُظهِرُ غزيرَ مادته ، وليستنبطِ المسائل ، وليجبْ بالأدلة المسائل ، وليبرِّحْ
المباحث ، وليكن لوالده - رحمه الله - أحق وارث ، وليستقلْ بهذه الوظيفة المباركة
بعد وفاة عمه أبقاه الله تعالى ، وليتزيّدْ من العلوم ليلبغ من صدقاتنا الشريفة آمالاً ،
والله تعالى يسدّدْ له بالتقوى أقوالاً وأفعالاً ، بمنه وكرمه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية المجاورة لثربة الإمام الشافعي
رضي الله عنه ، كتب به لقاضي القضاة تقي الدين ، ابن قاضي القضاة تاج الدين
ابن بنت الأعز . من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، وهي :

الحمد لله شافي عي البعث بخير إمام شافعي ، والآتي منه في الزمن الأخير بمن
لو كان في الصدر الأول لأثنى على ورعه ودينه كل صحابي وتابعي ، ومفيد الأسماع
من وجيز قوله المحرر ما لولا السبق ما عدل إلى شرح وجيز سواء الرافي .

نحمده على نعم ألهمت وضع الأشياء في محلها ، وأستيداعها عند أهلها ، وتأتيها
بما يزيل الإشكال بانجذاب من شكله مناسب لشكلها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتزين بها المقال ، ويتبين بها
الحق من الضلال ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيّه موصح الطرق إلى الحق
المبين ، وناهجها إلى حيث مجتمع الهدى ومرتبّع الدين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
صلاة تهدي إلى صراط الذين ، ورضى الله عن أصحابه الذين منهم من جاء بالصدق
وصدق به فقوى سبب الدين المتين ، ومنهم من فرق بين الحق والباطل وكان إمام
المتقين وسمى أمير المؤمنين ، ومنهم من جهّز جيش العسرة فنبت جأش المسلمين ،

ومنهم من أعطاه صلى الله عليه وسلم الراية فأخذها منه باليمين ، ورضى الله عن بقية الصحابة أجمعين .

وبعد ، فلما كان مذهب الإمام الشافعى «محمد بن إدريس» رضى الله عنه هو شهدة المتلفظ ، وكفاية المتحفظ ، وبهجة المتأخض ، وطراز ملبس الهدى ، وميدان الأجهاد الذى لا تقف أعنة جواده عن إدراك المدى ، وقد تجملت ديار مصر من بركة صاحبه بمن تُشد إليه الرحال ، وتفخر جبانة هو فيها حال ، وجيد هو بجواهر علومه حال ، ومن يحسن إلى ضريحه المنيف الأسناد ، وإذا قرئت كتبه لديه قيل ما أبعد هذا المرعى الأسنى ! وما أقرب هذا الإسناد ! ، وما أسعد حلقة تجمع بين يدي جدته يتصدر فيها أجل خبر ، ويتصدى لنشر العلوم بها من عرف بحسن السيرة عند السبر ، ومن لولا خرق العوائد لأجاب بالشكر والثناء عليه صاحب ذلك القبر كما قال : «قال صاحب هذا القبر» - حسن بهذه المناسبة أن لا ينصب في هذا المنصب إلا من يحمده هذا السيد الإمام جواره ، ومن يرضيه منه - رضى الله عنه - حسن العبارة ، ومن يستحق أن يتصدر بين نجوم العلماء بدارة تلك الخطة فيقال قد حمل الله به دارة هذا البدر وعمر به من هذا المدرس داره ، الذى يفتقر إلى تويل نعمه ، وتويله قلمه ، من الأئمة كل غنى ، ويعجب ببلاغة خطبه ، وصياغة كتبه ، من يحتلى ومن يحتنى ، ومن يهنا المستفيدون من عدوية ألفاظه وصفاء معانيه بالموارد الهني ، ومن إذا سمع سخابه الهطال أترف له بالهمم والهمول المزني ، والذى لسعد جدته من أبيه ليث أكرم به من ليث وأكرم بينه من أشبال ! ، وأعزز به من فاتح أبواب إشكالات عجز عن فتحها القفال ! ، ومن إذا قال سكت الناس ، ومن إذا قام قعد كل ذى شماس ، وإذا أخذ بالنص ذهب الأقياس ، وإذا قاس قيل هذا بحر المذهب المشار إليه بالأصابع فى مضره جلالة ولا ينكر لبحر المصر الإشارة

بالأصابع ولا القياس؛ ومن يزهو بتقى قلبه ورتقى جوابه لسان التعويل ولسان التعويد، كما يُميس بإحاطته وحياطته قلم الفتوى وقلم التنفيد، ومن يفخر [به] كل عالم مفيد إذا قال: أنا بين يديه طالب وأنا له تلميذ؛ ومن حينما ألقت وجدت له سُودداً جماً، وكيفما نظرت رأيت له من هنا وزارة، ومن هنا خطابة، ومن هنا مشيخة، ومن هنا تدريسا، ومن هنا حُكماً!!!؛ فهو الأصل ومن سواه فروع، وهم الأئمة وهو الينبوع؛ وهو مجموع السيادة، المختار منه الإفاده، فما أحسنه من اختيار وما أتمه من مجموع، وكان قاضي القضاة، سيد العلماء، رئيس الأصحاب، مقتدى الفرق، قدوة الطوائف، الصاحب تقي الدين «عبد الرحمن» ولد الصاحب قاضي القضاة تاج الدين بن [بنت] الأعز أدام الله شرفه، ورحم سلفه، هو منتهى رغبة الراغب، ومُستهى منية الطالب؛ ومن إذا أضاءت ليالي القوس بأقمار فتاويه قيل (بياض العطايا في سواد المطالب)، ومن نتفق الآراء على أنه ليس الكهولة شيخ المذاهب؛ ومن عليه يحسن الاتفاق، وبه يجمل الوفاق، وإذا ولي هذا المنصب أتهج بولايته إياه مالك في المدينة وأبو حنيفة وأحمد رضي الله عنهم في العراق؛ وأهترت به ومجاورة فوائده من ضريح إمامه جوانب ذلك القبر طرباً، وقالت «الأم» لقد أبهجت - رحم الله سلفك - بجذك وإبائك جدًا وأبا، ولقد استحققت أن يقول لك منصب سلفك رضي الله عنهم: أهلاً وسهلاً ومرحباً، وهذه نسمات صبا، كانت الإفادة هنالك تعرفها منك من الصبا.

فالحمد لله على أن أعطى قوس ذلك الخراب بارياً، وخص بشق سهامها من لا يزال سعده مبارياً، وجمل مطلع تلك السماء بيدركم باتت [عليه] الدرر تحسد دَرَارياً؛ وأطم حسن الاختيار أن يجري القلم بما يحسن بالتوقيع الشريف موقعه، ويجل في أثناء الطروس وضعه وموضعهُ.

فُرِسِم بالأمر الشريف العالى المولوى ، السلطانى : - أجزاه الله بالصواب ،
وكشف بارتبائه كل أرتياب ، ولا زال يختار وينتقى للنصاب الدينية كل عالم
بأحكام السنة والكتاب - أن يفوض إليه تدریس المدرسة الصلاحية الناصرية
المجاورة لضريح الإمام الشافعى بالقرافة رضى الله عنه . فليخول ولينول كل
ذى استفاده ، وليجمل منه بذلك العقد الثمين من علماء الدين بأفهم واسطة تفخر بها
تلك القلادة ؛ وليذكر من الدروس ما يهيج الأسماع ، ويرضى الأتباع ، ويجاد به
الانتفاع ، ويحتلبه من أخلاف الفوائد ارتضاء الارتضاع ، ويتناقل الرواة
فوائده إلى علماء كل أفق من البقاع ؛ وليقل فإن الأسماع لفوائده منصته ،
والأصوات لمباحته خاشعة والقلوب لمهابته محمته ؛ ولينهض قوى المسائل بما
يحصل لها أعظم اتعاش ، وليمت ما أماته إمامه من البدع فيقال به له : هذا محمد
ابن إدريس مدقمت أنت عاش ؛ وليسمع بعلمه من به من الجهل صم ، وليستنطق
من به من الفهاهة بكم ، وليحقق عند الناس بتعصبه هذا الإمام أنه قد قام بالتنويه
به الآن الحاكم ابن الحاكم أخو الحاكم كما قام به فيما سلف بنوع عبد الحكم .

وأما غير ذلك من الوصايا فهو بحمد الله صاحب إلهامها ، وجالب أقسامها ؛
وجهينة أخبارها ، ومطلع أنوارها ؛ فلا يعاد ، عليه ما منه يستفاد ، ولا يثر عليه دثر
هو منظمه في الأجياد ؛ والله تعالى يعمر بسيادته معالم الدين وأكافه ، ويزين بفضله
المتين أوساط كل مصر وأطرافه ، ويضيف إليه من المستفيدين من بإرفاقه
وإشفاقه يكون عيشه خفضا بتلك الإضافة ، ويعمله لا يخصص حنوه بمعهد دون
معهد ولا بمسافة دون مسافة ، ويقيه ومنفعته إلى سارية سارية الإطافة واللطافة ،
وألطافة بهذه الولاية تقول لكل طالب في القرافة القى رافه .

قلت : ولما توفى قاضي القضاة بدر الدين بن أبي البقاء - تغمده الله تعالى برحمته - وكان من جملة وظائفه تدريس هذه المدرسة ، كان السلطان قد سافر إلى الشام في بعض الحركات ، فسافر أبْنُه أفضى القضاة جلال الدين حتى أدرك السلطان بالطريق ، على القرب من غزّة ، فولاه الوظيفة المذكورة مكان أبيه ، وكان القاضي نور الدين بن هلال الدولة الدمشقيّ حاضراً هناك ، فأشار إليه القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر الشريف - عامله الله بلطفه الخفيّ - بإنشاء صدر لتوقيعه ، يسطر به للعلامة الشريفة السلطانية ، فأنشأ له سجعيتين ، هما :

الحمد لله الذي أظهر جلال العلماء الشافعية بحضرة إمامهم ، وأقام سادات الأبناء مقام آباءهم في بث علومهم وصلاتهم وصيامهم . ولم يجاوز ذلك إلى غيره ، فسُطر التوقيع بهاتين السجعتين ، وعلم عليه العلامة السلطانية .

وكان من قول نور الدين بن هلال الدولة للقاضي جلال الدين المذكور : إن هذا التوقيع يبق أبيض : فإنه ليس بالديار المصرية من ينهض بتكلمته على هذا الأسلوب . فسمع القاضي كاتب السر كلامه ، فكتب لي بتكلمته على ظهره ، وعاد به القاضي جلال الدين فأعطانيه ، وأخبرني بكلام ابن هلال الدولة وما كان من قوله ، فتدكأت عن ذلك ، ثم لم أجِدُ بداً من إكاله وإن لم أكن من فرسان هذا الميدان ، فأنشأت له على تينك السجعتين ما أكلته به ، بخاء منه تلو السجعتين السابقتين اللتين أنشأهما ابن هلال الدولة :

وخصّ برياسة العلم أهل بيتٍ رأَتْ كهُولهم في اليمظة ما يمتنى شيوخ العلماء أن لوراؤوه في منامهم .

وجاء من وسطه :

أقتضى حُسنُ الرأى الشريف أن نُتَوَّهَ بذكره، وتقدّمه على غيره ممن رام هذا
المقام فحُجِبَ دُونَهُ (واللهُ غَالِبٌ على أمرِهِ) .

وجاء فى آخره :

والله تعالى يرقيه إلى أرفع الذرأ، وهذه الرتبة وإن كانت بدايةً فهى نهايةٌ غيره
(وإنّا لنرجو فوق ذلك مظهرًا) .

وقد أعوزنى وجدانُ النسخة عند إرادة إثباتها فى هذا التأليف لضَياعُ مسودّتها
ولم يحضرنى منها غيرُ ما ذكرته . وفيما تقدّم من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر
من توقيع القاضى تقيّ الدين ابن بنت الأعز ما لا ينظر مع وجوده إلى غيره .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية بمصر، المختصة بالمالكية،
المعروفة بالقمحية، بمصر المحروسة، أنشأته لقاضى القضاة جمال الدين الأقفهسى، وهى :

الحمد لله الذى زين معالم المدارس من أعلام العلماء بجآلها، وميز مراتب الحكمة
بإجراء سوابق الأفكار فى ميادين الدروس وفسيح مجآلها، وعمّر معاهد العلم بأجل
عالم إذا ذكرت وقائع المناظرة كان رأس فُرسانها وريّس رجالها، وناطق مقاصد
صلاح الدين بأكل حبر إذا أوردت مناقبه الماثورة تمسك أهل الديانة منها بوثيق
جبالها .

نحمده على اختيار الجوهر والإعراض عن العَرَض ، والتوفيق لإدراك المرآمى
وإصابة الغرض .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى خصَّ أهل العلم بكريمِ حَبَائِهِ ،
 وشرفَ مقامهم فى الخليفة جَعَلَهُمْ فى حَمْلِ الشريعة ورثةَ أنبيائه ؛ شهادةً تُعَذِّبُ
 لقائلها بحسن الإيرادِ وِرْدًا ، وتُجَدِّدُ لمتحليها بمواطنِ الذِّكْرِ عهدًا فيتخذُ بها عند
 الرحمنِ عهدًا ؛ ونشهدُ أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أفضلُ نبيِّ علمٍ وعلمٍ ، وأكرمُ
 رسولٍ فصلَّ الأحكامَ إذ شرعَ ونَدَبَ وأوجبَ وحلَّلَ وحرمَ ؛ صلى الله عليه وعلى
 آله وصحبه الذين عنوا بتفسيرِ كتابِ الله تعالى فأدرُّكوا دقيقَ معانيه ، وأهتمُّوا
 بالحديثِ روايةً ودرايةً ففازوا بتأسيسِ فقهِ الدين وإقامةِ مبانيه ؛ صلاةً تُحيطُ من
 بحارِ العلمِ بزائريها ، وتأخذُ من الدروسِ بطرفيها فتقارنُ الحمدَ فى أولها وتصحَبُ
 الدعاءَ فى آخرها ؛ ما تُتَّبَعُ بالمتقولِ مواقعَ الأثرِ ، وعُوقِلَ فى المعقولِ على إجمالةِ الفكرِ
 وإجادةِ النظرِ ، وسلِّمَ تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أولى ما صرفتِ النفوسُ إليه هممها ، وأخلصتِ فيه نيَّتها وخلصتِ
 من تبعاتِهِ ذمَّتها ؛ وتبعتِ فيه آثارَ من سلفَ من الملوكِ الكرامِ ، وأعارتهِ كلِّ نظريها
 وقامتِ بواجبه حقَّ القيامِ - أمرُ المدارسِ التى هى مسقطُ حجرِ الاشتغالِ بالعلمِ
 ومستقرُّ قاعدتهِ ، وقُطِبَ فَلَكَ تطلُّبه ومُحيطُ دائرتهِ ؛ وميدانُ فرسانِ المشايخِ ومدارِ
 رجالها ، وموردُ ظمأِ الطلِّبةِ ومحطُّ رحالها ؛ لا سيما المدارسُ الأيوبيةُ التى أُسِّسَ
 على الخيرِ بناؤها ، وكان عن صلاحِ الدين منشؤها فتألَّقَ برِقِّها وأستطار ضياؤها .

ومن أثبتتِ وشيقه ، وأمثلها فى الترتيبِ طَريقه ؛ المدرسةُ القمحيةُ بالقُسْطاطِ
 الآخذةُ من وجوهِ الخيرِ بنطاقِها ، والمخصوصُ بالسادةِ المالكيةِ أمتدادُ رواقِها ؛
 إن أعتبرتِ رعايةَ المذاهبِ قالتِ : مالكٌ وما مالكُ ، وإن عُمِلتِ حِسبةُ المدارسِ
 فى البرِّ ، كانتْ لها فدالكُ ؛ وقد رتَّبَ بها أربعةُ دُروسٍ فكانتْ لها كالأركانِ الأربعةِ ،
 وجعلتِ صدقَتها الجاريةُ بُرا فكانتِ أعظمُ بُرا وأعمُ منفعه .

ولما كان المجلس العالى، القاضوى، الشيخى، الكبرى، العالى، العالمى، الأفضلى، الاكلى، الأوحدى، البلىغى، الفرىدى، المفىدى، النجىدى، القدوى، الحجى، المحققى، الإمامى، الجمالى: جمال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء العاملين، أوجد الفضلاء المفيدى، قدوة البلغاء زين الأمة، أوجد الأئمة، رُحلة الطالبين، نخر المدرسين، مفتى الفرق لسان المتكلمين، حجة المناظرين، خالصة الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، أبو محمد «عبد الله الأقفهسى» المالكى - ضاعف الله تعالى نعمته - هو عين أعيان الزمان، والمحدث بفضلته فى الآفاق وليس الخبر كالعيان، ماولى منصباً من المناصب إلا كان له أهلاً، ولا أراد الانصراف من مجلس علم إلا قال له مهلاً، ولا رمى إلى غاية إلا أدركها، ولا أحاط به منطقتة طلبية إلا هزها بدقيق نظره للبحث وحركها، إن أطل فى مجلسه أطاب، وإن أوجز قصر محاوره عن الإطالة وأتاب، وإن أورد سؤالاً تجز مناوئته عن جوابه، أفتح باباً فى المناظرة أحجم مناظره عن سدّ بابيه، وإن ألم ببحث أربى فيه وأناف، وإن أفتى بحكم آندفع عنه المعارض وأرتفع فيه الخلاف، فنواده المدونة فيها البيان والتحصيل، ومقدماته المبسوطة لإجمالها يغنى عن التفصيل، ومشاركه النيرة لا يافل طالعها، ومداركة الحسننة لا يسأم سامعها، وتهذيبه المهذب جامع الأمهات، وجواهره الثمينة لا تقاوم فى القيمة ولا تضاهى فى الصفات - أقتضى حسن رأى الشريف أن نتوه بذكره، ونقدمه على غيره، ممن حاول ذلك فامتنع عليه ﴿والله غالب على أمره﴾ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى، المولى، السلطانى، الملكى، الناصرى، الزينى - لا زالت مقاصده الشريفه فى مذاهب السداد ذاهبه، ولا غراض الحق والاستحقاق صائبه - أن يستقر المجلس العالى المشار إليه فى تدريس المدرسة

الصَّلاحِيَّة بِمِصْرِ المَحْرُوسَةِ المَعْرُوفَةِ بِالقَمَحِيَّةِ عِوَضًا عَنِ فِلانِ الفِلانِي ، عَلَيَّ عَادَةٌ مَن تَقَدَّمَهُ .

فَلِيَتَلَقَّ ذَلِكَ بِالقَبُولِ ، وَيَسُطُّ فِي مِجالِسِ العِلْمِ لسانَهُ فَمَن كانَ بِمِثابَتِهِ فِي الفِضْلِ حَقٌّ لَهُ أَن يَقُولَ وَيَطُولَ ؛ وَمِلاكُ الأَمْرِ تَقوى اللَّهِ تَعالَى فَهِيَ خَيْرُ زادٍ ، وَالوِصايا كَثيرةٌ وَعَنهُ تُؤخَذُ وَمَنهُ تُسْتَفادُ ؛ وَاللَّهُ تَعالَى يَبْلِغُهُ مَن مِقاوِدُهُ الجَميلةُ غايَةَ الأَمَلِ ، وَيَرقيُّهُ مَن هِضابِ المَعالىِ إِلى أَعلىِّ مَراتِبِ الكِمالِ وَقَد فَعَلَ ؛ وَالإِعْتِقادُ عَلَيَّ الخِطِّ الشَّرِيفِ أَعلاهَ اللَّهُ تَعالَى أَعلاهَ ، حِجَّةٌ بِمِقتِضاهُ ؛ إِنْ شاءَ اللَّهُ تَعالَى .



وَهذِهِ نِسخَةٌ تَوقِيعُ أَيْضًا بِتَدرِيسِ المَدْرَسَةِ الصَّلاحِيَّةِ المَذكُورَةِ ، أَنشأَهُ للقَاضِي شَمسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ ابْنِ المَرحُومِ شِهابِ الدِّينِ أَحْمَدِ الدَّفْرىِّ المِمالِكِيِّ ، فِي شِعبانِ سَنَةِ خَمِيسٍ وَثَمانيِّمِائَةٍ ، وَهُوَ :

الحَمْدُ لِلَّهِ مُطَّلِعِ شَمسِ الفِضائلِ فِي سَماءِ مَعاليها ، وَمَبْلَغِ دَرارىِّ الدَّرارىِّ النَبِيَّةِ الذِّكْرِ بِسَعادَةِ الجَدِّ غايَةَ غَيرِها فِي مَبادِيها ؛ وَجاعِلِ صَلاحِ الدِّينِ أَفضَلَ قَصيدٍ فَووقَ العِنايةِ سِهامِها بِإِصابةِ غَرَضِهِ فِي مَرامِيها ، وَمَجَدِّ مَعالمِ المَدارسِ الدارِسةِ بِخَيْرِ نَظَرٍ يَقضى بِتَشْييدِ قَواعِدِها وَإِحكامِ مَبانيها .

نَحْمَدُهُ عَلَيَّ أَن صَرَفَ إِلى القِيامِ بِنَشْرِ العِلْمِ الشَّرِيفِ أَهْتمامًا ، وَجَعَلَ بِخِيارِهِ العائِدَةَ إِلى التَّوْفِيقِ فِي حُسنِ الأَخْيارِ اِعْتِصامًا .

وَنَشْهَدُ أَنَّ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحَدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ مُفِيضُ نَتائِجِ الأَفْكارِ مِنَ وافرٍ إِمدادِهِ ، وَمُخَصَّصُ أَهلِ التَّحْقِيقِ بِدَقِيقِ النَّظَرِ تَخْصِصَ العِمامِ بِقَصرِهِ عَلَيَّ بَعْضِ أَفرادِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدنا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرِسالَهُ أَوْفَرَ البَريَّةِ فِي الفِضْلِ سَمَمًا ، وَالقائِلُ

تنويهاً بفضيلة العلم : « لا بُورِكَ لِي فِي صَبِيحَةِ يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا » صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حُلُوا مِنَ الْفَضْلِ جِوَاهِرَهُ الثَّمِينَةَ ، وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ الَّذِينَ ضُرِبَتْ أَبَاطُ الْإِبِلِ مِنْهُمْ إِلَى عَالِمِ الْمَدِينَةِ .

وبعد ، فإنَّ أَوْلَى مَا صُرِفَتْ إِلَيْهِ الْهِمَمُ ، وَبَرَّتْ بِتَأْدِيَةِ حَقِّهِ الدَّمَمُ ، وَغَدَتِ النُّفُوسُ بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِ مُشْتَغِلَةً ، وَالْفِكَرُ لِشَرَفِ مَحَلِّهِ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مُتَّنَقِلَةً ، النَّظَرُ فِي أَمْرِ الْمَدَارِسِ الَّتِي جُعِلَتْ لِلْإِسْتِغَالِ بِالْعِلْمِ سَبَبًا مُوَصُولًا ، وَلَطَبَّتْهُ رَبْعًا لَا يَزَالُ يَجَالِسُ الذِّكْرَ مَأْهُولًا ؛ لِأَسْمِيَّ الْمَدَارِسِ الَّتِي قَدْ قَدَّمَ فِي الْإِسْلَامِ عَهْدُهَا ، وَعَدَّبَ بِاسْتِمْرَارِ الْمَعْرُوفِ عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَرَدُّهَا .

ولما كانت المدرسة الصَّلاحية بفسطاط مصر المحروسة قد أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى بُنْيَانِهَا ، وَمُهِّدَتْ عَلَى الْخَيْرِ قَوَاعِدُهَا وَأَرْكَانُهَا ، وَأَخْتَصَّتْ طَائِفَةُ الْمَالِكِيَّةِ مِنْهَا بِالْخِصِيصَةِ الَّتِي أَغْنَى عَنْ بَاطِنِ الْأَمْرِ عُنْوَانُهَا ؛ وَكَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ هُوَ الَّذِي خَطَبَتْهُ الرَّتَبُ الْجَلِيلَةُ لِنَفْسِهَا ، وَعَيْتَتْهُ لِهَذِهِ الْوُضُوفَةِ فِضَائِلُهَا الَّتِي قَدْ آتَى اللَّهُ الْحَمْدُ بِزُرُوعِ شَمْسِهَا ، وَعَهَّدَتْ مِنْهَا الْمَعَاهِدُ الْجَلِيلَةُ حَسْنَ النَّظَرِ فَتَأَقَّتْ فِي يَوْمِهَا إِلَى مَا أَلْفَتْ مِنْهُ فِي أَمْسِهَا - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُفْرَدَ بِهِذِهِ الْوُضُوفَةِ الَّتِي يَقُومُ إِفْرَادُهَا فِيهَا مَقَامَ الْجَمْعِ ، وَنَجَّحَ لَهُ مِنْ طَرَفَيْهَا مَا يَتَّفِقُ عَلَى حُسْنِهِ الْبَصَرُ وَيَقْضِي بِطَيْبِ خَبَرِهِ السَّمْعُ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ، الْعَالِي ، الْمَوْلُويِّ ، السَّلْطَانِيِّ ، الْمَلِكِيِّ ، النَّاصِرِيِّ ، الزَّيْنِيِّ : - لَا زَالَ يُقِيمُ لِلدِّينِ شِعَارًا ، وَيَرْفَعُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ مِقْدَارًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي الْوُضُوفَةِ الْمَذْكُورَةِ لِمَا أَشْتَهَرَ مِنْ عِلْمِهِ وَدِيَانَتِهِ ، وَبَانَ مِنْ عَقَّتِهِ الْمَشْهُورَةِ وَزَاهَتِهِ ؛ وَاتَّصَفَ بِهِ مِنَ الْإِفَادَةِ ، وَعُرِفَ [عَنْهُ] مِنْ نَشْرِ الْعُلُومِ فِي الْإِبْدَاءِ

والإعاده ؛ وشاع من طريقته المعروفة في إيضاحه وبيانه ، وذاع من فوائده التي قدمته على أبناء زمانه ، ورفعتَه إلى هذه المرتبة باستحقاقه على أقرانه .

فليُباشِرْ تدريسها مُظهِراً من فوائده الجليلة ما هو في طيِّ ضميره ، مضمراً من حُسن بيانه ما يُستغنى بقليله عن كثيره ؛ مقرباً إلى أذهان الطلبة بتهديب ألفاظه الرائقة ما يُفيد ، مُورداً من علومه المدونة ما يجمع له بين نَوادرِ المقدمات ومدارك التمهيد ؛ مُوقِّفاً نظرها بحسن التدبير حقَّ النظر ، موفِّراً رزقها بما يُصدِّقُ الخُبرَ فيه الخُبرَ ؛ قاصداً بذلك وجهَ الله الذي لا يُخيبُ لراجٍ أملاً ، معاملاً فيه الله معاملةً من يعلم أنه لا يُضيعُ أجرَ مَنْ أحسنَ عملاً . وملاك الوصايا تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويتخيّلها في كل الأحوال أمامه ؛ والله تعالى يستدده في قوله وعمله ، ويبلغه من رضاه نهايةَ سؤاله وغايةَ أمله ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بالتدريس بقبة الصالح ، أنشأته لقاضي القضاة جمال الدين «يوسف البساطي» بعد أن كُتِبَ له بها مع قضاء القضاة المالكية ، في العشر الأخير من شعبان سنة أربع وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل للعلم جمالاً تهافتُ على دركه محاسن الفضائل ، وتواردُ على ثبوت محامده المتواردة قواطع الدلائل ، وتُحقِّقُ شواهد الحال من فضله ما يتأمع فيه من لوائح الخبايل .

نحمدُه على نِعْمه التي ما استهلت على وليّ فأقلع عنه عمامها ، ولا استقرت بيد صفيّ فأنزعت من يده حيث تصرف زمامها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُرهِرُ بمعالم الدين غروبها ، وتنبع بثمار الفوائد المتتابعة دروسها ؛

وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً ، وأولهم فى دلو المرتبة مكاناً وإن كان آخرهم فى الوجود عصراً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الخائزين بقربه أنخر المناقب ، والفائزين من درجة الفضل بأرفع المراتب ؛ صلاة تكون لحلق الذكر نظاماً ، ولأولها أفتاحاً ولآخرها ختاماً ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن من شيمنا الشريفه ، وسجايانا الزاكية المنيفه ؛ أنا إذا منحنا منحا لا نستعيد ، وإذا أعطينا عطاءً لا ننتقصه بل نزيده ؛ وإذا قربنا ولياً لا نقصيه ، وإذا أنعمنا على صفيّ إنعاماً لا نعدّه عليه ولا نحصيه .

ولما كان تدريس المدرسة المالكية بقبة الصالح من أعلى دروسهم قدراً ، وأرفعها لدى التحقيق ذكراً ، وأعظمها إذا ذكرت الدروس فخراً ؛ إذ مجال جداله تنفطر المرائر ، وبميدان مباحثه تشتهر البلق من مضمرات الضمائر ؛ ويسوق مناظرته يميز النضار عن الشبه ، ومحك مطارحته تبيين الحقائق من الشبه ؛ وبمطآن مجلسه يعرف العالى والسافل ، وبمعرفة فُرسانه يُعرف من المفضول والفاضل ؛ ومن ثم لا يليه من علمائهم إلا الفحول ، ولا يتصدى لتدريسه إلا من أمسى بحسام لسانه على الأقران يصول ؛ ولم يزل فى جملة الوظائف المضافة لقضاء القضاة فى الأول والآخر ، تابعاً لمنصب الحكم فى الولاية كل زمن إلا فى القليل النادر ؛ وكان المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى (إلى آخر القابه) أدام الله تعالى نعمته قد آسمت ولايته عليه لأبتداء الأمر استحقاقاً ، وحفظه كرمنا عليه فلم يجد الغير إليه استطرأقا - اقتضى حسن رأى الشريف أن تُتبع ذلك بولاية ثانية تؤكد حكم الولاية الأولى ، ونُردفه بتوقيع يجمع له شرف القدمة والجمع ولو بوجه أولى .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ، الزينى - لا زال يعتمد فى مشاهد الملوك أتم المصالح ، ويخص الصالح منهم بمزيد النظر حتى يقال ما أحسن نظر الناصر فى مصالح الصالح ! - أن يستمر المجلس العالى المشار إليه على ما بيده من الولاية الشريفة بالتدريس بقبة الصالح المذكورة ، ومنع المعارض وإبطال ما كتب به وما سيكتب مادام ذلك فى يده ، على أتم العوائد وأكملها ، وأحسن القواعد وأجملها .

فلتلق ما فوض إليه بكلتا يديه ، ويشكر إحساننا الشريف على هذه المنحة فإنها نعمة جديدة توجب مزيد الشكر عليه ؛ ولتصدر بهذا الدرس الذى لم تزل القلوب نتقطع على إدراكه حشرات ، ويتصدد لإلقاء فوائده التى إذا سمعها السامع قال : هنا تسكب العبرات ، ويبرز لفرسان الطلبة من ... (١) ... صدره من كمينه ، ويفض على جد أولهم الحافظة ماسح به فكره من يتابع معينه ، مستخرجاً لهم من قاموس قريحته دُرر ذلك البحر الزاخر ، مظهرها من مكنون علمه مالا يعلم لمدته أول ولا يدرك لمداه آخر ، ويفيق من ذخائر فضله ما هو بإنفاقه ملى ، متفقدا بفضل غناؤه من هو عن فرائده المريحة غير غنى ؛ مقررراً للبحث تقريراً يزول معه الإلتباس ، مسنداً فروعه النامية إلى أثبت الأصول من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ؛ معتمدا لما عليه جادة مذهبه فى الترجيح ، جارياً على ما ذهب إليه جهابذة محققيه من التصحيح ؛ مقبلاً بطلاقة وجهه فى درسه على جماعته ، باذلاً فى آسمااتهم طاقة جهده محسناً إليهم جهد طاقته ؛ مربياً لهم كما يربى الوالد الولد ، مؤفياً من حقوقهم [فى] التعليم ما يبق له ذكروه على الأبد ؛ ممياً ناشئتهم بالتدريب الحسن تنمية الغروس ، جاهداً فى ترفيعهم بالتدريج حتى يؤهل من لم يكن تظن فيه أهلية الطالب لأن يتصدى

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

للفقائى وإلقاء الدروس ، سالكا من مناخ التقوى أحسن المسالك ، مُوردا من تحقيقات مذهبه ما إذا لمحّ اللاحح لم يُشكَّ أنه لِزِمَامِ المذهبِ مالِكٍ ؛ والله تعالى يُجزيه على ما ألقه من موارد إنعامه ، ويمتّع [هذه الرتبة] السنّية : تارةً يجالس دروسه وتارةً يجالس أحكامه ؛ والاعتماد * * *

وهذه نسخة توقيع بتدريس الحديث بالجامع الحاكِمى ، من إنشاء الشَّهاب «محمود الحلبيّ» للشيخ قطب الدين «عبد الكريم» وهى :

الحمدُ لله الذى أطلع فى أفق السنّة الشريفة من أعلام علمائها قُطبا ، وأظهر فى مطالعها من أعيان أئمتِّها نُجوما أضاء بهم الوجودُ شرقا وغربا ؛ وأقام لحفظها من أئمة أعلامها أعلاما أحسنوا عن سندها دفاعا وأجملوا عن متونها ذبا ، وشرف بها أهلها فكما بعدت راحلتهم فى طلبها أزدادوا من الله قربا ؛ وأختار لحملا أمانة شغفت محاسنهم قلوب أهل الفرق على اختلافها حبا ، وسلَّكوا باتباعها سنن السنن فأمِنوا أن تُروّع لهم الشبه سرِّبا ؛ وألهمنا من تعظيم هذه الطائفة ما مهد لهم فى ظل تقربنا إليه مقاما كريما ومنزلا رحبا ، وعصم آراءنا فى الآرياد له من الخلل فلا نختار له إلا من تُسرُّ باختياره طلبه وتُغبَط بتعيينه أئمةٌ وُرضى بآرياده ربا .

نحمده على نعمه التى صانت هذه الرتبة السنّية بأكفائها ، وزانت هذه المرتبة الشريفة بمن لم تمل عينه فى تأثيل قواعدها إلى إغنائها ، وجعلت هذه الدرجة العلية فلكا تُشرق فيه لأئمة الحديث أنوار علوم تفتى الدهور دون إطفائها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُجادل عن سنّته الشريفة بالسنة أسنّته ، مجالِدٍ عن كلمتها العلية بقبض معاقد سيوفه وإطلاق أعنته ، باعث

بالجهاد دعوتها إلى كلِّ قَالب كان عن قبُولها في حُجُب أِكْتَتِه . ونشهد أنَّ محمداً عبدهُ
ورسوله الذي أوتِيَ جوامِعَ الكَلِمِ ، ولوامِعَ السُّنَّةِ التي من أَعْتَصَمَ بها عَصِمَ وَمَنْ سَلَّمَ
بها سَلِمَ ؛ فهي مع كِتَابِ اللهِ أَصْلُ شَرَعِهِ القويم ، وحبلُ حِكْمِهِ الذي لا يُنمَكَّنُ يَدُ
الباطلِ من [حل] عِقْدِهِ النظيم ، وكنوزُ دينِهِ التي لا يُلقَّأها إلا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ؛ صَلَّى
الله عليه وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ الذين عَضُّوا على سُنَّتِهِ بالنواجذ ، وذَبُّوا عن شريعته بسُيوفِ
الجِلادِ القواطعِ وسِهَامِ الجِدالِ النوافذِ ؛ صلاةً لا يزالُ يُقامُ فرضُها ، ويملأُ بها طُولُ
البسيطةِ وعَرَضُها ؛ وسَلَّمَ تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أَوَّلِيَّ ما توجَّهتُ إليه إلى آرْتِيادِ أُمَّتِهِ ، وتوفَّرتِ الدَّواعي على
التقربِ إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم بتفويضِ مَناصِبِهِ إلى البررةِ الكرامِ من
أُمَّتِهِ - علمُ الحديثِ النبويِّ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ على قائلِهِ ، وحفظُهُ بدرُوسِهِ التي
جَعَلَتْ أواخرَ زمنِهِ في صِحَّةِ تَقَلُّهِ ومعرفةِ أسرارِهِ كأوائِلِهِ ؛ وأنَّ نَحْتارَ لَدُنْكَ من نَسْأِ
في طلبِهِ حتَّى آكْتَهَلَ ، وسَرَى في تحصيلِهِ سُرَى الأهلَةِ حتَّى آكْتَمَلَ ؛ وغُدَّى بِلِبانِ
التبشُّرِ فيه حتَّى آمْتَرَجَ بأديمِهِ ، وجَدَّ في تحصيلِهِ وآجْتَهَدَ حتَّى ساوَى [في] الطَلَبِ بين
حديثِ عُمَرَةَ وقَدِيمِهِ ؛ وحَفِظَ من مُتُونِهِ ، ما بمثلِهِ يَسْتَحِقُّ أن يُدعى حافِظاً ، وغَلَبَ
على فُنُونِهِ ، حتَّى قَلَّ أن يُرى [بغيرِ] علومِهِ والنظرِ في أحكامِهِ لافِظاً ؛ فإنَّهُ بعدَ كِتَابِ
اللهِ العزيمَةِ مادَّةُ هذا الدينِ الذي يُحَكِّمُ بِنُصُوصِهِ ، وتَنفَاوتِ رُتَبِ العُلَماءِ في حُسْنِ
العَمَلِ بمُطَلِّقِهِ ومُقيِّدِهِ وعُمُومِهِ وخُصُوصِهِ ؛ وعنهما تَفَرَّعتِ أحكامُ المَلَّةِ فمَلأتِ
عُلُومُها جَميعَ الآفاقِ ، وزَكَّتْ أحكامُها الشَّرعيةُ على كَثْرَةِ الإنفاقِ ؛ وسَرَى الناسُ منها
على الحَجَّةِ التي آسْتَوَى في الإِشراقِ ليلُها ونهارُها ، وعَلَا على المِلَلِ بالبراهينِ القاطعةِ
نُورُها ومَنارُها ؛ وكَفَى أهلَها شَرَفًا أَنَّهُمْ يَدْبُونُ عن سُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ذَبَّ اللُّيُوثِ ، وَيُجودُونَ

(١) لم يتقدّم ما يعطف عليه ولعل الأصل «فوجب أن نهم به أجل اهتمام، وأن نختار الخ» .

على الأسماع بما ينفع الناس في أمر دينهم ودنياهم منها جود الغيوث ، ويحافظون على ألفاظها محافظة من سمعها منه صلى الله وسلم عليه ، ويعظمون مجالس إيرادها ونقلها حتى كأنهم لحسن الأدب جلوس بين يديه ، ويُغالبون في العلو طلبا للقرب منه وذلك من أسنى المطالب ، ويرحلون لضم شوارده من الآفاق فيأقرب المشارق عندهم من المغارب ! .

ولما كان المجلس السامى الفلانى : هو الذى عُني بكل ما ذكر من وصف كريم ، وحديث ورع قديم ، وقدم هجرة في علم الحديث آقتضت له حُسن أولوية ووجوب تقديم ، وتلقى هذا العلم كما وُصف عن أئمتة حتى صار من أعيانهم ، ولقي منهم علماء أضحى باقتنائهم كما كانوا رُحلة زمانهم ؛ ونظر في علومه فأقتننها فكانه ينطق فيها بلسان ابن الصلاح ، وأحرز غايات الكمال ، في أسماء الرجال ، فإلى أطلاعه يرجع في تجريح المجرح وتعديل الصحاح ؛ وكان منصبُ تدريس الحديث الشريف النبوى الذى أنشأناه بالجامع الحاكى تكثيراً لنشر أحاديث من لا ينطق عن الهوى ، ونويناه لأرتواء الرواة من بحر هذا العلم الشريف بالإعانة على ذلك وإتماً لكل أمرى ما نوى ، قد استغرقت أوقات مباشرة بتفويضنا الحكم العزيز على مذهبه إليه ، وتوفير زمانه على (١)

قلت : وتختلف أحوال التواقيع التى تكتب بالنداريس باختلاف موضوعاتها : من تدريس التفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والنحو ، وغير ذلك ، فى براعة الاستهلال والوصايا ، وهو فى الوصايا أكد .

(١) ترك هنا بيضا للبقية ولمه لم يكلمه اتكالا على ما هو معروف ومشهور فى مثله .

وهذه نُسَخٌ وصايااً أوردتها في التعريف :

وصية مدرّس - وَيَطْلُعُ فِي مِحْرَابِهِ كَالْبَدْرِ وَحَوْلَهُ هَالَةٌ تَمُوتُ الْحَلَقَةَ،^(١)
وقد وَتَّ أَهْدَابُ ذَلِكَ السَّوَادِ مِنْهُ أَعْظَمَ أَسْوَدَادًا مِنَ الْحَدَقَةِ ؛ وَلِيَرَقَ سِبْجَاتِهِ الَّتِي
هِيَ لِبَيْدَةِ جَوَادِهِ إِذَا أَسْتَنَّ الْحِدَالَ فِي الْمِضْمَارِ، وَيُخْفِ [أَضْوَاءَ] أَوْلِيكَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ
هُمْ كَالنُّجُومِ كَمَا تَنْضَائِلُ الْكَوَاكِبِ فِي مَطَالِعِ الْأَقْمَارِ؛ وَلِيُرِزْ لَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْمِحْرَابِ
كَمِينَهُ ، وَلِيُفِضْ عَلَى جَدَاوِلِهِمُ الْجَافَّةَ مَعِينَهُ ؛ وَلِيَقْدِفْ لَهُمْ مِنْ جَنَابَاتِ مَا بَيْنَ جَنْبَيْهِ
دُرَّرَ ذَلِكَ الْبَحْرَ الْعَجَّاجَ، وَلِيُرْهِمْ مِنْ غُرْرِ جِيَادِهِ مَا يُعَلِّمُ بِهِ أَنَّ سَوَائِقَهُ لَا يَهْوِيهَا قَطْعُ
الْفِجَاجِ؛ وَلِيُظْهِرْ لَهُمْ مِنْ مَكُونِ عِلْمِهِ مَا كَانَ يُخْفِيهِ الْوَقَارُ، وَلِيَهَبَ مِنْ مَمْنُونِ فَضْلِهِ
مَا يَهَبُ مِنْهُ عَنْ ظَهْرِ غَفَى أَهْلِ الْإِفْتِقَارِ؛ وَلِيَقَرَّرْ تَمَكُّنَ الْبُحُوثِ وَيَبَيِّنْ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا،
وَمَا يَرُدُّ بِهِ مِنْ مَنَعِهَا وَتَطَرَّقَ بِالنَّقْضِ إِلَيْهَا؛ حَتَّى لَا تَنْفَصِلَ الْجَمَاعَةُ إِلَّا بَعْدَ ظُهُورِ
الترجيحِ ، وَالْإِجْمَاعِ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّحِيحِ ؛ وَلِيُقْبِلْ فِي الدَّرُوسِ طَلَقَ
الْوَجْهِ عَلَى جَمَاعَتِهِ ، وَلِيَسْتَمْلِمْهُمْ إِلَيْهِ بِجُهدِ اسْتِطَاعَتِهِ ؛ وَلِيُرَبِّهِمْ كَمَا يُرَبِّي الْوَالِدُ الْوَلَدَ،
وَلِيَسْتَحْسِنَ مَا تَجَيَّءُ بِهِ أَفْكَارُهُمْ وَإِلَّا فَكَمْ رَجُلٌ بِالْجَبْهِ لَبِنَتِ فِكْرٍ وَأَدَّبَ هَذَا
إِلَى أَخْذِهِمُ بِالْإِسْتِغْثَالِ ، وَقَدَحَ أَذْهَانِهِمْ لِلْإِسْتِعْثَالِ ؛ وَلِيُنَشِّئِ الطَّلِبَةَ حَتَّى يَمَيَّزَ مِنْهُمْ
الْغُرُوسَ ، وَيُؤَهِّلَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ لَا يُظَنُّ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَعَلَّمُ لِأَنَّهُ يُعَلِّمُ وَيُلْقِي الدَّرُوسَ .

وصية مقررئ :

وَلِيَدِّمْ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ تَلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ مُصْبِحُ قَلْبِهِ ، وَصَلَاحُ قُرْبِهِ ، وَصَبَاحُ
الْقَبُولِ الْمُؤَدِّنِ لَهُ بِرِضَا رَبِّهِ ؛ وَلِيَجْعَلَ سُورَةَ لَهُ أَسْوَارًا ، وَأَيَاتِهِ تُظْهِرُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ

(١) جرى في تحريك لام الحلقة على ما رواه يونس عن أبي عمرو بن العلاء من كونه لغة في السكون

أنظر "المصباح" .

أنواراً ، ولتئلُ القُرآنَ بحُرُوفِهِ وإِذَا قَرَأَ اسْتَعَاذَ ، وَيَجْمَعُ طُرُقَهُ وَهِيَ الَّتِي عَلَيْهَا
الْجُمْهُورُ وَيَتْرُكُ الشَّوَادِبَ ، وَلَا يَرْتَدُّ دُونَ غَايَةِ لِإِقْصَارِهِ ، وَلَا يَقِفُ فَبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ لَمْ يَبْقَ
بِحَمْدِ اللَّهِ إِحْصَارٌ ، وَلِيَتَوَسَّعَ فِي مَذَاهِبِهِ وَلَا يَخْرُجَ عَنِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ السَّبْعَةَ أُمَّةَ
الْأَمْصَارِ ، وَلِيَبْدُلَ لِلطَّلَبَةِ الرَّغَابَ ، وَلِيُشْبِعَ فَإِنَّ ذَوِي النِّهْمَةِ سَغَابَ ، وَلِيُرِ النَّاسَ
مَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنَ الْإِقْتِدَارِ فَإِنَّهُ أَحْتَضِرُ السَّبْعَ وَدَخَلَ الْغَابَ ؛ وَلِيَتِمَّ مَبَانِي مَا أَتَمَّ
«أَبْنُ عَامِرٍ» وَ«أَبُو عَمْرٍو» لَهُ التَّعْمِيرُ ، وَلَفَّهَ «الْكِسَائِيُّ» فِي كِسَائِهِ وَلَمْ يَقُلْ جَدِّي
«أَبْنُ كَثِيرٍ» ؛ وَحُمَّ بِهِ «لِحْمَزَةُ» أَنْ يَعُودَ ذَاهِبُ الزَّمَانِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا «عَاصِمَ»
مَنْ أَمَرَ اللَّهُ يُلْجَأُ مَعَهُ إِلَيْهِ وَهُوَ الطُّوفَانُ ؛ وَطَفِقَ يَتَفَجَّرُ عِلْمًا وَقَدِ وَقَفَتِ السُّيُولُ
الدَّوَافِعَ ، وَضُرَّأَ كَثْرَةَ قِرَاءَةِ الزَّمَانِ لِعَدَمِ تَفْهِيمِهِمْ وَهُوَ «نَافِعٌ» ؛ وَلِيَقْبَلَ عَلَى ذَوِي
الْإِقْبَالِ عَلَى الطَّلَبِ ، وَلِيَأْخُذَهُمُ بِالرَّبِّيَّةِ فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ إِلَيْهِ قَدْ أَنْتَسَبَ ؛
وَهُوَ يَعْلَمُ مَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِحِفْظِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِنَ النَّعْمَاءِ ، وَوَصَلَ سَبَبَهُ مِنْهُ بِحَبْلِ اللَّهِ
الْمُتَدَدِّ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ ؛ فَلْيَقْدُرْ حَقَّ هَذِهِ النِّعْمَةِ بِحَسَنِ إِقْبَالِهِ عَلَى التَّعْلِيمِ ،
وَالْإِنْصَافِ إِذَا سُئِلَ فَعَلِمَ اللَّهُ مَا يَتَنَاهَى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَالِمٌ﴾ .

وصية محدث :

وقد أصبح بالسنة النبوية مضطرباً ، وعلى ما جمعت طرُق أهل الحديث مُطَّلِعاً ؛
وَصَحَّ [فِي] الصَّحِيحِ أَنَّ حَدِيثَهُ الْحَسَنَ ، وَأَنَّ الْمُرْسَلَ مِنْهُ فِي الطَّلَبِ مَقْطُوعٌ عَنْهُ
كُلُّ ذِي لَسَنٍ ؛ وَأَنَّ سَنَدَهُ هُوَ الْمَأْخُودُ عَنِ الْعَوَالِي ، وَسَمَاعُهُ هُوَ الْمَرْقُوصُ مِنْهُ طُولَ
الليالي ؛ وَأَنَّ مِثْلَهُ لَا يُوجَدُ فِي نَسَبِهِ الْمُعْرِقِ ، وَلَا يُعْرَفُ مِثْلُهُ لِلْحَافِظِينَ «أَبْنِ عَبْدِ الْبَرِّ»
بِالْمَغْرِبِ وَ «خَطِيبِ بَغْدَادَ» بِالْمَشْرِقِ ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ مِقْدَارَ طَلَبِ الطَّالِبِ فَإِنَّهُ طَالَمَا
شَدَّ لَهُ النَّطَاقَ ، وَسَعَى لَهُ سَعْيُهُ وَتَجَشَّمَ الْمَشَاقَّ ؛ وَارْتَحَلَ لَهُ يَشْتَدُّ بِهِ حِرْصُهُ وَالْمَطَايَا

مُرِّمِه ، وَيَنْبِهُه لِه طَلْبِه وَالْجُفُونُ مُقْفَلَةٌ وَالْعَيْنُ مَهْمَمَةٌ ، وَوَقَفَ عَلَى الْأَبْوَابِ لَا يُضَجِرُه طَوْلُ الْوُقُوفِ حَتَّى يُؤَدِّنَ لِه فِي وُلُوجِهَا ، وَقَعَدَ الْقُرْفُصَاءَ فِي الْمَجَالِسِ لَا تَضِيقُ بِهِ عَلَى قِصَرِ فُرُوجِهَا .

فَلْيُعَامِلِ الطَّلِبَةَ إِذَا آتَوْهُ لِلْفَائِدَةِ مَعَامِلَةً مِنْ جَرِّبَ ، وَلْيُنَشِّطِ الْأَقْرَبَاءَ مِنْهُمْ وَيُؤَنِّسِ الْغُرَبَاءَ فَمَا هُوَ إِلَّا مَنْ طَلَبَ آوِنَةً مِنْ قَرِيبٍ وَأَوِنَةً تَغْرَبُ ؛ وَلْيُسْفِرْ لَهُمْ صَبَاحُ قِصْدِهِ عَنِ النَّجَاحِ ، وَلْيُنْتَقِ لَهُمْ مِنْ عُقُودِهِ الصَّحَاحَ ؛ وَلْيُوضِّحْ لَهُمُ الْحَدِيثَ ، وَلْيُرِّحْ خَوَاطِرَهُمْ بِتَقْرِيبِهِ مَا كَانَ يُسَارِ إِلَيْهِ السَّيْرَ الْحَثِيثَ ؛ وَلْيُؤْتِهِمْ مِمَّا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيهِ الْمَجَالَ ، وَيُعَلِّمَهُمْ مَا يَجِبُ تَعْلِيمُهُ مِنَ الْمُتُونِ وَالرِّجَالِ ؛ وَيُبَيِّنْهُمْ بِمَوَاقِعِ الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ ، وَالتَّوْجِيهِ وَالتَّعْلِيلِ ، وَالصَّحِيحِ وَالمُعْتَلِّ الَّذِي تُتَنَاطَرُ أَعْضَاؤُهُ سُبْحًا كَالْعَلِيلِ ؛ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لِرِجَالِ هَذَا الشَّانِ بِهِ عِنَايَه ، وَمَا يُنْقَبُ فِيهِ عَنْ دَرَايَةِ أَوْ يُقْنَعُ فِيهِ بِمِجْرَدِ رِوَايَه ؛ وَمِثْلَه مَا يُزَادُ حَلْمًا ، وَلَا يُعْرَفُ بِمَنْ رَخَّصَ فِي حَدِيثٍ مَوْضُوعٍ أَوْ كَتَمَ عِلْمًا .

وصية نحوي :

وهو زيد الزمان ، الذي يضرب به المثل ، وعمرو الأوان ، وقد كثر من سيبويه المثل ، وما زنى الوقت ولكنه الذي لم تستبح منه الإبل ؛ وكسائي الدهر الذي لو تقدم لما أختار غيره الرشيد للأمن ، وذو السؤدد ، لا أبو الأسود ، مع أنه ذو السابقة والأجر المنون ؛ وهو ذو البر المأثور ، والقدر المرفوع ولو أوه المنصوب وذيل فخاره المجرور ؛ والمعروف بما لا ينكر لمثله من الحزم ، والذاهب عمله الصالح بكل العوامل التي لم يبق منها لحسوده إلا الحزم ؛ وهو ذو الأبيّة التي لا يفصح عن مثلها الإعراب ، ولا يعرف أفصح منها فيما أخذ عن الأعراب ؛

والذى أصبحت أهدأه فوق عمائم الغائم ثلاث ، ولم يزل طول الدهر يُشكر منه
أُسه ويومه وعدّه وإنما الكلمات ثلاث . فليتصدّ للإفاده ، وليعلمهم مثل
ما ذكر فيه من علم النحو نحو هذا وزيادة ؛ وليكن للطلبة تجمّاه به يهتدى ، ويرفع
بتعليمه قدّر كل حبر يكون خبّاله وهو المبتدأ ؛ وليقدّم منهم كلّ من صلح
للتبريز ، وأستحقّ أن يُنصب إماماً بالتميز ؛ ولُورّد من موارد أهدب النّاطف ،
وليجرّ إليه كلّ مضاف إليه ومُضاف ؛ وليوقّفهم على حقائق الأسماء ، ويعرّفهم
دقائق البحوث حتى اشتقاق الأسم هل هو من السّموّ أو من السّماء ؛ وليبيّن لهم
الأسماء الأعجميّة المنقولة والعربيّة الخالصة ، وليدبّهم على أحسن الأفعال لا ما يُشبهه
فيه بصفات كان وأخواتها من الأفعال الناقصة ؛ وليحفّظهم المُثل وكلمات
الشّعراء ، ولينصب نفسه لحدّ أذهان بعضهم ببعض نصب الإغراء ؛ وليعامل
جماعة المستفيدين منه بالعطف ، ومع هذا كلّه فليرفق بهم فما بلغ أحدُ علما بقوة
ولا غاية بعسف .



(١) وهذه وصية لغوى أوردها في التعريف .

الوظيفة الثامنة

(التصدير)

وموضوعه الجلوس بصدر المجلس بجامع أو نحوه . ويجلس متكلم أمامه على كرسى كأنه يقرأ عليه ، يفتح بالتفسير ثم بالرقائق والوعظيات ، فإذا انتهى كلامه وسكت ، أخذ المتصدر في الكلام على ما هو في معنى تفسير الآية التي يقع الكلام عليها ، ويستدرج من ذلك إلى ما سنع له من الكلام . وربما أفرد التصدير عن المتكلم على الكرسى .

وهذه نسخة توقيع بتصدير أنشأته للشيخ شهاب الدين « أحمد الأنصاري » الشهير بـ « الشاب التائب » بالجامع الأزهر ، وهي :

رسم ... لا زالت صدقائه الشريفة تُحْصُ المجالس بمن إذا جلس صدر مجلس (١)
كان لرتبته أجمل صدر يجتبي من علماء التفسير، ومن إذا دقق لم يفهم ... عنه (٢)
وإذا سلك سبيل الإيضاح كان كلامه في الحقيقة تفسير تفسير، وتصطفي من سرارة
الأماثل من دار نعمته بين « الشاب التائب » و « الشيخ الصالح » فكان له أكرم
نعت على كل تقدير - أن يستمر المجلس السامي أدام - الله تعالى رفعته - في كذا
وكذا ، لأنه الإمام الذي لأسامي علومه ولا تُسام، والعلامة الذي لا تُدرَك مداركه
ولا تُرام ، والخبر الذي تتعقد على فضله الخناصر، وفارس الحلبة الذي يعترف
بالقصور عن مجارة جواده المناظر، وآية التفسير التي لا تُنسخ، وعقد حقيقته الذي
لا يُفسخ، والماهر الذي استحق بمهارته التصدير، والجامع لفنونه المتنوعة

(١) أي بالامر الشريف الخ .

(٢) بياض بالأصل ولعله « لم يفهم شرحه إلا عنه » أو نحو ذلك .

جمع سلامةٍ لاجمع تكسيرٍ ، وترجمانٌ معانيه الآتى من غرائب تأويله بالعجب العجائب ، والعارف بهدى طريقه الذى إذا قال قال الذى عنده علمٌ من الكتاب ، وزاهدٌ الوقت الذى زين بالعلم العمل ، وناسكٌ الدهر الذى قصر عن مبالغ مداه الأمل .

فليتلق ما ألقى إليه بالقبول ، وليستند إلى صدر مجلس يقول فيه ويطول ؛ وليبين من معانى كتاب الله ما أجمل ، ويوضح من خفى مقاصده ما أشكل ، وليسلك فى تفسيره أقوم سنن ، ويعان بأسراره الخفية فسر كتاب الله أجدر أن يكون عن عان ، وليجر فيه على ما ألف من تحقیقاته فإنه إذا لم يحقق المناظرة فمن ؟ ، وليأخذ مشايخ أهل مجلسه بالإحسان ، كما أحسن الله إليه فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، ويخص شبابهم على التوبة ليحبهم الله فيتصل فى المحبة سندهم فإن « الشاب التائب » حبيب الرحمن ؛ والله تعالى يرقبه إلى أرفع الذرا ، ويرفع مجلسه السامى على محل الثريا (وإنا لرجو فوق ذلك مظهرا) . إن شاء الله تعالى .

الوظيفة التاسعة

(النظر)

وموضوعه التحدث فى أمورٍ خاصة بإباحة ضروراتها ، وعمَل مصالحها ، وأستخراج متحصّل جهاتها ، وصرفه على الوجه المعتبر ، وما يجرى مجرى ذلك .

وتشتمل على عدّة أنظار :

منها - نظر الأحباس : جمع حبس وهو الوقف ^(١) : فقد تقدّم فى المقالة الثانية أنه كان أصل وضعه أراضى آستراها (الإمام الليث بن سعد رضى الله عنه)

(١) فى المختار « والحبس كالقفل ماوقف » وهو المراد هنا .

ووقفها على جهاتٍ ربِّ، ثم تبعه الناسُ في إضافة الأوقاف إلى ذلك ، إلى أن كانت وزارة الصحاحِ بهاء الدين ابن حنّا في سلطنة الظاهر بيبرس البندقدارى ، فأفردَ للجوامع والمساجد والرُّبَط والزوايا ونحو ذلك رزقا، وقصرَ تحدّث ناظر الأحباس ومباشره عليها ، وأفردت الأوقاف بناظر ومباشرين كما سيأتى :

(١)
وهذه نسخة توقيع بتدريس الطب بالبيمارستان المنصورى ، كُتِبَ بها «لمهذب الدين» وهى :

الحمد لله الذى دبر بحكمته الوجود ، وعمّ برحمته كلّ موجود، وحال بنفع الدواء بين ضرّ الداء كما حالت عطاياه دونّ الوعود ، نحمده ونشكره وهو المشكور المحمود ، ونثنى عليه خير الشفاء قيّامًا وقعودًا وعلى الجنّوب وفى السجود، ونستريده من فضله فإنه أهل الفضل والجد .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة الله بها والملائكة وأولو العلم شهود ، ونشهد أن محمّدا عبده ورسوله المبشّر لأمته بالجنّات والخلود، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائمة إلى يوم الوعود .

وبعد، فإنّنا لما أقام الله بنا شعائر الإيمان ، وأصبح دينه بحمد الله منصوراً بنا على سائر الأديان، وجاهدنا فى الله حقّ الجهاد باليد واللسان ، وشيّدنا لعلومه وشرائعه كلّ بديع الإتقان ، وربّنا فيه من العلماء الأعيان كلّ رفيع الشأن، وآخترنا له الأخيار من أهل العلم بالطب والفقهِ والحديث والقرآن ، ورأينا كل من تقدّمنا من الملوك، وإن سلك فى سياسة الرعية أحسن سلوك ، قد آهتّم بعلم الأديان وأهمل

(١) حق هذا التوقيع أن يذكر فى تواريخ الوظيفة السابقة الخاصة بالتدريس .

علم الأبدان؛ وأنشأ كل منهم مدرسة ولم يُجفل ببيمارستان، وغفل عن قوله صلى الله عليه وسلم: «العلم علمان»؛ ولم يأخذ أحدا من رعيته بالاشتغال بعلم الطب المضطر إليه، ولا وقف وقفا على طلبة هذا العلم المنصوص عليه، ولا أعد له مكانا يحضر من يشتغل بهذا الفن فيه، ولا نصب له شخصا يمثل هذا المشتغل لديه - علمنا نحن بحمد الله تعالى من ذلك ما جهلوه، وذكرنا من هذه القرية ما أهملوه، ووصلنا من هذه الأسباب الدينية والدنيوية ما فصلوه؛ وأنشأنا بيمارستاننا يبهر العيون بهجه، ويفوق الأبنية بالدليل والحجة، ويحفظ الصحة والعافية على كل مهجه؛ لوجهه من أشفى العوجل بالشفا، أو جاءه من أكمده السقم لاشتفى، أو أشرف عليه العمر بلا شفاء لعاد عنه بشفا؛ ووقفنا عليه من الأوقاف المبرورة ما يملأ العينين، ويطرف سماع جملته الأذنين، ويعيد عنه من أمه مملوء اليدين؛ وأبجنا التداوى فيه لكل شريف ومشروف ومأمور وأمير، وساويننا فى الانتفاع به بين كل صغير وكبير، وعلمنا أن لانظير لنا فى ملكنا ولانظير له فى إبقائه فلم نجعل لوقفه وشرطه من نظير؛ وجعلنا فيه مكانا للاشتغال بعلم الطب الذى كاد أن يجهل، وشرعنا للناس إلى ورد بحره أعدب منهل، وسهلنا عليهم من أمره ما كان الحلم به من اليقظة أسهل؛ وأرتدنا له من علماء الطب من يصلح لإلقاء الدروس، وينتفع به الرئيس من أهل الصناعة والمرءوس، ويؤمن على صحة الأبدان وحفظ النفوس؛ فلم نجد غير رئيس هذه الطائفة أهلا لهذه المرتبة، ولم نرض لها من لم تكن له هذه المنقبه، وعلمنا أنه متى وليها أمسى بها معجبا وأصحت به معجبه .

ولما كان المجلس السامى «مهذب الدين» هو الرئيس المشار إليه، والوحيد الذى تُعقد الخناصر عليه؛ وكان هو الحكيم «بقراط»، بل الجليل «سقراط»؛ بل الفاضل «جالينوس»، بل الأفضل «ديسقوريدوس» - أقتضت الآراء

الشريفة أن تزداد جلالته بتولية هذا المنصب الجليل جلاله ، وأن تُزَفَّ إليه تجرُّ أذْيَالَهُ ، وأن يقال : (لم يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا هَا ولم تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ) .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال للدين ناصرا ، ولأعلام العلوم ناشرا - أن يفوض إليه تدريس الطب بالبيارستان المبارك المنصوري ، المستجد الإنشاء بالقاهرة المحروسة ، علما بأنه المتمهر في هذا الفن ، وأنه عند الفِرَاسَة فيه والظن ، وأنه سقراط الإقليم إذا كان غيره سقراط الدن ؛ وثقةً بأنا للجوهر قد ألتقنا ، وبالخير قد آغتنبنا ، وعلى الخير قد سقطنا .

فلتلق هذه النعمة بالشكر الجليل ، والحمد الجزيل ، والثناء الذي هو بالثناء والزيادة كفيلا ؛ وليتصب لهذا العلم المبارك انتصاب من يقوم بالفرض منه والسنة ، ويعرف له فيه الفضل ويتقلد له فيه المنه ، ويثني على آثاره الجميلة فيه ويثني إليه الأعتب ؛ وليبطل بتقويمه الصحة ما ألقه ابن «بطلان» ، وليرنا بتدبيره جملة البر فإنه «جالينوس» الزمان ، وليبدل النجاة من الأمراض والشفاء من الأسقام فإنه «ابن سينا» الأوان ؛ وليجمع عنده شمل الطلبة ، وليعط كل طالب منهم ما طلبه ، وليبلغ كل ممتن من الاشتغال أربه ؛ وليشرح لهم صدره ، وليبدل لهم من عمره شطره ، وليكشف لهم من هذا العلم المكنون سره ، وليرهم ما خفي عنهم منه جهره ؛ وليجعل منهم جماعة طبائعيه ، وطائفة حكّامين وجراحية ؛ وقوما مجبرين ، وبالحديد عاملين ، وأخرى بأسماء الحشائش وقوى الأدوية وأوصافها عالمين ؛ وليأمر كلاً منهم بحفظ ما يجب حفظه ، ومعرفة ما يزيد به حظّه ؛ وليأخذ بما يصلح به لسانه ولفظه ، ولا يفتّر عنهم في الاشتغال لحظه ؛ وليفرد لكل علم من العلوم طائفة ، ولكل فن من فنونه جماعة مجاسنه عارفة ؛ وليصرف إليهم من وجوه فضائله كل عارفة ،

وليكشف لهم ما أشكل عليهم من غوامضه فليس لها من دُون إيضاحه كاشفه ؛
لِيُنشَر في هذا المكان المبارك من أرباب هذه العلوم قومٌ بعد قوم ، ويظهر منهم
في الغد - إن شاء الله - أضعاف ما هو ظاهرٌ منهم اليوم ؛ وليقال لكل من طلبته
إذا شَرع في إجازته وتزكياته : لقد أحسنَ شيخه الذى عليه تأدب ، وإنَّ من نَحج
هذا «المهدب» ؛ عاملاً في ذلك بشروط الواقف أعزَّ الله نصره ، وافقاً عند أمره
أمضى الله أمره ؛ والخيرُ يكون . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الأعباس مفتحة بـ «أما بعد» وهى :

أما بعد حمد الله الذى أذن أن تُرفع بيوته ويذكر فيها اسمه ، ويكثر فيها قسم
ثوابه ويُنزل قسمه ، والصلاة على سيدنا محمد الذى عظم به قطع دابر الكفر وكثر
حسمه - فإن خير من عول عليه فى تأسيس بيوت الله وعمارة ربوعها ، ولمَّ شعنها
وشعب صدوعها ؛ والقيام بوظائفها ، وتسهيل لطائفها ؛ وتأهيل نواحيها ، هُبوب
الملائكة لتلقى المصلين فيها ، من كان ذا عزم لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وحزم لا يلمُّ
بأفعاله لمَّم المآثم ؛ ونظير ثاقب ، ورغبة فى اختيار جميل المآثر والمناقب ، ومباشرة
ترعى قوانين الأمور وتكتنفها آكتناف مراقب .

ولما كان فلانٌ ممن هذه الأوصاف شعأره ، وإلى هذه الأمور يدأره ؛ وكَم كتب
الله به للدولة أجرًا راع وساجد ، وكَم شكرته وذكرته ألسنة أعلام الجوامع وأفواه
محاريب المساجد - أقتضى مُنيف الملاحظة والمحافظه على كل قريب من بيوت
الله وشاهد ، أن نخرج الأمر الشريف - لا يرح يكشف الأوجال ، ويدعوله
فى الغدو والآصال رجال - أن يفوض لفلان نظر ديوان الأعباس والجوامع
والمساجد المعمورة بذكر الله تعالى .

فليباشرها مباشرة من يُراقب الله [إن] وقع أو توقع ، وإن أطاع أو تطوع ، وإن عزل أو ولى ، وإن أدب من نهى عبدا إذا صلى ، وليجتهد ككل الاجتهاد في [صرف] ريع المساجد والجوامع في مصارفها الشرعية ، وجهاتها المرعية ، وليأخذ أهلها بالملازمة في أحيائها وأوقاتها ، وعمارتها بمصايبها وآلاتها ، وحفظ ما يحفظون به لأجلها ، ومعاملتهم بالكرامة التي ينبغي أن يعامل مثلهم بمثلها ، وليحترز في إخراج الحالات إذا خرجت وأخرجت ، وفي مستحقات الأجائر إذا استحققت وإذا عُجِّلَتْ ، وفي التواقيع إذا أنزلت وإذا نُزِلَتْ ، وفي الاستئذارات التي أُهْمِلَتْ وكان ينبغي لو أُهِّلَتْ ، وإذا باشر [و] ظهر له بالمباشرة خفايا هذا الديوان ، وفهم ما تحتويه جرائد الإحسان ، فليكن إلى مصالحة أول مبادر ، ويكفيه تدبر قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

قلت : وقد كنت أنشأت توقيعا بنظر الأحياس ، للقاضي « بدر الدين حسن » الشهير بابن الداية ، مفتتحا بالحمد لله ، جاء فردا في بابه . إلا أن مسودته غيبت عني ، فلم أجدها لأثبتها هاهنا كما أثبتت غيرها مما أنشأته : من البيعات والعهود والتواقيع والرسائل وغير ذلك .

ومنها - نظر الأوقاف بمصر والقاهرة المحروستين ، ويدخل فيه أوقاف الحرمين وغيرهما .

وهذه نسخة توقيع بنظرها ، وهي :

الحمد لله الذى حفظ معالم البر من الدثور ، وأحيا آثار المعروف والأجور ، وصان الأوقاف المحبسة من تبديل الشروط على توالى الأيام والشهور .

نحمده على فضله الموفور ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لها
فى القلوب نور على نور ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤيد المنصور ، الطالع
البدور ، المبعوث بالفرقان والنور ، المنعوت فى التوراة والإنجيل والزبور ، صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه ما كرت الدهور ، وطلعت كواكب ثم تغور .

وبعد ، فإن أهل الخير من المؤمنين تقربوا إلى الله سبحانه وتعالى من طيبات
أموالهم بأوقاف وقفوها على وجوه البر وعرفوها ، وجعلوا لها شروطا ووصفوها ،
فتقبل الله لهم ذلك ، ثم ماتوا فما أنقطع عملهم بها وهم فى برزخ المهالك ، ووليها
بعدهم الأمانة من النظر ، فقاموا بحقوقها وحفظ الآثار ، وأجروا برها الدار
فى كل دار ، وصانوا معالمها من الأغيار ، وشاركوا واقفها فى الصدقة لأنهم خزان
أمانة أختيار .

ولما كان فلان هو الذى لا يتدسس عرضه بشائبه ، ولا تسمى المصالح وهى عن
فكره غائبه ، ولا تبرح نجوم السعود طالعة عليه غير ذائبه ، وهو أهل أن يتأبط به
التحدث فى جهات البر الموقوفة ، وأموال الخير المصروفة ، لأنه نزه نفسه عما ليس له
فلو كانت أموال غيره غنما ما اختص منها بصوفة ، فلذلك رسم (١)

فلباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنة التأثير ، جميلة التثمير ، مأمونة التغيير ،
مخصوصة بالتعبير ، ولينظر فى هذه الأوقاف على اختلافها من ربوع ومباني ،
ومساكن ومعاني ، وخانات مسبله ، وحوانيت مكلمه ، ومستققات معموره ،
وساحات مأجورة غير مهجوره . وليبدأ بالعمارة فإنها تحفظ العين وتكفى البناء
دئوره ، وليتبع شروط الواقفين ولا يعدل عنها فإن فى ذلك سروره ، ويندرج فى هذه

(١) بيض له فى الأصل لعله من أمثاله السابقة .

الأوقاف ما هو على المساجد ومواطن الذكر : فليقيم شعارها، وليحفظ آثارها، ويرفع منارها، والوصايا كثيرة والتقوى ظلها المخطوب، ومراقبة الله أصلها المطلوب ووصلها المحبوب، والله تعالى يجمع على محبته القلوب؛ بمنه وكرمه ! .

ومنها - نظر البيارستان المنصوري بين القصرين لأرباب الأقلام، وهو من أجل الأنظار وأرفعها قدرا، ما زال يتولاه الوزراء وكاتب السر ومن في معناهم .
[وهذه نسخة توقيع] من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي :
(١)

الحمد لله رافع قدر من كان في خدمتنا الشريفة كريم الخلال، ومعلمي درجة من أصفى عليه الإخلاص في طاعتنا العلية مديد الظلال، ومجدد نعم من لم يخصه اعتناؤنا بغاية إلا ورقته همته فيها إلى أسنى رتب الكمال، ومفوض النظر في قرب سلفنا الطاهر إلى من لم يلاحظ من خواصنا امرا إلا سرنا ما نُسأله فيه من الأحوال الحوال .

نحمده على نعمه التي لا تزال تسرى إلى الأولياء عوارفها، ومننه التي لا تبرح تشمل الأصفياء عواطفها، وآلائه التي تُسدد آراءنا في تفويض قربنا إلى من إذا باشرها [سر] بسيرته السرية مستحقها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص لواءها، وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضيائها، ووالى الإيقان إعادة أدائها بمواقف الحق وإبداءها؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بعموم الشفاعة العظمى، المقصود في السنة ذكرك حوضه الذي من شرب منه شربة فإنه بعدها لا يظما، المنصوص على نبوته في الصحف المنزلة وبشرت به الهوائف نثرا ونظما؛ صلى الله

(١) تقدمت في وظائف الطبقة الثانية من ذوات التواقيع بعض تغيير واختصار .

عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالرُّتب الفاعره ، وحازوا بالإخلاص في محبته ، سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظهم من رضا الله ورضاه فلم يُلوا على خدع الدنيا الساحره ؛ صلاةً دائمةً الاتصال ، آمنةً شمس دولتها من الغروب والزوال ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الأمور بإنعام النظر في مصالحتها ، وأحقها بتوفير الفكر على اعتبار مناهجها وأعتاد مناجحتها - أمر جهات البر التي تقرب والدنا السلطان الشهيد - قدس الله روحه - بها إلى من أفاض نعمه عليه ، وتتوع في إنشائها فأحسن فيها كما أحسن الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله لعلمه أن ذلك من أنفس الذخائر التي أعدّها بين يديه ؛ وحلّ منها في أكرم بقعة نقله الله بها عن سريره إلى مقعد صدق عند ربّه ، وعمر بها مواطن العبادة في يوم سلّمه بعد أن عفى على معاقل الكفر في يوم حرّيه ؛ وأقام بها منار العلوم فعلا مناهها ، وأعدّ للضعفاء بها من مواد البر والإلطف مالو تعاطته الأغنياء قُصرت عن التطاول إليه أموالها ؛ وأن نرّاد لها من إذا فوضنا إليه أمرا تحقّقنا صلاحه ، وتيقّننا نجاحه ؛ واعتقدنا تمية أمواله ، وأعمدنا في مضاعفة آرتفاعه وانتفاعه على أقواله وأفعاله ؛ وعلمنا من ذلك مالا يحتاج فيه إلى إخبار ولا اختيار ، ولا يحتاج في بيان الخيرة فيه إلى دليل إلا إذا احتاج إليه النهار ؛ لتكون في هذا بمثابة من ضاعف لهذه القرب أسباب ثوابها ، أو جدّد لها وقفا لكونه أتى بيوت الإحسان في آرتياد الأكتفاء لها من أبوابها .

ولذلك لما كان فلان هو الذى صان أموال خواصنا ، وأبان عن يمن الآراء في استئثارنا به لمصالحنا الخاصة واختصاصنا ؛ واعتدّدنا بجميل نظره في أسباب التدبير التي تملأ الخزائن ، وتدلل على أن من الأولياء من هو أوقع على المقاصد من سهام

الكَائِن ، وَتُحَقِّقُ أَنَّهُ كَمَا فِي الْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ مَعَادِنُ فَكَذَلِكَ فِي الرِّجَالِ مَعَادِنُ ؛ وَنَبَّهَتْ أَوْصَافُهُ عَلَى أَنَّهُ مَا وَلى أَمْرًا إِلَّا وَكَانَ فَوْقَ ذَلِكَ قَدْرًا ، وَلَا أَعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِيمَا تَضَيِّقُ عَنْهُ هِمُّ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا رَحِبَ بِهِ صَدْرًا ، وَلَا طَلَعَ فِي أُفُقِ رَتْبَةٍ هَلَالًا إِلَّا وَتَأَمَّلْتَهُ الْعَيُونَ فِي أَجَلِّ دَرَجِ الْكَمَالِ بَدْرًا ؛ يُدْرِكُ مَا نَأَى مِنْ مَصَالِحِ مَا يَلِيهِ بِأَدْنَى نَظَرٍ ، وَيَسْبِقُ فِي سَدَادِ مَا يَبَاشِرُهُ عَلَى مَا يَجِبُ سَدَادُ الْآرَاءِ وَمَوَاقِعَ الْفِكَرِ ؛ فَنَحْنُ نَزْدَادُ كُلِّ يَوْمٍ غَبْطَةً بِتَدْيِيرِهِ ، وَتُحَقِّقُ أَنَّ كُلَّ مَا عَدَقْنَا بِهِ إِلَيْهِ : مِنْ أَمْرٍ جَلِيلٍ فَقَدْ أَسَدَنَاهُ إِلَى عَارِفِهِ وَفَوْضْنَاهُ إِلَى خَبِيرِهِ - أَقْنَضْتُ آرَأُونَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَعْدِقَ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ أَمْرَ هَذَا الْمُهِمِّ الْمَقْدَمِ لَدَيْنَا ، وَأَنْ نَفُوضَ إِلَيْهِ نَظَرَ هَذِهِ الْأَوْقَافِ الَّتِي النَّظَرُ فِي مَصَالِحِهَا مِنْ آكِدِ الْأُمُورِ الْمُتَعَيِّنَةِ عَلَيْنَا .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال فضله عميما ، وبره يقدم في الرتب من كان من الأولياء كريما - أن يفوض إليه كيت وكيت .

فَلَيْلِ هَذِهِ الرَّتْبَةِ الَّتِي أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهوَ أَهَمُّ ، وَقَصِدُ بِهَا النِّفْعَ الْمُتَعَدِّيَ إِلَى الْعُلَمَاءِ ، وَالْفُقَرَاءِ ، وَالضُّعْفَاءِ وَمِرَاعَاةَ ذَلِكَ مِنْ أَحْصَى الْمَصَالِحِ وَأَعَمَّ ؛ وَلِيَنْظُرُ فِي عَمُومِ مَصَالِحِهَا وَخُصُوصِهَا نَظْرًا يُسَدِّ خَلَايَاهَا ، وَيُزِيحُ عَلَائِهَا ، وَيُعَمِّرُ أَصُولَهَا ، وَيُثَمِّرُ مَحْصُولَهَا ، وَيَحْفَظُ فِي أَمَاكِنِهَا أَمْوَالَهَا ؛ وَيُقِيمُ مَعَالِمَ الْعُلُومِ فِي أَرْجَائِهَا ، وَيَسْتَنْزِلُ بِهَا مَوَادَّ الرَّحْمَةِ لِسَاكِنِهَا بِالسَّنَةِ قُرَائِهَا ؛ وَيَسْتَعِيدُ صِحَّةَ مَنْ بَهَا مِنَ الضُّعْفَاءِ بِإِعْدَادِ الدَّخَائِرِ لِلْمَلَاظِفَةِ أَسْقَامِهَا وَمِعَالَجَةِ أَدْوَائِهَا ؛ وَيَحَافِظُ عَلَى شُرُوطِ الْوَأَقِفِ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ - فِي إِقَامَةِ وِظَائِفِهَا ، وَأَعْتَبَارِ مَصَارِفِهَا ؛ وَتَقْدِيمِ مَا قَدَّمَهُ مَعَ مَلَاءَةِ تَدْيِيرِهِ بِاسْتِكْمَالِ ذَلِكَ عَلَى أَكْمَلِ مَا يَجِبُ ، وَتَمْيِيزِ حَوَاصِلِهَا بِمَا يَسْتَدْعِي إِلَيْهَا مِنَ الْأَصْنَافِ الَّتِي يَعْزُ وَجُودُهَا وَيَجْتَلِبُ ، وَضَبْطِ تِلْكَ الْحَوَاصِلِ الَّتِي لَا خَزَائِنَ لَهَا أَوْثَقُ مِنْ أَيْدِي

أمنائه وثقائه، ولا مودع لها أوفق من أمانة من يتقى الله حق ثقائه؛ ليفعل في ذلك جميعه ما عرفناه من تديره الجميل خبراً وخبراً، وحمدناه في كل ما يليه وردا في المصالح وصدرنا؛ فإنه - بحمد الله - الميمون نظراً وتصرفاً، المأمون نزاهة وتعففاً؛ الكريم سجيّة وطباعاً، الرحيب في تلقى المهمات الجليّة صدرًا وباعاً؛ فلذلك وكلناه في الوصايا إلى حسن معرفته وأطلاعه، ويؤمن نهوضه بمصالحنا وأضطلّاعه؛ والله تعالى يسدده في قوله وعمله، ويحقق بالوقوف مع مرضى الله تعالى ومرضىنا غاية أمله؛ إن شاء الله تعالى.



ومنها - نظر الجامع الناصرى بقلعة الجبل .

وهذه نسخة توقيع بنظره، كتب به للقاضى جلال الدين القزوينى وهو يومئذ قاضى قضاة الشافعية بالديار المصرية، وهى :

الحمد لله الذى زادنا الدين رفعةً وجلالا، وجعل لنا على إعلاء منار الإسلام إقبالا، وأحسن لنظرنا الشريف فى كل اختيار مالا، ووفق مرامى مرآتنا لمن أخلصنا عليه أتكالا .

نحمده حمدا يتواتر ويتوالى، ويقرب من المنى مالا، وتثير به معاهد نعمه عندنا وتتلا، ونؤديه إدامة لا نبغى عنها حولا ولا انتقالا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نصدقها نية ومقالا، ونرجو بالتغالى فيها القبول منه تعالى، ويتراسل عليها القلب واللسان فلا يعتري ذلك سهو ولا يخاف هذا كلالا؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى كرم صحابة وآلا، ودلهم على الرشد فورثوه من علماء الأمة رجالا، صلى الله عليه وعليهم صلاة تسترعى عليها

من الحَفَظَةِ أَكْفَاءً أَكْفَالًا ، وَنَسْتَمَدُّ لِرُقْمِهَا الْمُدْهَبَاتُ بَكْرًا وَأَصَالًا ، وَتَسْمُو إِلَيْهِ الْأَنْفَاسُ سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا فَحَالًا ، مَا مَدَّتِ اللَّيَالِي عَلَى أَيَّامِهَا ظِلَالًا ، وَمَا بَلَغَ سَوَادُ شَبَابِهَا مِنْ بِيَاضِ صُبْحِ اكْتِهَالَا ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ بَنَى حَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يُشِيدَ ، وَمَنْ أَرَادَ [أَنْ] سَنَّتهُ الْحُسْنَى تَبْقَى فليَتَّخِذْ مَعِينًا عَلَى مَا يُرِيدُ ، وَمَنْ أَنْشَأَ بِرَأْفَلَا بَدًّا مِنْ مَبَاشِرٍ عَنْهُ يَضْمَنُ لَهُ التَّجْدِيدَ ، وَيُظَنُّ بِهِ مَعَ تَأْثِيرِهِ التَّخْلِيدَ ، وَمَنْ تَاجَرَ لِلَّهِ بِمَعْرُوفٍ فَمَا يَسْخُوحُ بِالمُشَارَكَةِ فِيهِ إِلَّا مَنْ يَقُومُ مَقَامَ نَفْسِهِ أَوْ يَزِيدُ ، وَمَنْ بَدَأَ جَمِيلًا فَشَرَطَ صِلَاحَهُ أَنْ يُسْنِدَهُ إِلَى مَنْ لَهُ بِالمُرَاقَبَةِ تَقْيِيدٌ ، فِيمَا يُبْدَى وَيُعِيدُ ، وَأَيُّ إِشَادَةٍ أَقْوَى ، مِنَ التَّاسِيسِ عَلَى التَّقْوَى ؛ أَوْ مَعِينِ أَجَلٌ مِنْ حَاكِمِ اسْتِخْلَاصِنَاهُ لَنَا وَإِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ مَبَاشِرِ أَنْفَعُ ، مِنْ سَيِّدِ آرْتَدَى بِالمَجْدِ وَتَلَفَّعَ ، وَتَرَوَّى بِالمَعْلُومِ وَتَضَلَّعَ ؛ أَوْ مَشَارِكٍ فِي الْخَيْرِ أَوْلَى مِنْ وَلِيٍّ قَلَدَنَاهُ دِينَنَا قَبْلَ الدُّنْيَا ، وَأَعْلَيْنَاهُ بِالمُنْصِبِينَ : الْحُكْمِ وَالْخَطَابَةِ فَتَصَرَّفَ مِنْهُمَا بَيْنَ الكَلِمَةِ الْعَالِيَةِ وَالدَّرَجَةِ الْعُلْيَا ؛ أَوْ أَحْسَنُ مِرَاقَبَةٍ مِنْ حَبْرٍ يَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ ، وَإِمَامٍ يَدْعُو إِلَيْهِ دُعَاءَ أَوَابٍ أَوْاهَ ؛ قَدْ أَنْفَرَدَ بِمَجْمُوعِ المَحَاسِنِ يَقِينًا ، وَأَصْبَحَ قَدْرُهُ الْجَلِيَّ الْجَلِيلَ يَعْنِينَا وَعَنْ المَسَدِّحِ يُعْنِينَا ؛ فَحَسْبُنَا الوَصْفُ إِضَاحًا وَتَبْيِينًا ، وَلَكِنْ نَصَّرَحَ بِاسْمِهِ تَنْوِيهَا وَتَعْيِينًا ، وَتَحْسِينًا لِسِيرَةِ أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ بِعَالِمِ زَمَانِهَا وَتَزْيِينًا ، لِأَعْدَرِ لِفِكْرٍ لَمْ يُنْضِدْ مَنَاقِبَهُ وَقَدِ تَمَثَّلَتْ مَعَالِيهِ جَوَاهِرُ ، وَقَلِمٌ لَمْ يُوشَّ الطُّرُوسَ بِمَعَانِيهِ بَعْدَ مَا زَانَ مِنْ فُنُونِهَا أَنْوَاعَ الْأَزَاهِرِ ، هُوَ المَجْلِسُ الْعَالِي الْقَضَائِيَّ ، الإِمَامِيَّ ، الْعَالِمِيَّ ، الْعَامِلِيَّ ، الْعَلَامِيَّ ، الْكَامِلِيَّ ، الْفَاضِلِيَّ ، الْقُدُويَّ ، الْمُفِيدِيَّ ، الْخَاشِعِيَّ ، النَّاسِكِيَّ ، الْوَرَعِيَّ ، الْحَاكِمِيَّ ، الْجَلَالِيَّ : حِجَّةُ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ ، قُدُوةُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ فِي الْعَالَمِينَ ؛ بِرِكَةِ الْأُمَمِ ،

(١) مأخوذ من أشاد بنيانه اذا طوله . أنظر اللسان في مادة ش ود — ج — ٤ .

عَلَّامَةُ الْأَيْمَةِ ، عِزُّ السَّنَةِ ، مُؤَيِّدُ الدَّوَلَةِ ، سَيْفُ الشَّرِيعَةِ ، شَمْسُ النُّظَرِ ، مُفْتَى
 الْغُرَرِ ، خَطِيبُ الْخُطَبَاءِ ، إِمَامُ الْبُلْغَاءِ ، لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ،
 وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبُو الْمَعَالَى مُحَمَّدُ بْنُ قَاضِي الْقَضَاةِ سَعْدِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْقَزْوِينِي قَاضِي الْقَضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ : أَدَامَ اللَّهُ عِزَّةَ الشَّرْعِ
 الشَّرِيفِ بِأَحْكَامِهِ ، وَتَرْفِيهِ سَيْوْفِ الْجِلَادِ وَأَسْلِهِ بِلِسَانِ جِدَالِهِ وَأَقْلَامِهِ ؛ قَاضٍ
 يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُهْتَرِجِينَ بِرَأْيٍ لَا يَطِيشُ حُلْمَهُ وَلَا يَزِيلُ حُكْمَهُ ، وَيَتَّقِي الشُّبُهَاتِ بَوْرَعِ
 يَتَّبِعُهُ عَمَلُهُ وَيَهْدِيهِ عِلْمُهُ ؛ مَا لَحَظَ جِهَةً إِلَّا حَظَّتْ بِرُكَّةٍ دَائِرَةٌ مُزْنُهَا ، سَارِيَةٍ
 مَنَاجِحُهَا سَارٍ يُمْنُهَا ؛ وَلَا أَقْبَلَ عَلَى بَيْتٍ مِنْ بِيُوتِ اللَّهِ إِلَّا حَقَّ مِنْهُ إِلَى سُبْحَاتِ
 الْجَلَالِ ، وَلَا تَكَلَّمَ فِي وَقْفٍ إِلَّا أَجْرَاهُ فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ عَلَى أَقْوَمِ مِثَالٍ ؛ وَنَحْنُ لِهَذِهِ
 الْمَزَايَا نَرُدُّ إِلَى نَظَرِهِ الْكَرِيمِ مَا أَهْمَّنَا مِنْ عِمَارَةِ مَسْجِدٍ وَجَامِعٍ ، وَتُقَلِّدُهُ مِنْ أَوْقَافِنَا
 مَا يَخْتَلِفُنَا فِيهِ خَيْرًا فَإِنَّ الْأَوْقَافَ وَدَائِعَ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيِّ ، السُّلْطَانِيِّ ، الْمَلِكِيِّ ، النَّاصِرِيِّ -
 لِأَزَالِ يُصِيبُ الصَّوَابَ ، وَلَا يَعْدُو أَوْلِي الْأَبْأَابِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظْرُ الْجَامِعِ
 النَّاصِرِيِّ الْمَعْمُورِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَوْقَافِهِ ، وَالنَّظْرُ عَلَى التَّرْبَةِ
 وَالْمَدْرَسَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ وَأَوْقَافِهِمَا .



ومنها - نظر مشهد الإمام الحسين رضي الله عنه بالقاهرة المحروسة .

وقد تقدم في الكلام على خطط القاهرة في المقالة الثانية أن الصالح طلائع
 ابن رزيك حين قصد نقل رأس الإمام الحسين إلى القاهرة ، بنى لذلك جامعاً

(١) يريد المتخاصمين ولكنا لم نعر على هذا البناء فيما بأيدينا من كتب اللغة .

خارج بابي زويلة^(١)، فبلغ ذلك الخليفة فأفرد لها هذه القاعة من قاعات القصر وأمر بنقلها إليها .

وهذه نسخة توقيع بنظره ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذي جعل مواطن الشرف في أيامنا الزاهرة ، محصورة في أكفائها ، ومشاهد السيادة في دولتنا القاهرة ، مقصورة على من حبته أو امرنا باعتنائها ، وخصته آلاؤنا باصطفائها ، الذي أجرى حسن النظر في مظان الآباء الطاهرة على يد من طلع في أفق العلياء من أبناءها ، وعمر معاهد القربات بتدبير من بدأ بقواعد دينه وأجاد إحكام تشييدها وإتقان بنائها .

نحمده على ما خصت به أيامنا من رفع أقدار ذوى السيادة والشرف ، وأتصف به إنعامنا من مزيد برِّ علم بحسن ظهوره على الأولياء أن الخير في السرف .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يعرف بها من اعترف ، ويشرف قدر من له بالمحافظة عليها شغف ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى طهر الله بضعته الزهراء وبنيتها ، وخصهم بمزية القربى التى نزهه أن يسأل على الهداية أجرا إلا المودة فيها ، صلى الله عليه وعلى آله الذين هم أجدر بالكرم ، وأحق بمجانن الشيم ، ومامنهم إلا من (تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم) ، وعلى آله وأصحابه الذين أنعم الله به عليهم ، وأتبعوه فى ساعة العسرة فمنهم الذين أخرجوا من ديارهم والذين يحبون من هاجر إليهم ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من زينت به مواطن الشرف ، وعُدقت به العناية بخدمة من درج من بيت النبوة وسلف ، ومحرت به مشاهد آثارهم التى هى فى الحقيقة لهم عُرف ،

(١) بكهينة وسفينة . انظر شرح القاموس فى مادة زول .

[ونالت الدولة] من تديره الجميل بعض حظها ، وخصت بقعته المباركة من نظره بما ينوب فى خدمة محله الشريف عن مواقع لحظها ؛ وجعلت به لابن رسول الله من خدمة أبيه معها نصيبا ، وفعلت ذلك إذ خبرت خدمته أجنبيًا علمًا أنها تتضاعف له إذا كان نسيبًا ، وحكمت بما قام عندها مقام الثبوت ، وأمرته أن يبدأ بخدمه أهل البيت [فإن] لازمها لسيها مقدم على البيوت - من طلع شهاب فضله من الشرف السننى فى أكرم أفق ، وأحاطت به أسباب السؤدد من سائر الوجوه إحاطة الطوق بالعنق ؛ وزان الشرف بالسؤدد والعلم بالعمل ، والرياسة باللطف فاخترته المناصب وأخالته به الدول ، وتقدم بنفسه ونفاسه أصله فكان شوط من تقدمه وراء خطوه وهو يمشى على مهل ؛ وأصطفته الدولة القاهرة لنفسها فتمسك من الموالاة بأوثق أسبابها ؛ وأعمدت عليه فى بث نعمها ، وبعث كرمها ، فعرف فى ذلك الأمور من وجهها وأتى البيوت من أبوابها ؛ وحددت وفود أبواننا العالية لحسن سيرته فى إكرامهم السرى ، وأكتفت [حتى] مع ترك الكرامة إليهم ببشاشة وجهه التى هى خير من القرى ؛ وصان البيوت عن الإقواء بتديره الذى هو من مواد الأرزاق ، وزاد الحواصل بتتميره مع كثرة الكلف التى لو حاكمتها الغائم لأمسكت خشية الإنفاق .

ولما كان فلان هو الذى تليت مناقب بيته الطاهر ، وجليت منفاخر أصله الزاهر ، وتجلت بشرف خلاله خلال الشرف التى تركها الأول للآخر ؛ وكان مشهد الإمام السيد الحسين ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام بالقاهرة المحروسة بقعة هى متجع الرحمة ، ومظنة إجابة الأمة ، وروضة من شرفت بانتقاله إليها ، وتربه شهيد الزهراء صلوات الله على أبيها وعليها ؛ وبه الآن [من] رواتب القربات ووظائف العلوم وجهات الخير ما يحتاج إلى اختيار من يجمل النظر فيه ،

وليسلك نهج سلفه في الإعراض عن عرض الدنيا ويقتفيه - رأينا أن نختار لذلك من اخترناه لأنفسنا فكان الكُفء الكريم ، وأختبرناه لمصالحنا فخبّرنا منه الحفيظ العليم ، وأن نُقدم مُهمّ ذلك البيت على مُهمّ بيوتنا فإنّ حقوق آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحقّ بالتعظيم .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازلّت مكارمه بتقريب ذوى القربى جديره ، ومراسميه على إقدار ذوى الرتب على مايجب قديره ، - أن يفوض إليه النظر على مشهد الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام بالقاهرة المحروسة ، على قاعدة من تقدّمه في ذلك ، بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف : لما قدّمناه من أسباب رجّحته لذلك ، وبيناه من أمور أوضحت في اختيارنا له المسالك ، ومن أولى منه بهذه الرتبة التي شهّدت له باستحقاقها مناصبه ومناسبه ، أو أقدّر منه على أمثال هذه الوظيفة وقد أقرت بكاله وكرم خلاله مراتب الباب الشريف ورواتبه .

فليُمنع النظر في مباشرة أوقاف هذه البقعة المباركة مظهرًا ثمرة تفويضها إليه ، مبيّنًا نتيجة تعرّضها له وعرضها عليه ، منبها على سرّ التوفيق فيما وضع أمرنا من مقاليد أمرها في يديه ، مجتهدًا في تمييز أموال الوقف من كل كاتب [حديث] ، موضحًا من شفقة الولد [على] ماُنسب إلى الوالد ما شهّدت به في حقها الأحاديث ، سالكا من خدمة ذلك الشهيد ما يشهد له به غدا عند جدّه ، ناشرا من لواء فضل رفّعه في الحقيقة رفع مجده ، وليلاحظ تلك المصالح بنظره الذي يزيد أموالها تمييرا ، ورباعها تعميرا ، وحوصلها تمييرا وتوفيرا ، وأرج أيها السيد الشريف

(١) بياض بالأصل ولعله "من عنايته به لواء الخ" .

عند الله تعالى بذلك عن كل حسنةٍ عشرًا إن ذلك [كان] على الله يسيرًا . وصن ما بيدك عن شوائب الأدناس : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . وقد خبرنا من سيرتك وسريرتك ما لا نحتاج أن نزداد به خبرًا ، ولا أن نبلوه بعد ماسلف مرةٍ أخرى ؛ ولكن نذكرك بتقوى الله التى أنت بها متّصف ، وبوجودها فىك معروف وبوجودها عليك تعترف ؛ فقدّمها بين يديك ، وأجعلها العمدة فيما اعتمدنا فيه عليك ؛ إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثالثة

(من الوظائف الدينية ما يكتب فى قطع العادة الصغير ، مفتوحا

بـ«رسم بالأمر الشريف»)

وهو لمن كانت رتبته مجلس القاضى ، ورُبما كُتب فيه بالسامى بغيرياء لمن قُصد تعظيمه وهو قليل ، وبه يكتب لأرباب الوظائف الصغار من الخطباء ، والمدرسين ، ونظار الأوقاف ، وغيرهم من لا ينحصر كثرة .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيارستان العتيق الذى رتبته السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» فى بعض قاعات قصر القاطمين ، وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه تُفيد علاء ، وتستخدم أكفاء ، وتُضفى ملابس النعماء على كل على فنكسوه بهجةً وبهاء - أن يستقر فلان فى نظر البيارستان الصلاحيّ بالقاهرة المحروسة ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ، لكفاءته التى أشتهر ذكرها ، وأمانته التى صدق خبرها خبرها ؛ ونزاهته التى أضحى بها

على النفس فغدا بكل ثناء ملياً ، ورياسته التي أحلت قدره أسمى رتبة فلا غرو أن يكون «علياً» .

فليباشر نظر البيارستان المذكور مباشرة يظهر بها انتفاعه ، وتميزها أوضاعه ؛ ويضحى عامر الأرجاء والنواحي ، ويقول لسان حاله عند حسن نظره وجميل تصرفه : الآن كما بدأ صلاحى ؛ وليجعل همته مصروفة إلى ضبط مقبوضه ومصروفه ، ويظهر نهضته المعروفة بشمير ريعه حتى تتضاعف مواد معرفه ؛ ويلاحظ أحوال من فيه ملاحظة تذهب عنهم الباس ، ويراع مصالح حاله في تنميته وتزكيتة حتى لا يزال منه شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ؛ وليتناول المعلوم الشاهد به الديوان المعمور من استقبال تاريخه بعد الخط الشريف أعلاه .

وَأعلم أن من توابع أرباب الوظائف الدينية ما يكتب في هيئة أوراق الطريق ، أو على ظهور القصص ، وقد تقدم .

وهذه نسخة توقيع بالتحدث في وقف :

رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الفلانى - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه - أن يستقر القاضى فلان الدين فلان فى التحدث فى الوقف الفلانى ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به كتاب الوقف . فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه وبمقتضاه ، بعد الخط الشريف ، إن شاء الله تعالى .

الضرب الثالث

(من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية - الوظائف الديوانية)

وهى على طبقتين :

الطبقة الأولى

(أربابُ التقاليد، فى قطع الثلثين ممن يكتب له «الجنابُ العالى»

وفىها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(الوزارة، إذا كان متولياً من أرباب الأقاليم، كما هو الغالب)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية نقلاً عن "مسالك الأَبصار" أن ربها ثانى السلطان لو أنصف وعُرف حقه، إلا أنها لما حدثت عليها النيابة، تأخرت وقعد بها مكانها حتى صار المتحدث فيها كخاطر المال، لا يتعدى الحديث فيه ولا يتسع له فى التصرف مجال، ولا تمتد يده فى الولاية والعزل لتطلع السلطان إلى الإحاطة بجرى الأحوال فى الولاية والعزل. وقد تقدم ذكر ألقابه مستوفاةً فى الكلام على مقدمة الولايات فى الطرف الأول من هذا الفصل، والكلام على طرة تقليده فى الكلام على التقاليد.

وهذه نسخة تقليد بالوزارة، كتبت بها للصاحب «بهاء الدين بن حنا» . من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، وهى :

الحمد لله الذى وهب لهذه الدولة القاهرة من لدنه ولياً، وجعل مكان سرها
وشد أزرها علياً، ورضى لها من لم يزل عند ربه مرضياً .

نَحْمَدُهُ عَلَى لُطْفِهِ الَّذِي أَمْسَى بِنَا حَفِيًّا ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ جَعَلَ دَوْلَتَنَا جَنَّةً أَوْرَثَ تَدْبِيرِهَا مِنْ عِبَادِهِ مَنْ كَانَ تَقِيًّا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نُسَبِّحُ بِهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، وَنُصَلِّي عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَجَعَلَهُ نَبِيًّا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً نَتَّبِعُ بِهَا صِرَاطًا سَوِيًّا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا تَتَعَمَّتُ أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ بِتِلَاوَةِ سُورِهِ ، وَتَتَعَمَّتُ أَفْوَاهُ الْمَحَابِرِ بِالِاسْتِمْدَادِ لِتَسْطِيرِ سِيرِهِ ، وَتَنَاجَتِ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ بِشُكْرِ مَجْمَلِهِ وَمَفْصَلِهِ ، وَتَنَاشَدَتِ الرَّوَاةُ بِحُسْنِ لَسَانِهِ وَتَرْتَمَتِ الْحُدَاةُ بِطَيْبِ غَزَلِهِ ، وَتَهَادَتِ الْأَقَالِمُ نُحْفَ مَعْجَلِهِ وَمَوْجَلِهِ ، وَعَنَتِ وَجُوهُ الْمَهَارِقِ لِعُصُودِ كَلِمَةِ الطَّيِّبِ وَرَفَعُ صَالِحِ عَمَلِهِ - مَا كَانَ فِيهِ شُكْرٌ لِنِعْمَةٍ يَمُنُّهَا عَلَى الدَّوْلَةِ سَعَادَةٌ جُدُودِهَا وَحُظُوظِهَا ، وَإِفَادَةٌ مَصُونِهَا وَمَحْفُوظِهَا ، وَإِرَادَةٌ مَرْمُوقِهَا بِحُسْنِ الْأَسْتِدَاعِ وَمَلْحُوظِهَا ، وَحَمْدٌ لِمُنْحَةِ أَفَائِئِهَا بِرَكَاتٍ أَحْسَنَتْ لِلْمَمْلُوكَةِ الشَّرِيفَةِ مَالًا ، وَقَرَّبَتْ لَهَا مَنَالًا ، وَأَصْلَحَتْ لَهَا أَحْوَالًا ، وَكَارَتْ مَدَدَ الْبَحْرِ فَكَلَّمَا أَجْرَى ذَاكَ مَاءٌ أَجْرَتْ هِيَ مَالًا ، وَإِنْ صَنَّتِ السُّحُبُ أَنْشَأَتْ هِيَ سُحُبًا ، وَإِنْ قِيلَ - بُشَّحَ سَيْحَانَا - : رَوْنَقُ الْأَرْضِ ذَهَبٌ ، عَوَضَتْ عَنْهُ ذَهَبًا ، كَمْ لَهَا فِي الْوُجُودِ مِنْ كَرَمٍ وَكَرَامَةٍ ، وَفِي الْوُجُوهِ مِنْ وَسُومٍ وَوَسَامَةٍ ، كَمْ أَحْيَتْ مُهَجًا ، وَكَمْ جَعَلَتْ لِلدَّوْلَةِ مِنْ أَمْرِهَا مَخْرَجًا ، وَكَمْ وَسَّعَتْ أَمْلًا ، وَكَمْ تَرَكَتْ صَدْرَ الْحَزْنِ سَهْلًا ، وَكَمْ تَرَكَتْ صَدْرَ الْخِزَائِنِ ضَمِيْقًا حَرَجًا ، كَمْ اسْتَخْدَمَتْ جَيْشَ تَهَجُّدٍ فِي بَطْنِ اللَّيْلِ ، وَجَيْشَ جِهَادٍ عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ ، وَكَمْ أَنْفَقَتْ فِي وَاقِفٍ فِي قَلْبٍ بَيْنَ صُفُوفِ الْحُرُوبِ ، وَفِي وَاقِفٍ فِي صُفُوفِ الْمَسَاجِدِ مِنْ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ ، كَمْ سَيَّلَ يَسَّرَتْ ، وَسُعُودٍ كَثُرَتْ ، وَكَمْ مَخَافٍ أَدْبَرَتْ حِينَ دَرَّتْ ، وَكَمْ أَنْارٍ فِي الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ آثَرَتْ وَأَثَرَتْ ، وَكَمْ وَافَتْ وَوَقَّتْ ، وَكَمْ كَفَّتْ وَكَفَّتْ ، وَكَمْ أَعْفَتْ وَعَفَّتْ ، وَكَمْ وَأَثَرَتْ ، وَكَمْ مَوَازِينُ لِلْأَوْلِيَاءِ تَقُلَّتْ وَمَوَازِينُ لِلْأَعْدَاءِ خَفَّتْ ، كَمْ أَجْرَتْ مِنْ وَقُوفٍ ،

وكم عُرِفَتْ بِمَعْرُوفٍ ، كم بيوتِ عِبَادَةٍ صَاحِبُ هَذِهِ الْبَرَكَاتِ هُوَ مَحْرَابُهَا ، وَسَمَاءُ جُودٍ هُوَ سَجَابُهَا وَمَدِينَةُ عِلْمٍ هُوَ بَابُهَا ، تُثْنَى اللَّيَالَى عَلَى تَغْلِيصِهِ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي الْحَنَادِسِ ، وَالْأَيَّامُ عَلَى تَهْجِيرِهِ لِعِبَادَةِ الْفُقَرَاءِ وَحُضُورِ الْجَنَائِزِ وَزِيَارَةِ الْقُبُورِ وَالِدَّوَارِسِ ، يَكْتَنُّ تَحْتَ جَنَاحِ عُدْلِهِ الظَّاعِنُ وَالْمُقِيمُ ، وَتَشْكُرُ مَبَارَهُ يَثْرُبُ وَزَمَنُ مَكَّةَ وَالْحَطِيمِ ، كم عَمَّتْ سُنَنَ تَفْقُدَاتِهِ وَنَوَافِلِهِ ، وَكم مَرَّتْ صَدَقَاتُهُ بِالْوَادِي - فَسَّحَ اللَّهُ فِي مُدَّتِهِ - فَأَنْتَتْ عَلَيْهِ رِمَالُهُ وَبِالنَّادَى فَأَنْتَتْ عَلَيْهِ أَرَامِلُهُ ، مَا زَارَ الشَّامَ إِلَّا أَغْنَاهُ عَنْ مَنَّةِ الْمَطْرِ ، وَلَا صَحِبَ سُلْطَانَهُ فِي سَفَرٍ إِلَّا قَالَ : نِعْمَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ .

وَمَا كَانَ الْمُنْفَرِدُ بِهَذِهِ الْبَرَكَاتِ هُوَ وَاحِدُ الْوُجُودِ ، وَمَنْ لَا يُشَارِكُهُ فِي الْمَزَايَا شَرِيكَ وَإِنَّ اللَّيَالَى بِإِيْجَادِ مِثْلِهِ غَيْرُ وُلُودٍ ، وَهُوَ الَّذِي لَوْلَمْ تُسَمِّهِ قَالَ سَامِعُ هَذِهِ الْمَنَاقِبِ : هَذَا الْمَوْصُوفُ ، عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ مَعْرُوفٌ ، وَهَذَا الْمَمْدُوحُ ، بِأَكْثَرِ مِنْ هَذِهِ الْمَادِحِ وَالْمَحَامِدِ مِنْ رَبِّهِ مَمْدُوحٌ وَمَمْنُوحٌ ، وَهَذَا الْمَنْعُوتُ بِذَلِكَ ، قَدْ نَعْتَهُ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذِهِ النُّعُوتِ الْمَلَائِكِ ، وَإِنَّمَا نَذَكُرُ نَعْوَتَهُ الْبَدَائِدَ ، فَلَا يَعْتَقِدُ خَاطِبٌ وَلَا كَاتِبٌ أَنَّهُ وَفَى جَلَالَتِهِ بَعْضَ حَقِّهَا فَإِنَّهُ أَشْرَفُ مِنْ هَذَا ، وَإِذَا كَانَ وَلَا يَبْدُ لِلْمَادِحِ أَنْ تَجُولَ ، وَلِلْقَلَمِ أَنْ يَقُولَ ، فَتَمَّكَ بَرَكَاتُ الْمَجْلِسِ الْعَالِي ، الصَّاحِبِي ، السَّيِّدِي ، الْوَرَعِي ، الزَّاهِدِي ، الْعَابِدِي ، الْوَالِدِي ، الذُّخْرِي ، الْكَفِيلِي ، الْمُهَيَّبِي ، الْمَشِيدِي ، الْعَوْنِي ، الْقَوَامِي ، النَّظَامِي ، الْأَفْضَلِي ، الْأَشْرَفِي ، الْعَالِمِي ، الْعَادِلِي ، الْبَهَائِي ، سَيِّدِ الْوُزَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، كَهْفِ الْعَابِدِينَ ، مَا جَاءَ الصَّالِحِينَ ، شَرَفِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ ، مَدَبَّرِ الدُّوَلِ ، سَدَادِ الثُّغُورِ ، صِلَاحِ الْمَمَالِكِ ، قُدُوةِ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِ ، يَمِينِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ : أَدَامَ اللَّهُ جَلَالَهُ . مَنْ تَشَرَّفَ الْأَقَالِيمُ بِحِيَاطَةِ قَلَمِهِ الْمُبَارَكِ ، وَالتَّقَالِيدُ بِتَجْدِيدِ تَنْفِيذِهِ الَّذِي لَا يُسَاهِمُ فِيهِ وَلَا يُشَارِكُ ، فَمَا جُدُّ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ بِمَثَابَةِ آيَاتِ

فتردد، أو بمنزلة سجلات في كل حين بها يُحكّم وفيها يُشهد ، حتى نتناقل ثبوتَه الأيام والليالي ، ولا يخلو جيد دولة من أنه يكون الحالى بماله من فاخر اللآلى .

فلذلك نخرج الأمر العالى - لا بَرِح يُكسب بهاء الدين المحمدى أتم الأنوار ، ولا بَرِحَت مراسمه تزهو من قلم منقذه بِنَى الفِقَر وذى الفَقَار - أن يَضَمَّن هذا التقليدُ الشريف بالوزارة التامة ، العامة ، الشاملة ، الكاملة : من المآثر الشريفة الصاحبية ، البهائية ، أحسن التضمين ، وأن يُنشر منها ما يتلقى رايته كل رب سيف وقلم باليمين ؛ وأن يُعلم كافة الناس ومن تضمه طاعة هذه الدولة ومُلْكها وسُلْكها من ملك وأمير ، وكل مدينة ذات منبر وسرير ، وكل من جمعته الأقاليم من نواب سلاطنه ، وذى طاعة مُدعنه ، وأصحاب عقد وحل ، وظعن وحل ، وذى جنود وحشود ، ورافعى أعلام وبنود ، وكل راع ورعيه ، وكل من ينظر في الأمور الشرعية ، وكل صاحب علم وتدريس ، وتهليل وتقديس ، وكل من يدخل في حكم هذه الدولة الغالبة من شُموسها المضيئة ، وبدورها المنيرة وشهبها الثاقبة ، في الممالك المصرية ، والنوبية ، والساحلية ، والكركية ، والشوبكية ، والشامية ، والحلبية ، وما يتداخل بين ذلك ، من ثغور وحصون وممالك - أن القلم المبارك الصاحبي البهائي في جميع هذه الممالك مبسوط ، وأمر تدبيرها به منوط ، ورعاية شفقته لها تحوط ، وله النظر في أحوالها ، وأموالها ، وإليه أمر قوانينها ، ودواوينها ، وكتابها ، وحسابها ، ومراتبها ، ورواتبها ، وتصريفها ، ومصرفها ، وإليه التولية والصرف ، وإلى تقدمه البدل والنعث والتوكيد والعطف ، فهو صاحب الرتبة التي لا يحلها سواه وسوى من هو مرتضيه ، من السادة الوزراء بنيه ، وما سمينا غيره وغيرهم

(١) بالصُّحُوبِيَّةِ فليحذر من يُحَاطِبُ غَيْرَهُ [و] غيرهم بها أو يُسَمِّيهِ ؛ فكما كان والدنا الشهيد رحمه الله يخاطبه بالوالد قد خاطبناه بذلك وخطبناه ، وما عدلنا عن ذلك بل عدلنا لأنه ما ظلم من أشبه أباه ؛ فميزته لأسمائى ولا تُسام ، ومكاتبته لا تُراعى ولا تُرام ؛ فمن قدح فى سيادته من حُسادته زنادَ قَدْحٍ أُحْرِقَ بِشَرِّ شَرِّهِ ، ومن ركب إلى جلالته ، تَبَجَّ سُوءُ أُغْرِقَ فى بَحْرِهِ ، ومن قتل لسعادته ، حبَل كيدٍ فإنما قتله مُبْرِمُهُ لِنَجْرِهِ ؛ فلتزِم الألسنة والأفلام والأقدام فى خدمته أحسن الآداب ، وأيقِل المترددون : حِطَّةً إذا دخلوا الباب ؛ ولا يغترهم فرط تواضعه لدينه وتقواه ، فمن تأدب معه تأدب معناه ومن تأدب معناه تأدب مع الله . وليتل هذا التقليد على رؤوس الأشهاد ، وتُنسخ نُسخته حتى تتناقلها الأمصار والبلاد ؛ فهو حجتنا على من سَمِيناه خصوصاً ومن يدخل فى ذلك بطريق العموم ، فليعملوا فيه بالنص والقياس والاستنباط والمفهوم ؛ والله يزيد المجلس الصاحي الوزيرى البهائي سيد الوزراء من فضله ، ويبيقيه لغاب هذه الدولة يصونه لشبله كما صانه لأسده من قبله ، ويمتغ بنته الصالحة التي يحسن بها - إن شاء الله - نماء الفرع كما حسن نماء أصله ، بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كتبت به للصاحب تاج الدين محمد بن نحر الدين ابن الصاحب بهاء الدين على بن حنا ، فى ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وسمائة ، من إنشاء المولى شهاب الدين محمود الحلبي ، تغمده الله برحمته ، وهى :

(١) فى التعبير بالصحوبية تسامح فى العربية .

الحمد لله مكلّ شرف الوزارة بطلعة تاجها، ومشرف قدرها بمن شرف عليها
 أشعة سعده إشراق الكواكب على أبراجها، ورافع لواء مجدها بمن تلقته بعد الحفاء
 في حلل سرورها وحليّ آياتها؛ وتحلّت بعد العطل من جواهر مفاخره بما تتزيّن
 عقود السعود بأزديواجها، وترقى من انتسابها إلى أئمة بهائه بما يودّ ذهب الأصيل
 لو أمترج بسلوك انتساجها؛ الذي شيد قواعد هذه المرتبة السنينة في أيامنا وجددها،
 وبعث لها على فترة من الأكفاء من حسم الأدواء فكان مسيحها وشرع المعدلة
 فكان محمدًا؛ وردّها بحكم الاستحقاق إلى من لا يختلف في أنه صاحبها، ورجعها
 إلى من خطبته لنفسها بعد أن أحجم لشرف قدرها خاطبها .

نحمده على أن شدّ أزر ملكنا بأكرم وزير، وأمين مشير؛ وأجلّ من يتهمى إلى
 بيت كريم، وحسب صميم، ومن إذا قال لسان ملكنا: ﴿أثوني به أستخلصه
 لنفسى﴾ قالت كفايته: ﴿أجعلني على خزائن الأرض إني حفيظٌ عليم﴾ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نُقرّ بها سرًا وعلنًا، ونُقرّ بها
 هذه العقيلة الجليلة عند من يكسوها مجده رفعةً وسنًا، ويأيس جفن الدهر عنها
 وسنًا؛ ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله المخصوص بكل صاحب شهد الكتاب والسنة
 بفضله، وقام بعضهم بحسن مؤازرته مقام من شدّ الله [به] عضد من سألّه وزيرًا من
 أهله؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تغرب شمسها، ولا يعزب أنسها،
 ولا يتفاوت في المحافظة عليها غدًا وأمسها؛ وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد، فإن أولى من خطبت بحمده الأعلام، وأنتجت به الدولة التي ابتسمت
 بنسيمها تغور الأيام؛ وودت مسكة الليل لو ما زجت أنفاسه، وأمل بياض النهار
 لو أخذ من غير سمة عوض ورق الورق قرطاسه؛ وتحاشدت النجوم لتنتسق في سلك

معانيه وطارت بذكره فى الآفاق أنباء السُّعود، وحكمت الجُدود بأنه فى آقبال
إقباله نهاية الآباء وغاية الجُدود؛ وأفترت به تُغور الممالك عن أحسن الدرِّ النِّضيد،
وسرت بذكره رفاق الآفاق فى كلِّ نادٍ مُنادٍ وفى كلِّ برِّ برِّيد، وأختالت به أعطافُ
الدولة القاهرة فأوت من رأى السِّديد إلى كلِّ ركنٍ شديد، ونطق به العدل والحقُّ
نخرس الظلم وما يُبدئ الباطل وما يُعيد، وجرت به أقدار ذوى الرُّتب على أجمال
مناهجها فأما أهل العدل فيُقرَّبون نجيًّا وأما أهل الظلم فأولئك ينادون من مكانٍ
بعيد، وبدت به وجوه المصالح سافرة بعد الحجاب، بارزة بعد طول الأنتقال إلى
الانتقاب، داخلَّة بوفود المحامد من كلِّ باب، إلا الظلم فإنه بجد الله قد سدَّ ذلك
الباب. وأقرَّ منصبُ الوزارة الشريفة أنا أعدنا به الحقَّ إلى نصابه، ورددناه إلى من
هو أولى به بعد اغتصابه، وألبسناه من بهجة أيامنا تاجاً ردَّ عليه عزاً لا تطمع
يدُ الذهب فى انتزاعه عنه ولا استلابه؛ وتقلَّده لمن يودُّ الفرقد لو عُقد به إكليله،
ويتمنى الطُّرف لو أدرك غاية مجده وإن رجع وهو حسيرُ البصر كليله؛ وتفويضَ
ذلك إلى من كان له وهو فى يد غيره، ومن به وببئته تمهدت قواعده فما كان فيه
من خير فهو من سيرتهم وما كان من شرٍّ فن قبل المَقصَّر من عثارهم فى سيره؛
وما أحدث فيه من ظلم فهو منه براء إذ إنَّم ذلك على من أجتراً عليه، وما أجرى
به من معروف فىلى طريقهم منسوبٌ وإن تلبَّس منه بما لم يُعط من نُسب إليه؛
وما خلا منهم هذا الدسُّ الكريم إلا وهم بالأولوية فى صدره الجلوس، ولا تصدئ
غيرهم لتعاطيه إلا وأقبلت عليه فى أيامه الجُسوم وعلية النفوس.

ولذلك لما كانت هذه الدولة القاهرة مفتحة بالبركات أيامها، ماضية بكفِّ
الظلم ونشر العدل سيوفها وأقلامها، مستهلةً بالأرزاق سحْب فضلها التى لا يُقلع

غمأمها - أقتضت الآراء الشريفة اختيار خير صاحبٍ يُعين على الحق بآرائه، ويحمل
 الدست بهجته ورؤاه، ويجري الأرزاق بوجه لو تأمله أمرؤ ظمئ الجوانح
 لأرتوى من مائه؛ وكان المجلس العالى، الصاحي، الوزيري، التاجي: أدام الله
 تعالى نعمته، ورحم سلفه، هو المخطوب لفضله، والمطلوب لهذا الدست الذي
 تعين له دون الأكفاء وإن لم يكن غير أهله من أهله؛ وما زال يتشوف إليه تشوف
 البروج إلى نجوم السعود، ويتطلع إلى محياه الذي هو كنور الشمس في الدنو وكحلها
 في الصعود؛ وما زالت الأدعية الصالحة ترتفع في أيامه لمالك عصره، والآراء تُقام
 منها جنود لتأبيده وحشود لنصره، والأموال تُحجل منها إلى خزائنه بأشبهه بموج البحر
 في الحضر دون حضره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - ضاعف الله مواهبه العميمة، وكمل جلال دولته
 بتفويض أمورها إلى ذوى الأصول العريقة والبيوت القديمة - أن نُحلي منه هذه
 الرتبة العلية بما حلي به الدين، وتُعقد له رايه فضلها المتين؛ ليتلقاها شرقاً وغرباً،
 وبعداً وقرباً؛ وبراً وبجراً، وشاماً ومِصرًا، ويحلي حلاه علم وعلم، وسيف وقلم؛
 ومنبر وسرير، ومأمور وأمير .

فليتأق أمره بالطاعة كل مؤتمر بأمرنا الشريف، جارٍ في طاعتنا المفروضة بين
 بيان التقليد وعنان التصريف؛ وليبادر إلى تدير أمور الأقاليم بأقلامه المباركة،
 ويمض القواعد على ما تراه آراؤه المنزهة عن المنازعة في الأمر والمشاركة؛ ولينشر كلمة
 العدل التي أمر الله بإضافة الإحسان إليها، ويُميت بدع الظلم فإن الله يشكره على تلك
 الإمامة ويحمده عليها؛ ويسهل رزق الصدقات، ووظائف القربان، فإن ذلك من
 أجل ما قدمته [الطائفة] الصالحة بين يديها؛ وليكثر بذلك جنود الليل فإنها لا تطيش
 سهامها، ويتوق من محاربتها بظلم فإنه لا يداوى بالرقى سمائها، وليعود بتائم التيسير

مواهبنا فإنَّ تمام النعمة تَمَّامُها ، وليطلق قلمه فى البسط والتقبض وليُعد بتدبيره على هذا المنصب الشريف بهجته ، ويتدارك بآرائه ذمَّاه وبدوائه مُهيجته ؛ ويصنُّ عن شوائب الظلم حرمتَه ، ويخلص ذمَّتنا من المآثم وذمَّتَه ؛ وليعلم أنَّ أمور المملكة الشريفة منوطة بآرائه وأحكامه ، مضبوطة بأقواله وأقلامه ؛ فليجعل فكره مرآة تجلُّو عليه صورها ، ويقيم آراءه صحفا تتلو لديه سورها ؛ ويأمر التواب بما يراه من مصالحتنا ليلبوه سامعين ، ويسهر جفنه فى مصالح البلاد والعباد لترقد الرعايا فى مهاد الأمن وا عين ؛ ويعضد الشريعة المطهرة بتنفيذ أحكامها ، وإعلاء أعلامها ؛ وإظهار أنوارها ، وإقامة مرفعه الله من منارها ؛ ولا يعدل فى أمور مباشرتها بالممالك الشريفة عن آرائه ، ولا يمضى فيها عزلا ولا ولاية إلا بعد تتبُّعه الواجب فى ذلك وأستقرائه ، وهو أعلم بما يجب لهذه الرتبة من قواعدٍ إليه يرجع فى أوضاعها ، وعليه يُعول فى اصطلاحها لِانفرادها فيه واجتماعها ؛ فليفعل فى ذلك ما هو عليه بحسن الشناء جدير ، وليعتصم بالله فى أموره فإنه نعم المولى ونعم النصير ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كُتب به للصاحب ضياء الدين بالاستمرار على الوزارة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

الحمد لله الذى شدَّ أزر مُلكنا الشريف ، بمن أضاء فى أفق الدين علمه ، وشيد قواعد عدلنا المُنيف ، بمن أعلت منار الحق آياته فى أحكام الممالك وحلمه ، ووطد أركان دولتنا القاهرة بمن يفعل فى نكاية أعداء الله فعل الحرب العوان سائمه ،

وأجرى الأرزاق في أيامنا الزاهرة على يد من كفت أعلامه كفت الحوادث
فلا عدوان تغشى ظلمه ولا عاد يحشى ظلمه ، وصان ممالك المحروسة بآراء من إن
صرف إلى نكايه أعداء الله حد يراعه لم ينب موقعه ولم يعف كفه ، وإن صرفه
في حماية نعر لم يشتم برقه ولم يدق بالوهم ظلمه ، وإن حنى جانب إقليم عز على
الأيام ثل عروش ما حماه وشمه ، وإن أرهقه لذب عن دين الله راعت عدو الدين
منه بقطته وسله عليه حمله .

نحمده على نعمه التي زانت أسنى مناصب الدنيا في أيامنا الزاهرة بضياء الدين ،
وأعلت أقدار الرتب العليا بتصرفها بآراء من أصبح علمه علما للتقنين وعمله سنا
للمقتدين ، وبخرت ينابيع الأرزاق في دولتنا القاهرة بيد من أغنى بيدنا المعتفين
وقمع بمهابتنا المعتدين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعاد يمينها على سمع المنابر من
نعوتنا ما فقد ، وأطفا إعلانها عن حمايتها لب العناد وقد وقد ، وفوض أعتناؤنا
بمصالح أهلها أمورهم إلى أكل من آتقى لنا التأييد من ذخائر العلماء وأفضل
من انتقد ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أقامنا الله للدب عن أمته ، وجلا
بنور جهادنا لأعدائه عن قلب كل مؤمن ما أظله من غمه وران عليه من غمته ،
وعضدنا من أئمة ملته بمن أردنا مصالح العباد والبلاد في إلقاء كل أمر إليه
بأزمته ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فاز بسبقه ، وحاز بتصديقه
قدم صدقه ، واختصه الله بمؤازرة نبيه دون من آجته من خلقه ، ومنهم من
كان الشيطان يئكب عن طرقة ، ونطق من الصواب بما نزل الذك الحكيم على
وقفه ، وسمى الفاروق لتمييزه بين الحق والباطل وفرقه ، ومنهم من قابل المعتدين

بريقه وقُتِلَ شهيداً على حَقِّه ، وكانت ملائكةُ الرحمن تستحي من خلقه الكريم
 وكرم خُلقه ، ومنهم من طلع [لا] مع نور الإيمان من أفقه ، وكان سيفه من كل مُلحد
 فى دين الله بمثابة قِلادة عنقه ، وطلق الدنيا تورعاً عنها وبيده مفاتيح ما بسط
 الله للأمة من رزقه ، صلاة يقيم الإيمان ، فرضها ، ويملاها الإيقان ، طول البسيطة
 وعرضها ، وتزين كواكب ذكراها ومواكب نصرها سماء الدنيا وأرضها ، وسلم
 تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى من رُقمت لأعطاف فضله حلل الكلام ، ونُظمت لأجساد
 ذكره فرائد المعانى المستخرجة من بحار الفكر على ألسنة الأعلام ، ووُشحت التقاليد
 من مناقبه بما هو أحسن من أنساق الدرارى على هالات البدور ، وجلى على المسامع
 مفاخره بما هو أبهى من النور فى العيون ! وأحلى من الأمن فى القلوب ! وأوقع من
 الشفاء فى الصدور ، وأطلع فى أفق الطروس من أوصافه شمس أسفر بأنواع العلوم
 ضيأؤها ، وأنشئت فى أثناء السطور من نعت ماثره شجب إذا قابلتها وجوه الحيا
 سترها بجمرة البرق حياؤها ، وأودعت المهارق من ذكر خلاله لطفاً يودُّ ذهب الأصيل
 لو ناب عن أنفاسها ، ومنحت صدور المعانى من معاليه طرقات نمتى الرياض العواطر
 لو تَلَقَّتْ عن أنفاسها - من سمّت الوزارة بأستقرارها منه فى معدن الفضائل ،
 وأنسمت منه بالصاحب الذى أعادت أيامه ما فقد من محاسن السير الأوائل ؛
 وأبتسمت من علومه بالعلامة الذى نتفرع من أحكامه أحكام الفروع ونتفجر من
 تواقيعه عيون المسائل ، وأنصفت من معدلته بالمنصف الذى هجر فى أيامه هجر
 الحيف والظلم فالأوقات فى أيامه المباركة كلها أسحار وأصائل ؛ وأبتهجت من إنصافه
 بالعدل الذى سهّل على ذوى المطالب حجاب بابه فلا يحتاج أن يُطرق بالشفاعات
 ولا أن يُستفتح بالوسائل ، وأشرق من مفاخره بالكامل الذى حسنت به حلل

الثناء فكأنها آبتسامُ تُغور النور في أثناء الجمائل ، فالعدل في أيامه كالإحسان شامل ، والمعروف بأقلامه كالشجوب المتكفلة برى الأرض الهاميل ، والظلم والإنصاف مفترقان منه بين العدم والوجود فلا يرى بهذا أمرا ولا يردُّ عن هذا أمل ؛ قد أعطى دستَ الوزارة الشريفة حقه : فالأقدار بآياته مرفوعة ، والمضارُّ بمعدلاته مدفوعة ، وكلمة المظلوم بإنصاف إنصاته مسموعة ، وأسباب الخيرات بحسن نيته لينته الحسنه مجموعه ؛ والأقاليم بكلاءة أقلامه محوطة ، وأحوال المملكة بآرائه المشتملة على مصالحها منوطة ؛ والثغور بحسن تفقده مفترة المباسم ، مصونة بإزاحة الأعدار عن سرِّ الرياح النواسم ، أهلة النواحي بموالاتة الحمول التي لا تزال عيسها بإدامة السرى دامية المناسم ؛ والبلاد بما نشرت أقلامه من العدل معموره ، والرعايا بما بسطت [يد] إحسانه من الإحسان معموره ، وأرباب التصرف بما تقتضيه أقلامه عن الحيف منيئة وبالرفق مأموره ، والأيدى بالأدعية الصالحة لأيامنا الزاهرة مرتفعه ، والرعيئة لتقلبها في مهاد الأمن والدعة بالعيش متفعه ؛ وبيوت الأموال أهلة ، على كثرة الإنفاق ، والغلال متواصلة ، مع التوفر على عمارة البلاد ، والحول متواليه مع أمن من صدرت عنهم على ما في أيديهم من الطواريف والتلاد ؛ والأمور بالتيقظ لها على سعة الممالك مضبوطة ، والنفوس بالأمن على ما هي عليه من التملئ بالنعم مغبوطة ؛ والمناصب مصونة بأكفائها ، والمراتب أهلة بالأعيان الذين تنبته لهم في أيامه عيون الحظ بعد إغفائها ؛ ومجالس المعدلة حالية ، بأحكام سيرته المنصفه ، ومواطن العلم عالية ، بما يملئ فيها من فوائده التي أتعب ألسنة الأقالام ما فيها من صفه .

ولما كان الجنبُ العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الضيائى ، وزير الممالك الشريفة ، هو الذى كرمت به مناسبها ، وعظمت بالانتماء إليه مناصبها ، وتحلَّت

بِعَلْمِهِ مِعَاطِفُهَا ، وَنَزَلَتْ عَلَى حُكْمِ حِلْمِهِ عَوَارِيفُ رِبَّهَا الْعَمِيمَةِ وَعَوَاطِفُهَا ؛ وَزَهَتْ
بِجَوَاهِرِ فِضَائِلِهِ أَجْيَادُهَا ، وَأَسْتَوَتْ فِي مَلَابِسِ حُلِّ الْمَسْرَةِ بِهِ أَيَّامُهَا الزَّاهِيَةُ
وَأَعْيَادُهَا ؛ وَأَنَارَتْ بِمَعْدَلْتِهِ لِيَالِيهَا ، وَأَشْرَقَتْ بِالْإِتِّظَامِ فِي سِيخَابِ^(١) إِبَالَتِهِ لِأَلِيهَا ؛
فَكَمَّ مِنْ أَقَالِيمِ صَانِ قَلَمِهِ أَمْوَالَهَا ، وَمِمَّا لَكَ حَلَى عُدْلِهِ أَحْوَالَهَا ، وَبِلَادِ أَعَانَ تَدْيِيرَهُ
السُّحْبِ عَلَى رِيَّيَا ، وَأَعْمَالِ أَبَانَ عَنْ أَسْتِغْنَائِهَا بِتَأْيِيرِهِ عَنْ مِنَّةِ الْحَيَا حَسَنُ مَسْمُوعِهَا
وَمَرْئِيَّيَا ؛ وَأَرْزَاقِ أَدْرَهَا ، وَرِزْقِ أَجْرَاهَا عَلَى قَوَاعِدِ الْإِحْسَانِ وَأَقْرَبَهَا ؛ وَجِهَاتِ يَرْ
أَعَانَ وَأَفِيهَا عَلَيْهَا ، وَأَسْبَابِ خَيْرٍ جَعَلَ أَيَّامَنَا بِإِدَامَةِ فَتَحِهَا السَّابِقَةَ إِلَيْهَا ؛ وَقَدَّمَ
سِعَايَةَ أَزَالِهَا وَأَرْطَهَا ، وَكَلِمَةَ حَادِثَةِ أَذَالِهَا وَأَذَلَّهَا ؛ وَوُجُوهَ مَضْرَّةٍ رَدَّهَا بِيَدِ الْمَعْدَلَةِ
وَصَدَّهَا ، وَأَبْوَابِ ظُلْمٍ لَا طَاقَةَ لِلرَّعِيَّةِ بِسُلُوكِهَا أَغْلَقَهَا بِمَعْنَى يَمْنِهِ وَسَدَّهَا ؛ فَدَأَّبَهُ أَنْ
يُسَدِّدَ إِلَى مَقَاتِلِ الْعِدَا بِاتِّخَاذِ الْبَيْدِ عِنْدَ الْفُقَرَاءِ سِهَامَ اللَّيْلِ الَّتِي لَا تَصُدُّهَا الدُّرُوعُ ،
وَأَنْ يَجِدَّدَ لِأَوْلِيَانَا مِنْ عَوَارِيفِ آلائِنَا أَخْلَافَ يَرْ تَرَوَى الْآمَالَ وَهِيَ حَافِلَةُ الضَّرْعِ -
أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُزَيِّنَ بِجِدِّهِ غُرَّرَ التَّقَالِيدِ ، وَنَجِدِّدَ إِلَيْهِ فِي أُمُورِ وَزَارَتِنَا
الشَّرِيفَةَ إِقْلَاءَ الْمَقَالِيدِ ؛ وَأَنْ نُوشِي الطَّرُوسَ مِنْ أَوْصَافِهِ بِمَا يَجِدَّدُ عَلَى أَعْطَافِهَا
الْحَبْرَ ، وَنَزِدِّدَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَقَالِيمِ مِنْ نُعُوتِهِ مَا لَا تَمَلُّ الْمَسَامِعُ إِيرَادَ الْخَبْرِ مِنْهُ بَعْدَ الْخَبْرِ .
فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلُويِّ ، السُّلْطَانِيِّ ، الْمَلِكِيِّ ، الْفَلَانِيِّ -
لِأَزَالِ الدِّينِ فِي أَيَّامِهِ الشَّرِيفَةِ مُشْرِقًا ضِيَاؤُهُ ، آهَلَةً بِاعْتِلَانِهِ هُرَابِعُ الْوُجُودِ وَأَحْيَاؤُهُ ،
مَمْدُودَةً عَلَى الْأُمَّةِ ظِلَالُهُ الْوَارِفَةُ وَأَفْيَاؤُهُ - أَنْ يُجِدِّدَ هَذَا التَّقْلِيدَ بِاسْتِقْرَارِهِ تَجْدِيدًا
لَا يُبِيلِي الدَّهْرُ حِلَّةً ، وَلَا تَقْوُضُ الْأَيَّامُ حِلَّةً^(٢) ؛ بَلْ يُشْرِقُ فِي أَفْقِ الْمَمَالِكِ إِشْرَاقَ

(١) السخاب بكسر السين المهملة وبالخاء المعجمة قلادة من مسك وقرنفل ومخيط بلا جوهر

جمعه ككتب .

(٢) جمع حلة بالكسر بمعنى البيوت وهي مائة فما فوقها انظر المصباح .

النجوم الثواب ، ويتفرع في مصالح الملك تفرع الأفتان الناشئة في الأصول الثواب ،
وتختال به مناصب الدولة القاهرة في أسنى ملائسها ، وتضىء به مواطن العلوم إضاءة
صباحة المصباح في يد قابسها ، وتسترع لنا به الأدعية الصالحة من كل لسان ،
وتجتلي به لأيماننا الزاهرة من كل أفق وجوه الشكر الحسان .

فلتجر أفلامه في مصالح دولتنا الشريفة على أفضل عادتيا ، ويرسلها في نشر العدل
على سجيئتها وفي إجراء الجود على جادتها ، ويكف بها أكتف الحوادث فإنما تزال
أسباب الظلم بحسب مادتها ، ولينطقها في مصالح الأموال بما تظلل له مسامح الحمول
مضعيه ، ويطلقها في عمارة البلاد بما تغدوله ألسنة الخصب حافظه ولما عداه
مئنيه ، وكذلك الخزان التي هي معاقل الإسلام وحصونه ، وحماء الذي لا يتبدل
بغير أمرنا الشريف في مصالح الملك والملة مضمونه ، فليجعلها بتدييره كالبحار
التي لا تنقص بكثرة الورد جمامها ، ولا تنزحها السحب لكثرة ما تحمى الى الأفق
عمامها ، ولتكن كلمة العدل من أهم ما تفتح به مجالسه ، وآكد ما يؤمر به محاضره
من الأولياء ومجالسه ، وأزكى ما يستجيد [به] لاستثمار الدعاء الصالح مغارسه ،
وأوثق ما يحوط به حمى الملك الذي إذ اغفا جفن عينه كان حارسه . وأول ما ينبغى
أن ينافس عليه حاضر دسسته وغائبه ، وأولى ما يعد على إهماله نكاله ويعدد على
إقامته رغائبه .

وليلاحظ من مصالح كل إقليم ما كأنه ينظر إليه بعين قلبه ، ويمثل صورته
في مرآة لبيه ، فيقر كل أمر على ما يراه من سداده ، ويقرر حال كل ثغر على
ما يحصل به المراد في سداده ، فيغدو لأعداره بموالاتة الحمول إليه مزيجا ، ويمسى
بسند خلله لخواطر أهل الكفر متعباً ولخواطرننا الشريفة مزيجا ، وينظر في أحوال

من به من الجُند والرجال بما يؤكّد الطاعة عليهم ، ويجدّد الاستطاعة لديهم ؛
ويُزيل أعدّارهم وأعدّارهم [بوصول حقوقهم اليهم ، ويوفّرهم على إعداد الأهبة
للأعداء] ^(١) إذا أتوهم من فورهم ، ويكفّهم بإدراك الأرزاق عليهم عن اعتدائهم
على الرعايا وجورهم ؛ ويتفقّد من أحوال مباحريها وولاية الحكم والتحكّم فيها
ما يعلمون به أنه مناقشهم على الأمور اليسيره ، والطفوات التي يرونها قليلة وهى
بالنسبة إلى كثرة الرعايا كثيره ؛ ويتعاهد أمور الرتب الدينية فلا تؤخذ مناصبها
بالمُناسب ، ولا تغدو أوقافها المَعْدّة لآكتساب العلوم فى المكاسب ؛ بل يتعين أن
يرتاد لها العلماء الأعيان حيث حلّوا ، ويُقرّر فى رتبها الأئمة الأَكفاء وإلا آتخذ
الناس رؤوساً جهّالاً فضّلوا وأضلّوا . ولكن أقلامه على كلّ ما جرت به العوائد
فى ذلك محتويه ، وأيامه على أكمل القواعد فى ذلك وغيره منظويه ، فما ثمّ شىء من
قواعد الوزارة الشريفة خارج عن حكمه فليكتب يمثّل ، وليقلّ فى مصالح دولتنا
القاهرة يكنّ قوله أمضى من الظبّا وأسرى من الصبّا وأسير من المثل ؛ فلا تُمضى
فى ذلك ولايةٌ ولا عزل ، ولا منع ولا بدل ، ولا عقد [ولا] حل ؛ إلا وهو معدوق
بآرائه ، متوقّف على تنفيذ وإمضائه ؛ متلقّ ما يقتر فيه من تلقائه ، وفى الأكتفاء
يسيرته ما يغنى عن إطرائه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة :

الحمد لله الذى شدّ لدولتنا القاهرة باصطفاء أشرف الوزراء أوزرا ، وخصّ أيامنا
الزاهرة باجتماع من حماها عدله أن تَضَع أو تحلّ وزرا ، وأفاض إنامانا على من طلع

(١) الزيادة من التقليد الآتى بعد .

في أُنق خدمتنا هلالاً وأستقلّ بحسن السَّير والسَّيرة بَدْرًا ، وضاعف إحساننا لمن [لا]
 نرفعه إلى رتبة شرف إلا وكان أجلّ الأَكفاء على ذلك قُدرةً وقَدْرًا ، وجمل مُلكنا
 بمن إذا افتخرت الدول ببعض مناقبه كفاها ذلك جلالاً ونُفْرًا ، وإذا أدخرت تديره
 وبذلت ما عداه فحسبها ما أبقته وقايةً للملك وذُنْرا ، وبسط عدلنا في الأقاليم بيد
 من حين أمرنا القلم بتقليده ذلك سجد في الطرس شكرًا ، وأفتتح بحمد الله يذكّر النعمة
 به على آلائه إنَّ في ذلك لَدِكْرِي ، وأخذ في وصف دُررٍ مفاخره التي تمتت له
 فنضدها دون أن يستدعي رويةً أو يُعمل فكرًا .

نحمده حمد من والى إلى أوليائه ، موادَّ النعم ، وأضفى على أصفياه ، ملايس
 الكرم ، وحفظ لمن أخلص في طاعته معارف معروفه التي هي في أهل النهى ذم ،
 ونبه لمصالح رعاياه من عمّ عدله وإن لم يغف عن ملاحظة أمورهم ولم ينم .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً نُعلِنها ونُعلِيها ، ونُرخص أرواح
 جاحديها ونُغليها ، ونُوالى النعم على المتمسك بها ونُووليها ، ونقرّب بِمِنها رُتب الأولياء
 من إحساننا ونُدنيها ، ونجدد لهم بتأييدها ملايس المين نُظهِر عليهم آثار النعم السنية
 فيها ، ونرفعهم بحسن عنايتنا إلى أشرف غاية كانوا يُسرُّون أهليتهم لها والله بيديها ،
 ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أقامنا لنصر دينه فقمنا به كما أمر ، وأبق على
 أيامنا حكم أيامه فاستمر الحال على ما سبقت به دعوته من تأييد الدين بعمر ، وخصنا
 من ينتمى إلى أصحابه بأجل صاحب ينوب عن شمس عدلنا في محور ظلمة الظلم مناب
 القمر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الزهر الغر ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

وبعد ، فإن أولى من آخبرت جواهر الكلام لرصف مفاخره ، وأختبت غرر
 المعاني لوصف آثاره في مصالح الإسلام وما أثره ، وقامت خطباء الأقاليم على مناو

الأندال بشيرةً بَيْنَ أَيَّامِهِ ، وَتَطَلَّعَتْ مُقَلَّ الكواكب مشيرةً إلى ما أقبل على الأقاليم من إقباله وسَّخَتْ سَحْبُ أَقْلَامِهِ ؛ وَتَبَرَّجَتْ زُهْرُ النجوم لِيَتَّظِمَ فِي عَقُودِ مَنْاقِبِهِ سَعُودُهَا ، وَتَارَّجَتْ أَرْجَاءُ المَهَارِقِ إِذْ تَبَاجَّجَ مِنْ لَيْلٍ عَنِ بَحْرِ عَمُودِهَا ؛ وَسَارَتْ بِهِ أَنْبَاءُ السُّعُودِ وَالتَّيْمِ النَّاطِقِ بِذُرِّهِ وَهُوَ المَخْلَقُ المِيعُونُ طَائِرِهِ ، وَالتَّطَرِّسُ المَوْشَعُ بِسُكْرِهِ وَهُوَ المَخْلَقُ الذِّى تَمَلَّأَ الدُّنْيَا بِبَشَائِرِهِ - مِنْ اسْتِخْلَاصَتِهِ الدُّوْلَةَ القَاهِرَةَ لِنَفْسِهَا فَتَمَلَّأَهَا عَيْنًا وَسُرِّيًّا قَلْبًا ، وَأَخْتَصَّتْهُ بِخَوَاصِمِهَا الشَّرِيفَةَ فَرَحَّبَ بِهَا صَدْرًا وَبَلَّأَهَا لُبًّا ، وَكَافَ بِمُؤَازَرَتِهَا - إِنَّمَا حَقَّى قِيلَ : هَذِهِ ﴿ تَرَاوَدُ فِتْنَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَفَفَهَا حُبًّا ﴾ ؛ وَأَحْلَتْهُ مِنْ وَزَارَتِهَا الشَّرِيفَةَ بِالمَكَانِ الأَسْنَى وَالحَرَمِ الحَرِيزِ ، وَأَثْنَتْ عَلَى فَضْلِهِ الأَسْمَى بِلسَانِ الكَرَمِ البَسيطِ الوَجِيزِ ، وَاعْتَمَدَتْ فِي أُمُورِ رَعَايَاهَا عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عَدْلٍ وَوَرَعٍ لا يُنْكَرُ وَجُودُهُمَا مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ ؛ وَأَدْنَتْهُ عَيْنَانَا مَنَّا لَمَّا فِيهِ مِنْ فَضْلِ عَمِيمٍ ، وَحَسَبِ صَمِيمٍ ، وَنَسَبِ حَدِيثٍ مَجْدِهِ قَدِيمٍ ، وَأَصَالَةِ إِذَا أَنْتَخَرَتْ يَوْمًا تَمِيمٌ بِقَوْمِهَا قَالَتْ أَيْنَ تَمِيمُكَ مِنْ جَدِّهِ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمِيمٌ ؛ وَغَرَسْتَهُ لِنَفْسِهَا وَطَالَ ذَلِكَ الغَرَسُ وَطَابَ الثَّمَرُ ، وَاعْتَضَدَتْ بِتَدْيِيرِهِ فَكَانَ لَهُ عِنْدَ أَطْرَافِ العَوَالِي فِي مَكَانِهِ الأَعَزِّ أَظْرَفَ سَمَرٍ ، وَوَثِقَتْ بِمَا فِيهِ مِنْ عَدْلٍ وَمَعْرِفَةٍ لا يُنْكَرُ مِنْ نَحْوِ الصَّوَابِ أَجْتَمَعَتَهُمَا فِي عُمَرَ ؛ وَأَشْتَقَّتْ لَهُ بِإِحْسَانِنَا مِنْ نَسَبَتِهِ وَصَفَا جَمِيلًا وَنَعْتَا جَمِيلًا ، وَخَصَّتْهُ لِمَزِيَّةِ ذَلِكَ الأَشْتِاقِ بِمَزِيدٍ قُرِينَا فَأَمْسَى فِي خِدْمَتِنَا جَمِيلًا وَأَصْبَحَ خَلِيلًا ؛ وَرَعَتْ لَهُ مَا قَدَّمَ مِنْ تَدْيِيرِ أُنَى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، وَسَدَادٍ ظَهَرَتْ مَزِيَّةُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ عَلَى أَمْسِيهِ ؛ وَسَعَى جَمِيلٌ مَآبِرِحٍ فِي مَصَالِحِ الإِسْلَامِ رَأْمًا وَغَادِيَا ، وَاجْتِمَادٍ فِي أُمُورِ أَدْلِ الجِهَادِ مَآبِرِحٍ يَدَّابُ فِيهِ عَلَمًا بِمَا أَعَدَّ اللهُ لِمَنْ جَهَّزَ غَازِيَا ؛ وَدَانَ لَهُ مِنْ حُسْنِ مَلاحِظَتِهِ الأُمُورَ مَا لَيْسَ لِلوَصْفِ بِهِ مِنْ

قَبَلْ ، وتَأَمَّلْتْ مَا يُكشَفُ لَهُ عَلَى البُعْدِ مِنَ المَصَالِحِ التِي يَأْمُرُ بِالصَّوَابِ فِيهَا وَكَيْفِ
لَا وَعُمَرُ الَّذِي شَاهَدَ السَّرِيَّةَ عَلَى البُعْدِ مِنْ سَارِيَةِ الجَبَلِ ؛ وَأَيَقِنْتُ بِبَسْطِ العَدْلِ
فِي الرِّعَايَا إِذْ هُوَ مُؤْتَمِرٌ وَالعَادِلُ أَمْرٌ ، وَتَحَقَّقْتُ عِمَارَةَ البِلَادِ عَلَى يَدَيْهِ لِأَنَّ عُمَرَ بِحُكْمِ
العَدْلِ عِنْدَ الحَقِيقَةِ عَامِرٌ .

ولذلك لما كان المجلس العالى الفخرى - ضاعف الله نعمته - هو الذى قرَّبته
طاعتنا نجيًّا ، ورفَعته ولائنا مكانًا عليًّا ، وحقَّق له آجتهادُه فى مصالح الإسلام الأمل
من رِضانا وكان عند ربه مَرْضِيًّا ، وأخلص فى خدمة دولتنا الشريفة فأَخَذته
لِخَاصِّ الأُمُورِ وَعَامَّتِهَا صَفِيًّا ، وَأَظْهَرَ مَا بَطَّنَ مِنْ جَمِيلِ اجْتِهَادِهِ بِجَعْلِهِ لِمَصَالِحِ المُلْكِ
وَزَيْرِا وَصَاحِبِيًّا وَوَلِيًّا ؛ وَأَنْجِزَتْ مِنْهُ لَتَدْيِيرِ أُمُورِ المَمَالِكِ بِمَا كَانَ الزَّمَنُ بِهِ مَا طِلا ،
وَأَجْرَتْ عَلَى يَدَيْهِ التِي هِيَ مِلِيَّةٌ بِتَصْرِيفِ الأَرْزَاقِ مَا لَا يَبْرَحُ غَمَامُهُ هَاطِلًا ، وَقَدَّتَهُ
رِعَايَةَ الأُمُورِ وَأُمُورَ الرِعَايَا عِلْمًا أَنَّهُ لَا يَتْرِكُ لِلَّهِ حَقًّا وَلَا يَأْخُذُ بِاطِلَا ، وَقَدَّتْ جِيْدَهُ
بِأَسْنَى حَلِيٍّ هَذِهِ الرِتْبَةَ الجَلِيلَةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا بِحُكْمِ قُرْبِهِ مِنْ عَاطِلَا ، وَرَفَعَتْ لَهُ
لِوَاءَ عَدْلِ مَا زَالَ لَهُ بِالمُنَى فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ حَامِلًا ، وَكَلَّمْتُ لَهُ بِبَلُوغِ الغَايَةِ مِنْ أَفْقِ
العُلُوفَةِ قَدْرَهُ وَمَا زَالَ المُوَهَّلُ لِلِكَمَالِ بِاعْتِبَارِ مَا يَسُوْلُ إِلَيْهِ كَامِلًا ، وَنَوَّهْتُ بِذِكْرِهِ
وَمَا كَانَ لظُهُورِ تَحَايِلِ هَذَا المَنْصِبِ الجَلِيلِ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ خَامِلَا ، وَنَظَرْتُ الرِعَايَا
فَمَا عَدَلْتُ بِهِمْ عَنْ بَرِّ رَفِيقٍ ، وَصَاحِبِ شَفِيقٍ ، وَوزِيرِ عُحْمَرَى السَّيْرَةِ مَاسِلِكَ طَرِيقَا
إِلَّا وَعَدَلْتُ شَيْطَانُ الظُّلْمِ عَنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ ؛ وَكَانَ هَذَا المَنْصِبُ الجَلِيلُ غَايَةَ مَدَارِ
المَمَالِكِ عَلَيْهَا ، وَقِبَلَةَ تَوَجُّهِ وَجْهِ أَهْلِ الطَّاعَةِ فِيمَا يُفَاضُ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَتِنَا إِلَيْهَا ؛
وَهُوَ الَّذِي يَتَدَرَّعُ صَاحِبُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ لِبُوسَا ، وَيَعَالِجُ مِنْ أَدْوَاءِ المَهَامِّ مَا بَغِيرَ
عِزَامِهِ لِأَيُّوسَى ، وَيَتَرَدَّدُ فِي المَخَالِصَةِ وَالمُنَاصِحَةِ مِنْ مَالِكِ أَمْرِهِ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ
مِنْ مُوسَى - اقْتَضَتْ آرَؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَقُوضَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ نَهَضَ فِي طَاعَتِنَا

الشريفة بما يوجب ، وعلمنا تحرزه لدينه ولنا فيما يأتى ويحتب ؛ ومن تزايد به مع نغره أيا من الشريفة نغرا ، ويصبح له مع ماله من الجلالة فى نفسه رتب جلاله أخرى .

ولهذا رسم بالأمر الشريف العالى المولى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى : -
لا زال يصرف الأقدار بيمين أيامه ، ويشرف الأقدار بيره وإنعامه ، ويذكر على الأولياء وأهل جوده الذى تحجل الديم من دوامه - أن تفوض إليه الوزارة الشريفة الكاملة على جميع الممالك الإسلامية : شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، وبرأ وبحرا ، وشاما ومضرا ، على أجمال القواعد فى ذلك وأكملها ، وأسنى الفوائد وأفضلها ، وأتم الأحوال التى يستغنى بجمالها عن مفصلها .

فيعط هذه الرتبة من جلالته حظا كانت من إبطائه على وجل ، ويحار الغائم بوابل إنعامنا الذى يعلم به أن حمرة البرق فى أثنائه نجمل ؛ ويطلق قلمه فى مصالح الدولة القاهرة بسطا وقبضا ، وإراما ونقضا ، وتديرا يعين النيل والغمام على تتبع المحل ما وجد كل منهما أرضا ، ويعمل آراءه المباركة تديرا للمناجح وتديرا ، وتقريرا للقواعد وتقريبا ، ونظرا يجعل لكل عمل من ملاحظته نصيبا ، وفكرا يحاسب به على حقوق الله وحقوق خلقه فإن الله هو المناقش على ذلك (وكفى بالله حسيبا) .

ويبدأ بالعدل الذى رسم الله به وبالإحسان فى ملكنا الشريف ، ويخفف - مع الجمع بين المصالح - عن خلق الله الوطأة فإن الإنسان ضعيف ، وينجز لأولياء دولتنا مواد الرزاق فإن سيف المنع الذى نحاشى أيا من عن تجريده أقل نكايه من التسوية ، ويمنع الولاة من ظلم الرعايا باعتبار أحوالهم دون أحوالهم فإن منهم من يدعى العدل ويجوز ويظهر الرفق ويحيف ؛ وليتبع أدواء المحل تتبع طبيب خبير .

وَيُصَرِّفُ الْأُمُورَ بِجَمِيلِ تَدْبِيرِهِ فَإِنَّ الْبَرَكَةَ مَعْدُوقَةٌ بِحُسْنِ التَّدْبِيرِ ؛ وَيَسْتَقْبِلُ رَى الْبِلَادِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - بِسَدَادِ حَزْمٍ يُعْتَفَرُ بِهِ هَذَا الْقَلِيلُ لِذَلِكَ الْكَثِيرِ ، وَيَسْتَخْلِفُ بِالرَّفْقِ وَالْعَدْلِ أَوْعَافَ مَافَاتٍ فِي أَمْسِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . وَلِيَتَمَّ بَيُوتِ الْأَمْوَالِ فَيُؤَالِي إِتْيَانَ الْحُمُولِ إِلَيْهَا مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَيَضَاعِفُ بِهَا الْحَوَاصِلَ الَّتِي لَا يُطَّلَعُ بِغَيْرِ حُسْنِ التَّدْبِيرِ عَلَى أَسْبَابِهَا ، فَإِنَّهَا مَعَادِنُ الذَّخَائِرِ وَمَوَارِدُ الرِّجَالِ ، وَإِذَا أَعَدَّ مِنْهَا جِبَالًا شَوَاحِجَ تَلَا إِفْتِاقِنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ .

وَكَذَلِكَ الْخِزَانُ الَّتِي هِيَ مَعَاقِلُ الْإِسْلَامِ وَحُصُونُهُ ، وَحِمَاهُ الَّذِي لَا يُتَبَدَّلُ بِغَيْرِ أَمْرِنَا الشَّرِيفِ فِي مَصَالِحِ الْمَلِكِ وَالْمِلَّةِ مَصُونُهُ ، فَيَجْعَلُهَا بِتَدْبِيرِهِ الْجَمِيلِ كَالْبِحَارِ الَّتِي لَا تَنْقُصُ بِكَثْرَةِ الْوَرَادِ جَمَامُهَا ، وَلَا تَنْزَحُهَا السُّحْبُ عَلَى كَثْرَةِ مَا تَحْمِلُ إِلَى الْآفَاقِ غَمَامُهَا ، وَيُصَلِّحُ كُلَّ مَصَالِحِ كُلِّ إِقْلِيمٍ بِمَا تُثَمِّلُهُ لَهُ عَلَى الْبُعْدِ أَفْكَارُهُ ، وَيَأْمُرُ فِي أَحْوَالٍ مِنْ بَهْ مِنْ الْجَنْدِ بِمَا يُؤَكِّدُ الطَّاعَةَ عَلَيْهِمْ ، وَيَجِدُّدُ الْأَسْتَطَاعَةَ لَدَيْهِمْ ، وَيُزِيحُ أَعْدَاءَهُمْ وَأَعْتِدَارَهُمْ بِوُضُوحِ حُقُوقِهِمْ إِلَيْهِمْ ؛ وَيُوفِّرُهُمْ عَلَى إِعْدَادِ الْأَهْبَةِ لِلْأَعْدَاءِ إِذَا أَتَوْهُمْ مِنْ فُورِهِمْ ، وَيَكْفُهُمْ بِإِدْرَارِ الْأَرْزَاقِ عَلَيْهِمْ عَنْ أَعْتِدَائِهِمْ عَلَى الرِّعَايَا وَجُورِهِمْ ؛ وَيَجْعَلُ ثَغُورَ كُلِّ جَانِبٍ - بِتَيْسِيرِ مُحْصُولِهَا ، وَتَثْمِيرِ ذَخَائِرِهَا الَّتِي هِيَ مِنْ مَوَارِدِ رِجَالِهَا - مُصَفَّحَةً بِالصَّفَاحِ ، مُشْرِقَةً بِأَسِنَّةِ الرَّمَّاحِ ، مَسْدُودَةً مِنْ جِهَةِ الْعَدُوِّ عَنْهَا مَسَالِكُ الرِّيَاحِ ؛ وَيَنْفَقُّدُ مِنْ أَحْوَالِ مَبَاشِرِيهِ ، وَوَلَاةِ الْحُكْمِ وَالتَّحَكُّمِ فِيهِ ؛ مَا يَعْلَمُونَ بِهِ أَنَّهُ مَنَاقِشُهُمْ عَلَى الْأُمُورِ الْيَسِيرَةِ ، وَالْهَفْوَاتِ الَّتِي يَرَوْنَهَا قَلِيلَةً وَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَثْرَةِ الرِّعَايَا كَثِيرَةٌ ، وَالْأَحْوَالِ الَّتِي إِذَا عَدَّهَا الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ قَالُوا : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ ، وَيَتَعَاهَدُ أُمُورَ الرُّتْبِ الدِّينِيَّةِ فَلَا تُوَخِّدُ مَنَاصِبَهَا بِالْمُنَاسَبِ ، وَلَا تُعَدُّ رِزْقُهَا الْمَعْدَّةَ لِأَكْتِسَابِ الْعِلْمِ فِي الْمَكْاسِبِ ؛ بَلْ يَتَعَيَّنُ أَنْ يَرْتَادَ

لذلك العلماء الأعلام حيث حلوا ، ويقرر في مراتبها الأكفاء وإلا آتخذ الناس رؤوساً جهلاً فضلاً وأضلوا ؛ وقد جعلنا [أمره] في ذلك جميعه من أمرنا ، فليقل يمتثل ، وينشر كلمة عدلنا التي يسير بطريقتها المثلى المثل ؛ ولا تُمضى ولاية ولا عزل ، ولا منع ولا بدل ، ولا عقد ولا حل ؛ الا وهو معدوق بأرائه ، متلق من تلقائه ، متوقف على تنفيذه وإمضائه ؛ وقد أختصرنا الوصايا ، آكتفاء بما فيه من حسن الشيم ، وأقتصرنا على ذكر بعض المزاي ، إذ مثله لا يدل على صواب ولا يزداد مافيه من كرم ؛ لكن تقوى الله أولى ما دكر به من لم يزل لربه ذاكراً ، وأحق ما شكر على التوفيق من لم يبرح له به شاكراً ؛ والله يزيد قدره اعتلاء ، ويضاعف للدولة الشريفة احتفالاً بشكره واعتناء .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة .

الحمد لله الذى شد أزرك من الوزراء بالمكين الأمين ، وأشرك فى أمر ملكه من هو على صلاح الجمهور خير معين ؛ وألقى مقاليد حسن تدبيره لمن دلت عليه بركة الإستخاره ، وصوب أمر دقيقه وجليله لمن هو لجليل الثناء المعنى وإليه بينان الأجتباء الإشاره ، وناول كتابها لمن هو أحق بحمل أعبائه ، ورقى منصبها لمن لأشبهه بأنه الحقيق باستعلائه ؛ وناول قلم إعطائها ومنعها لواضع الإشاره فى محلها ، وعدق تثير أموالها بمن لا يأخذها بمقتضى يديه إلا من حلها .

نحمده على حسن إلهامه ، وشريف إفهامه ؛ ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة عبد مخلص فى أدايتها ، محق فى إعادتها وإبدائها ؛ ونشهد أن محمداً

عبده ورسوله خير من هو بالحق مبعوث وبالصدق منعوت ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لاتزال مستمرة في كل وقت موقوت ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن يد الوزارة هي اليد الباسطة فيما قل وجل ، والمتحكمة فيما عُدق بالملك من كل عقد وحل ، والموقوف عند إشارة بنائها وإليها التحكم في كل إعطاء ومنع ، وتفريق وجمع ، وعزل وإليه ، ونهاية كل نهى وأمر وما لها من غايه ، وربها من الملك كالروح الباصرة من العين ، واللسان المعبر عن كل زين وشين ، وحسبه أنه في المحل من ذات اليمين ، ومن مكانة التمكن في الحرز الحصين ، ولهذا لا يؤهل لها إلا من أتعقد على سُودده الإجماع ، وأنقطعت دون لحاق شرفه الأطماع ، وتأصل في نخارها وتفترج ، وقام بفروض كفاية كفالتها وتطوع ، وسار حديث مناقبه في الآفاق ، وجاء بالاختيار والاختبار بالوفاق ، وحسن صورة ومعنى ، وتعددت مناقبه فدلّت على أنه الفرد إذا ألتسقت عقوده مثنى مثنى . وكان المجلس العالى الفلانى رب حوزتها وسريها ، وروح بصر مرتقى هذه المحامد وإليه [أمر] مصيرها ، والذي حكمت له السيادة بمنالها وحكمته ، وأوضحت بأصالتها وجه الصواب في اختيارها وأحكمته ، وقد حاز من متفرق لوازمها ما تفرق فيمن سواه ، وحوى من أدواتها [مادل] على أن الله خلقه فسواه ، إن قال فالصواب موكل بمنطقه ، أو صمت فعظم مهابته قائم مقامه بجميل الخلق لا تخلقه ، قد جمع إلى التواضع فرط المهابه ، وإلى الأبتداء بالمعروف حُسن الإجابة ، إن ذكرت الصدارة فهو مالك زمامها ، أو الرئاسة فهو غرّة لثامها ، أو الكفالة فهو مُصرّف عيناها ، أو الوزارة فهو عين أعيانها ، لم تزل رتبها متشوقة لحلولة ، مهيّدة لشريف تأهيله .

ولما تحلّى منها بهذه الحلي ، وسار حديث ملاءته بتخويلها فى الملاء ، وتلا لسان القلم سور هذه المحاسن وتلا الثانى بالأول منها إذا تلا ، رُسم بالأمر العالى - أمتعه الله بما وهبه من حُسن مؤازرته ، وشدَّ عضدَ مملكته بالإمتاع برنج حُسن معاملته لله وله ولتأجرته - أن تُفوض الوزارة المفخّمة ، المكرّمة المبعجلة المعظّمة ؛ للشار إليه : تفويضاً عاماً للقريب من مصالحها والبعيد ، والطارف والتليد ؛ والمقيم والنازح ، والغادى والرائح ؛ والسائح والبارح ، والباغيم والصادح .

فليباشر ما فُوض إليه منها مباشرة مثله لمثلها ، وليُعطيها من نيئه مناسب نيئها ؛ وليأخذ أمرها بكنة يديه ، وليُعربها جانباً من احتفاله ليظهر عليها آثار سُودده كما ظهر شريف تخويلها عليه ؛ وليطلق فيها لسان نهيه وأمره ، وليعمل فى مصالحها صالح فكره ؛ فقد عدت به مهمماً : جليلها وحقيبرها ، وقليلها وكثيرها ؛ وأميرها ومأمورها ، وخليئها وضريرها ؛ وناعقها وناعبها ، وكاسيها وكاسبها ؛ ودانيتها وقاصيتها ، وطائعها وعاصيتها ، ومستقبلها وحالها وماضيها ، وواليها وقاضيتها ؛ ثقةً بتمام تديره ، وحميد تأثيره ، وأنه إن حكم فصل ، وإن قطع أو وصل كان الخزم فيما قطع ووصل ؛ إذ هو الوزير الذى قد صُرف عن عمل الأوزار وسار ، إلا أنه فى كل منبج سار ؛ تقطر السيادة من معاطفه ، وتجنّى ثمر المنى من أغصان قلمه يد قاطفه ؛ لاشئء يخرج عن حكمه ، ولا مصلحة تعزب عن علمه ؛ فولاية الحكام معدوقة بإشارته ، موقوفة على ما يثبت به ببلغ عبارته . ومع جلالته قدره لا يحتاج إلى التأكيد فى الأموال وأستندار أخلافها ، والرعايا والأستدامة بالإحسان ودّ أحلافها ؛ وبيوت الأموال وأستيداء حقوقها ، ومراعاة جانبها إذ هى الأمّ الحنونة بتجنّب عقوقها . والخزائن فهو أدرى بما يجب من تضيق صدرها بالمناقيص عن الأشرار ، والأهتمام بجواصل تشريفها المستجيلة إفاضة ملابسها قلب من غدا وراح ؛ وثمّ دقائق ، هو أدرى بما لها من

طرائق ؛ وحقائق ، هو أعرف إذ كان فيها الفائق الرائق ؛ فهو - أجله الله - غنى عن تفصيلها ، وذهنه أشرف عن الوصايا المنذوبة لتوصيلها ؛ والله تعالى يقدر له وبه الخير ، ويمتّع بحسن تديره المقرون بجميل السريرة والسير ؛ والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية وزير أوردها في " التعريف " وهي :

يُوصى بتقوى الله فإنه عليه رقيب ، وإليه أقرب من كل قريب ؛ فليجعل له أمامه ، وليطلب منه لكل ما شرع فيه تمامه ؛ وليجل رأيه في كل ما تشد به الدولة أزرها ، وتُسند إليه ظهرها ؛ وليجعل العدل أصلاً يبني على أسسه ، والعمل في أموره كلها لسلطانه لا لنفسه ؛ وليدع منه الغرض جانباً ، وحظ النفس الذي لا يبذو إلا من العدو ليصدق من دعاه صاحباً ؛ وليبصر كيف يُنثر الأموال من جهاتها ، وكيف يخلص بيوت الأموال بالاعتصار على الدرهم الحلال من شبهاتها ؛ ولينزّه مطامع العساكر المنصورة عن أكل الحرام فإنه لا يُسمن ولا يُغني من جوع ، ولا يرى به من العين إلا ما يحرم الهجوع ؛ وليحذر من هذا فإن المُفاجئ به كالمخاتل ، وليتجنب إطعام الجند منه فإن [أكل] الدرهم الحرام ما يُقاتل ؛ وليحسن كيف يوتى ويعزل ، ويُسمن ويهزل ؛ وعليه بالكفاة الأمانة ، وتجنب الخونة وإن كانوا ذوي غناء ؛ وإياه والعاجز ، ومن لورأى المصلحة بين عينيه ألفى بينه وبينها ألف حاجز ؛ وليطهر بابه ، ويسهل حجابيه ؛ ويفكر فيما بعد أكثر مما قرب : مقدماً للأهم فالأهم من المصالح ، وينظر إلى ما غاب عنه وحضر نظر الماسي والمصالح ؛ ولا يستبدل إلا بمن ظهر لديه عجزه أو ثبتت عنده خيائته ، ولا يدع من جميل نظره من صحّت لديه كفايته ،

أوتَحَقَّقَتْ عنده أمانته ؛ وليسلكُ أَقْصَدَ الطَّرُقِ فى أمرِ الرواتبِ التى هى من صدقاتنا الشريفةِ وَصَدَقَاتٍ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الملوِكِ ، وهى إِمَّا مَنْ وَجِبَ لَهُ حَقٌّ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا أَوْ عَرِفَ صِلَاحَهُ وَهُوَ صُغُولُوكٌ ؛ وَكَذَلِكَ مَا هُوَ لِأَيِّتَامِ الجُنْدِ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى الطَّاعَةِ ، وَأَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ خَدَمَ دَوْلَتَنَا القَاهِرَةَ بِمَا اسْتَطَاعَهُ ؛ فَإِنْ غَالِبَ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ لَمْ يُخَلِّفْ لَهُمْ إِلَّا مَا نَسَمَحَ لَهُمْ بِهِ مِنَ مَعْرُوفٍ ، وَنَجْرِيهِ لَهُمْ مِنْ جَارِهِ هُوَ أَنْفَعُ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَخَلِّفُهُ الْآبَاءُ لِلْأَبْنَاءِ مِنَ الْمَالِ الْمَتَمَلِّكِ وَالْوَقْفِ الْمَوْقُوفِ ؛ وَلِيُصْرِفَ أَهْتَامَهُ إِلَى اسْتِخْلَاصِ مَالِ اللَّهِ الَّذِي نَحْنُ أَمْنَاؤُهُ ، وَبِهِ يَسْغَلُ أَوْقَاتَهُ وَتَمْتَلِي كَالْإِنَاءِ آتَاؤُهُ ؛ فَلَا يَدْعُ شَيْئًا يَجِبُ لِبَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ مِنْ مَسْتَحَقِّهِ ، وَلَا يَتَسَمَّحُ فِي تَخْلِيَةِ شَيْءٍ مِنْهُ كَمَا أَنَا نُوصِيهِ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ شَيْئًا إِلَّا بِحَقِّهِ ؛ وَلِيَبْقَ لِأَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ بِتَوَاقِعِهِ ذِكْرًا لَا يَفْنَى ، وَبِرًّا لَا يَزَالُ ثَمْرُهُ الطَّيِّبُ مِنْ قَلَمِهِ يُحْنِي ؛ لِيَكُونَ مِنْ رِيَاحِ دَوْلَتِنَا الَّتِي تَعْتَنِمُ مَا يُثِيرُهُ مِنْ سَحَابِهَا الْمَطِيرِ ، وَحَسَنَاتِ أَيَّامِنَا الَّتِي مَادُّرْنَا وَذُكِرَ مَعْنَا إِلَّا وَقِيلَ : نَعِمَ الْمَلِكُ وَنَعِمَ الْوَزِيرُ .

الوظيفة الثانية

(كِتَابَةُ السَّرِّ ، وَيُقَالُ لِصَاحِبِهَا "صَاحِبُ دَوَائِنِ الْإِنْشَاءِ")

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْوِظَائِفِ أَنَّ مَوْضُوعَهَا قِرَاءَةُ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَكِتَابَةُ أَجْوَبَتِهَا ، وَأَخْذُ خَطِّ السُّلْطَانِ عَلَيْهَا وَتَسْفِيرُهَا ، وَتَصْرِيفُ الْمَرَاسِمِ وَرُودِهَا وَصُدُورِهَا ، وَالْجُلُوسُ لِقِرَاءَةِ الْقَصَصِ بَدَارِ الْعَدْلِ ، وَأَنَّهُ صَارَ يُوقَّعُ فِيهَا كَمَا كَانَ يُوقَّعُ فِيهِ بِقَلَمِ الْوِزَارَةِ .

قلت : وقد كان فيما تقدم يُكتب له توقيعٌ في قطع النصف بلقب « المجلس العالى » ثم استقرَّ أن يُكتب له تقليدٌ في قطع الثلثين بلقب « الجناب العالى » .
وقد تقدم الكلام على تقليده في الكلام على التقليد .

وهذه نسخة تقليد بكتابة السرِّ ، كُتِبَ بها للمقرِّ المحيوى « محيي الدين بن فضل الله » عند عودته إلى كتابة السَّرِّ بالديار المصرية ، في جمادى الأولى سنة ثلاث ...
من إنشاء السيد الشريف شهاب الدين ، أحد كتَّاب الدرِّج الشريف ، وهى :

الحمد لله المانِّ بفضله ، المستعان به في الأمر كله ، الذى رفع أول الأولياء من العلياء إلى محله ، ووضع النعم عند من ينصُّ الاستحقاق على تقديمه بمنصبه ويحلُّ ما قوض إليه من أجله ، وأبدع نظام السُّودد بأجمل حالٍ ما دام يحيى جامع شمله ، وأودع سرِّ ملكنا الشريف عند الحفيظين منه ومن تجلته ، وأرجع الرياسة إلى من سمأ ثباتاً ، ونما نباتاً ، وعلا عزماً ، ووفى حزماً ، فبيمن آثاره تُضرب الأمثال ولا تجد في يمن سجايه كمثلته .

نحمده على أن أعاد بنا الحق إلى أهله ، ونشكره على أن جاد روض الآمال بوا كيف سحاب كرمنا ووبله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من وفق للصواب في قوله وفعله ، ونُحَقِّق منه جميل الإخلاص في جميع مذاهبه وسبله ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤوى يوم الجزاء إلى سايغ ظلّه ، والمروى يوم العطش الأكبر بسائغ نهله ، والنبيُّ الذى بعثه خاتم رُسله ، وآتاه من الكرامة ما لم يؤت أحدًا من الأنبياء من قبله ، والمجتبى من علماء صحابته من أهله لإيداع سرِّه وصونه وإبلاغ أمره وحمله ، صلى الله عليه وعلى آله الذين سبقوا إلى غايات الفخار

وُخْصُوا بِخُصْلِهِ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الْمُجَاهِدِينَ فِي حُبِّهِ الْمُعْتَصِمِينَ بِحُبِّهِ ،
 خُصُوصًا الصِّدِّيقَ الَّذِي أَحْسَنَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ مِنْ أَرْتَدَّ بَقْتَلِهِ ، وَمَنْ فَرَّقَ
 بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ وَمَحْضِ عَدْلِهِ ؛ وَمَنْ تَلَقَّى عَنْهُ آيَاتِ الْكِتَابِ فَا ... (١) ...
 فِي تَرْتِيهِ وَجَمْعِهِ وَأَدَائِهِ وَتَقْلِهِ ؛ وَمَنْ كَانَ فَارِسَ حَرْبِهِ ، وَحَارِسَ سِرِّهِ ، وَكَاتَبَ
 وَحِيَهُ وَخَاطَبَ كِفْلَهُ ؛ وَعَنْ بَقِيَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَنْفَرُوا بِأَكْلِ الْفَضْلِ
 وَأَجَلَّهُ ، صَلَاةً وَرِضْوَانًا وَضَمَّ بِهِمَا نُورَ الْهُدَى لِمُسْتَدَلِّهِ ، مَا شَفَى كَرْمَنَا الصُّدُورَ بِصُدُورِ
 إِقْبَالِهِ إِلَى مَنْ قَامَ بِفِرْضِ وَلَائِهِ وَتَمَلَّهِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أما بعد ، فَنِعْمَنَا لِاتِّزَالِ لِلْعُهُودِ حَافِظُهُ ، وَبِالْجُودِ مُتَحِفَةً وَبِالسُّعُودِ مَلاَحِظَهُ ،
 وَعَلَى الْمَعُودِ مِنْ كَرَمِ شَيْمِهَا مَحَافِظَهُ ، وَلِلْخِدْمِ مَكَافِيهِ ، وَلِلْقَسَمِ مُوفِيَةً وَبِالنِّعَمِ مُؤَافِيَةً ،
 وَبِالْوَفِّ الْكَرَمِ مُلَافِيَةً ؛ أَتَّبَعَا لِسَبِيلِ الصَّوَابِ ، وَإِيدَاعًا لِلنِّحَةِ عِنْدَ مَنْ لِحَقَّهُ
 فِي أَسْتِحْقَاقِهَا إِيحَابَ ، فَلَمَحَلَّهُ أَقْتِرَانُ بِالْأَقْتِرَابِ ، وَلِفِعْلِهِ إِنْجَازُ لَوْعُودِ الصُّعُودِ
 وَإِنْجَابِ ، وَلِفَيْضِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَبُولِ أَبْهَى جِلْبَابِ ، وَلِهَ سَبْقِ وِلَاءِ الْمُلْكِنَا
 بَعْدَ جَفَاءِ فِيهِ السِّنِينَ وَالْأَحْقَابِ ، وَصَدُقُ وُدِّ مَا ضَاعَ لَدَيْنَا وَلَا خَابَ ، وَقَدِمُ هِجْرَةَ
 كَمْ لَهَا فِي تَأْيِيدِ الدِّينِ أَنْتِصَارَ وَأَنْتِصَابَ ، وَتَعَدُّدُ مَنَاقِبَ هِيَ فِي الْإِشْرَاقِ وَالرَّفْعَةِ
 كَالنُّجُومِ وَفِي الْكَثْرَةِ عَدَدُ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ ؛ فَمَا دَعَا سُلْطَانُنَا إِلَّا أَسْتِجَابَ ،
 وَلَا أَسْتَوْعَاهُ سِرَّهُ إِلَّا غَدَا بِهِ يُصَانُ وَلَا يُصَابُ ، وَلَا أَسْتَنْطَقْنَا قَلَمَهُ إِلَّا كَفَى الْخَطْبَ
 بِأَمْلَحِ خِطَابِ ، وَلَا أَسْتَثَرْنَا رَأْيَهُ إِلَّا حَضَرَ الرُّشْدُ وَمَا غَابَ ؛ فَكَمْ فَرَّقَ لِلْأَعْدَاءِ مِنْ
 كِتَابَةِ بَكْتَابِ ، وَقَرَّبَ مِنْ ظَفَرِ وَالسَّيْفِ فِي الْقِرَابِ ؛ فَبِدَعَوَاتِهِ يُسْتَنْزَلُ مِنَ النِّعْمَاءِ
 أَهْمُرُ سَحَابِ ، وَبِرَكَاتِهِ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَكَانَ كَيْدُ الْكَافِرِينَ فِي تَبَابِ ، وَبِأَقْلَامِهِ
 إِنْعَامُنَا يَهَبُ وَأَنْتِقَامُنَا يَهَابُ ؛ فَهِيَ عَلَى الْمَمَالِكِ أَمْنَعُ سِيَاحِ ، وَلَهَا فِي مَسَالِكِ الْخَيْرِ

(١) بياض بالأصل ولعله فأحسن في ترتيبه الخ .

أبدع منهاج، وللدولة به وبولده استغناء وإليهما احتياج، فكم ضمنا دُررَ كلاميهما الأدرج، وأطلعا زهر أفلاميهما من المهارج في أبراج، وكم واصلت في ليل النفس السرى والإدلاج، حتى أبدت صباح النجاح ذا ابتلاج، فلا عجب أن كان للنعم إليهما معاد ومعاج، ولضيق الخطب عند باعها الرحب فسحة وأنفراج.

ولما كان المجلس العالى المحيوى هو أسرى من تلقى إليه الأسرار، وتبقى منه عند أحرى الأحرار، فكم لها صان أين صار، وكم لخواطرنا الشريفة من أفعاله سار حيث سار، وكم له من كرمنا دار في كل دار، فمنا لقربه إيثار، ولأثنتنا عليه إجمار، ولنا بفضائله إقرار، يوجب للنعم عنده الإقرار - أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن نُعيد إليه منصبه، ونزيد لديه الموهبه، ونجعل وجود تفضيله لدولتنا أعظم مزية ومنقبه، وتراه أجل كفاء لاستجلاء عقائل الأسرار المحجبه، وإن كان لنزاهته لا يخطبها فهى لوجهته ترغب أن تخطبه.

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى الفلانى - لا يرح بفضل الله يحيى الدين، وبتأييده يبين أنه الحق المبين، وبتسديده يُصيب عين الصواب فى التعيين - أن نفوض للشار إليه صحابة ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب الشريفة شرفها الله وعظمتها: على أجمال عوائده، وأكمل قواعده، وأحسن حالاته فى حسن مقاصده، ونفوذ ما يُبلّغه من رسائل عدلنا فى مصادر كل أمر وموارده؛ وليستقر باسمه من المعلوم كذا وكذا.

فلتلق منصبه المبارك بأمل فى كرمنا مبسوط، ورتبته التى يحيى حماها ويحوط؛ مُضياً للمهمات والمراسم، مبقياً من يمن آثاره ما تضحى به ثغور الثغور بؤاسم، ميدا لمن عنده من مكاننا أوقات الأئس فأيامهم [به] كلها مواسم، وبها لهم من الخيرات

أَجْرُ الْمَقَاسِمِ ، وَقَدْ وَفَّرُوا دَوَاعِيَهُمْ إِلَى الْخِدْمَةِ إِذْ وَفَّرَ عَلَى نَفَقَتِهِمْ دَوَاعِيَهُ ، وَهُوَ لِسَانُ
الدَّوْلَةِ وَهُمْ أَذُنٌ صَوْنٍ لِمَا يُلْقِيهِ إِلَيْهِمْ وَاعِيَهُ ، فَحَقَّ لَهُمْ إِلَى وِدَادِهِ أَنْ يَجْتَحُوا ،
وَبِإِسْعَادِهِ أَنْ يَجْتَحُوا ، وَعَنْ وِلَائِهِ لَنْ يَبْرَحُوا : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ، فَلَيْسَ يَرَى الْمَلِكُ بِهِ سُرُورًا ، وَلِلدَّوْلَةِ مِنْ أَشْعَةِ إِيَابِهِ وَطَلْعَةِ شَهَابِهِ نُورٌ عَلَى
نُورٍ ، وَبِهِمَا عِمَادُ الشَّرَفِ الْأَعْلَى مَرْفُوعٌ وَبَيْتُ الْفَضْلِ الْأَوْفَى مَعْمُورٌ ، وَهُوَ وَبَلْ
هَذَا الْغَيْثِ الْغَمْرِ وَشَبْلِ هَذَا اللَّيْلِ الْهَضُورِ ، طَالَمَا هَزَمَ الصُّفُوفَ مِنْ كُتُبِنَا
بِالسُّطُورِ ، وَجَهَّزَ بَرْدًا سَرَّهَا بِالصُّونِ مَكْتُومٌ وَعَامَهَا بِالنَّصْرِ مَشْهُورٌ ، وَهُوَ كَثْرَ
الْفَضَائِلِ وَكُتَابِهِ الذَّهَبِ سُذُورٌ ، وَمِنْ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْعِمْرِيَّةِ بِأَفْقِ الْعِلْيَاءِ نَجُومٌ وَأَهْلَةٌ
وَبُدُورٌ ، وَلِلنَّسِيرِ الْأَكْبَرِ إِشْرَاقٌ وَأَتِاقٌ وَسُقُورٌ ، وَغَيْرُهُ بِالْوَصَايَا الْمَأْمُورِ ، وَسِوَاهُ
نُبِينٌ لَهُ قَصْدَ السَّبِيلِ حَتَّى لَا يَضِلَّ وَلَا يَجُورُ ، وَلَا نَحْتَاجُ أَنْ نَذَكَّرَهُ بِمَا هُوَ مِنْ عِلْمِهِ
مَذْكُورٌ ، وَفِي صَحَائِفِهِ مَسْطُورٌ ، وَلَا نَعْلَمُهُ سَدَادًا إِذْ هُوَ عَلَيْهِ مَجْبُولٌ وَمَقْطُورٌ ،
بَلِ الْهُدَى مِنْهُ مَلْتَمَسٌ ، وَمَقْتَنَى وَمَقْتَبَسٌ ، وَمَأْتُورٌ ، وَبِحَمْدِ اللَّهِ مَا فِي حَزْمِهِ قُصُورٌ ،
وَلَا فِي عَزْمِهِ قُتُورٌ ، وَهُوَ بِحَجْرِ الْعِلْمِ الْمَحِيْطِ وَثِيْبِ الْحِلْمِ الْمَوْفُورِ ، وَلَيْسَ التَّقْدِيمُ لَهُ
بِمَسْتَعْرَبٍ بَلْ فَضْلُهُ الْمَعْرُوفُ الْمَشْهُورُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَرَعَى لَهُ فِي خِدْمَتِنَا عَهْدًا قَدِيمًا ،
وَيُقِيهِ لِلدَّعَاءِ مُوَاصِلًا وَمُدِيمًا ، وَيُوزِعُهُ شُكْرَ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخةٌ تقليدٌ بكتابة السِّرِّ، كُتِبَ بِهَا لِلْقَاضِي شَهَابِ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَنَاءِي حَفِظْتَ مُلْكَنَا الشَّرِيفَ بِمَعْقَبَاتِهَا ، وَصَانَتْهُ بِصَاحِبِ تَصْرِيفِ
تَقْوَمُ كُتُبُهُ وَأَرَاؤُهُ مَقَامَ الْكُتَائِبِ وَرَأْيَاتِهَا ، وَسَنَّتْ لَنَا الْخَيْرَةَ لِمَنْ نَجْتَنِي بِقَلَمِهِ النَّصْرَ

من ثمراتها ، وبينت الحُسنى في طريقته المثلث حتى انقسم الصبح من قسماتها ،
واقْتَسَم النُّجج من عاداتها ، وَاَتَمَّ فكره بالنُّصَح وقد ضَلَّتْ الأفكار عن إصاباتها
فَظَلَّتْ في غَفَلاتها .

نَحْمَدُه حمداً يَهَبُ مع الأنفاس في هَبَّاتها ، وَيَهَبُ من اللطائف الحِسان أفضل
هَبَّاتها ، وَيُذَبِّه القلوب لتقييد شوارد النعم بِصِدْق نِيَّاتها ، وَيُنَافِس الكرام الكاتِبين
على نفائس الشَّاء في تَسْيِيح لغاتها بِصَفِيح سَمَوَاتِها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تملأ الصحف بحسناتها ،
وَيَمَلِّ الوجوه بالأنوار في توجُّهاتها ، وتلوح من سَمَاتِها سَمِيَاء لا تُشَقُّ على الأبصار
في توشُّماتها ، وتفخر برقمها الأقلام بأنه لا طعن في اعتدال حركاتها ، على الرِّماح
في اعتدال قاماتها ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أدى الرسالة بما
تحمله من أماناتها ، ورعى اليهود لمن أخلص في مِرَاعاتها ، ودعا الأمة بإذن الله
إلى سبيل نجاتها ، وأستأمن على الوحي كُتَاباً سَبَقُوا في السَّعادة إلى غاياتها ، وبلغوا عنه
السَّنة بباياتها والسُّور وآياتها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه فرسان البلاغة
ورؤياتها ، وحفظة الأسرار وثقاتها ، وصاغة المعاني في الألفاظ الغرِّبَنَفَاتِها ، وأو
الأحلام التي لا تُطيشُها وقائع الدهر بروعاتها ، ولا تُذهلُها عن الأوراد في أوقاتها ،
وتلقى الوفود بأقواتها ، والأخلاق التي أُنسَح نطاقها في تصرفاتها ، وأمتنع حجابها
أن تُنخَّطاه انخدع بهفواتها ، صلاةً تزيد الأعمار بزكاتها ، وتزيّن الأعمال ببركاتها ؛ وسلم
تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ الملك عمود بناؤه بسره ، وأرتفاعه بالتأسيس لمستقره ، وأمتناعه
بعد العساكر المنصورة بكتاب يُخاتِل العدو في مكره قبل مكره ، ويقاوم في الحرب

والسَّلم بنفَّاذ رأيه ونفَّاثِ سِخْرِهِ ، ويقابل كلَّ حال بما يحسن موقعه من صَدْمِهِ
بصَدْرِهِ أو صَدَّهُ بصَبْرِهِ ، وينظر في العواقب نظر البصير بأمرِهِ ، الواعى لأختياله
عُدْرِهِ قبل أختياله الباعى في غَدْرِهِ ؛ إذا جادلَ فبالْحجَّةِ البالِغَةِ ، وإذا جاوبَ أبطل
الأهوالَ الزائِغَةَ ، وإذا أمرنا بالعدل والإحسان سيرهُما عَنَّا كالشمس البازِغَةَ ،
وملأَ بهما حبًّا لنا القلوبَ الفارِغَةَ ؛ وقد جربنا على طول المدى كُتَّابًا ، وأنَّخبنا منهم
كثيراً ارتضيناهاهم أصحابًا ، ومارسنا جماعةً آزدَدنا بهم إعجابًا ، ورأينا طوائفَ فيهم
منَ إنَّ أجادَ اجتناءَ زَهْرَاتِ القولِ حادَ عن الجادَّةِ اجتنابًا ، وإن كلفَ نفسه
مذاهبَ الكُتَّابِ أخلَّ بمقاصد الملوك إن كتبَ عنهم كُتَّابًا .

ولم نظفرَ بمن تمَّت فيه الشروطُ المشروطة ، ومَتَّ بالدائرة المحيطة إلى الفضائل
المبسوطة ، وأمتازَ بفهم لا يقبل على الفساد ولا يقبل الأغلوطه ؛ إن أمليناها إملاءً
ذَكَرَهُ ، وإن حُمنَّا حولَ معنى لا تُؤدِّى إليه العبارة فسره ، وإن سردنا عليه فضلاً
مُطَوَّلًا خَبَرَهُ ، وربما رأى المصلحة في اختصاره فأختصره ، وإن أودعناه سرًّا ستره ،
وصاناه بحجوة غيب أثره ، وكتمه إمامًا بخطه عن قلبه فلم يدركه أو بقلبه عن لحظه فلم
يرَهُ ، وإن خَلينا بينه وبين غرض من أغراضنا الشريفة استخرجناه كما في خواطرنَا
وأظهره - كالمجلس العالى ، القضائى ، الأجلى ، الكبرى ، العالمى ، العادى ،
العونى ، العلامى ، القوامى ، النظمى ، المدبرى ، المشيرى ، الفاضلى ، الكاملى ،
الأوحدى ، المفوهى ، الخاشعى ، السفيرى ، الشهابى : صلاح الإسلام
والمسامين ، سيِّدِ الرؤساء في العالمين ، قُدوةِ العلماء العاملين ، إمامِ الفضلاء
والمتكلمين ، رئيسِ الأصحاب ، ملاذِ الكُتَّابِ ؛ سفيرِ الأُمَّة ، عمادِ المَلَّة ، لسانِ
السلطنة ، مدبِّرِ الدَّولِ ، مشيِّدِ الممالك ، مُشيرِ الملوك والسلاطين ، وليِّ أميرِ المؤمنين

(١) فى المصباح فسره من باب ضرب أوضحه وبينه والتثقيل مبالغة .

«أحمد بن فضل الله» ضاعف الله نعمته . فإننا خطبناه لهذه الوظيفة ، وأستخصناه على كثرة المتعينين لأنفسنا الشريفه ، وأمتحنناه في الأمور الجليلة واللطيفة ، وحمّلناه الأعباء الثقيلة والخفيفه ، وأوقفناه مرّة وأخرى أطلقنا تصرّيفه ، وأنعمنا النظر في حاله حتى تحقّقنا تثقيفه ؛ وكتب وأستكتب عنا سرّاً وجهراً فملاً قلباً وسمّعا ، وباشراً مراسمنا العالية مصرّاً وشاملاً وصلاً وقطعاً فعزّ رفعة وعمّ نفعاً ؛ وأنشأ التقاليد وقلّدها ، ونفّذ المهّمات وسدّدها ، ووقّع التواقيع وأطلق بها وقد قيدها ، ومشّى المصالح باحتراز ما بدّدها وأحتراس ما عقدها ، وجهّز البرد بهمة ما قيدها طلب الراحة ولا أفعدها . وهو كاتبٌ ملوك ، وصانعٌ سلوك ، وشارعٌ سلوك ، وصانعٌ ذهبٍ مسبوك ، وناسجٌ وثى محوك ، وجامعٌ صفاتٍ ماسواها هو المتروك ؛ لا يعدو بالكلمة محلّها ، ولا يؤاخي بالقرينة إلا شكّها ، ولا يسمع بخطابة إلا لمن تعين لها ، ولا يعامل بالغلظة إلا من أستوجبها ولا يخصّ بالحسنى إلا أهلها ؛ نامره بالتهويل فيزول قواعد العدو ، ونشير إليه بالتهوين فيفيد مع بقاء المهابة الهدوء ؛ وقد رضينااه حقّ الرضا ، وأضربنا به عمّن بقي من أكابر الكُتاب ونسبنا من مضى ، وتعين علينا أن نحكم له بهذا الاعتبار ونحمّله على هذا المقتضى ، وأن نُطلعه في سماء دسّتنا الشريف شهاباً أضاً ؛ وأن نقلده مهمّاً مازال هو القائم بتنفيذ أشغاله ، والساعى بين أيدينا الشريفة في تدبير مقاصده وجملة أحواله ؛ إلى ماله من بيتٍ أثلوا مجده ، وأثروا سعده ، وأرثوا عندنا وده ؛ وبني كما بنوا ، واجتنبى من السؤدد ما آجتنوا ، ورحى في خدمة الدول إلى مارموا ، إلا أنّ مذهبه في البيان أحلى ، وأسلوبه أجلى ، وقيمة كلامه أغلى ، وقده في الكمال هو المعلّى ، وأدبه بجمد الله قد لحظته سعادة أيامنا الزاهرة فما فيه لؤ ولا لؤلا ؛ سوى أنه اتفق معارضٍ أعترض بين السهم والهدف ، وسفه نفسه فوقف في مواقف التلف ، ودقّ عنه شأن كاتب السر فسقط من حيث

طَمَعَ فِي السُّقُوطِ وَمَا عَرَفَ ؛ وَرَامَ الدُّخُولَ بَيْنَ الْمَلِكِ وَبَيْنَ يَدِهِ ، وَبَيْنَ اللِّسَانِ وَمَا يُحَدِّثُهُ بِهِ الضَّمِيرُ مِنْ حَقِيقَةِ مَعْتَقَدِهِ ، وَالْإِطْلَاعَ عَلَى مَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ لِمَا أَدَارُهُ فِي خَلَدِهِ ؛ وَالتَّعَدَّى بِمَا لَيْسَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ مَتَوَقَّعٌ ، وَسَرَى فِي مَسَرَّى لَوْ طَمَحَ إِلَيْهِ طَرْفُ السَّمَا لَتَقَطَّعَ ؛ وَمَا عَلِمَ أَنَّ كَاتِبَ السَّرِّ هُوَ مَسْتَوْدَعُ الْخَبَايَا ، وَمَسْتَطَلَعُ الْخَفَايَا ، وَقَلَمُهُ (أَبْنُ جَلَّ وَطَّلَاعُ الثَّنَائَا) ، وَفِي اسْتِئْذَانِهِ يُعْرَفُ بِالْمُنَى وَيُرْعَفُ بِالْمَنَايَا ؛ وَهُوَ السَّكَّابَةُ وَالتَّوْقِيعُ ، وَالتَّصَرُّفُ فِيمَا لِلتَّنْفِيزِ مِنَ التَّحْسِينِ وَالتَّنْوِيعِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ التَّفْرِيقِ وَالتَّجْمِيعِ ، وَالتَّأْصِيلِ وَالتَّفْرِيعِ ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ وَالتَّمْيِينِ وَالتَّرْوِيعِ .

وَمَا دَلَّ ذَلِكَ الْمَعْتَرِضَ بِإِتْجَارِهِ ، وَأَطَالَ الْمَطَّارَ فِي غَيْرِ مَطَّارِهِ ، وَقَالَ النَّاسُ إِنَّ أَبْوَابَنَا الْعَالِيَةَ جَنَّةٌ حُقَّتْ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ بِالْمَكَارِهِ ، رَمَيْنَا بِهِ مِنْ شَاهِقٍ ، وَأَبْعَدْنَاهُ لِآخِرَتِهِ أَزْهَدًا مَا هَدَرَ مِنْ تِلْكَ الشَّقَاشِقِ ؛ وَتَقَدَّمْنَا بِإِنْشَاءِ هَذَا التَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ تَقْوِيَةً لِكَاتِبِ سِرِّنَا الشَّرِيفِ فِي تَصْرِيْفِهِ ، وَبَيْنَا أَنَّهُ لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ فَإِنَّهُ لِسَانَ السُّلْطَانِ وَيَدُهُ وَكَفِيُّ بِذَلِكَ دَلَالَةً عَلَى تَشْرِيفِهِ .

فُرِسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلَوِي ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، النَّاصِرِي - لِأَزَالِ إِذَا عَزَمَ صَمَّمَ ، وَإِذَا بَدَأَ الْمَعْرُوفَ تَمَّمَ ، وَإِذَا اسْتَخَارَ اللَّهَ فِي شَيْءٍ رَضِيَ بِخَيْرَتِهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَسْتَقِلَّ الْمَجْلِسَ الْعَالِي ، الْقَضَائِي ، الشَّهَابِي « أَحْمَدُ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ » الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِصَحَابَةِ دَوَاوِينِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ : رَفِيقًا لِأَبِيهِ الْمَجْلِسِ الْعَالِي ، الْقَضَائِي ، الْمُحْيَوِي : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ وَبَرَكَتَهُ فِي الْمُبَاشَرَةِ ، وَشَرِيكَهَا بِلِ مَنَفْرِدًا لِيَقُومَ مَعَهُ وَدُونَهُ بِمَا قَامَ بِهِ مِنْ كِتَابِيَّةٍ بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَةٍ ؛ اسْتَقِلَّ كُلُّ مَنْهَا بِهَا فِيمَا بَعْدَ وَقَرَبٍ مِمَّا يَضُمُّهُ نِطَاقُ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ؛ مَعَ مَا هُوَ مُسْتَقَرٌّ فِيهِ مِنْ كِتَابِيَّةٍ

السر الشريف ، والتصريف في المهمات الشريفة والتصريف ؛ وهو المنفرد بتقديم البريد وعرضه ، ومباشرة ختمه وفضّه ، وقراءته بين أيدينا ؛ وأستخراج مراسمنا الشريفة في كل مناب ، ومشافهة وخطاب ، وأبتداء وجواب ، وملطف ومكبر ، ومقدم ومؤخر ، ومكمل ومشطر ؛ وإليه أمر البريد والقصد والنجابه ، ومن أشمل من الدجى جلبابه ، أو ألقته إلى ملاءة الصباح المنشورة يد ليلة منجابه ؛ وتعيين من يرى تعيينه منهم في المهمات الشريفة السلطانية ، والمصالح المقدسة الإسلامية ؛ وإليه الحمام الرسائل وترجيته ، وزجالته ومدرجته ؛ ومن يصل من رسل الملوك إلى أبواننا العالمة ، وجميع من يكتب الدولة الشريفة من كل منسب وغريب ، وبعيد وقريب ؛ وقراءة القصص لدينا ، والكتابة على ما يسوغ كتابة مثله ، وأخذ العلامة الشريفة من يده .

وأما من تستكتبهم عنا في ممالكنا الشريفة فهو المقلد لأعبائهم ، والخلل بينه وبين ما يراه في آجبتهم ؛ يستكتب كل أحد فيما يراه ، ويرفع بعضهم فوق بعض درجات منهم مستيقظ ومنهم نائم في غمرات كراه ؛ كل هذا من غير معارضة له فيه ، ولا اعتراض عليه في شيء منه ؛ يبلغنا مهماتنا الشريفة ويتلقى عنا ، ومنه إلينا وإليه منا .

وأما ما يرد عليه من الرسائل عنا بما يكتب به فيمشی منه ما لا يمكن وقوفه ، ويراجعنا فيما لا يكون إلا بعد مراجعتنا تصريحه ؛ فليمش على هذه القاعده ، وليستقل بهذه الوظيفة استقلالاً هو كالمخبر محل الفائدة ، ولينشر من إقبالنا الشريف عليه بالصلوات العائده ؛ ونحن نختصر [له] الوصايا لأنه الذي يملها ، ونقتصر منها على التقوى فإنها الذخيرة النافعة لمن يعانها ، والباقية الصالحة خير لمن يقتفيها ؛

والله تعالى يقوى أسبابه ، وينير شهابه ، ويزيد من المعالى آكتسابه ، ويغنينا بقلمه عن سنان يتقدم عامله ، ولسانه عن سيف يفارق قرابه ، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .



وهذه نسخة تقليد بعود القاضى شهاب الدين بن فضل الله إلى كتابة السر .
من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء الشريف ، وهى :

الحمد لله الذى أحمد العقبى بفضله ، وأكّد النعمى بوصله ، وأودع سرّ مدحنا الشريف عند أهله ، وأطلع شهاب الدين من أفق العلياء فى محلّ شرفه وشرف محلّه ، ورفع قدره فى سيره إلى بروج السعود وحلّوله بدرجات الصعود ونقله ، وأرجع الموهبة منه إلى من يشكرها بقوله وفعله ، وأبغى الفرع الزاكي الذى يحيا أصله بواكف سحاب كرمنا ووبله ، وأتمّ النعمة عليه كما أتمها على أبويه من قبله ، وضمّ له أطراف الرياسة وجمع شملها بشمله ، وعمّ بفضله وفضلنا أهل هذا البيت الذين فطروا على السؤدد وبصروا من رضانا باتّباع سبله .

نحمده على إضفاء ظلّه ، ونشكره على إضفاء نهله ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أشرق نور هداها ، بمستدلّه ، وأغدق نوء نداها ، بمستهلّه ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله خاتم رسله ، وجعل له الفضل على الخلق كلّهم ، وأهمّ به سبيل هديه وسنن عدله ، وأرشدّه إلى فرض دينه ونقله ، وأودعه السرّ الذى لم يودعه سواه وحمله من أعباء الرسالة ما لم ينهض غيره بحمله ؛ صلى الله عليه وعلى آله أغصان الشجرة الزهراء التى هى بضعة منه ونبعة من أصله ، ورضى الله

عن أصحابه الذين أجلّهم من أجله ، خصوصاً من بادر إلى الإيمان فخص من سبق
بخصه ، ومن أيد به الدين وفرّ الشيطان من ظلّه ، ومن جهّز جيش العسرة حتّى
غزا العدا بجياله ورجله ، ومن كان باب مدينة العلم وما نج جزله وفتح قفله ، وعن
بقية المهاجرين والأنصار الذين ما منهم إلا من جاهد حتّى قام الدين بنصره ونصله ،
صلاة دائمة يجعلها اللسان أهمّ شغله ، ويتلقّى قادمها في موطن القبول بأكرم نزله ،
ما رمى قوس العزم بصائب نبّله ، وحمى حمى الملك بليثه وشبّله ، وفوض أجلّ
المناصب إلى فاضل العصر وأجلّه .

أما بعد ، فإن آراءنا لا تزال للإصلاح مُراعِيه ، ولا تبرح بالإسعاد إلى الأولياء
ساعِيه ، فتدعو إلى مقامها من وفرّ على الإخلاص دواعِيه ، وتُدني من ملكها من له
بانخفايا أعظم بصيرة وفي جميل القضايا أجمل طواعِيه ، وتلقى أسرارها إلى من له
لسان حق ناطق وأذن خير وإعِيه ، وتقدّم من له قدم صدق ثابتة ويد بيضاء طولى
في المهمات عاليه ، لتغدو سهام أعلامه إلى الأغراض رامِيه ، وصوائب أفكاره
عن حمى الملك محاميّه ، وتكون عبارته للقاصد موفِيه وإشارته لموعد الثمن موافيه ،
وتضحى ديم نعمنا الواكفة لسوابق خدمه مكافيه ، لما يتصل بذلك من المصالح ،
وتناجى خواطرننا الشريفة به المناجح ، ويقبل عليه وجه الإقبال ، في كل حال ، ويغدو
إليه طرف الإجلال ، وهو طامح ، فتجمل به ممالكنا مصرا وشاما ، وتسدّد به مرعى
ونصيب مرّاما ، ونحفظ له ولأبيه في خدمتنا حقاً وذيماً ، ونكون له في الحالتين
براً وإكراماً ، ونعلی محله إعلاناً بعلو مكانه وإعلاماً ، فيؤلّف للرياسة نظاماً ،
ويضاعف للرتبة إعظاماً ، ويعمل يراعاً بل حساماً ، ويجلو وجه المنى طلقاً ويبدو
بعد البشر بساماً ، ويحسن بأعباء المهمات قياماً ، وحيث نقلته أوطانه هضاب
المجد وقتلته ، وأين وجهته أعلت قدره وتوهته ، وكلما أوفدته أفاضت عليه ملبس

العزَّ وجددته ، وأختصته بالتصرف وأفردته ، وانتضت ماضىَ اجتهاده وجرّدته ، وأجرته من إجراء فضليها على ما عودته ، واستتقت له منائحها من كثير المواهب ماخولته ، ومن كبير المناصب ماقلدته .

ولما كان فلان هو الذى أودع الأسرار فحفظها ، وأطلع على الدقائق فرعاها ببصيرته ولحظها ، وباشر مهماتنا فأمضاها ، وسرّ خواطرنا وأرضاها ، وظهرت منه بين أيدينا كفاية لا تضاهى ، وقد أجياد أوليائنا من تقاليد عهودنا ، وأدنى من المقاصد بلطف عبارته بعيدا ، وأغنى الدولة أن تجهز جيشا وجهاز بريدا ، وأبان بمقاله عما فى أنفسنا فلم يبق من يدا ، وصان الأسرار فجعل لها فى خلدته خلودا ، وجمع أشتات المحاسن فأضحى فريدا ، كم لعمه فى خدمتنا من هجرة قديمه ، ولأبيه من موالاته هى للمخالصة مواصلة ومديمه ، وكم لها أسباب فى الرياسة قوية وطرائق فى الهداية قويمه ، وكم كاتب يسر الله بهداهما تعليمه وتفهمه ، وقدر على يديهما وصوله إلى رتب العلياء وتقديمه ، ففمنعتهمما عميمه ، وتبعتهما صميمه ، ولهما فى الشام ومصر أجمال شيمه ، وكم له هو أيضا من تقدمات اقتضت تكريمه ، وكفاية عند علومنا الشريفة معلومه ، وكتابة حلال المهارق بوشيا مرقومه ، فلو قابله الفاضل «عبد الرحيم» لبادر إلى فضله إقراره وتسليمه ، أو «عبد الحميد» لكانت مناجه الحميدة بالنسبة إلى مذاهبه ذميه ، أو سمع «عبد الرحمن» مقاله لضمن ألفاظه معانيه العقيمه ، أو أدركه «قدامة» لعرف تقديمه ، وأقتدى بسبله المستقيمه ، أو حوى «الجوهري» فرائد ألفاظه لعرف أن صحاحه إذا قرنت بها سقيمه ، أو رأى «ابن العديم» خطه لاستغنت منه بسلاسل الذهب نفسه العديمه ، أو «الولى» لاستجدى من صوب إجادته أغزر ديمه ، أو نظره «ابن مقلة» لوجدت مقتله نضرة خطه ونعيمه ،

أو «أَبْنُ البَوَابِ» لكان خَدِينِ بابه وخَدِيمَهُ ؛ فهم صُدُورٌ صُدُورَهُمْ سَلِيمَهُ ، وَأَمَانِلُ
مَعْدُودَةٌ وَأَمَانِلُهُمْ مَعْدُومَةٌ .

أَقْتَضَى حَسَنُ رَأْيِنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُنْقِلَ إِلَيْهِ مَنَصِبًا هُوَ أَوْلَى بِهِ ، وَنُقَرِّ عَيْنَهُ بِدُنُوهِ مِنَّا
وَأَقْتَرَاهُ ؛ وَنَمْتَعِ البَصَرَ وَالسَّمْعَ بِخَطِّهِ وَخِطَابِهِ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ، الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيِّ ، السَّلْطَانِيِّ ، الْمَلِكِيِّ ، الْفُلَانِيِّ -
لَا بَرَحَ يُعِيدُ نِعْمَتَهُ كَمَا بَدَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَيَسْرُّ الْقُلُوبَ بِكَافٍ أَوْدَعَهُ سِرَّهُ ؛ وَيُجَمِّدُ
لِأَحْمَدِ الْأَوْلِيَاءِ عَوْدَهُ وَمَسْتَقَرَّهُ ^(١) - .

فَلْيَتَلَقَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِشُكْرِهَا وَلِيَتَرَقَّ مَنَصِبًا رَفِيعًا يَنَاسِبُ رِفْعَةَ قَدْرِهِ ، وَلِيَسْطُ قَلَمَهُ
فِي تَنْفِيزِ مُهِمِّ الْمَالِكِ مِنْ نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ ، وَلِيَحْفَظَ مَا أَوْدَعَهُ مِنْ خَفِيِّ سِرِّهِ ، وَلِيُلَاحِظَ
الْمُهْمَمَاتِ بِفِكْرِهِ ، وَلِيَحَافِظَ عَلَى مَا يَعْرِفُهُ مِنْ رِضَانَا طَوَّلَ دَهْرِهِ ؛ وَنَحْنُ نَعْلَمُ مِنْ
صَوَابِ أَعْمَالِهِ وَتَسَدِيدِهَا ، مَا لَا نَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى تَكْثِيرِ الْوَصَايَا وَتَعْدِيدِهَا ، وَلَا إِلَى
تَكَرُّرِهَا وَتَرْدِيدِهَا ؛ لِأَسِيًّا وَقَدْ سَلَفَتْ لَهَا بِهَا خِبْرَةٌ لَا نَفْتَقِرُ إِلَى اسْتِعَابِ ذِكْرِهَا
وَلَا إِلَى تَجْدِيدِهَا ، وَتَقَدَّمَتْ لَهَا مَبَاشَرَةٌ اسْتَبَشَرْنَا بِمِيمُونِهَا وَأَثِينَا عَلَى حَمِيدِهَا ،
وَأَسْتَدْنِينَا سَنَاهَا وَأَسْتَعِينِنَا عَنْ سِوَاهَا بِوَجُودِهَا ؛ وَلَهُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَوْفَرُ التَّوْفِيقِ ، وَهُوَ
الْحَقِيقُ بِمَا فَوَّضْنَا إِلَيْهِ عَلَى التَّحْقِيقِ ، وَفَضَّلَهُ مِنَ الشَّوَائِنِ عَرِيٌّ وَفِي الْمَجَانِبِ
عَرِيقٌ ، وَقَدْرُهُ بِتَجْدِيدِ النِّعَمِ جَدِيرٌ وَبِخِلَالِ الْكَرَمِ خَلِيقٌ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوَضِّحُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ
أَبْيَنَ طَرِيقٍ ، وَيُسِّرُّ بِمَقْدَمِهِ الْوَلِيَّ وَالصَّدِيقَ ، وَيَقْرُقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِفِئْدَةِ
الْفَارُوقِ وَهُوَ مِنْ أَكْرَمِ فَرِيقٍ ؛ بِحَمْدِ وَآلِهِ ! .

(١) حذف المرسوم به اختصاراً في النكاهية وانكالا على فهمه من نظائره المتقدمة فهو ملحوظ



وهذه نسخة تقليد بكتابة السرى :

الحمد لله الذى أظهر لتديرولتنا شهابا يعلو على فرقد الفراقد، وكمل به عقود
الممالك فسمت جواهر فرائدها على الدرارى إذ كان واسطة تلك الفرائد؛ ومعيد
إحساننا إلى خيرولى أغنى تديره عمّن سواه فكان بالألف ذلك الواحد، ومحول
مواد كرمنا لمن هو صدر أسرارنا ويمين مملكتنا فى كل صادرٍ عنها ووارد؛ ومنقل
الأكفاء إلى مراتب سعودهم فتصبح ألوية محامدهم فى معاقل العز أنخر معاقد،
ومحلى ملكنا الشريف بأكل كاف ما أم مصر إلا تلقته بالهناء ولا فارق شاما إلا أسفت
عليه تلك الربوع والمعاهد .

نحمده على نعم أقرت عيون الأولياء لما أقرتهم من مواد جودنا على أكل القواعد،
ونشكره على ما بلغنا من جميل المآرب وبلوغ المقاصد؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة ننجى قائلها من جميع الشدائد، ونشهد أن سيدنا محمدا سيد البشر
عبده ورسوله الذى جاد بهدايته فكان أكرم جائد؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحابة
خصوصا على أول الخلفاء أبى بكر الصديق الذى لا نخر كفتخاره، وعلى أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب حامل أسرارهِ وفتح أمصارهِ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان
مبدل عسره بيساره، وعلى ابن عمه على بن أبى طالب أعز نسبائه وأخص أصهاره،
وعلى بقية مهاجرية وأنصاره، صلاة سهلة المشارع عذبة الموارد .

وبعد فإن من سيجتينا إذا تيمنا بولى لا نزال نلحظه ، ونرعى حقوق خدمه
فى القرب والبعد ونحفظه؛ ونقابل ما أسلفه لدينا بنفائس النعم، ونفيض عليه ملبس
الجود والكرم، لا سيما من لم يزل يظهر لنا كل يوم تعبدا جديدا، ومن أصبح

في الفصاحة والبلاغة وحيدا ، ومن جمع أطراف السؤدد والرياسة فلم يبرح بهما فريدا ؛ ومن تحسن النعم بإفاضتها عليه ، وتكلم المنن بإضافة محاسنها إليه ؛ وترهو فرائد البلاغة بانتظامها في سلك مجده ، وتشرق كواكب البراعة في آساقها في فلك سعده ؛ وكان للبايتيه في الاختصاص بنا اليد الطولى ، وتلا عليه لسان أعتنائنا في الحالين : ﴿ وللائحة خير لك من الأولى ﴾ .

ولما كنت أيها الصدر «شهاب الدين» أحق الناس بهذا المنصب لما لوالدك - أبقاه الله تعالى - ولعمرك - رحمه الله تعالى - من الحقوق ، ولما أسلفنا من الخدم التي لا يحسن التناسي لها ولا العقوق ؛ ولأنك جمعت في المجد بين طارف وتالد ، وفقت بأزكى نقر وعم وإخوة ووالد ؛ وجلاله ، ما ورثتها عن كلاله ؛ وخلال ، ما لها في السيادة من إخلال ؛ ومفانح ، تكاثر البحر الزانح ؛ وماثر ، يعجز عن وصفها الناظم والناثر ؛ ولما نعمنا من فضائلك التي لا تُجحد ، وعيناك في عودك لوظيفتك وعود « أحمد » أحمد .

(١) ولما كان فلان هو الذي تفتقر الفصاحة من أعطاف قلمه ، وتخطر البلاغة في أثواب حكمه ؛ وتنزل المعاني الممتنعة من معاقل القرائح على حكمه ، وتقف جياد البداة المتسرعة حيرى قبل التوسط في علمه ؛ إن وشى الطرس فرياض ، أو أجرى النفس فياض ؛ أو نظم فقلائد ، أو نثر ففرائد . لا يتجاسر المعنى المطروق أن يلم بفكره ، ولا يقدم المعنى المتخيل المسبوق للرور بذكره ؛ ولا يجوز زيف الكلام على ذهنه المتقصد ، ولا يثبت غشاء الكلام لدى خاطره المنتقد ؛ «عبد الحميد»

(١) هذه عبارة أخرى تكتب بدل الأولى ولا يجمع بينهما أي فالكاتب مخير في تصدير مقاله باحداهما

كـ«عبد الرحيم» فى العجز عن لحاق علومه التى يجد «الراغب» على نورها هدى ،
والأصمعى لو أدركه لتسلا عليه : «هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا»
«والطُّغْرَائِيَّ» لو عاصره لزاد نظمه وازداد على نوره هدى ، و«الحريرى» لو رافقه
لأمن فى «مقاماته» من التجريح والردى ؛ قد قصرت عن غاية كماله جياذ القرائح ،
وعجزت عن وصف صفاته جميع المدائح ؛ وشرف منصبه بانتسابه إليه ، ورفع
قدره بمثوله لديه ؛ مع ما تميز به من نزاهة صرف بها عن الدنيا طرفه ، وزهادة زانت
بالسعد صدره وملاءة ملأت بالعفة كفه ؛ فهو واحد زمانه ، وأوحد أوانه ؛ والبحر
الذى يحدث عن فضله ولا حرج ، والروض الذى ينقل عن فضله إلى الأشماع
أطيب الأرج ؛ وكان قد مال عن منصبه وهو يذكره ؛ وفارقه وهو يشكره ، ونادى
غيره وبقوله يلبى ، وشغل بغيره وهو يقول حسبي «شهاب الدين» حسبي :
«فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي» . فلما حصل له الاستئناس ،
وزال عنه القلق والالتباس ، قال : «ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ» -
أقتضى حسن رأى الشريف أن نخصه باستقرار رتبته لديه ، وأن نستمر به على
وظيفته السنية استقرار السعود المقبل عليه .

فُرِسِمَ بالأمر الشريف - لا زال شهاب سعيده لامعا ، وسحاب كرمه هامعا ،
ومطاع أمره لمصالح الدين والدنيا جامعا ؛ - لمناقبه^(١) التى وفرت ميامنها ، وأسفرت
بوصف آثاره الحسنة كوامنها ؛ وأن يعاد إليها كما يعاد السوار إلى الزند ، أو كما يعود
نسيم الصبا إلى الرند . فليؤنس منصباً كان إليه مشتاقاً ، ومجلساً كان متظراً أن يزر
من ملابس جلاله على عنقه أطواقاً ؛ وليجمل هالة كانت تشوقه إلى عقود دُرره .
فأحمد الله على ما خصصناك به من مزيد الاعتناء ، وأن السعادة فى أيامنا الشريفة

(١) المراد أن يستقر فى كذا المناقبه ... وأن يعاد .

متصلة فتشمل الآباء والأبناء ؛ ويكفيك بهذا التوقيع الشريف إذ بلغت به جميع
 الأماني ، وتوجناه بيميننا الشريفة لقرب عهدنا بمصاحفة الركن اليماني ؛ وأصطفيناك
 بقلم عظيم شأنًا بتلك السُّتور ، وغدا معمورًا بالهداية ببركة البيت المعمور ، وأزداد
 بمشاهدة الحرم الشريف نوراً على نور . فليحسن نظره المبارك في ذلك كله ،
 وليد ما يحسن في هذه الوظيفة من مثله ؛ وفي تقدم مباشرته في هذه الوظيفة
 وعلمه ما يغني عن كثرة الوصايا ، وملاكها تقوى الله تعالى وهي أكل المزايا ؛
 وليحمد أفعاله ويوصل أسباب اعتمادِه بسببها ؛ والله تعالى يُجمل له مواهب
 تحويله ، ويجعل له الخير في تنقله وتحويله ؛ والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ،
 إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكتابة السر :

الحمد لله الذي جعل خواطر أوليائنا بإقرار نعمنا مستقره ، ومواطر آلنا على
 ذوى الإخلاص في ولائنا دائمة الدائم مستمره ، وبشائر رضانا تجدد لكل من ذوى
 الاختصاص آتياجه ونشره ، وسوافر أوجه إقبالنا لأولى الأصطفاء والوفاء مشرقة
 الأوضح مهللة الأسره ، مودع أسرار ملكنا الشريف من آل «فضل الله» عند
 أكرم أسره ، ومتمتع دولتنا بنجير كافٍ دقق في مصالحنا فكره ، وأنفق في مناخنا عمره ،
 ومجمع آرائنا على أعلى على حل من بهر بيته بمعرفه وبهر خيره ، ومطلع أنجهم
 بأفقي تقريبنا مرة بعد مرة ، فنحجي نيرهم الأكبر وقد شيدنا بإرتقاءهم بيته وشدنا
 بعلائهم أزره .

نحمده على أن جبل سبحاننا ، على الإحسان والمبره ، ونشكره على أن أجزل عطايانا ،
 لمن لم يزل يعرف حقه ويألف خيره ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

شهادة تشرح لمؤمنها صدره ، وتُصلح لموقننا أمره ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده
ورسوله الذى أسمى على الخلائق قدره ، وتولى فى المضائق نصره ، وأعلى فى المشارق
والمغارب ذكره ؛ صلى الله عليه وعلى آله أعرى عثره ، ورضى الله عن أصحابه الذين
أسدوا المنة وسدوا الثغرة ، صلاةً ورضواناً متواصلين فى كل أصيل ومكررين فى كل
بكرة ، ما وهب فضل الله مستحتماً فسراً بالعواطف والعوارف سره ، وعقب فى سماء
الإسعاد كوكباً فحل محله وقر مقتره ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فشيئنا ترعى لأوليائها حقوقاً ، ونعمنا الغامرة تُسنى صدقاتها لمن لم يزل
فى ولائها صدوقاً ، وتزيد هباتها توفيراً لمن عهدت منه لمراضيا توفيقاً ، وتجدد
بتعاهدنا معهد الفضل فلا يمسى خليلاً بل يضحى بيا كرامها خليتماً ، وتشد بإحسانها
بيتنا أسس على تقوى الله وطاعة سلطانها فعدداً بالحفظ حقيقاً ، وتحمى بأعتنائها جوانبه
من الغير فلا يرهب حماه لها طروقاً ، ولا تجد بفضل الله لها عليه طريقاً ، وتطلع
فى بروج سُعودها زهراً تروق شروقاً ، وتجمع على مهماتها من عظموا فضلاً وكرموا
فريقاً ، وتودع أسرارها عند سراتهم ركوناً إليهم وسكوناً ورضاً بهم وثوقاً ، وتشفع
مناخها بمنايح تزيد آمالهم نجاحاً وتفيد أمانتهم تحقيقاً ، وترفع مكاناً علياً إلى حيث
أسع السرار من ملكها من كان بالميامن ملياً وفى المحاسن عريقاً ، ويخلف فى خدمتها
شقيق منهم شقيقاً ، ويصرف أوامرها ونواهيها من أعيانهم من تأمن المصالح مع
اجتهاده ، تفويتاً وتخاف الأعداء لسداده ، تعويها ، طالما أئتمناهم على إيداع أسرارنا
فلت من سرائرهم مستودعاً وثيقاً ، وعينوا للمعالى فصادفت طويتنا من يقظتهم
ونهضتهم تصديقا ، فهم أولى أن نجعل لأجسادهم بعقود جودنا تطويقاً ، وأحق أن
نرفع بنعمنا محلهم ، ونجمع فى خدمتنا شملهم ، فلا يخشون نقضاً ولا تفريقاً .

ولما كان المجلس العالى الفلانى هو الذى لحظته عنايتنا ، فعلا فعلا ، وأيقظته إشارتنا ، فغدا فى الحكم كهلا ، وحفظته رعائنا ، فعمرت بيته العمرى الذى مازال بالعوارف ملموحا وللقبول أهلا ، وأحظته سعادتنا ، فى إقامته مقام أبيه فى حفظ أسرارنا التى هو أحق بإيداعها وأولى - أقتضى حسن رأى الشريف أن نُجرى بمراسمنا أقلامه ، ونوفر من إنعامنا أقسامه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا برحت سبحانه عاقه ، ومواهبه لها مزيد وإدامه ، ورعايته إذا ابتدأت فضلا رأت إتمامه ، وكواكبه تسير فى منازل عزها ولتيرها الأ كبر الإرشاد والإمامه - أن يقوض إليه كذا وكذا ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، نظير ما كان مستقرا لأخيه .

فليباشر هذه الوظيفة التى لها به وبأهله أعظم نخار ، وليحل هذه الرتبة التى ما منهم إلا من لها يجتبى ويستخار ، وليجمل هذا المنصب الذى إليهم مصيره فى جميع الأمصار ، وليحل المهارق بانشا آتته التى شان مطاوعها عن شأوها الإقصار ، وليتوقل هذه الهضبة التى لها على عليائهم أقنصار ، وفى آباءهم وأبنائهم لها تعيين وأنحصار ، وليدبج الطروس من خطه بالوشى الرقيم ، وليبج النفوس من خطابه بالدرّ النظيم ، وليسرج الشُّموس من أوضاع كتابته التى تبرز من إبريز كُنُوزها «أبن العديم» ، وليجهز البرد التى تقدمها مهابتنا فلم يكتبها من كتاب الأعداء هزيم ، وليزيّن مقاصدها التى قُرن بها الفتح القريب والنصر العزيز والفضل العظيم ، وهو بحمد الله غنى عن الإرشاد بالوصايا والتفهيم ، على القدر لا يحتاج مع المعية إلى تنبيه ولا إلى تعليم ، وهم أئمة هذه الصناعة وهم الفضل القديم ، وسبيلهم السوى وصرأطهم القويم ، والله تعالى يوفّر لهم فضلنا العميم ، ويظفر أقدارهم من لدنا

بتكرير التكريم ، ويسنى أمرهم فى آفاق العلياء يسعد ويقعد ويقيم ، ويديم لكل منهم فى ظل نعمنا المزيدي والتأكد والتقديم ؛ والعلامة الشريفة أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لكتاب السر ، أوردتها فى "التعريف" وهى :

وليأمرنا بما يُقابل بالأمثال ، ويقال به : السيوف لأقلامه مثال ؛ ويبلغ [من] ملوك العدا ما لا تبلغه الأسنه ، ولا تصل إليه المراكب المشرعة القلوع والخيول المطلقة الأعنة ؛ وليوقعنا بما تذهب الأيام ويبقى ، ويخلد من الحسنات ما يلفى آخرة ويلقى ؛ ويمل من لدنه من غرر الإنشاء ما يطرز كل تقليد ، وتلقى إليه المقاليد ؛ ولينفذ من المهيمات ما تحجب دونه الرماح ، وتخرج عن مجارة خيل البريد به الرياح ؛ وليتلق ما يرد إلينا من أخبار الممالك على اتساع أطرافها ، وما تضمه ملاءة النهار ملء أطرافها ؛ وليحسن لدينا عرضها ، وليؤد بأدائها واجب الخدمة ولتيم فرضاها ؛ وليجب عنا بما استخرج فيه مراسمنا المطاعة ، وبما وكل إلى رأيه فسمع له الصواب وأطاعة ؛ وليمض ما يصدر عنا مما يحوب الآفاق ، ويزكو على الإنفاق ، ويحول ما بين مصر والعراق ، ويطير به الحمام الرسائل وتجرى الخيل العتاق ؛ ولير التواب ما أبهم عليهم بما يريهم من ضوء آرائنا ، وليؤكد عندهم أسباب الولاء بما يوالى إليهم من عميم آلائنا ؛ وليأمر الولاة بما يقف به كل منهم عند حده ولا يتجاوزه فى عمله ، ولا يقف بعده على سواه بأمله ؛ وليتول تجهيز البريد ، وأستطلاع كل خبر قريب وبعيد ؛ والتجابة وما تسير فيه من المصالح ، وتأخذ منه بأطراف الأحاديث إذا سالت منه بأعناق المطى الأباطح ؛ وأمور النصحاء والقصّاد ،

ومن يَظُلُّ سِرَّهُمْ عنده إلى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرجالَ أَنصَداعُها وهم شَتَّى في البلادِ ؛ وليُعرفَ حقوقَ ذوى الخِدمة منهم ، وأهلِ النصيحة الذين رضى الله عنهم ، ولا يَنسَ عوائدهم من رُسومِ إحساننا الموظَّف ، وكرمنا الذى يَسْتَمِيلُ به القلوبَ ويتألَّف ؛ وليُصنِ السَّرَّ يَجْهده وهيات أن يَخْتَنِي ، وليحجبه حتى عن مَسْمَعِيهِ فِسرُ الثلاثة غير الخفي ؛ والكشافة الذين هم ربيثة النظر ، وجلافة كل خبر ؛ ومن هم أسرعُ طرُوقا من الطيف ، وأدخل في نُحُور الأعداء من دُبابِ السَّيف ؛ وهم أهلُ الرِّباط للخيال ، وما منهم إلا من هو مُقْبِلٌ ومُدْرِكٌ كالليل ؛ والدَّيَادِبُ والنَّظَّارة ، ومن يَعْلَمُ به العِلْمُ اليقين إذا رَفَعَ دُخانَه أو نارَه ؛ وهم في جنباتٍ حيثُ لا يَخْفَى لأحد منهم مَنارٌ ، ولا يزال كلُّ نَبِيٍّ بتنويرهم كأنه جَبَلٌ في رأسِه نارٌ ؛ والحمامَ الرِسائِلِ وما يحمل من بَطائِقٍ ، ويتحمَّل من الأبناء ما ليس سواه [له] بَطائِقٍ ؛ وينحوض من قطع الأهار ، ويقطع إلينا ما بعد مسافة شهر وأكثر منه في ساعةٍ من نهارٍ ؛ ويعزِمُ السرى لا يُلَوِي على الرباع ، ويعلم أنها من ملائكةِ النصر لأنها رُسلٌ ولها أجنحةٌ مثنى وثلاث ورباع ؛ وغير هذا مما هو به معدوق ، وإليه يُخدَى به التُّوق ؛ من رُسلِ الملوك الوارده ، وطوائفِ المستأمنين الوافده ؛ وكلُّ هؤلاء [هو لآ] ما هم المترجم ، والمصرح عن حالهم المُحمِّم ، فليعلمهم بالكرامه ؛ وليوسع لهم من راتب المُضَيِّف ما يجب إليهم في أبوابنا العالية الإقامه ؛ وليعلم أنه هو لدينا المستشار المؤمن ، والسفير الذى كلُّ أحدٍ بسفارته مرتين ؛ وهو إذا كتب بنائنا ، وإذا نطق لساننا ؛ وإذا خاطب ملكا بعيد المدى عنواننا ، وإذا سدَّ رأيه في نُحُور الأعداء سهمنا المرسل وسناننا ؛ فليُنزِلِ نفسه مكانها ، ولينظر لدينا رتبته العلية إذا رأى مثل النجوم عينها .

فليراقب الله في هذه الرتبة ، وليتوقَّ لدينه فإنَّ الله لا يَضِيعُ عنده مثقالَ حبه ، وليخفَّ سوءَ الحساب وليتقَّ الله ربَّه ؛ وجماعة الكُتابِ بديوان الإنشاء بالممالك

الإسلامية هم على الحقيقة رعيتُه ، وهداهم بما شئتهم به من الآلاء والمعيتُه ؛
فلا تستكتب إلا من لا تجد عليه عاتبا ، ولا يجد إلا إذا قعد بين يديه كاتباً ، والوصايا
منه تُستملَى .

الطبقة الثانية

(من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية أصحاب
التواقيع ، وهم على ثلاث درجات)

الدرجة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالى» وكلها مفتحة بـ «الحمد لله»)
وتشتمل على ثلاث وظائف سوى ما تقدم أنه نقل إلى رتبة النقايد ، وهو كتابة السر

الوظيفة الأولى

(نظر الخاص)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها وظيفة محدثة ،
أحدثها السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » حين أبطل الوزارة ؛ وأن أصل
موضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان ؛ وأن صاحبها صار كالوزير لقربه
من السلطان وتصرفه في تدبير جملة الأمور ، وتعيين المباشرين ، إلا أنه لا يقدر على
الاستقلال بأمر ، بل لا بد له من مراجعة السلطان . وقد تقدم ذكر ألقابه في الكلام
على مقدمة الولايات من هذا الفصل ، وعلى طوة توقيعه في الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخاص ، كتبت به للقاضى شمس الدين موسى بن
عبد الوهاب في الأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » وهى :

الحمد لله الذى جعل كل جرح بنا موسى ، وعجل كل نعمة تبدل بوسا ، وتغير بالسرور من المساءة لبوسا .

نحمده حمدا يشرح صدورنا ويسر نفوسنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع لقائلها رؤوسا ، وتطلع في آفاق ممالكنا الشريفة شمسوسا ، وتنشئ في أيماننا الزاهرة غروبوسا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بشر به موسى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تملأ طروبوسا ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن العمل بالسنة أولى ما يتمسك به المتمسك ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «أبدأ بنفسك» ، وكانت الخواص الشريفة هى المصلحة الخاصة بنا ، المتعلقة دون كل شىء بأنفسنا ، لأن من خزائنها العالية نتفرق مواهبنا الشريفة فى الوجود ، ونتحلى معاطف الأمراء والجنود ، وكان فيها من لم يزل هو وبنوه قائمين بها أحسن قيام ، [و] فيها من ممالكنا الشريفة ما يضاهاى بمدده الغمام ، من حضر منهم لا يتفقد معه من غاب ، ومن كتب منهم فى شىء من مصالحها قال الذى عنده علم من الكتاب ، كم أجزت صدقاتنا الشريفة بأقلامهم من إنعام ، وتقسموا فى مصالحنا الشريفة هذا فى الخاص وهذا فى العام ، طالما أنقطع والدُّهم رحمة الله تعالى بعدد فمشوا الأمور على أكل سداد ، وأجل اعتماد ، وأتم مالو حضر أبوهم وكان هو المتولى لما زاد ، فما خلت فى وقت منه ، أو من أحد منهم لما غاب من بقى يسد عنه ، فلم يزل منهم ربُّها مأنوسا ، ولا سئل فيها عن قصة إلا وأنبأت بها صحف إبراهيم وموسى .

وكان المجلس العالى فلان هو الذى تفرَّد آخرًا بهذه الوظيفة ، وأستقلَّ فيها بين أيدينا الشريفة ، وسافر فيها إلى نغر الإسكندرية - حرمها الله تعالى - فأقتر بيمين تصرفه ، وحسن تعفُّفه ، وعدم فيها المضاهى لأنه لاشىء يضاهاى الشمس إذا حلَّ

سرها في منازل شرفه ، كم كفت له كفايه ، وبدت بدايه ، وكم بلغ من غايه ،
 كم له من همم ، وكم تقدمت له قدم ، وكم اعترف السيف بيز القلم ، كم له في خدمه
 المقامات العاليه اولادنا اثر جميل ، وفعل جلي جليل ، وسلوك فلا يحتاج في الشمس
 الى دليل ، كم احسن في مره ، كم رددناه الى الكرك كره ، كم غلب على السحاب
 فرقنا اليها ، وبلغ النجوم وله قدوم عليها ، فلما انتقل والده القاضى تاج الدين
 عبد الوهاب الى رحمة الله تعالى ، احتاج الى توقييع شريف بالاستقلال في وظيفة
 نظر الخاص الشريف التي خلت عن ابيه ، ليعلم كل متطاول اليها انه لا يصل
 اليها مع وجود بنيه ، فما عاد إلا وعاد بعين العنايه محروسا ، ولا أقبل على كرمنا
 إلا قال ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - زاد الله شرفه ، ومكن في الأرض تصرفه - أن
 يفوض إليه نظر الخاص الشريف بالملك الإسلاميه المحروسة ، على عادة والده
 رحمه الله في هذه الوظيفه ، وقاعدته في رتبته المنيفه ؛ ليقضى ما كان في خاطر ابيه
 من الوطر ، ولأنه في أمثاله عين الأيمان والعين أولى بالنظر .

فليأشر ما نعمت به صدقاتنا العميمه عليه على ما عهد [منه] بالأمس ، وعرف به
 من حسن السلوك كمن يمشى في ضوء الشمس ؛ وليقدم تقوى الله والأمانه فهما
 أفضل ما يقدم ، وأجل ما يعمل به من تقدم ، والنهضة فإنها هي التي تقوم بها
 المصالح ، والتصدي لما هو بصدده فإن به يتم كل عمل صالح ؛ وليحتفظ على
 الخزان العاليه ، وليكن فيها كواحد من رفقته عملا بالعادة [فيها] ، وإلا فينحن نعم من
 كفايته [أنه] يكفيها ، ويشمر الجهات التي إليه مرجعها ، والأموال التي يدوم إليه من
 العين تطلعها ؛ وليستجلب خواطر التجار بإيصال حقوقهم إليهم ، والقائمين في خدمه

أبوأبنا الشريفة بتعجيل ما تُنعم به صدقاتنا الشريفة عليهم ؛ وليكن إلى ما تبرز به
 مراسمنا الشريفة مسارعا ، ولها في كل ما أشكل عليه من الأمور مُراجعا ؛ وبقية
 هذا من كل ما يحتاج أن نُوصيه بتعلمه فقد علم مما جرت به عادتنا الشريفة بأن
 نقوله في مثله ، ولهذا نختصر في الوصايا التي تُشرح آكتفاء بما آناه الله بنا من
 فضله ؛ والله تعالى يأخذ به إلى النجاح ، ويفتح له بنا أحسن الأفتاح ؛ والاعتماد
 على الخط الشريف أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الخاص :

الحمد لله الذي جعل خواص النعم لملكنا الشريف لأجلها ، ونفائس الذخائر من
 دولتنا القاهرة بجملها ، وأخير المفاتيح مبسوطا في أيامنا ظلها .

نحمده بحمده التي لا تملها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
 أشرق مستهلها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي ختمت به أنبيأؤها ورسلها ،
 وبعثه الله للأرحام بيائها ، وللأولياء يجلها ، وللأعداء يذئها ، وللسيوف النصر من
 العمود يسئها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما شء على مطية رحلها ، وولى المراتب
 أهلها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن خزائن ملكنا الشريف مستودع كل ثمين ، وممالكنا المعظمة لاتصدق
 إلا بالثقة الأمين ؛ ومتاجر خواصنا الشريفة لا يجرها إلا من رأيه يعضد قلمه في اليمن ،
 والمتجر المحروس لا يقوم بماء محصوله إلا من له حزم سيدد وعزم متين ، ونظر
 الخواص هو الدررة العالية فمراقبها على كل ما يعترضه معين .

ولما كان فلان هو المختار على يقين ، والمخطوب لهذا المنصب ليزيده فى التحسين والتحصين ، والذي إن نظر فى القليل عاد كثيرا بالألوف والمئين ، فإن دبر تدبيرا حفظ وحرس وصين ، وضبط فى حسن الاعتماد بأغ إلى الصين ؛ وإن توجه إلى الثغر المحروس تفجر له عن أمواله الجمه ، وأخرج له من فاجر الحلل ما حسن راقمه رقمه ؛ وصدر عنه إلى أبوابنا الشريفة بالتحف المشمنه ، والحمول التى أوقرت السفن فى النيل ، والإبل فى السيل ، فأزال الغمه ، وأثار الأمور المدهمه ، ونشر ما طواه لدينا فشكرنا له ما تقدم به مما أتمه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف ... فليأشر هذا المنصب الكريم بتدبير يصلح الفاسد ، وينفق الكاسد ، ويكبت الحاسد ؛ ويكثر الأموال ، ويسعد الأحوال ؛ ويمر الذخائر ، ويسر السرائر ؛ ويوفر حاصل الجواهر ، ويكثر التحف من كل صنّف فاجر ؛ ويوفى المهمات الشريفة حقها فى الأول والآخر ، وينشر التشاريف كالأزاهر . وليختار الأمناء الثقات ، وليحرر كل منهم الميقات ، وليبع لنا صنا الشريف ويشتر بالأرباح فى سائر الأوقات ؛ وليتلق تجار الكارم الواردين من عدن ، باستجلاب الخواطر وبسط المنن ، ونشر المعسلة عليهم ليجدوا من اليمن ما لم يجدوه فى اليمن ؛ وكذلك تجار الجهة الغربية الواردين إلى الثغر المحروس من أصناف المسلمين والفرنج : فليحسن لهم الوفاة ، وليعامهم بالمعسلة المستفاده ، فإن مكاسب الثغر منهم ومن الله الحسنى وزياده . والوصايا كثيرة وهو غنى عن الإعادة ، و [ملاكها] تقوى الله فليقتف رشاده ، وليصلح مآبه ومعاده ، ولا يتدنس بأقدار هذه الدنيا فإنها جمره وقاده ، والله تعالى يحرس إرفاقه وإرفاده ، بمنه وكرمه ! : بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ؛ إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظر الجيش)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنّ موضوعها تحدّث في الإقطاعات بمصر والشام، والكتابة بالكشف عنها، ومشاورة السلطان عليها، وأخذ خطّه . وقد تقدّم ذكر ألقابه في جملة الألقاب في الكلام على مقدّمات الولايات من هذا الفصل، وتقدّم ذكر ما يُكتب في طرّة تقليده في الكلام على التوقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش :

الحمد لله الذي عدّق بالأكفاء مصالِح الجنود ، وصرف أقالِمهم فيا نُقطعه من الجُود، وأجّتي لمراتب السيادة من تحمّده الأقالِم في العطايا البيض والسيوف في الخُطوب السود .

نحمّده وهو المحمود، ونشكره شكراً مُشرق الميَّان والسُعود؛ ونشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً عدّبة الورود ، يجمّد الخِلاص بركتها يوم العَرْض ﴿ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾ ونشهد أنّ محمداً عبده ورسوله الذي أصحّت به جيوش الإسلام منشورة الألوية والبُود ، منصور السرايا في التَّهائم والنُجود؛ صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه ما أورد عود، وأولج نهار السيف في ليل الغمود؛ وسلّم تسليماً .

وبعد ، فإنّ أجلّ رُتب هذه الدولة الشريفة مُرتقى ، وأجلّها متقى ، وأكرمها هادياً حلّى بعقد السيادة مفرّقا، رتبةً حَكَمنا مرتقيها في أرزاق الجيوش الذين هم حُماة الدين وأنصاره ، ولهم رَواح الطَّفَر وأبتكاره؛ ولهذا لا يحظى بتسنيها إلا من علا مقدارا ، وشكرت الدولة الشريفة له آثاراً ، وجيبت عليه السعادة أئوابها ،

(١) (عدق) جمع .

وأوكفت عليه سخابها، وأنزلته ساحاتها ورحابها، وغدت لأحاديث علبائه تروى،
وحمد الميسور والمنشور والمطوى .

ولما كان فلان هو الذى نمت مأثره، وكُرمت مفاخره، وأستوت على العلباء
مظاهره؛ وشكر أستبصاره وحياطته، وكل سلوكه منهج الفخار وجادته؛ وأحصى
الجنود عددا، وإن كثروا النجوم مددا؛ وأحاط بالأرض المقطعه، فلم تكن نواحيها
عنه ممتعه؛ ولم يغادر منها شيئا إلا أحصاه، وأتبع سبب مرأضينا حتى بلغ أقصاه؛
فالعلم يثنى عليه والعلم، والحرب والسلم يشكرانه لمناسبة نظره القرطاس والقلم -
أقتضى حسن رأى الشريف أن نقيه هضبة سامية العلى، فاحرة الحلى؛ ومنبع
أرزاق أمة الفضل وأبطالها، ورتبة شهد منالها بعدم مثالها .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه

فليأشر هذه الوظيفة المباركة، ويحل ذراها الأسمى، وليجمل أطلعه على
الحيوش المنصورة حتى لا يغادر منها أسما؛ لتغدو مصالحها وريقة الغراس بأسقه،
وعقودها نفيسة الفرائد متناسقه؛ وليجر نظره المبارك فيما صرفناه فيه، آخذاً بمن
السداد من فعله وحسن التنفيذ من فيه؛ ملزماً من تحت نظره بإتقان ما هم بصدد
من العروض والأمثلة، حتى تغدو لديه ممسلة؛ محرراً للإقطاعات وعلم خفاياها فيما
نهبه ونقطعه، ونصله ونقطعه؛ والمقايضات وإن اختلفت، والإفراجات وإن
أكتنفت، والمغلات الآتية والأخرى التى سلفت؛ وما يخص المتصل، من فعل
المنفصل؛ والمتحصل والعبره، والخاص والعدة لذوى الإمرة؛ ومنها مصرى لاغنى
عن تحريره، وشامى يفتقر إلى الإتيان فى قليله وكثيره؛ ولينظر فيمن له جامكية
أو إقطاع مجزل، وكلاهما فى دولتنا سماك : هذا رايح وهذا أعزل .

هذه وصايا بجمه ، وأنت غني عن أن يستقصي القلم ذكرها أو يمجّه ، والله تعالى
يجلّ به رتبته ، ويبلغه أربه ، ويرفع عليه لواء المجد وعذبه ، بعد العلامة الشريفة
أعلاها الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش :

الحمد لله الذي أعزّ الجيوش المنصوره ، وجرّ أعناق العدا بالسيوف المشهوره ،
وهزّ ألية التأييد المنشوره ، وجعل الجحافل مشرفةً وأجنحتها خافقةً وساقها محذقةً
وقلوبها مسروره .

نحمده بحمده المذكوره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
مأثوره ، موصولةً غير مهجوره ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أبطل
من الشيطان غروره ، وصان للإسلام حوزته ونغوره ، وسنّ لأئمة الاستخارة
والمشوره ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً تورت من الليل ديجوره ، وكثرت
لقائلها أجوره ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنّ أحوال جيوشنا يتعين حسن النظر في أمرها ، والقيام بمواد نصرها ،
وإسعافها بناظر يجزر جهات أرزاقها ، ويضبطها مخافة افتراقها ، ويأمر بنظم جرائد
أسمائهم وأنفاقها ، ويتقن الحلي ، ويبين يوم العرض محله في آرتقاء العلي ، ويصون
الحسابات لكل منفصل ومتصل من الحلل ، ويسرع في الدخول والخروج ما يصل به
لكل حقه عند استحقاق الأجل .

ولما كان فلان هو الممدوح بالسنة الأقلام ، والرئيس بين الأنام ، والمشكور بين
أرباب السيوف وذوى الأقلام ، والمأمون فيما يعدق به من مهام ، والعزيز المثل ،

والسائر بمجده الأمثال ، والمنشور فضله في كل منشور ، والظاهر أثره تجريده في الديوان المعمور ، والذي شكرته المملكة الشريفة فهو من صدورها في الصدور .

فذلك رسم (٢) فليباشر نظر هذا المنصب السعيد بأمانة تحفظ أرزاق العساكر ، وتجلو الظلام العاكر ، وليحترر جرائد التجريد ، وليصن العدة الكاملة من التبديد ، ولتكن أوراق البياكر نصب عينيه حتى إذا طلبت منه أحضرها محرره ، وإذا وقع فيهم حركة كانت أفلامه غير مقصره ، ويرغب في اقتناء الشاء حتى يصبح عنده منه جملة من الألو ، وليكن للأمانة والنصح نعم الألو ، وليتق الله مع أصحاب السيف ، وليستجلب خواطر أرباب الصوف ، وليجعل له برأ في كل أرض يطوف ، وتقوى الله فهي السبيل المعروف ، فلينعم بجناتها الدانية القطوف ، وليلبس بردها الضافية السجوف ، والله تعالى ينجيه من الخوف ، بمنه وكرمه ! .



وهذه وصية ناظر جيش أوردتها في "التعريف" قال :

ولياخذ أمر هذا الديوان بكليته ، ويستحضر كل مسمى فيه إذا دعي باسمه وقوبل عليه بجليته ، وليقم [فيه] قياما بغيره لم يرص ، وليقدم من يجب تقديمه في العرض ، وليقف على معالم هذه المباشرة ، وجرائد جنودنا وما تضحى له من الأعلام ناشره ، وليقتصد في كل محاسبه ، ويحترها على ما يجب أو ما قاربه وناسبه ، وليستصح أمر كل ميت تأتي إليه من ديوان الموارث الحشرية ورقة وفاته ، أو يخبره به مقدمه أو نقيه إذا مات معه في اليكار عند موافاته ، وليحتر ما تضمنته الكشوف ،

(١) لعله والظاهر أثره وتحريه الخ .

(٢) بياض بالاصل ومراه بالأمر الشريف الخ .

ويحقق ما يقابل به من إخراج كل حال على ما هو معروف، حتى إذا سُئل عن أمر كان عنه لم يخف، وإذا كُشف على كُشف أظهر ما هو عليه ولا يُنكر هذا لأهل الكُشف؛ وليحترز في أمر كل مَرَبَعِه، وما فيها من الجهات المُقطَّعة؛ وكل منشور يكتب، ومثال عليه جميع الأمر يترتب؛ وما يثبت عنده وينزل في تعليقه، ويرجع فيه إلى تحقيقه؛ ولعلم أن وراءه من ديوان الاستيفاء من يساوقه في تحرير كل إقطاع، وفي كل زيادة وأقطاع، وفي كل ما ينسب إليه وإن كان إنما فعله بأمرنا المطاع؛ فليتبصر بمن وراءه، وليتوق أختلاق كل مبطل وأقترأه؛ وليتحقق أنه هو المشار إليه دون رُفقتِه والموكل به النظر، والمحقق به جملة جنودنا المنصور من البدو والحضر. وإليه مدارج الأمراء فيما تنزل، وأمر كل جندي له ممن فارق أو نُزل؛ وكذلك مساوقات الحساب ومن يأخذ بتاريخ المنشور أو على السِّيَاقِه، ومن هو في العساكر المنصورة في الطليعة أو في السَّاقِه. وطوائف العرب والتركان والأكراد، ومن عليهم تقدمه أو يلزمهم روك بلاد، أو غير ذلك مما لا يفوت إحصاؤه القلم، وأقصاه أو أدناه تحت كل لواء ينشر أو علم؛ فلا يزال لهذا كله مستحضرا، وعلى خاطره مُحَضَّرًا؛ لتكون لفتات نظرنا إليه دون رُفقتِه في السؤال راجعه، وحافظته الحاضرة غنية عن التذكار والمراجعة.

الوظيفة الثالثة

(نظر الدواوين المعبر عنها بنظر الدولة)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه الوزير، وأن كل ما كتب فيه الوزير «يُكشَف» مثلا، كتب فيه «يُكشَف» عما رسم به» ونحو ذلك. وتقدم ذكر ألقابه في الكلام

على مقدمات الولايات من هذا الفصل ، وتقدم ذكر ما يكتب في طرة توقيعه
في الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الدواوين ، كُتِبَ به لتاج الدين بن سعيد الدولة ، وهي :
الحمد لله الذى خصَّ من أخلص في الطاعة من الأئمة بحسن النظر ، وأجنى
من غرس في قلبه أصل الإيمان من عوارف أيامنا الزاهرة يانِع الثمر ، ورفع من
استضاء في دولتنا القاهرة بأنوار الهدى من حُجُول الرُتَب إلى مكان الغرر ، وأظهر
لوامع السعادة من نعمنا على من أضاء له الرشدُ فرآه بعين البصيرة قبل البصر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هي أرفع ما يقتنى وأنفع
ما يدخر ، وأفضل ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأخر ، ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله أشرف البشر ، وأرف البدو والحضر ، والمبعوث إلى الأمم
كافة لما قضاه الله تعالى من سعادة من آمن وشقاوة من كفر ، صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الميامين الغرر ، صلاة دائمة الورد والصدر ، باقية العين والأثر ، وسلم
تسلياً كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من خصه برنا بالنظر الحسن ، وشمله كرمنا من الرتب بما بهجر
في بلوغ مثله الوسن ، وأشتمل عليه معروفنا بما يجعل يرآه في مصالح الدولة القاهرة
جميل العبارة حسن اللسن ، من سمت به نفسه إلى سعادة الآخرة فأنته سعادة الدنيا
تابعه ، وسلك في مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص فغدت لكل خير
حاوية ولكل يمن جامع ، مع كفاءة جاءت المناصب على قدر ، ومعرفة ما لحظت
المصالح بأقرب نظر ، إلا تمت الأموال وبدرت البدر ، وخبرة ما أعتبرت فيها
محاسن سيرته في كل ما ياشره إلا صغر خبرها الخبر ، ونزاهة سلكت به في كل

ما يليه أحسن المسالك ، وعِفَّةٍ رَفَعَتْهُ من الرتب الديوانية إلى مَفَارِقِهَا ولا رُبَّةَ لِلتَّاجِ إلا ذلك .

ولمَّا كان فلان هو الذى آجَنَى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى ، وفاز من عوارفها العميمة بجميل المُخَالَصَةِ مازاد على المني ، وآتَى من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعِفَّةِ وهما أنخر ما يدنر للرتب الجليلة وأنس ما يُقْتَنَى ، وعنى من أسباب استحقاقه المناصب بما أقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يُحتفل بتقديمه وأن يُعْتَنَى .

فذلك رُسم أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة : فليُباشر ذلك محلياً هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل ، ومجلياً في هذه الحلابة بسبق معرفته الذى لا يحتاج إلى دليل ، ومبيناً من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار ، ومن كوامن أطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار ، فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح مُثْمِراً ، وليل نفسه في ليل الأعمال مُقْمِراً ، وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح مُحْدِقاً ، ولسان قلمه لما دق من أمور الأقاليم محققاً ، ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مُثْبِتاً ، ووسم تحريره لما يجتنى من غروس المصالح مُنْبِتاً ، ولدَّر أخلاف الأعمال ، بِحُسْنِ الأَطْلَاعِ محتلياً ، ولوجوه الأموال ، بِإِنْفَاقِ التوجه إلى ثميرها إن أقبلت محتلياً وإن أعرضت محتلياً ، فإنَّ الأمور معادنٌ يستثيرها التصرف الجميل ، ومنابتٌ ينميها النظر الحلي والإتقان الجليل ، وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويتخيأها في كل حال إمامه ، والله تعالى يوفقه بمنه وكرمه ! .

قلت : ورُبَّمَا أُضِيفَ إلى نظر الدواوين المعمورة نظر الصَّحْبَةِ الشريفة الآتى ذكراً ، وكتبَ بهما جميعاً لشخص واحد .

(١)
وهذه نسخة توقيع بهما جميعاً، كُتِبَ بها لتاج الدين بن سعيد الدولة على أثر
إسلامه، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهى :

الحمد لله الذى خصَّ من أخلصَّ فى الطاعة من الأئمة بحسن النظر، وأجنى من
غرس فى قلبه أصل الإيمان من عوارف أيامنا الزاهرة يانع الثمر، ورفع من استضاء
فى دولتنا القاهرة بأنوار الهدى من محجول الرتب إلى مكان الغرر، وأظهر لوامع
السعادة من نعمنا على من أضاء له الرشد فراه بعين البصيرة قبل البصر .

نحمده على إحسانه الذى عمّر، وأمتنانه الذى بهر، وفضله الذى عمَّ كلَّ من ظهر
له الهدى فلم يعارض الحق إذا ظهر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أرفع ما يقتنى وأنفع
ما يدنر، وأوضح ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأخرى، ونشهد أن
مجداً عبده ورسوله أشرف البشر، وأرفأ البدو والحضر، والمبعوث إلى الأمم كافة
لما قضاه الله من سعادة من آمن وشقاوة من كفر؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الميامين الغرر، صلاة دائمة الورد والصدر، باقية العين والأثر؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى من خصه ربنا بالنظر الحسن، وشمله كرمنا من الرتب بما يهجر
فى بلوغ مثله الوسن، وأشتمل عليه معروفنا بما يجعل يراعه فى مصالح الدولة
القاهرة جميل العبارة حسن اللسن؛ من سمى به نفسه إلى سعادة الآخرة فأنته
[سعادة] الدنيا تابعه، وسلك فى مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص فغدث
لكل خير حاوية ولكل يمن جامعته؛ مع كفاءة جاءت المناصب على قدر، ومعرفة
ما لحظت المصالح بأقرب نظر؛ لإلتمت الأموال وبدرت البدر، وخبرة ما اعتبرت فيها

(١) هى عين سابقها خلا أن فيها ضم الصحبة مع تغيير يسير، فتنبه .

محاسن سيرته في مباشرة الإصغر خبرها الخبر؛ ونزاهة سلكت به في كل ما يليه أحسن المسالك، وعفة رفعته من الرتب الديوانية إلى غررها ولا رتبة للتاج إلا ذلك.

ولما كان فلان هو الذي أجتني من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى، وفاز من عوارفها العميمة بجميل المخالصة ما زاد على المتى، وأنتمى من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أنخر ما يدخر للرتب الجليلة وأنفس ما يقتنى، وعني من أسباب استحقاقه المناصب والرتب بما اقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يحتفل بتقديمه وأن يعتنى - فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة ونظر الصحبة الشريفة.

فليباشر ذلك محلياً هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل، ومحلياً في هذه الحلبة بسبق معرفته التي لا تحتاج إلى دليل، ومبيناً من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار، ومن كوامن اطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار؛ فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح مُميراً، وليل نفسه في ليل الأعمال مُميراً؛ وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح محققاً، ولسان قلمه لما دق وجل من أمور الأقاليم محققاً؛ ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مُنبتاً، ووسم تحريره لما يجتنى من غروس المصالح مُنبتاً؛ ولدّر أخلاف الأعمال، بحسن الاطلاع محتلباً؛ ولوجوه الأموال، بإنفاق التوجه إلى ثمرها إن أقبلت محتلباً وإن أعرضت محتلباً؛ فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل، ومنابت ينمىها النظر الحلي والإتقان الجليل؛ وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه، ويتخيّلها في كل وقت أمامه؛ والله تعالى يوفقه بمنه وكرمه! . وانخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه .

الوظيفة الرابعة

(١)
(نظر الصحبة)

[وهذه نسخة توقيع بنظر الصحبة] كُتِبَ به للشريف شهاب الدين ناظر الصحبة، من إنشاء الشهاب محمود الحلبي، وهو:

الحمد لله الذى جعل الشرف حيث حلّ ركابنا مصاحباً، وأطاع للفضل فى أفق خدمتنا من أولياء دولتنا شهاباً ثاقباً، وعدق النظر فى صُحبتنا بمنّ لم يزل لمصالحنا ملاحظاً ولأوامرنا مُراقباً، وفوض أمور مباشرة حال من آجتهد أو قصر فى خدمتنا إلى منّ لم يزل بنفسه فى واجب الطاعة مُنافساً وعلى فرض الموالاة مُحاسباً.

نحمده حمد منّ أجمل فى أولئنا نظراً، وخصّ بالنظر فى صُحبتنا من آخترت خدمته فتساوت فى الطاعة والمناجحة سفيراً وحضراً؛ واعتمد فى ملاحظة مباشرى ما يتر عليه من ممالكه على من لا يهمل له حقاً ولا يُحدث له ضرراً.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال جيوشنا لإعلاء منارها مجهزة، وسرايانا إلى مقاتل جاحديها البارزة مبرزه؛ وعود النصر على منّ ألد فيها لنا معجلاً وعلى أيدينا منجزه؛ ونشهد أنّ مجدا عبده ورسوله الذى أمهضنا الله من جهاد أعداء دينه بما قرّض، وأيقظنا لرفع أقدار أهل بيته فلم يقصر بأحد منهم فى أيامنا أمل ولا بعد عليه غرض، وخصنا منهم بمنّ تمسك بجوهره الأعلى فلم

(١) يظهر قياساً على ماسبق فى نظائره أن هنا سقطاً، هو « وموضوعها أن صاحبها يُحدث مع الوزير فى كل ما يُحدث ويشاركه فى الكتابة فى كل ما يكتب فيه ويوقع فى كل ما يكتب فيه الوزير تبعاله ». انظر صفحة ٢٩ ج ٤ من هذا المطبوع.

يتعرض من هذا الأذى إلى عرض ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من (يكاد يمسه عرفان راحته) ، وإلا المؤثر طاعة الله ورسوله وأولى الأمر على راحته ؛ صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس خلودها من الغروب والزوال ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من اخترناه لصحبتنا الشريفة على علم ، وأعدناه لمهماتنا الكريمة لما فيه من تسرع إدراك وتثبت في حكم ؛ وبسطنا له فيما عدقناه به من ذلك لسانا ويدا ، وحفظنا به الأحوال من [وصول] مسترق السمع إليها (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) وأدخنا أقلامه لمصالح كل إقليم يمر ركابنا الشريف عليه ، وفوضنا مناقشة مباشره على ما أهملوه من حقوق الله تعالى وحقوق الرعايا إليه ؛ وأقنناه لتصفح ذلك بنفسه ، وتلمح زيادة كل يوم على أمسه ؛ وأتراج الحق من مديده إلى ظلم بكف كفه عنه ورفع يده ، وأرتجاع الواجب ممن أقدم عليه بالباطل في يومه وأطرح المواخذة به في غده ؛ وغير ذلك مما أحصاه الله ونسوه ، وأعتمدوا فيه على المصلحة فأجتنوا ثمرة ما غرسوه - من كان له في المناصحة قدم صدق عند ربه ، وفي خدمة الدولة القاهرة قدم هجرة تفتضى مزيد قربه ؛ فكان أبدا بمرأى من عنايتنا ومسمع ، ومن إحساننا بالمكان الذى ليس لأحد من الأكفاء فى بلوغ غايته أمل ولا مطمع ، وتفرد بأجتماع الدين والمنصب والأصالة والعلم والكرم وهذه خلال الشرف أجمع .

ولما كان فلان هو الذى آجتنى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى ، وفاز من عوارفها العميمة بجميل المخالصة ما زاد على المنى ؛ وأنتمى من أدوات نفسه ونسبه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أغزر ما يندخر للرتب الجليلة وأنفس

ما يُقْتنى ، وُعنى من أسباب استحقاقه المناصبَ والرتب بما أقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يُحتفل بتقديمه وأن يُعتنى . فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة .^(١)

فليباشر ذلك محلياً هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل ، ومجلياً في هذه الحلبة بسبق معرفته التي لا تحتاج إلى دليل ، ومبيناً من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار ، ومن كوامن أطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتج إليه النهار ، فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح مُثمراً ، وليس نفسه في ليل الأعمال مُقمراً ، وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح مُحققاً ، ولسان قلمه لما دقَّ وجلَّ من أمور الأقاليم مُحققاً ، ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مثبناً ، ووسم تحريره لما يحتاج من غروس المصالح مُثبناً ، ولدّر أخلاف الأعمال بحسن الأطلاع محتلياً ، ولوجوه الأموال بإنفاق التوجه إلى نثيرها إن أقبلت مجتلياً وإن أعرضت محتلباً ، فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل ، ومنابت يثمها النظر الجلي والأتقان الجميل ، وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويختارها في كل حال أمامه ، والله تعالى يسدده ويوفقه بمنه وكرمه ! ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وربما أضيف إلى نظر الصحبة نظر الدواوين الشريفة ، وحينئذ فيحتاج الكاتب أن يأتي في براعة الاستمالة بما يقتضى الجمع بينهما ، ويورد من الوصايا ما يختص بكل منهما . والكاتب البليغ يتصرف في ذلك على وفق ما يحدث له من المعاني ويستح له من الألفاظ .

(١) الصواب نظر الصحبة .

الدرجة الثانية

(من توابع أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة بالديار المصرية ما يكتب في قطع الثالث بـ «المجلس السامى» بالياء ، مفتتحاً بـ «الحمد لله» إن قصد تعظيم المكتوب له على ما هو الأكثر ، أو بـ «أما بعد حمد الله» جرياً على الأصل لما يكتب في قطع الثالث ، على ما تنق عليه في النسخ)
وتشتمل على وظائف :

الوظيفة الأولى

(كتابة الدست)

والمراد دست السلطنة . وقد تقدم الكلام عليها في مقدمة الكتاب في الكلام على ديوان الإنشاء ، وتقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها أن يجلس أصحابها بدار العدل أيام المواكب حلف كاتب السر ، ويقرؤون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر ، ويكتبون عليها بما تقتضيه الحال ، بعد إشارة السلطان بالكتابة ، ثم يحمل ما يكتبون عليه من القصص إلى كاتب السر فيعينها . وأن هذه الوظيفة كانت من أجل الوظائف وأرفعها قدراً ، منحصرة في عدد قليل نحو الثلاثة فما حولها ، ثم وقع التساهل في أمرها ، ودخل فيها العدد الكثير حتى جاوز عددهم العشرين ، وبقيت الرئاسة فيهم لعدد مخصوص منهم ، وقنع الباقون بالأسم . وقد تقدم ذكر طرقة توقيعه في الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدست ، وهى :

الحمد لله الذى فضل الكرام الكاتبين ، وأحيا بفضائل الآخريين الأولين الداهيين ،
وأنزل فى القصص : ﴿ لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ .

نَحْمَدُهُ وَهُوَ الْمَحْمُودُ الْمُعِينُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً قَوِيمٌ مُخْلِصِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالشَّافِعُ فِي الْمُدْنِيِّينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ الشَّرِيفَ دَارَ جُدْرَانِهَا الْأَمْرُ الْمُطَاعُ ، وَأَبْوَابُهَا الْخَيْرُ الَّذِي لَا يُضَاعُ ، وَسَقْفُهَا الرَّحْمَةُ وَالْإِتِّضَاعُ ، وَصَدْرُهَا الْإِحْسَانُ الْمِيدُ الْبَاعُ ، وَصَحْنُهَا الْأَمْنُ وَالسُّرُورُ فَلَا يُخَافُ أَحَدٌ فِيهِ وَلَا يُرَاعُ ، وَجِلْسَاؤُهَا الْكَاتِبُونَ عَارِضُوا الرَّقَاعَ ؛ هُمْ مَعْدِنُ الصَّدَارَةِ ، وَمَوْطِنُ الْكِتَابَةِ وَالْكِتَابَةِ وَالْإِشَارَةِ ، وَأَقْلَامُهُمْ تَأْتِي بِجُسْنِ التَّشْبِيهِ وَالْإِسْتِعَارَةِ ، وَتُطَرِّزُ حَوَاشِيَ الرَّقَاعِ بَوْشَى بَادِي الْإِنَارَةِ ، مَا أَخْتِيرَ أَحَدُهُمْ لِلْجُلُوسِ فِي دَسْتِهِ إِلَّا وَقَدْ أَرْضَى مِنْ آخْتَارِهِ ، وَتَمَيَّزَ بِجُسْنِ السَّمْتِ وَالْوَفَاءِ وَالْوَقَارِ وَالشَّارَةِ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي لَهُ فِي السُّوَدِّدِ أَصْلٌ عَرِيقٌ ، وَفِي الْفَضَائِلِ لَهُ قَلَمٌ مَطِيقٌ ، وَفِي الْبَلَاغَةِ لَهُ لِسَانٌ مَنطِيقٌ ، وَإِذَا دَبَّحَ قَرطَاسَهُ فَهُوَ لِلرُّوْحِ شَقِيقٌ ، وَنَبَاتُهُ الْجَوْهَرُ لَا الْآسُ وَالشَّقِيقُ ، وَأَصْبَحَ لِلْجُلُوسِ فِي الدَّسْتِ الشَّرِيفِ أَهْلًا عَلَى التَّحْقِيقِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ أَنْ يَسْتَقَرَّ فَيُحَلُّ هَذَا الدَّسْتِ الشَّرِيفِ مُبْهِجًا بَيَانِهِ ، مَثَلًا لِلصُّدُورِ بِعُرْفَانِهِ ، مَثَلًا بِبُورِ يَدِهِ وَلِسَانِهِ ، قَارِئًا مِنْ قِصَصِ النَّاسِ وَظَلَامَاتِهِمْ فِي إِيوَانِهِ كُلِّ شَيْءٍ فِي أَوَانِهِ ، لَا يَكْتُمُ ظُلَامَةً مَكْتُوبَةً فِي رُقْعَةٍ ، بَلْ يَعْرِفُ مَلِكَةً بِهَا وَيَبْلَغُهَا سَمْعَهُ ، فَإِنَّهُ فِي هَذَا الْمَحَلِّ أَمِينٌ وَالْأَمِينُ مَحَلُّ النَّصِيحِ وَالْخَيْرِ وَالرُّقْعَةِ ؛ وَإِذَا وَقَعَ فَهُوَ مَأْمُورٌ ، فُلِيَّاتٌ بِمَا يُبْهِجُ الصُّدُورَ ؛ وَيَشْفَى غَلِيلَ الشَّاكِي ، بَلْفِظِهِ الزَّاكِي ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ لَكِنْ السَّلِيمُ لِبَعْضِهَا الْحَاكِي ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ فَهِيَ تَأْجِبُهَا الْجَوْهَرُ ،

(١) لعله لكن سئل ببعضها الحاكي ، وهو تقوى الخ . تأمل .

وبدرها المنور، وكوكبها الأزهر، والله تعالى يمتعه بالفضل الذي لا يحول ولا يتغير،
بمنه وكرمه! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع من ذلك أيضا، وهي :

الحمد لله الذي أفاض على الأولياء من فضله، وأهمى عليهم من مواهبه ما يقصر
عنه الغمام في وبله وطله، ومنح دست الملك الشريف من الألفاظ المحيية،
والفضائل المفيدة .

نحمده على نعمة التي أجزلت إحسانها، وأجملت أمتنانها، وزغت مزهره
فقدمت من الدولة أعيانها، ونشكره على عوارفه التي ألقى لأهل الشناء عنانها،
ورحب لذوى البيوت صدرها وفص عنوانها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تشهد القلوب إيمانها ويدبح
القائل لها ليوم الخاف أمانها، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أظهر الله
به الشريعة المطهرة وأبانها، وشرف [به] هذه الأمة ورفع على جميع الأمم شأنها، وبعثه
رحمة إلى كافة الخلق فأقام بمعجزاته دليل الهداية وبرهانها، وأطفأ بنور إرشاده
شرر الضلالة ويرانها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من نزه
نفسه النفيسة وصانها، وسلك في خدمته وصحبته الطريقة المثلى فأحسن إسرار
أموره وإعلانها، صلاة دائمة باقية تجمّل بالأجور أقرانها، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإنه لما كانت وظيفة توقيع الدست الشريف من أجل الوظائف
وأسنانها، وأنفسها وأعلاها، وأجملها وأبهاها، القائم بها سفير الرعية إلى الملك

فى حاجتهم ، وترجحان معرب عن شكائهم ، وكاشف أحسن ناشر عن ظلامتهم ؛
جالس على بساط الأوس بقرب الحضرة ، منقذ نهى مليكه وأمره ، مبلغ ذا الحاجة
من إنعامه جوده وبره - تعين أن يندب رئيس وأبن رئيس ، وجوهر بحر نفيس ؛
ذو أصل فى السؤدد عريق ، ولسان فى الفضائل طليق ، وقلم حلى الطروس بما يفوق
زهر الرياض وهو لها شقيق ، وفاضل لا يقاس بغيره لأنه الفاضل على التحقيق ؛
وكان المقر العالى الفلانى هو المشار إليه بهذه الأولوية ، والمراد من سطور هذه
المحامد اللؤلؤية . فلذلك رسم بالأمر العالى أن يستقر المشار إليه فى وظيفة توقيع
الدست الشريف عوضاً عن فلان بحكم وفاته .

فليباشر ذلك مباشرة تُشكر مدى الزمان ، وتُحمد فى كل وقت وأوان ؛ وليدبج
المهاريق بوشى يفوق قلائد العقيان ، ويمتلاً بالأجور لنا صخفا بما يوحيه عنا من
خيرات حسان . ونحن فلا نطيل له الوصايا ، ولا نُحمله بها فهى له سجايا ؛ مع ما أدبه
به علمه الحزم ، وعمله الذى ما أنصرف إلى شىء إلا تم ؛ ويجمعها تقوى الله تعالى
وهى عقد ضميره ، وملاك أموره ؛ وما برح هو وبيته الكريم مصابيح أفتحها ومفاتيح
مُغلقتها ، ولهم جدد ملابسها وللناس فواضل مُحلقها ؛ والله تعالى يزيد من إحسانه
الجزيل ، ونعمه التى يرتدى منها كل رداء جميل ، ويمتعه بإمارته التى ما شكرها إلا
قال أدباً : حسبنا الله ونعم الوكيل ؛ والاعتماد فى مسعاه ، على الخط الكريم أعلاه .

الوظيفة الثانية

(نظر الخزانة الكبرى)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن هذه الوظيفة كانت
كبيرة الموضع من حيث إنها مستودع أموال المملكة ، إلى أن حدثت عليها خزانة

الخاصّ فأنحطت رتبها حينئذ، وسميت الخزانة الكبرى باسم هو أعلى منها ، وأنه لم يبق فيها سوى خلع تُخلع وتُصرف أولاً فأولاً . وقد تقدم ما يكتب في طرة توقيع ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخزانة :

الحمد لله الذى جعل الخزانين لذكائرنا كهوفا ، وملايس إقبالنا شنوقا ، ومواهبنا يُجزل عطاءً ومعروفا ، وإقبالنا على محسن التدبير ومجمل التأثير عطوفا ، وأيادينا فى إسكان جنتها قُطوفا .

نحمده حمداً مالوفا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً أوضحت معروفاً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أزال مخوفاً ، وأقام الصلاة والجهاد صفوفاً ، وشهر على العدا عند تأبيد الهدى سؤوفاً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما سدل الليل سجوفاً ، وسلم تسليماً .

وبعد، فإن الملك الشريف له يُخف مضمونه ، وذخائر مكنونه ، وأصناف حسان فى خزائنا مخزونه ، وجواهر عالية القيمة ثمينه [لا يقوم عليها إلا من] لا يمد عين عفاقه إلى المال وإن كثرت آلاؤه ، ووجج جنة هذه الذخائر ولم تلم بالبلل أطرافه ، وهو فلان : العريق فى أنسابه ، الوثيق أتمأؤه إلى فضل الله وجنايه ، النقي ثوب عرضه ، التقي بتمسكه بسنته وفرضه ، الوفى نظره بغضه ، المستمسك بجميع الخير دون بعضه ، من بيت السيادة ومن هو من بيت السيادة فالسؤدد نجم سمائه وطود أرضه . فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر

فليباشر هذه الوظيفة بعملٍ ونية ، متمسكاً بذخائر هذه الخزانة العلية ، وأمورها وأحوالها ، وتفصيلاتها وإجمالها ، وحولها وأحمالها ، وحللها المرقومه ، وذخائرها

المعلومة ، وجواهرها المنظومة ، وأجاسها المختومة ، وصناديقها المركومة ، ما عن علمه فيها شيء خاف ، وصونه لها كاف ، وأمر الله بين النون والكاف .

وليعلم أن خزائننا تُصب فيها سحائب التحف والأموال والأصناف ، من سائر الممالك والمدن والثغور والأطراف ، ومنها يُخرج بجهاز مواهبنا وإنعامنا للأولياء الأشراف ، وإنما هي لمصالح المسلمين فى الجمع والإئتلاف ، وتقوية أهل الطاعة على أهل الاختلاف ، فليضبط ما تطلقه وإن كانت الأقلام لا تستطيع ذلك لكثرة الإسعاف ، ولتكن التشاريف المئنة الكامله ، حاصله بمناطيقها المجوهرة الهائلة ، وطرزها الطائله ، وتعايبها الفاضله ، حتى إذا أنعمنا منها على أحد بشيء يأتى بجموله وقد حمد فاعله . والوصايا كثيرة وتقوى الله نظام عقدها ، وعمام ريفدها ، وزمام مجدها ، وتأم سعددها ؛ فليكن متلفعا ببرددها ، متضوعا بنددها ، وهو غنى عن الوصايا ومددها ، والله تعالى يؤيد حركاته فى قصدها ؛ والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لناظر الخزانة ، أورددها فى "التعريف" :

ويتملاً بنظره صدور الخزان ، وليجمع فيها أشات المحاسن ؛ وليعد فيها كل ما يدخر للإنفاق ، ويحتفظ به للإطلاق ؛ ويحصل ما يضاهاى البحر بالتفريع والتأصيل ، والجمل والتفصيل ؛ وما لا يوزن إلا بالقناطير ، ولا يحصى منه ملء الأساطير ؛ وما يهيا من التشاريف الشريفة التى تباهى أشعة الشمس بأعماها ، وتحاسن وشائع الروض بخلعها ؛ وما فيها من محلات ألوان لا تماثل بتصوير ، ولا يظنها الأولياء إلا الجنة وليأتمهم فيها حرير ؛ وما تحتوى عليه من عتاني وأطلس ، ومشرش ومقنسد ؛ وكل طراز مذهب وباهى ، وما هو من ذهب أوله يضاهاى ؛ وكل

ما يتشرف به صاحبُ سيفٍ وقلمٍ ، ويُعطى إنعاماً أو عند أولِ استِخدامٍ في خِدمٍ ؛ وما هو مع هذا من أنواعِ المستعمَلات ، والنواقِصِ والمُكَمَّلات ؛ وما يُحمَل من دارِ الطَّراز ، ويمجد مما يأتي من المُبتاع من بزٍّ وبرزابٍ ، وما هو مُرصدٌ للخزانةِ العاليةِ من الجهاتِ ؛ التي يحمَلُ إليها متحصِّلها : لينفق في أثمانِ المبيعاتِ ، وما يُستعمل ، وما يُعلمُ منه بالطَّرزِ ويُعمل ، وبقية ما يدخر في حواصلها من مال بيت المال الذي يُحمَل ؛ وذلك كله فهو الناظرُ عليه ، والمناظرُ عنه مما خرج من عنده ووصل إليه ، والمُحاجِّجُ عنه بالمراسيم التي تُنكسُ لِلمُحفظ وتُنزلُ لديه ؛ فليبراع ذلك جميعه حقَّ المراعاة ، وليحترز قدر ما ينفق من الأثمانِ وقيمةِ المبيعاتِ ، وليحترز فيما يُزكِّي بعضه بعضاً من شهادةِ الرسائل المكتتبه إليه بالحمول وما يكتب بها من الرجعات ؛ وليعر المعاملين من نظره مالا يجيئون معه سيلاً ، ولا يقدرُون معه على أن يأخذوا فوق قدرِ استحقاقهم كثيراً ولا قليلاً ؛ وليقدِّم تحصيل كل شيءٍ قبل الاحتياج إليه ويدعه لوقته ، ولا يمثّل لديه إلا سرعة الطلب الذي متى تأخر أخر لوقته (؟) ؛ والأمانة الأمانة ، والعفاف العفافُ فما كان منهما واحداً رداءً أمريئاً إلا زانه ، ولولاهما لما قال له الملك إنك اليومَ لدنيا مكيين أمينٍ وسلمٌ إليه الخزانةُ .

الوظيفة الثالثة

(نظرِ خزانةِ الخاصِّ)

وهي الخزانة التي استحدثت في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» عند استحداث وظيفة «نظر الخاص» وقد أنتقل ما كان يحمل إلى الخزانة الكبرى ويُصرف منها إلى هذه الخزانة ، سوى الخلع ، كما تقدمت الإشارةُ إليه في الكلام على توقيع ناظر الخزانة الكبرى .

وهذه نسخة توقيع بنظر خزانة الخاص ، كُتِبَ به للقاضى شرف الدين محمد
 ابن علاء الدين الجَوْجَرِيّ^(١) ، فى مستَهَلَّ شهر رجب الفرد ، سنة تسع وثلاثين
 وسبعمائة ، وهى :

الحمد لله الذى زاد بنظرنا الشريف شرف من لمحّه من أوليائنا [و] لحظّه ، وأفاد
 المستأنف من برنا من عهدنا له الفطرة السليمة وتيقنا منه الفكرة واليقظه . وأعاد
 للخلف الكريم ، من المشايخ ما كان للسلف القديم الصالح من التقديم ، الذى شملهم
 بالتكريم ، وجعلهم على خزائن جودنا العميم : لأنهم العلماء الحفظه . وجاد بالطرف
 من خاص إنعامنا العام لمن لقلمه عند الإذناء من سرير الملك إنجاز عدة ولسانه
 عند ارتقاء منبر النُسك إبراز عظه .

نحمده على أن أجزل لمن عول على شامل كرمنا جزاءه وعوضه ، ونشكره على أن
 تطول بنوافل نعمنا لمن قام بعد أبيه بلوازم خدمتنا المقترضة ، وعكف أعمالنا على بيت
 مبارك مامنهم إلا من شمل من إحساننا بالمنح لما بذل لسلطاننا من النصح ومحضه .
 ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يودع مصونها فى الأرائك
 المتعلية ويقطع يقينها الشكوك المعترضة ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى
 عظمت عطايا بذله ، فالبجار المرتفعة عنها منخفضة ، وكرمت سجايا فضله ، فليست
 بمتقلة وأبرمت قضايا عدله ، فليست بمتنقضة ، وعمت البرايا يده البيضاء التى هى
 بالأرزاق فى الآفاق منبسطة وليست عن الإنفاق خشية الإملاق منقضة ، صلى الله
 عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من أقرض الله قرضا حسنا فضاغف له
 ما أقرضه ، صلاة تدنى لقائلها فى الأولى من النعمة والأمان أمله وتؤتية فى الأخرى
 من الرحمة والرضوان غرضه ، وسلم تسليما كثيرا .

(١) نسبة الى «جوجر» بفتح الجيمين وراء بليدة بالقرب من دمياط انظر ياقوت ج ٢

وبعد ، فإن أولى مَنْ رُفِعَ بإكرامنا إلى رُتبةِ علائِه ، وأنتَفَع من مقامنا الشريف باختصاصِ خدمته وإخلاصِ وِلائِه - مَنْ شَفَعَ من أياه بجمعِ أشتاتِ العلومِ في أبحاره وآنائه ، وأستودِعَ ذخائرَ ملكنا المصونةَ فكانَ حفيظًا عليما عندَ اقترابه مِنّا وإدنائِه ، وصَدَعَ القلوبَ بإبداعِ وعظه وإبدائه ؛ وأتبعَ سبيلَ والدِه القويمِ ، في الشدّةِ في الحقِّ والتّصميمِ ؛ وسلكَ طريقته التي هداه اللهُ إليها بتوفيقِه فأدركَ غايته في أبتدائه ، وقنِعَ بما آتاه اللهُ تعالى فأثرتْ مكارمنا رفعةَ محلّه وتوسعةَ حباثِه ؛ وبرَع في إتقانِ الفضائلِ التي آذنتْ بأصطفائه واجتباثِه ، ووقَّعَ عليه اختيارنا الذي نستخير اللهُ تعالى له في إبرامِ كلِّ أمرٍ وإمضاءِه ؛ وأجمعَ عليه رأينا الذي كم أصابَ الصوابَ في تعيينِ العلماءِ الأنجَابِ فنصَّ عليه الأستحقاقُ بإيجابِ الترجيحِ واقْتِضائِه .

وكانَ المجلسُ السامى الشرفيَّ هو الذي قدّمناه بعد أبيه لشهادة خزاننا الشريفة فشاهدنا من حُسنِ سيره ما أبهج ، ونظّمناه في سلكِ أولياءِ الملِكِ فسلكَ من الخَيْرِ أقومَ منهُج ، ثم أردنا الآنَ أنْ هلالَه ينتقلَ إلى رُتبةِ الكمالِ ممّا تدرّبَ وتدرّجَ ؛ وأعدنا له تامَّ الإقبالِ حيثُ شرفُ دولتنا الأعلى - زاد اللهُ تعالى تأييدَه - بذِكرِه لدينا وبشُكرِه عندنا يُلَهج - فأقتضى حُسنُ الرأى الشريفِ أنْ هذا النظرَ الجميلَ عنه لا يُخرَجُ ، وهذا الوقْرَ الجليلَ لا يُعدّلَ به عن فرعٍ مُنجِبٍ لأصلٍ طيبٍ أثمرَ الولاءَ والدُّعاءَ لأيامنا الشريفة وأنّج .

فلذلك رُسم لا زالتِ الصُّدُورُ بصدُورِ أحكامِه تتلج ، والأُمُورُ بمُرورِ إنعامِه تفضّلُ على الحقِّ الأبلج - أنْ يستقرَّ فليُطَقَ لسانَ كَلِمِه بالإخلاصِ في حمدِ الخاصِّ والعامِّ من هذا الإكرامِ الذي بمطارِفِه تَسرِبُ وبِعوارِفِه نتوَجُ ، وليُطَقَ سنانَ قامِه في تبْييضِ المصاحفِ بذكرِ إنعامِ المقامِ الذي هو كالبحرِ ويُفصحُ

عن حمده فهو بحمد الله لا يتلجج ، وليُحَقِّق ببيان حُكْمه ضَبْطَ الأَصْلِ وَالْحَصْمِ
وَالوَاصِلِ وَالْحَاصِلِ وَالْمُخَضَّرِ وَالْمُخْرَجِ ، وَلِيُنْفِقَ فِي أَوْلِيَانَا مِنْ عَوَائِدِ صَلَاتِ نِعْمَانَا
الَّتِي تَقْبِضُهَا أَيْدَى مَلُوكِ الْمَدَائِنِ بِبَسْطِ وَمِنْ بَعْضِهَا صُدُورَ الْخَزَائِنِ تَخْرُجُ ؛ وَلِيَسْلُكَ
سُنَنَ أَبِيهِ الَّتِي بِهَا يَسْتَظْهِرُ وَيَفْتَخِرُ وَيَسْتَدِلُّ وَيَحْتَجُّ ، وَيَسْتَمْسِكُ بِسَبَبِهِ الْأَقْوَى
مِنَ الدِّيَانَةِ الَّتِي بَابُهَا مِنَ النِّجَاةِ فِي الدَّارَيْنِ غَيْرِ مُرْتَجٍّ ؛ وَتَرَكَ لَهُ تَفْصِيلَ الوَصَايَا لِأَنَّهُ
قَرِينٌ كَفِيلٌ مُلْكًا الْقَوَى الْأَمِينِ ذِي الْإِرْشَادِ وَالسَّدَادِ فَمَعَ مِرَاقَتِهِ فِي الْإِصْدَارِ
وَالْإِيرَادِ وَالتَّكْرَارِ وَالتَّعْدَادِ لَمْ يَحْتَجِّ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُجْعَلُ الطُّرُوسَ بِذِكْرِ تَقْدِيمِهِ تَحَبُّرًا
وَتُدَبِّحُ ، وَالدَّرُوسَ تَنْشُرُ وَعُلُومَهُ تَعَطَّرُ وَتَنْتَازِعُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الرابعة

(نظر البيوت والحاشية)

وقد تقدم أنَّ مَوْضُوعَهَا التَّحَدُّثُ فِي كُلِّ مَا يَتَحَدَّثُ فِيهِ أَسْتَادُ الدَّارِ ، وَتَقَدَّمَ
الْكَلَامُ عَلَى مَا يَكْتَبُ فِي طَرِزَةِ تَقْلِيدِ نَازِرِهَا .
وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت والحاشية :

الحمد لله الذي عمَّرَ البيوتَ بنوَّالهِ ، وَكَثَّرَ فِيهَا أَصْنَافَ النِّعَمِ بِإِفْضَالِهِ ، وَجَعَلَ فِيهَا
الْخَيْرَ يَتَضَاعَفُ مَعَ كُلِّ يَوْمٍ بِتَجَدُّدِهِ وَمَعَ كُلِّ شَهْرٍ بِإِقْبَالِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَدِيدِ ظِلَالِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةَ
عَبْدٍ صَادِقٍ فِي مَقَالِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي رَحِمَ اللَّهُ الْعَالَمِينَ بِإِرْسَالِهِ ،
وَسَقَى الْجَيْشَ مِنْ كَفِّهِ بَنِيْعَ زُلَالِهِ ؛ وَأَوَى إِلَى الْمَدِينَةِ دَارَ هِجْرَتِهِ وَأَنْتَقَلَهُ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ النَّاصِرِينَ لِهَذَا الدِّينِ فِي كُلِّ حَالِهِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فإن طراز الملك الشريف السيوت الكريمة : فمنها يتفجر ينبوع الرزق الجارى ، ومنها يضيء سقط الزند الوارى ، ومنها تبسط الحيوانات ، وتمتد الأسمطة فى المهجات ، ومنها يقوم للسعد نصبات^(١) وأى نصبات ، ومنها تقسم ألوان الطيبات على مقترح الشروات ، وعماد أمرها على ناظر يقوم بتأصيلها وتفرعها ، وتخصبها وتنويعها ، وتكثير حاصلها ، وأستدعاء وإصلها ، وجمع كل ما فيه مرغوب ، وأدخار كل ما هو محبوب ، وتأليف القلوب على شكره وجل ما فيها عمل القلوب .

ولما كان فلان هو الرشيد فى فعله ، المأمون فى فضله ، الأمين فى عقده وحله ، المسدد فى الحال كله ، المعطى المباشرة حقها على ما ينبغى فى الشهر من مستمته .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر قليبا شرهذه الوظيفة الكريمة مستجلبا المنافع ، مشفقا بحسن سيرته المسامح ، طالعا من العفاف فى أبهى المطالع ، مستدعيا ما جرت العادة بأستدعائه من أصناف المتجر السعيد من أصناف متعدده ، وأنواع متصده . وليرح أقدار المصالح السعيدة من كل صنف على حده ، وليستجلب خواطر المعاملين بوفائهم وإجازهم كل عده ، والرواتب اليومية ليصرفها لمستحقها ، والبيوتات فليستد خلاها حتى لا يظهر نقص فيها ، ومرتببات الأدر الشريفة فلتكن نصب عينيه على ما يرضيها ، وما آخترناه لهذه الوظيفة إلا أنه أنسب من يليها ، والوصايا كثيرة وتقوى الله فلتكن أطيب ثمرات يحتنيها ، وأحسن منحات يحتليها ، وأزين زينة يحتليها ، وهو غنى عما تُشأفُفه [به] الأفلام من فيها ، والله تعالى يصون هممه ويعليها ، بتمه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

(١) فى القاموس النصبة بالضم السارية ولعله المراد .

(٢) لعل هذا اللفظ زائد من قلم الناصح . (٣) جمع دار على القلب .



وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت :

الحمد لله الذى جدد لأوليائنا ملابس السُعود، وشيّد لهم مباني العزّ وضاعف
 لِقَدْرهم الترقى والسُعود، ووالى إلى أوليائهم سحابّ الفضل المستملة بالكرم والجود.
 نحمده على نعيمه الضافية البرود، ومننه الصافية الورود؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له شهادة تُرغم بها أنف الجود، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
 صاحب الحوض المورود واللواء المعمود؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
 جاد كل منهم بماله ونفسه فى رضاه والجود بالنفيسين أقصى غاية الجود؛ صلاة
 دأمة الإقامة فى التهايم والتجود، مستمرة الإدامة ماتعاقب السحاب روضا بجود؛
 وسلم تسليما كثيرا

وبعد، فإن أولى من غدّ البيوت أهلة بوفود نظره، عامرة بسداده وجميل
 فكره، مشيدة بما يئديه من أوضاح التقرير وغرره - من سما همة وحسن سمتا،
 وسلك فى الأمانة طريقا لا عوج فيها ولا أمّتا؛ وحلّ فى الرتب خلاها، وتنقل فيها
 فما قالت له إيه إلا وقال الذى فارقتها آها؛ وكان فلان هو الذى استحقّ بكفائته
 حسن التنقل، واستوجب الصلة والعائد لما فيه من جميل التانى والتوصل - أقتضى
 حسن الرأى الشريف أن ننقله إلى رتب السعادة، وأن نخصّه كل حين من نعمنا
 بالحسنى وزياده. فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر...

فليضبط أصولها وفروعها، ومفرداتها ومجموعها، وليؤنس بجياطة أجهاده ربوعها؛
 وليكفلها بأمانة تضم أطرافها؛ ونزاهة تحلّى أعطافها؛ وكتابة تحضّر جليلها ودقيقها،

وَنَبَاهَةٌ تُؤَقِّ شُرُوطَهَا وَحُقُوقَهَا ؛ وَلِيَحْرُرَ وَارِدَهَا وَمَضْرُوفَهَا ، لِيُغْدُوَ مَشْكُورًا هِمَمَ
مَوْصُوفَهَا ؛ وَلِيَلْحِظَ جَرَائِدَ حِسَابِهَا ، وَيَحْفَظَ مِنَ الزَّبِيعِ قَلَمَ كِتَابِهَا ؛ حَتَّى يَمِيَّ تَصْرُفَهُ
فِيهَا عَلَى الْأَوَائِلِ ، وَيُشْكِرَ تَعْرِفَهُ وَتَعْطُفَهُ عَلَى كُلِّ عَامِلٍ وَمُعَامِلٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْلُغُهُ
مِنَ الْخَيْرِ مَا هُوَ آمِلٌ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الخامسة

(نظر خزائن السلاح)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث فيما يستعمل ويتباع من أنواع السلاح الذي
يحمل للزردخاناه السلطانية . وقد جرت العادة أن يحمل ما يتحصل من ذلك في كل
سنة إلى الزردخاناه مرة واحدة . وقد تقدم ما يكتب في طرة توقيع ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر خزائن السلاح من إنشاء المولى « شمس الدين بن
القيصري » كتب به « لفخر الدين » أخي جمال الدين ناظر الخاص ، وهي :

أما بعد حمد الله تعالى الذي ضاعف نحر المناصب ، بمتوليها ، ورفع قدر المراتب ،
بمن يكبرها بقدره العلي وبعليها ، وأمد المقاب^(١) ، بنظر ذي المناقب الذي يزين برهف
حزمه أساحتهم ويحليها ، ويمضي بماضي عزمه كل فرند فريد ليسعر نارصليله
بنظره السعيد ويحليها ، جاعل أيا منا الشريفة تقدم لخدمها كل سرى تسرى به هممه
إلى العلياء ، وتنتخب لحسن نظرها من يعلوبكرم الذات وجمال الإخاء ، وتولى من
الأولياء من يعد للأعداء خزائن سلاح تبيدهم بها جيوشنا المؤيدة في فيافي البيداء ،
إذا دارت رحى الحرب الزبون وثار وغى الغارة الشعواء . والشهادة له بالوحدانية

(١) جمع مقنب "كبير" وهم جماعة الخليل والفرسان .

التي أتسق بذرها، في سماء الإخلاص، وأشرق بحرهما، بضياء القرب والأختصاص،
وسما نخرها، بجلال الجمال فأصبح بحمد الله أخذًا في المزيد آمنًا من الانتقاص،
وعلا ذكرها، بما درعنا به من دُروع التوحيد وأسبغ علينا منه كلَّ سابقة دِلاص.
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي خصه الله بالتكريم والتعظيم، وختم به الرسل
الكرام بما منحه من الأصفاء والتقديم، وأوحى إليه في الكتاب الحكيم :
﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾. وعلى آله وصحبه الذين هم أشداء على الكفار رحماء بينهم،
وقرب قُربهم لديه صلى الله عليه وأذهب بينهم - فإن من شيم أيا منا الشريفة أن
تبلغ أولياءها مرأما، وترعى لأصفيائها ذماما، وتصطفى لولاية الرب من أضحى ثغر
ولائه بسامًا، وتجرد لحسن النظر من يجرد بهمه حسامًا حسامًا، لا سيمًا من أقتنى
سنن أخيه - أجله الله - فيما يأتي ويذر، وأهتدى بهديه في كلِّ وردٍ وصدر، وحذا
حدوه السيد الأثر، السعيد النظر، وأتبع رُشده الساطع البليغ اللامع الغرر، وسار
سيره الذي نتارج به أرجاء الممالك حيث سار سر، إذ هو جمال الجود، جلال
الوجود، مقيبل عثار الملهوف والمجهود، موئل التهام والنجود، مستجلب الدعاء لنا
من الطائفين والعاكفين والرُكع السجود، ذو المآثر التي ذكرها أطر من الروض
المجود الموجد، والمناقب التي يساوى فيها الكواكب ويسامتها في السعود والصعود.

ولما كان المجلس العالى الفخرى قد أصبح نخره بأخوته ناميا، وقدره بأبوتة
ساميا، وأصبحت مفاخره به خالده، وجمع مزايا وسجايا جمعت له طارف السعد
وتالده - أقتضى رأينا الشريف أن نُسدد له بأخيه أزا، ونجدد له في إصلاح السلاح
نظرا، ليكون لأخيه - أعزه الله تعالى - النظر على الخاص والعام، وبيده مقاليد
خزانتنا التي يشمل منها البرايا بصفوف الإنعام، وتدير خواصنا الشريفة وجيوشنا

(١) لعله «أن نسد به لأخيه».

المؤيَّده، وله النظرُ على أعمال لبوس، تقي من الجيوش البوس : البيض [ذات]
القوانيس ، واليَّلب المدار والسَّمير المداعيس ، والبييض المهنَّده .

فلذلك رُسم ... لا زال يجمع لأوليائه على آلائه شَملاً، ويرفع أقدار أهل الكرم
باستقرار النعم إذ كانوا لها أهلاً وبها أولى - أن يستقرَّ فلان في نظر خزائن السلاح
المنصورة على عادة من تقدمه وقاعدته ، وبمعلومه الشاهد به الديوان المعمور لهذه
المآثر التي بثها القلم ، والمفاخر التي آشهرت كالنار على العلم ، فليكشف ما بهذه الخزائن
من عُدَّة الحرب ، والآلات المَعَدَّة في الهيجاء للطعن والضرب ، ويشمر في تكثيرها
عن ساعد اجتهداه ، ويعزز مواد الإمداد بها بحسن نظره ويؤمن أعتاده ، ويستعمل
برسم جهاد الأعداء كلَّ نصيلٍ صقيل ، وصمصامٍ له في الهام صليل ، وفضيحة بيضاء
تبيض بها بين أيدينا الصَّحيفه ، ولبوس ترهبُ عدو الله وتضاعف تخويفه ، وزاعية
يرعب ، وسمهري يزق بلسان سينانه النفوس ويذهب ، وخرصان تكلم الأبطال بأسل
ألسنتها في الحروب ، وقواصل لها في سماء العجاج شروق وفي تحلي الكفار^(١)
غروب ، وبدن يقُد الأبدان ، ولأمة لم تُبار في تحصينها وتخييرها ولم تُدان ، وفضفاضة
على جنود الإسلام تفاض ، وسابغة تُسبغ على كل راجلٍ من أهل الإيمان ليَقضي
من أهل الشرك ما هو قاض .

وليحفظ ما يُنفق على هذا العدد من الضياع ، ويأت بما تأتي به الضياع على
أحسن الوجوه وأجمل الأوضاع ، وليضبط ما يُصرف عليها من الأموال ، ويعتمد
في نظرها ما يُحمد عاقبة أمره في سائر الأحوال ، ويتيمن في سائر أفعاله بما من كماله ،
ويسترشد بمرشده في أموره باليمن والرشد من خلال جماله ، ويسلك بحسن نظره
لهذه الخزائن ما يُنتظر به أن يفوق أنظار الأنظار ويرتقب ، ويعلم أن هذا أول

(١) التحلي الشعر أو سواده .

إقبالنا عليه (وأول الغيثِ قَطْرٌ ثم يَنْسِكُ) ؛ والله تعالى يجعل خزائنَ الإسلامِ بجمالِ
نخره آهله ، ويوردها مواردَ العزِّ الدائمِ ويصنِّفني من أكدار الأقدار لها مناهله ؛
والعلامةُ الشريفةُ أعلاه ، حجةً بمقتضاه .

الوظيفة السادسة

(استيفاء الصُّحبة)

وصاحبها يتحدَّثُ في كل ما يتحدَّثُ فيه ناظرُ الصُّحبةِ المقدمِ ذكره .

وهذه نسخةٌ توقيع من ذلك ، من إنشاء القاضى «ناصر الدين بن النشائى» وهى :

الحمد لله الذى زاد فخار أوليائنا رفعة المقدار ، وأفاد الصُّحبةَ الشريفةَ خير كافي
استوجب منّا بحملى خدمته جزيل الإيثار ، وجاد بالجود وأبتدأ السعود لمن حسن
فيه الاختيار وحمد الاختيار ، وأرتاد للنائب العلية كل "مستوف" للمحاسن له حقوق
وفاء لا تضاع وقدم ولاء أجمل فيه الإيراد والإصدار .

نحمده على نعم أجزلت الآثار ، ونشكره على من أجملت المسار ، ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادةً مخصوصةً يتشرف ساحتها نوابها الدار فى تلك الدار ؛
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أيد الله به المؤمنين وأحمد نار الكفار ،
وبعثه رحمةً للعالمين فأقام بناء الإسلام بعد ما كاد ينهار ، وأسرى به إلى السبع
الطباق فطبّق نبأ معجزاته الأرض وملاً الأقطار ، صلاةً باقيةً لا تزال أغصان
أجورها دانيةً القُطوف زاكية الثمار ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أجلَّ النعم ما علت ملائسها ، وأجمل المِنَّ ما غلت نفائسها ، وأكمل
المنح ما زكّت فى رياض الإقبال غرائسها ، وأجزل العطايا ما جليت فى حلال الفخار

عرائسها ، وأولى الأولياء بتحويل ذلك لديه ، وتحويل هذه المواهب إليه ، وإسباغ أثواب الأمتان عليه ، وأجتنابه لرتب علت محلاً ، واختياره لمنصب يضح به جيده من عقود العناية محلياً - من شكرت أوصافه ، وأشهر عفاؤه ، وحسن مناً إسعاده وإسعافه ، وحمدت خلاله وماثره ، وحاز نخر نعتيه ونخر ذاته فلا غرو أن تعددت مفاخره ، وأسلفنا من خدمته ما أستوجب أن ينجي به نمار الإحسان ، وقدم بين أيدينا الشريفة من يمين تصرفه ما أنتج له مضاعفة الآلاء الحسن .

ولما كان فلان هو الذي تحلى من هذه الأوصاف بعقودها ، وتحلى في مطارف برودها ، وأثنت على خصاله ألسنة الأقلام ، وأثبتت جميل خلاله في صحف أوراقها وصحائف الأيام ، وحاز من الأمانة والزهارة كل ما يشكر به على الدوام ، وأمتاز بحسن الكتابة التي تفر النواظر وتسر الخواطر وتزري بالروض البسام . ما باشر رتبة إلا وفى بها ، وحفظ أموالها وغلاها وضبط أمورها وكفى بها - أقتضى رأينا الشريف أن ننقله إلى درجات السعادة ، ونمنحه من إقبالنا الشريف زيادة الحسنى وحسن الزيادة ، ونخصه بوظيفة تدينه مناً قرباً لنكون قد أجملنا له الابتداء والإعاده .

ولذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال نخر أوليائه بمزيد آلائه سامياً ، وقدر أصفياه بمديد عطائه نامياً - أن يستقر في كذا .

فلينلق هذا الإحسان ، بيد الاستحقاق ، ولينقلد عقود الأمتان ، الذي طالما قد جوده الأعناق ، وليباشر ذلك مباشرة يسر خبرها ، ويسير خبرها ، ويشنف الأسماع تأثيرها وأثرها ، وليسلك فيها من السداد ، ما يؤكده حمده ، ومن حسن الاعتماد ، ما يؤيد سعده ، وليعتمد فيها من الأمانة ما هو المشهور من اعتماد ، ومن العفاف ما صح عنه نقل إسناده ، وليدبج المراسيم الشريفة بقامه السعيد ، وليوشمها بكتابتها التي بها الحسن

مبدئى ومُعِيد، ويُضَبِّطُ جميعَ أموالِ الديوانِ المعمورِ وغِلالِهِ ، وسائرَ أموره وأحواله ،
 وليستوفِ بقامه على مَبَاشِرِيهِ وَعُمَّالِهِ ، وليحِطَ عَامًا بِخِراجِ بِلادِهِ وأَعْمالِهِ ؛
 وليسترفِ الحسابَ شامًا ومصرًا ، وليتصَفَّحَ الرَّقاعَ بالممالكِ الشريفةِ المحروسةِ لِيَحْوِيَ
 بِجَمِيعِهَا خُبْرًا ، وليتَعَيَّنَ جُمْلَهَا وتَفْصِيلَهَا لِيَكُونَ بِمُخْرَجِهَا أَدْرَبَ وبِمَرْدُودِهَا أَدْرَى ؛
 وليحْضُرَ مَتَحَصِّلَهَا ومَضْرُوفَهَا ، ومَعَجَلَهَا وموقُوفَهَا ؛ حتى لا يَخْرُجَ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ ،
 ولتَكُنْ جُمْلَةُ هَذَا الأَمْرِ مَحْرُورَةً فى ذَهْنِهِ لِيَجِيبَ عِنْدَ السُّؤالِ بِتَحَقُّقِ فَهْمِهِ ؛
 والوصاياَ كَثِيرَةً وهو بِهَا خَبِيرٌ عليمٌ ، حائِزٌ مِنْهَا أوفى وَأَوْفَرُ تَقْسيمٍ ، ومِلاكٌ كَما تَقْوَى
 اللهُ تَعَالَى فليَجْعَلْها عُمْدَتَهُ ، وليَتَّخِذْها فى كُلِّ الأُمُورِ ذَخِيرَتَهُ ؛ واللهُ تَعَالَى يُضَاعِفُ
 لَهُ مِنَ لَدُنْنا إِحْسانًا ، ويرْفَعُ لَهُ قَدْرًا وشانًا ، والأَعْمادُ على الخِطِّ أَعْلَاهُ .



وهذه وصية لمستوفي الصحبة أوردتها في "التعريف" وهي :

فهو المهيمن على الأقاليم ، والمؤمن على مصر والشام ، والمؤمل لما يكتب بخطه
 من كل ترتيب وإنعام ، والملازم لصحبة سلطانه فى كل سفر ومقام ؛ وهو مستوفى
 الصحبة ، والمستوفى بالهمم على كل رتبة ؛ والمعول على تحريره ، والمعمول بتقريره ،
 والمرجوع فى كل الأمور إلى تقديره ؛ به يتحرر كل كشف ، ويكف كل كف ،
 وبتزيله وإلا ما يكل استخدام ولا صرف ؛ وهو المتصفح عن لكل حساب ،
 والمتطلع لكل ما حضر وغاب ؛ والمناقش لأفلام الكتاب ، والمحقق الذى إذا قال
 قال الذى عنده علم من الكتاب ؛ والمظهر للخبائيا ، والمطلع للخبائيا ؛ والمتفق
 على صحة ما عنده إذا حصل الخلاف ، ووصل الأمر فيه إلى التلاف ؛ وليزيم
 الكتاب بما يلزمهم من الأعمال ، ويحررها بمستقر إطلاقه وضرائب رؤوس

المال ؛ وعمَلِ المكفّات وأن يكفّفوا عمَلَهَا ، وتقديرِ المسَاخات وليستَبِحَ خَلْهَا ؛
وليُزْمَهُمْ بتمييزِ قِيمِهَا بعض عن بعض ، وتفاوتِ ما بين [تسجيل] ^(١) الفُدن في كل بلد
بحسب ما تصلح له زراعةُ كلِّ أرض ؛ وبمستجدِّ الجرائد وما يقابل عليه ديوانُ
الإقطاع والأحباس ، وغير ذلك مما لا يحصل فيه التباس .

ومثلُك لا يُزود بالتعليم ، ولا يُنازع فكلُّ شيء يؤخذُ منه بالتسليم ؛ وما ثمَّ ما يُوصى
به ربُّ وظيفةٍ إلا وعنده ينزل علمه ، وفيه ينزه فهمه ؛ وملاك الكل تقوى الله
والأمانة فهما الجُنتان الواقيتان ، والجُنتان الباقيتان ؛ وقد عُرِفَ منهما بما يُفاض
منه عليه أسبغُ جَلاباب ، وأسبَلُ سِتْرِ يُصان به هو ومن يتخذهم من مُعينين ونُواب ؛
والله تعالى يبلغه من الرتب أقصاها ، ويُجرى قلبه الذي لا يدع في مال ممالِكَا
الشريفة صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها .

الدرجة الثالثة

(من توابع أرباب الوظائف الديوانية بالديار المصرية)

ما يُكتب في قطع العادة : إما في المنصوري ، مفتاحاً بـ «أما بعد حمد الله»

أو على قدر المكتوب له في القطع الصغير ، مفتاحاً بـ «رسم بالأمر الشريف»

إن انحط قدره عن ذلك)

وفيها وظائف :

منها - كتابةُ الدرَج بديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدرَج الشريف ، كُتِبَ به للقاضي تاج الدين ،

عبد الرحيم بن الصاحب نحر الدين بن أبي شاكر ، وهي :

رِسْم - لا زالت صدقاته الشريفة تُشملُ نجباء الأبناء، ومبراتةُ الحسيمة تُجزل للولد البار حُسن الزيادة وزيادة الحُسن، وهباته الكريمة تُقبل بوجه الإحسان على فرع الأصل الأسمى وتُرضع تاجه بجوهر نخره الأسمى، وسماته الوسيمة، تجمل شد أزr الوزارة الفخيمة، بأكفأ نجل ثنى الزمان عنان الرياسة إليه وعليه أثنى - أن يستقر فلان في كذا وكذا : لأنه رُبى في حُجُر الرياسة، وأجتنى من الروض المجد الذى أعلى السعدُ غراسه، ونشأ من محلّ السؤدد والفخار، وبزغ من بيتٍ حقت له رفعة الأقدار، وبسق غصنُ فرعه من أصلٍ ثابت، وسمأ بدوحِ عزٍّ فى مواطن المعالى نابت، وهى ندى قلمه بانتسابه إلى سرآة الكُتاب فناهيك من كاتبٍ لأبى الخلل كاتٍ، تعترف الدولة لسلفه بسالف العهود، وتعترف من منهل تديرهم المورود، وتتحلى من تاجهم بأسمى العقود، وتسمو من نخر وزارتهم ووزارة نخرهم بما يملأ الوجود بالجود، وتختال من تصريف أفلامهم وأقلام تصريفهم فى روض التنفيذ المجد فإن ذكرت ما أثر جدّه قصرت عن إدراكها الجُدود، وإن شكرت مناقب والده - أجله الله - ففجرها الباذخ مشهود، وهو بلسان العام والخاص ممدوح مجود، وإلى معانى خطه تنهى درجات الصعود والسعود، فلا غرّ ولهذا الفرع الناجب أن يتبع أصله، وأن يسلك فضائله وفضله، وأن يقفوا منهجه، ويجدو فى الكتابة طريقته المبهجة، ويأتى من البراعة بسننها القويم، ويبرز من البراعة وشى خطه الرقيم، وأن يحلّى أجياد المهارق بجوهر تاجه النضيد النظيم، وأن تحلوا ألفاظه فى الإنشاء حين تتر على الأسماع مرور النسيم، [لا] سيمًا وقد ظهرت عليه من تحايل الراسة دلائل، وشرعت له مناهل الأدب والفضائل، وحاز من حُسن النشأة ما سار بؤشكره المثل، وحصل من الأشتغال على كثر المعرفة وأشتمل، وغدا جديرًا بكل مرتبةٍ سيئه، وكل رفعة هي بأعدادها مبنية .

فليأشِرْ ذلك مباشرةً يجعلها لباب المعالي مفتحة ، وللازيادة من كل خير سببا كلما
أبدى الدهر مساءً وصحى ، ولينقل في اتباع مهيع المجد عن والده وجدّه أبقاهما الله
تعالى ، وليدأب للتحلّي بأخلاقهما الحسنة أقوالاً وأفعالا ، وليبهِج الطُروسَ بوشى
قلمه ، ولينمق المكتاباتِ ببلاغة كليمه ، وليتخذ الصّونَ شعاره ، والعفافَ دِناره ؛
والأمانةَ معتمده ، والنزاهةَ مستنده ؛ وضبطَ القولِ مادته ، وحفظَ اليدِ واللسانِ
جادته ؛ والوصاياَ كثيرة وملاكيها التقوى وهى حليته الحقيقية ، وعقيدته العقلية
والمنطقية ؛ فليجعلها دأبه ، وليرض في إعلانه لها رَبّه ؛ والله تعالى يعلي قدره وجدّه ،
ويحفظه وأباه وجدّه .



وهذه نسخة توقيع شريف بكتابة درج تجديداً ، وهى :

رِسْم ... - لا زال يمتحُ الأولياء ، بتجديد النعم إحساناً ، ويولى البُغَاء ، فضلاً
يعلى لهم رتبةً وشاناً ، ويبدى لهم فى ديوان إنشائه الشريف فضائل جمةً وبيانا -
أن يجدد هذا التوقيع الشريف باسم فلان تجديداً لأنوار الإحسان إليه ، وتأكيذاً
لمزاي الأمتنان لديه ، وتسديداً لمستنده الذى ألقاه وجه الإقبال إليه ؛ لما حازه من
فضيلة تامة ، وبلاغة ملأت بديع المعاني ومعاني البديع ألفاظه وكلامه ، وكتابة
أجرت فى حواشى الطروس بحقق التوقيعات أعلامه ، وأمانة بنت على الصّدق
والعفاف أقسامه ؛ ورياسة تأثل مجدها ، فبلغ مرآمه ، وأتصل سعدُها ، فلا يحشى
أنفصامه ، وبعد شأوها فهى السامية إلى رفع المنازل من غير سآمه . قد أنصف من
البراعة بجميل الأوصاف ، وظهر استحقاقه فهو بادٍ غير خاف ؛ وتروى من بحر البلاغة

حيثُ وردَ منهلها الصَّافُ ، وسلَّكَ طُرُقَ الخَيْرِ فتضاعفَ له الإسعادُ والإسعافُ ،
وأمتازَ بمزايَا التَّجَمُّلِ في أمورِهِ والعَفَافِ ، وأستحقَّ بذلكَ أنْ تُجَدِّدَ له فضلَ الألفه ،
وَنُؤَكِّدَ له بكرمنا نِيلاً أعتاده وعرفه .

فليستَمِرَّ في ذلكَ استِمْراراً به أسبابُ الخَيْرِ مؤتلفه ، ووجوهُ الفضائلِ عن صنوفِ
الكتابَةِ غيرِ منصرفه ؛ وليُبدِ من البِلاغَةِ بيانها البديعُ ، ويُجَمِّلَ منزلَ العلياءِ الرفيعِ ؛
ويَسَلِّكَ مسالكه في الأمانه ، ويتَّقَى الله تعالى بملازمةِ المُراقبَةِ والذِّيانه ؛ واللهُ تعالى
يُعَلِّي مكانه ، ويزيدُ في أقتناءِ الفضائلِ إمكانه ؛ والأعتادُ على العلامةِ الشريفةِ أعلاه ،
إن شاء الله تعالى .

قلتُ وربما كُتِبَ التوقيعُ لكاتبِ الدرَجِ بزيادةِ معلومٍ ، فيحتاجُ الكاتبُ إلى أنْ
يأتىَ بعبارةٍ تجمعُ إلى ما تقدّمَ من براعةِ الاستمِلالِ ما يليها من موجبِ الاستحقاقِ ،
وسببِ الزيادةِ وترادفِ الإحسانِ .



وهذه نسخة توقيع بشهادة الخزانة ، كُتِبَ به لابن عبادة ، وهى :

أما بعد حمدِ الله الذى أفاضَ على الأولياءِ من خزائنِ فضله ، وأفاءَ لهم أوفرَ نصيبٍ
من إحسانه المشكورِ فيه عدلُ قسَمِهِ وقسَمَ عدله ، وأهمى عليهم من سُحْبِ مواهبِهِ
ما يقصُرُ عنه الغمامُ فى وبله وطله ، وأسبغَ عليهم من جوده العميمِ ما يصفو لديهم المرحُ
فى وإرفِ ظلّه ؛ والصلاةِ والسلامِ على سيدنا محمدِ نبيه ورسوله أشرفِ رُسُلِهِ ، وخاتمِ
من جاء من الأنبياءِ من قبله ، والهادى ببعثته الشريفةِ إلى طُرُقِ الحقِّ وسبيله ؛
وعلى آلِهِ وصحبه الذين تابَعُوهُ فى قوله وفعله ، وبايعُوهُ على المظاهرةِ فى نُصرةِ الدينِ

الْحَنِيفِ وَأَهْلِهِ ، وَجَمَعُوا هَمَمَهُمْ عَلَى الْإِتِّئَامِ كَلِمَةِ الْإِيمَانِ وَجَمَعَ شَمْلَهُ ، وَأَرْهَفَ كُلَّ
 مِنْهُمْ فِي نَصْرِهِ مَاضِي عَزْمِهِ وَنَصَلِهِ - فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ رُعِيَتْ لَهُ حَقُوقُ ذِمَامِهِ ، وَمُنِحَ
 أَجْرُ الْعَطَاءِ الَّذِي تَقْضَى الْأَقْدَارُ بِدَوَامِهِ ، وَلَوْحِظَ بَعِينَ الْإِقْبَالَ مَا أَسْلَفَهُ مِنْ حُسْنِ
 الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَإِلِمَامِهِ - مَنْ جَدَّ فِي الْخِدْمَةِ فَأُضْحِيَ الْجَدُّ لَهُ خَادِمًا ، وَدَاوَمَ عَلَى
 الْمُنَاصِحَةِ فَعَدَا سَعْدُهُ دَائِمًا ؛ وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ فَضِيلٍ بِزِمَامِهِ ، وَمَتَّ بِمَالِهِ عَلَى الدَّوْلَةِ
 الشَّرِيفَةِ مِنْ حُرْمَتِهِ وَذِمَامِهِ ؛ وَسَلَكَ فِي أَدَاءِ الْأَمَانَةِ السَّنَنَ الْقَوِيمَ ، وَجَعَلَ عَلَى خَزَائِنِ
 الْأَرْضِ بِمَا تَلَا لِسَانُ فَضْلِهِ : ((إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)) ؛ وَتَمَسَّكَ مِنَ الْإِخْلَاصِ بِأَقْوَى
 الْأَسْبَابِ ، وَجَعَلَتْ لَهُ التَّقْوَى مَحَلًّا يُدْخِلُ عَلَيْهِ مَلَائِكَةَ الْقَبُولِ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، وَزَيَّنَ
 سَمَاءَ الْمَعَالِي بِكَوَاكِبِ مَجْدِهِ فَمَا تَشَوَّفُ إِلَيْهَا طَرْفٌ مُتَطَاوِلٍ إِلَّا وَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ .

ولما كان فلان هو الذي غدا حسن مناقبه إلى شكره مُرَشِدًا ، وإلى ذكره
 بِالْجَمِيلِ مُسْعِدًا ، وَأَهْلَجَ لِسَانَ الْقَلَمِ فِي وَصْفِهِ مُنْشِدًا ؛ وَأَخْتَصَّ مِنْ هَذِهِ الْحَمَامِدِ بِأَوْفَرِهَا
 قِسْمًا ، وَطَلَعَ فِي أَفْقِ هَذَا الشِّئَاءِ الْجَمِيلِ نَجْمًا ، فَلِذَلِكَ رَسَمَ

ومنها - استيفاء الدولة .

وموضوعها التحدُّثُ فِي كُلِّ مَا تَحَدَّثُ فِيهِ الْوَزِيرُ وَنَاطِرُ الدَّوْلَةِ ، وَضَبْطُ الْأَمْوَالِ
 الدِّيوانِيَّةِ ، وَكِتَابَةُ الْحُسْبَانَاتِ ، وَكُلُّ مَا يَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ . وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ
 يَكُونَ فِيهَا مَسْتَوْفِيَانُ .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الدولة :

أما بعد حمد الله الذي صانَ الْأَمْوَالِ بِالْأَقْلَامِ الْحَرَّرَهُ ، وَالدَّفَاتِرِ الْمُسَطَّرَهُ ،
 وَالْحُسْبَانَاتِ الْمَصْدَرَهُ ، وَالْجَوَامِعِ الْمَسِيرَهُ ، وَالتَّقِيظَ الَّذِي أَسْتَخْرِجَ الْبَوَاقِي الْمُنْكَسِرَهُ ،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أزال ظلام الظلم وتورّه، ومحا الجور وغيره،
وأيد الحق وأظهره، وعلى آله البرره، وصحبه خصوصا العشرة المبشرة - فإن للدولة
الشريفة من الأقالام ضابطا، ولها من الحساب نظاما أصبح عليها سياجا وحائطا،
يصون الأموال أن تكون بأيدى الخائنين نهبي، ويحجز المطلقات بعدا وقربا،
وقلم الاستيفاء هو الذى إذا طاشت أقلام الكُتاب كان فى رأسها لحاما، وإذا
خصم المباشرون بالمصروف قبل السائع الصحيح وردّ ما كان سقيا وخرّج ما لم
يكن تماما .

ولما كان فلان هو الذى فى الراسة كبير معروف، وفى السعادة حميد موصوف،
وفى قلمه تصحيح كل مصروف، وله فى الدولة آثار مرضية تشكرها الأقالام
والسيوف، ما نظر فى حساب، إلا أزال عنه ما به يعاب، ولا رأى فدالك،
إلا وأصح فيها المسالك، ولا عرض باقى، إلا أستخرج ما يتعين أستخراجه بقلمه
الراقى، وفهمه الواقى، فلذلك رسم أن يستقر

فلباشر هذه الوظيفة بتحريره وتحييده، وتميزه وتثمينه، وتوفيره وتكثيره، وإيراده
وتصديره، وتسهيله وتيسيره، وإزالة تعسيره، وإذا أمسك دفاتره، أظهر ما ثره،
وإذا نسيت الجمل أبدى تذاكره، والعمدة على شطبه فى الحسابات الحاضره،
فلا يخرج من عنده شىء بغير ثبوت فإن التواقيع الشريفة والمراسيم الشريفة هى
كالأمثال سائر، ولا يتخذ المعين، إلا الأمين، ولا يستعين، إلا بمن هو مأمون
اليمين، والوصايا كثيرة وهو غنى عن التبيين، فليتق الله رب العالمين، وليستجلب
لنا الأدعية من الفقراء الصالحين، فإن صدقاتنا الشريفة تنعم عليهم بمرتبات
وأرزاق، ونعم وأطلاق، فليسهل عليهم الصعب فى كل باب وإطلاق، والله تعالى
يُمده بالإرفاق، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى .

قلت : وقد يكتب لوظيفة استيفاء الدولة مفتتحا بـ «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك باستيفاء الدولة ، كُتِبَ به لعَلَم الدين بن ريشة ،

وهي :

رُسِمَ بالأمر الشريف - لا بَرِحْتُ أَيامه الشريفَةَ تَرْفَعُ لَدَوِي الكفاءة مِنْ إحصانها
عَلَمًا ، وَتُرْجَعُ مصالِحَ الدولة إِلَى مَنْ أَحْسَنَ فِيهَا خِطَابًا وَأَعْمَلَ فِي مَهَمَّاتِهَا قَلَمًا ،
وَتَخْتَارُ مَنْ دَابَّ فِي تَكْمِيلِ أَدْوَاتِهِ حَتَّى صَارَ عَلَى أَنْظَارِهِ مُتَقَدِّمًا - أَنْ يَرْتَبَّ فُلَانٍ عَلِيمًا
بِكِفَايَتِهِ الَّتِي وَصَحَّتْ ، وَدِرَايَتِهِ الَّتِي فَاقَتْ مُنَاطِرَهَا وَرَبَّحَتْ ، وَأَمَانَتِهِ الَّتِي حَصَلَتْ
النَّمَاءَ وَأَرْبَحَتْ ، وَهَمَّتِهِ الَّتِي مَيَّزَتْ الْأُمُوالَ بِإِحْرَازِهَا فَعَلَى السَّدَادِ خُتِمَتْ وَبِالتَّحَرِّيِّ
أَفْتِخَتْ .

فليُشارَ هذه الوظيفة التي تحتاج إليه باحتراز مثله ، والرُّتبة التي يتعين على مُباشِرِها
إيصالَ كُلِّ حَقٍّ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَدْ أَرْجَعْنَا ضَبْطَهَا وَتَحْرِيرَهَا إِلَيْهِ ، وَأَعْتَمَدْنَا فِي تَيْسِيرِ
أُمُوالِها وَسَدِّ أَحْوالِها عَلَيْهِ ، فَهُوَ جَدِيرٌ بِبُلُوغِ القَصْدِ فِيمَا قَرَّرْنَاهُ لَدَيْهِ ، وَحَرَرْنَاهُ
بِقَلَمِهِ وَيَدِيهِ .

فليُبَسِّطْ فِي مِصْالِحِ الدِّيوانِ المَعْمُورِ وَأُمُوالِهِ قَلَمَهُ ، وَلْيَعْمَلْ بِمَا هُوَ عَالِمٌ مِنْ تَبْيِينِ
حَقَائِقِ أَحْوالِ وَظِيفَتِهِ وَيُجْلِصْ فِيهِ قَوْلَهُ وَكَلِمَهُ ، وَلْيُصِنِ الْأُمُوالَ ، وَيَتَفَقَّدَ مَا يَلِزَمُ
الْعُمَّالَ ، وَيُحِثَّ عَلَى حَمُولِ بَيْتِ المَالِ ؛ وَلْيَسْتَرْفِعِ الحُسْباناتِ مِنْ جِهَاتِها عَلَى العادة ،
وَلْيَسْتَوْدِعْ دَفاتِرَها وَجرائِدَها مِنْ يَتَحَقَّقُ تَحَرُّزَهُ وَسَدَادَهُ ، وَلْيَتَخَذْ مَعِينِيهِ مِنْ أَربابِ
الحِذْقِ والدَّرَايَةِ والأَطْلاعِ عَلَى كُلِّ نَقْصٍ وَزِيادَةٍ ، وَإِبْداءٍ وَإِعْادَةٍ ؛ وَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ
مَلا يُجْتَنَبُ مَعَهُ إِلَى زِيادَةِ الوِصايا وَتَكْثِيرِها ، وَمِنْ أَلْمَعِيَّتِهِ ما يُدْرِكُ بِهِ الفِصْلَ
فِي جَلِيلِ الْأُمُورِ وَحَقِيرِها ؛ فَإِنَّهُ قَدْ تَخَلَّقَ بِأَخلاقِ أَهْلِ الأَدَبِ ، وَشَارَكَ فِي جَلِيلِ

الخطب وسد ما إليه عزمه أنتدب ، والله تعالى يبلغه من الجود غاية الأرب ،
ويعينه على صالح العمل وأتهاز القرب ، والأعتماد ...

ومنها - أستيفاء الخاص . وصاحبها فى الخاص كمتوفى الدولة فى ديوان الوزارة .

وهذه نسخة توقيع بأستيفاء الخاص لمن لقبه «أمين الدين» وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تُقدم بمهماتنا أمينا ، وتقدم
فى خدمتها من أضحى أعلى شمالا ويمينا ، وتولى الرتب السنية من جعل التحرز لقلمه
مصاحبا ولكلمه معيننا - أن يستقر فلان فى كذا : لما عرف من رأسته التى
ميزته ، وأمانته التى جمعت الرفع فأحرزته ، وضبطه الذى ترقى به فى المراتب وتقل ،
وإدراكه الذى يصبون به غوامض المصالح ويعقل ، ولما سلف له من خدمة ملك
فيها السداد ، ومباشرة علم بها ما هو متصف به من حسن الاعتماد .

فليباشر هذه الوظيفة التى وليها ، وليشهر من همته فيها ما يرفع مكانته ويعلمها ،
وليدم المراقبة لمصالح ديوان الخاص الشريف فى كل قول وعمل ، وليسارع إلى
ما يفيد المباح ويبلغ من الضبط والتحرز غاية الأمل ، وليصن الأموال من ضياعها ،
ويحافظ على سلوك طرائق الحق وأتباعها ، وليسترفح الحسابات من أربابها ،
ويتفقد محرراتها التى هو أعلم وأدرى بها ، ويتخذ من معينيه من أضحى معرفته
للدقائق جامعاه ، ويحتفل بمتحصلات أموال الخاص بعزيمته التى أضحى لمكانته
رافعه ، لا سيما نعر الإسكندرية التى قد أصبحت جهاتها لطلب أرقامه متابعة
طائعه ، وليلزم كل عامل بتحرير ما يجب عليه وما تنبى فيه المراجعة ، فإنما قد أقمناه
لذلك مستوفيا ، وليتصفح أموره الحليسة والحقيرة مستوفيا مستقيا ، وليتق الله

الذى يبلغه من زيادة منحنى الأمل ، ويعينه على صالح العمل ، والله تعالى يمنحه من الخير ما يُجِّح مسعاه ويزهه عن الزبغ والزلل ؛ والاعتماد



وهذه نسخة توقيع فى المعنى لمن لقبه «بدر الدين» وهى :

رسم بالامر الشريف - لازل يطالع لذوى الكفاية من إحسانه فى سماء الإقبال بدرا ، ويرفع لمن أم الأبواب لأوليائه من ذوى الرأسة قدرا ، ويشفع لمن شكرت معرفته بفتح القصد فأنشرح له بالمن الجمّة صدرا - أن يستقر فلان فى كذا : لكفايته التى خطب بسببها إلى مقره ، ودرايته التى أستوجب بها أن نطق لسان القلم بذكره ، ونزاهته التى أجمعت بها أمثاله على شكره ، وأمانته التى تستدعى الحق فى حلو الأمر ومرة ، وديانته التى هى أصل فى كل أمره ، وصيانته التى يعتمدها فى سره وجهره ، ومشارفته المصالح بعين يقظته التى يلوح لها وجه الصواب فيقف عند حده وقدره .

فليباشر هذه الوظيفة التى أسلفها حسن الاعتاد ، وليوفها من معهود يقظته من الاجتهاد ، وليحقق حسن ظنّ المباشرين فى رغبتهم فيه فى الإنصاف فى الإرفاق والإرفاد ، وليعمر جهات الأموال بجميل الإقتصاد ، ويُنجز الأحوال على سبيل السداد ، وليتبع منهاج الخير فى كل ما يأتى من إصدار وإيراد ، فقد رجع ضبط هذه الجهة إليه ، وأعتد فى تحريرها عليه ؛ فليصن الأموال ، ويتفقد ما تحسن به العقبى والمآل ؛ وليتجرّ فى جميع ما هو لازم له أن يكون على الحق الواضح ، والسّن القويم فإنه المتجرّ الرابح والمآب الناجح ؛ وتقوى الله تعالى فهى عمدة كل عبد صالح ،

(١) لعله من أوليائه ذوى الخ .

(٢) لعله «ورغبتهم فيه من الانصاف» الخ تأمل .

والوصايا كثيرة مبيّنة تُعنى عن إفصاح الشارح؛ والله تعالى يُلهمه الطريقَ السديدةَ
ويُرشده، ويَعينه بالتوفيق ويُجِده، إن شاء الله تعالى .

ومنها - استيفاء البيوت والحاشية .

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بها لعَلَمَ الدين «شاكر» عوضًا عن تاج الدين
ابن الغزولى فى الأيام الأشرفية «شعبان بن حسين» وهى :

رِسْمُ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَازَلْتُ صَدَقَاتِهِ الشَّرِيفَةَ تَمْنَحُ الْكُفَاءَ مِنْ إِحْسَانِهَا
نِعْمًا ، وَنُضَاعِفُ لَهُمْ مِنْ عَطَائِهَا كَرَمًا ، وَأَيَّامُهُ الشَّرِيفَةَ تُعْمُ الْبُيُوتَ الْكَرِيمَةَ بِكَافٍ
قَدْ نَشَرَتْ لَهُ الْأَمَانَةَ فِي دَوْلَتِهِ الْأَشْرَفِيَّةِ عِلْمًا ، وَمَوَاهِبُهُ تَقْدَمُ لِلْوِظَائِفِ مَنْ أُضْحَى
شَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَتَبَسُّطُ لَهُ فِي دَوَاوِينِ أَعَزِّ الْأَنْصَارِ قَلَمًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ
الْقَاضِي ، فَلِأَنَّ الدِّينَ فِي كَذَا وَكَذَا : لِأَمَانَتِهِ الْمُؤْفُورَةِ ، وَمَعْرِفَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، وَمَحَاسِنِهِ
الْمَذْكُورَةِ ، وَسِيرَتِهِ الْمَشْكُورَةِ ، وَكِتَابَتِهِ الَّتِي أَضَحَّتْ فِي صَفَحَاتِ الْحُسْبَانَاتِ
مُسْطُورَةَ ، وَدِيَانَتِهِ الَّتِي جَدَّدَتْ بِهَجَّتِهِ وَسُرُورِهِ ، وَخَبْرَتِهِ بِمَنَازِلِ الْبُيُوتِ الْمَعْمُورَةِ ؛
وَقَدِمَ هِجْرَتَهُ فِي الْوِظَائِفِ الَّتِي أَوْجَبَتْ نُقْلَتَهُ إِلَى أَجْلَئِهَا ، وَصَدَارَتَهُ الَّتِي رَفَعَتْهُ إِلَى
أَرْفَعِ مَحَلِّهَا ؛ كَمْ لَهُ فِي دَوَاوِينِ أَعَزِّ الْأَنْصَارِ مِنْ أَقْلَامٍ مَنَفَّذَةٍ ، وَآرَاءٍ مُسَدِّدَةٍ ؛ وَنَظَرٍ
أَصْلَحَ بِهِ كُلَّ فَاسِدٍ ، وَكَبَّتْ بِهِ كُلَّ حَاسِدٍ ؛ وَضَبَطَ لِأَصُولِ الْأَمْوَالِ ، وَتَبَيَّنَ لِلصَّالِحِ
فِي الْبَكْرِ وَالْأَصَالِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي هُوَ أَخْبَرُ بِمَبَاشَرَتِهَا ، وَأَعْلَمُ بِأَحْوَالِ الْبُيُوتِ
الْكَرِيمَةِ وَعِمَارَتِهَا ؛ وَلْيُظْهِرْ فِي الْحَاشِيَةِ السَّعِيدَةِ مَا ثَرَهُ الْحَسَنَةَ ، وَزَاهَتَهُ الَّتِي نَطَقَتْ
بشكرها الألسنة ، وليُبيد في مَبَاشَرَتِهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ ؛ وَلْيَسَلِّكْ طَرَائِقَ الْأَمَانَةِ ،
وَلْيَقِفْ آثَارَ ذَوِي الْعَفَافِ وَالصَّيَّانَةِ ؛ وَلْيَلِازِمْ مَبَاشِرَةَ أَعَزِّ وَلِيٍّ فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ ،

ولا يشغله شاغلٌ عن مصالح مُمهدِّ الدول من [هو] لسلطاننا الأشرف أميرِ سلاح ،
واللهُ تعالى يفتح له من الخير أبوابَ النجاح . والاعتمادُ على الخط الشريف أعلاه ،
إن شاء الله تعالى .

قلت : ومما يخطر في سلك توابع أرباب الوظائف السلطانية وظائفُ
دواوين الأُمراء الخاصية ، فإنه ربما كُتِبَ عن السلطان التوقيعُ لبعض أرباب
وظائف دواوينهم كما يكتَب في الوظائف السلطانية .



وهذه نسخةُ توقيعِ كريمِ بنظر دواوينِ بعض الأُمراء ، وهى :

أمَّا بعد حمدِ الله الذى هدى إلى الملةِ المحمّدية من أسرارِ الإيمان فى قلبه ونوّاه ، وضمَّ
إلى الأُمَّة [الاسلامية] من أضمير الإخلاص فأظهره الله فى متقلبه ومثواه ، وجمع لولىِّ
الدولة ومُخلصها الفرجَ والفرحَ لأنه من توكلَ عليه كفّاه ، والشهادة بالوحدانية التى
تبلغ قائمها من رضاه مناه ، وتجعل جنّاته لمن أسرها جنّاته مستقره ومأواه ، والصلاة
والسلام على سيدنا محمّد الذى قصم عداه ، وقصمُ عرا من عاداه من أهل الشرك
وعداه . وعلى آله وصحبه الذين اهتدوا بهداه ، واستجدوا جداه ، ولبوا نداءه ، وأموا
نداه ، صلاةٌ تجزى لمصلحتها ثوابه ، وتُجلب ما به ، وتُجسد عقباه - فإنَّ أولى من رفع له
الكرمُ محلاً ، وقلدته النعمُ عقداً محلاً ، وأعيد إلى رتبة الأصطفاء ، وفؤوض إليه ديوانُ
أعزِّ الأخصياء ، وصرف قلمه فى مهامه ، وحصلت هممه على جميع أقسامه ، وعدقت
مصالحه بتدبيره ، ومناجحه بتأيسله وتأثيره ، ومتحصلاته بتمييزه وتثمينه ، وأحواله
وأمواله : هذه بحسن تصرفه وهذه بحسن تقريره - من دخل فى دين الله الفؤيم ،
وأجتهاه وهداه إلى الصراط المستقيم ، وكساه الإسلام حلة شرفه ، وبوّاه الإيمان

مَبَانِي غُرْفِهِ ، وَنَوَى الْأَسْتِقَامَةَ فِي إِقَامَتِهِ وَمُنْصَرَفِهِ ؛ وَالتَّحَفَ بِبِلَابِ الْإِسْلَامِ
وَأَرْتَدَى ، وَتَلَبَّسَ بِالْإِيمَانِ فَصَدَّ عَنْهُ الْأَذَى وَرَدَّ الرَّدَى ، وَغَدَا مِنْ أَصْحَابِ الصَّرَاطِ
السَّوِيِّ وَمِنْ أَهْتَدَى ؛ مَعَ كِفَايَةٍ أُوجِبَتْ لَهُ التَّقْرِيْبَ وَالتَّقْدِيمَ ، وَجَدَّدَتْ لَهُ مَلَاسَ
التَّكْبِيرِ وَالتَّكْرِيمِ ؛ وَكِتَابَةٌ فَاقَتْ بِهَا أَمْثَالَهُ ، وَعَلَامَاتُهُ ، وَبَلَّغَتْهُ مِنَ الْعَلِيَاءِ مَرَامَهُ وَمَنَالَهُ ؛
وَمَعْرِفَةٌ بِفَنُونِ الْحِسَابِ ، وَخِبْرَةٌ أَعْتَرَفَ لَهَا بِهَا الْكُتَّابُ وَالْحُسَّابُ ، وَأُوجِبَتْ لَهُ مِنَ
الْإِقْبَالِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِ .

ولما كان مجلس القاضي فلان : هو الذى أخذ القلم فى مدحه ، والكرم فى منحه ؛
أقتضى رأينا الشريف أن نُقبِلَ على إقباله على الدين بوجه الإقبال ، وأن نبُلِّغه
فى أيماننا الشريفة ما كان يرجوه من الآمال . فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازل
يرفع من كان للدولة ولياً ، ويضع الشيء محله بتقديم من أضحى عرفانه جلياً^(١) .

فليأشِرْ ذلك مباشرةً ببلِّغه أملاً من الاعتلاء ، وتؤلِّه مراماً من الاعتناء ، وتؤمِّنه
من طوارق الزمن وحوادث الاعتداء ، عالمًا بأن دولتنا الفلانية المنصورة تُجَازِي
عن الحسناتِ بأمثالها ، وأن أيماننا الفلانية المشهورة المشكورة تبلغ أوليائها غاية
آمالها ؛ وأننا أجزلنا برّه ، وأجملنا ذكركه ، وأجرينا على لسان القلم حمده وشكركه ؛
فليعتَمِدْ فى مباشرته الأمانة المبرّه ، والنزاهة التى رفعت ماساءه ووضعت ماسره ؛
وليستمر فى مصالح هذا الديوان السعيد عن ساعد اجتهاده ، ويعتَمِدْ فى أموره ما أُلِفَ
من سداده ، ويتحرر من السعادة ما كان قبل القول من سعادته ؛ وليتق الله حق تقاته ،
ويجعل التقوى حلية لأوقاته ، وحلة على سائر تصرفاته ؛ وليسر بتقواه سيرا خبرا
وخبرا ، ويذر جورا وجبرا ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ .

(١) أن يستقر فى ديوان كذا الخ وحذفه اختصارا للكثابة وكثيرا ما يفعل مثل ذلك .

قلت : وغالب ما يعتنى به في تواقع أرباب الأقسام المفتحة : «رسم» الدعاء
المصدّر به التواقع [و] أشتماله على براعة الاستهلال .
وهذه جملة أدعية من ذلك يُنسخ على منوالها :

أثير الدين — لازال فلك فضله أثيرا ، وطالع سعده مثيرا ، وهبوب
ريج مبراته للخيرات مثيرا .

أمين الدين — لازال يتنحى للخدم الشريفة خير أمين ، ويصطفى للقيام
بالمصالح أنهض معين ، ويحتجى لأهم المهمات من هو غير متهم في المناجحة وغير ظنين .

بدر الدين — لازال يولى المناصب الدينية من سلك في النزاهة مسلكا
جميلا ، ويولى الفضل الجزيل من أضحى لإشراق بده على آثار حفظه دليلا .

برهان الدين — لازالت أوامره الشريفة ترفع للعلماء شانا ، وتقيم على
استحقاقهم دليلا واضحا وبرهانا .

تاج الدين — لازالت صدقاته الشريفة ترفع تاج الفضائل على الرؤوس ،
وبره الشامل يذكي النفوس ويزكي الفروس ، وتوارد إفضاله يوشى المهاريق ويدبج
الطروس .

تقي الدين — لازالت صدقاته الشريفة تقدم كل تقى ، وترجح
ميزان من هو بالفضائل أملى ملي ، وترفع قدر من إذا سئل عن محله في الرياسة
قيل علي .

جمال الدين — لازال جمال جميله للنفوس رائقا ، وإفضاله المتوافر لكل
إفضال سابقا .

جلال الدين - لازالت صدقاته الشريفة تزيد جلال ذوى الفضل
جلالا، وإحسانه المتواتر يوسع في البر لأولى الاستحقاق مجالا، وبره المتتابع تقصر
عنه خطأ كل بر فينادى: هكذا هكذا وإلا فلا لا .

رضى الدين - لازال رضى السجايا، ظاهر المزايا، مسترسل ديم
العطايا .

زين الدين - لازال نواله الشريف زينا لنائه، وسؤاله المحقق إجابته
شرفا لسائله، وقاصد بابيه الشريف يوم بالخير في عاجل الأمر وأجله .

سراج الدين - لازالت عنايته الشريفة تخص أولياءها بجزيل المواب،
وتبلغهم من صدقاتها العامة غاية الآمال وأقصى المطالب، وتوقد لهم من أنوار
سعادتها سراجا يغلب على نور الكواكب .

سرى الدين - لازالت صدقاته الشريفة تصطفى من أرباب الحكاية
من يجيد المعاني فلا يضيع لفظا إلا جعل تحته معنى سرييا، وترضى من فؤسان
البراعة في ميدان البراعة من يرتقى ببلاغته مكانا عليا، وتجتبي من أهل الإجابة من
تميز بالإفادة فلا يزال كلامه لأجساد الطروس حليا .

شرف الدين - لازالت صدقاته الشريفة تضع الشيء في محله، وترجع
الفضل إلى مستحقه وأهله، وتختار للناصب من ظهر شرفه بين قوله وفعله .

شمس الدين - لازالت صدقاته الشريفة تطلع في سماء المعالي من ذوى
الرياسة شمسا، ونعمه الجسيمة تثبت في روض الإحسان غرسا، ومراسمه العالية
تنقل إلى رتب الرياسة من شدت كفه على عدد الأمانى خمسا .

شهاب الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تُطَلَع في أفقها شهابا، وتُحْمَل من جزيل المواهب للأمانى سحابا، وتضع الشيء في محله وتزيد الأمور انتظاما والدعاء استجابا .

صدر الدين — لا زالت آراؤه الشريفة تستجيد من ذوى الفضائل من جاوز الجوزاء نظما وفاق النثرة نثرا، وتستفيد به المناصب من الأمانل من تقصر عن مجده الكواكب رفة وقدرا، وتستزيد منه المراتب من فاق سبحان وائل وساد الأوائل فأضحى في مجالس العلماء صدرا .

صلاح الدين — لا زال أمره الشريف يقدم من يفيد ويحيد، فيكون لكل أمر صلاحا، وكرمه الطويل المديد، يشمل من ذوى الفضائل من فاق «سبحان» وائل فصاحة وفاق «حاتم» الأوائل سماحا، ورأيه الرشيد السديد، يختار من إذا أنتضى البراعة غلب رأيه سيوفا وطال قامه رماحا .

ضياء الدين — لا زالت آراؤه الجميلة، تختار من ذوى الفضائل الجميلة من تزداد به المناصب ضياء، ونعمه الجزيلة، تعم كل بارع إذا أدهمت الخطوب كان فوه لها جلاء، وعوارفه المستطيلة، تشمل كل فاضل بذل في الخدمة جهده وتكسوه هبة وبهاء .

علم الدين — لا زال جزيل إحسانه، أوضح من نار على علم، ومزيد أمتنانه، يشمل أرباب السيف والقلم، وسحب بنانه تسح فلا تسح بجزيل الكرم .

علاء الدين — لا زال علاء دولته يصطفى ذوى الفضائل، ويختار من الفصحاء من يفوت الأوانح كما أضحى يفوت الأوائل، ويقدم من هو في تدبير البراعة كعلي بن هلال وفي حسن البراعة كسبحان وائل .

(١) لعله « وتستعيد للنائب ... وتستزيد في المراتب الخ » . تأمل .

عز الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تزيد ذوى الأقالام، من جزيل الإنعام، فنيّلهم عزّا، وتستجيد من كُتابها الأعلام، من خُصّ بجواهر الكلام، فكلُّ حُسن إلى كلامه يُعزى، وتستفيد من نُجباء الأيام، كلُّ بارع كأنّ كلامه زهر الكيام، فلو خاطب سُبحان لأورثه قُصورا وعجزا .

عماد الدين — لا زالت آراؤه الشريفة تُنخِذ من نُجباء الكُتاب، عمادا، وتختار من ذوى الفضائل فى الخطاب، من تجد لكلامه حُسنا وسدادا، وتقدم من أهل الفضل فى السؤال والجواب، من لا تعدم فى كلِّ مقاصده رشادا .

عضد الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تجعل من إنعامها، نلدامها، عضدا، وتلحظ بعين إكرامها، وحسن احترامها، من طال فى الفضل مدى، وتزيّن مطالع أيامها، بشموس أعلامها، فلا ترى مثلهم أحدا .

غرس الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تُثبت فى روض الإحسان، من أرباب البيان، غرسا، وتجتني من كيام اللسان، أزهرة النكت الحسان، وتزيّن بها طرسا، ونفيض من مواهب البنان، ما يشهد لها بجزيل الامتنان، فيطيب كلُّ أمل نفسا .

غياث الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تُبدي لكلِّ أمل غياثا، وتُضفي ظلها على من أستجار بها وأستغاثا، وتُنطق ألسن أقالمها، بمواهب إنعامها، فتبدل طريقها وتراثها .

فتح الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تُنخِذ من ذوى الأقالام، من يفتح أبواب الكلام، وفتحها، وتهب جزيل الإنعام، لمن يستحقه من الكُتاب الأعلام،

فِينَالُ بِذَلِكَ ثَنَاءً وَرِيحًا؛ وَتَقَرَّبَ بِيَدِ الْعِنَايَةِ وَالْإِكْرَامِ، مِنْ ذَوِي الرِّيَاسَةِ وَالْإِحْتِرَامِ،
مَنْ هُنَّ عَلَى الْبَلْغَاءِ قَدْحًا .

نُحْرُ الدِّينِ - لَا زَالَتْ أَرَاؤُهُ الشَّرِيفَةُ تُنَصَّبُ فِي الْمَنَاصِبِ، مِنْ يَزِيدِ
بِحُسْنِ مَبَاشَرَتِهِ نُحْرُهَا، وَتُمَطَّى ظُهُورَ الْمَرَاتِبِ، مِنْ إِذَا أَظْلَمَتِ الْأَيَّامُ لِعَدَمِ فَاضِلِ
ظُهُورِ بَفْضِيلَتِهِ بِحُرِّهَا .

قُطْبُ الدِّينِ - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تُدِيرُ عَلَى قُطْبِ الْبَلَاغَةِ مِنْ
أَرْبَابِ الرِّيَاحَةِ نُجُومًا، وَتُشِيرُ بِعِنَايَتِهَا إِلَى مَنْ حَازَ مِنَ الْفَضْلِ فُنُونًا وَأَحْيَا مِنَ الْآدَابِ
رُسُومًا، وَتُنِيرُ بِدُورِ سَعْدِهَا لِمَنْ لَمْ يَزَلْ قَلَمُهُ لِأَسْرَارِ الْمُلْكِ كَتُومًا .

كَرِيمُ الدِّينِ - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَشْمَلُ مِنْ ذَوِي الْفَضَائِلِ
مَنْ عُدَّ فِي فَضْلِهِ وَأَصْلِهِ كَرِيمًا، فَتُقَدِّمُ مَنْ لَالَهُ فِي الْبَلَاغَةِ مِمَّا نِلَّ فَلَا يَزَالُ بِكُلِّ
فَنٍّ عَلِيمًا، وَتُنَصَّبُ فِي الْمَنَاصِبِ مَنْ فَاتَ قَيْسَ الْأَوَائِلِ رَأْيًا وَفَاقَ قُوسًا بِحَدِيثِ
بَلَاغَتِهِ قَدِيمًا .

كَمَالُ الدِّينِ - لَا زَالَتْ سَعَادَتُهُ الْبَاهِرَةُ، تُطْلِعُ فِي سَمَاءِ الْعُلْيَاءِ مَنْ فَاقَ
الْبُدُورَ كَمَالًا، وَأَوَامِرُهُ الْقَاهِرَةُ، تُقَدِّمُ أَسْنَى الْبَلْغَاءِ جَلَالًا؛ وَأَسْمَى صَدَقَاتِهِ الْوَافِيَةَ،
تَعْمُ مِنْ ذَوِي الْفَضَائِلِ مَنْ زَادَ الْمَنَاصِبَ بِحُسْنِ مَبَاشَرَتِهِ مَهَابَةً وَجَمَالًا .

مَجْدُ الدِّينِ - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَمْلِكُ أَعْنََةَ الْأَقْلَامِ، مِنْ تَرَاهَا
مَجْدًا، وَتُودِعُ بِجِيدِ الْأَيَّامِ، مِنْ جَوَاهِرِ الْفَضْلَاءِ عَقْدًا، وَتَشْمَلُ بِأَيْدِيهَا الْكِرَامَ،
مَنْ إِذَا جُمِعَ الْبَلْغَاءُ كَانَ بَيْنَهُمْ فَرْدًا .

محي الدين - لازالت أوامره الشريفه تشمل من البلغاء من شهر بفضل الخطاب، وإذا ماتت الفضائل يحياها، وغيث جوده الهامى يفيض فيض السحاب،^(١) فيبادر العقاة ويحيها، وعنايته نعم ذوى الألباب، فتمهد رتب العز وتهيها .

موفق الدين - لازالت صدقاته الشريفه تطلع كل هلال من أهتدى به كان موفقا، وتملك اليراع من يزرى بابل هلال أنى كتب: رقاعا ومحققا، وتفيض لراجها أفضل نوال من شبهه بالغيث كان محققا .

ناصر الدين - لزال يقرب من أضحى لأهل الكلام، بمهرفات الأقسام، ناصرًا، ويهب طويل الإنعام، لمن باعه مديد في النثر والنظام، فما برح فضله وإفرا، وينتخب من غدا شريعا لعادات الكرام، مضارعا لصفات الكتاب الأعلام، وأصبح في البيان نادرا .

نجم الدين - لازالت أوامره الشريفه تطلع في أفق السعاده، من ذوى السيادة، نجما، وتعم بجزيل الإفاده، من عرف بالفضل والإجاده، وفاق أقرانه نثرا ونظما، وتسمح من عنايتها بالإراد، لمن هو أهل الحسنى وزياده، فتجزل له من كرمها قسما .

نور الدين - لازالت صدقاته الشريفه نعم بالنوال، من هو في البراعة متسع المجال، فيزيد الكلام نورا، وحسناته تشمل ذوى الآمال، بما يجمد في البدء والمآل، فتملا القلوب سرورا، ومبراته تصل أولى الكمال، وتنتخب أخير العمال، فلا برح أنفذ الملوك أمورا .

(١) فى الاصل «الوهام» ويظهر أنه تحريف .

نظام الدين - لازل يتخير من كان في الناس مجيدا، وفي البيان مجيدا،
 فحسن لفظه نظاما، ويهب من بره مزيدا، لمن كان في الخدمة مزيدا، فلا ينقض
 للنصيحة ذمما، ويبدل كرمًا مفيدا، لمن يراه في الفضل مبدئا ومعيدا، فجاز فخارا
 وطاب كلاما .

همام الدين - لازل يرتضى من هو في فُرسان اليراعة أنهض همام،
 ويقتضى وعد كرمه لمن نهض في الرياسة نهوض أهتام،^(١) وينتضى عضد ذهنه
 فيصيب مفصل كل كلام .

ولي الدين - لازل يجلي أجياد المناصب من ذوى البلاغه، بمن يحسن
 في الكلام الصياغة، فينظمه حليًا، ويجلي كُرب المراتب من فُرسان اليراعة، بمن
 راح فضله ولفظه جليًا، ويوتى المناصب من غدا في البيان وافر البضاعة، فاتخذته
 الأقلام وليًا .

(١) لعل الصواب معضد كمنبر : تأمل .

الضرب الرابع

(من الوظائف التي يُكتب فيها بالديار المصرية مَشِيخَةُ الخَوَانِقِ ،
وكلُّها يُكتب بها تَوَاقِيعُ)

وهي على طبقات :

الطبقة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالى» مفتتحاً بـ «الحمد لله»

وهو مَشِيخَةُ الشُّيُوخِ خَاصَّةً)

وأَعْلَمُ أَنَّ مَشِيخَةَ الشُّيُوخِ كَانَتْ فِيمَا تَقَدَّمَ تُطَلَّقُ عَلَى مَشِيخَةِ الخَانِقَاهِ الصَّلَاحِيَّةِ ،
«سعيد السعداء» فيكتب فيها بذلك . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن بنى السلطان
الملك الناصر «محمد بن قلاوون» الخانقاه الناصرية بسرياقوس ، استقرت مشيخة
الشيوخ على من يكون شيخاً بها ، والأمر على ذلك إلى الآن .

وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشُّيُوخِ بالخانقاه الصَّلَاحِيَّةِ «سعيد السعداء»
بالقاهرة المحروسة بابم الشيخ شمس الدين بن النَّخْجَوَانِيّ ، من إنشاء المقرّ الشهابيّ
آبن فضل الله العمرى ، وهي :

الحمد لله مُرَقِّ أوليائه ، ومُوقِّ أصفيائه ، ومُلَقِّ كلمة الإخلاص لمن تلقى سرّها
المصُون عن أنبيائه .

نحمده على مُصَافَاةِ أهل صفائه ، ومُوَافَاةِ نَعْمَانَا لمن تَمَسَّكَ بِعُهُودِ وَفَائِهِ ، وَتَسَلَّكَ
فَأَصْبَحَتْ رِجَالٌ كَالجَوَاهِرِ لَا تَنْتَظِمُ فِي سِلْكِهِ وَلَا تُعَدُّ مِنْ أَكْفَائِهِ ، وَطَاعَ لِلدِّينِ شِمْسًا
يُبَاهِي الشَّمْسَ بِضِيَائِهِ ، وَيُبَاهِلُ البَدْرَ التَّمَامَ فَيَتَغَيَّرُ تَارَةً مِنْ نَجْمِهِ وَتَارَةً مِنْ حَيَاتِهِ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نَعُدُّهَا ذُنْحًا لِلِقَائِهِ ، ونفرا
بَاقِيًا بِبِقَائِهِ ، رَاقِيًا فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى بِارْتِقَائِهِ .

ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله مبلغ أنبائه ، ومسوخ الزلفى لأحبابه ؛
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان من أهل ولآئه ، ومن عرف به الله
لمَّا تفكَّر في آلائه ، صلاة يؤمل دوامها من نعمائه ، ويؤمن عليها سُكَّانُ أرضه
وسمائه ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما استقام به [الشخص على] الطريقة ، وأستدام به الرجوع
إلى الحقيقة ، وأستام به يطمن إلى خالقه لا إلى الخليفة ؛ وحفظ أفضه بنير تستضيء به
النيرات ، ونوءٍ نتقسم به الغائم المطرات - طائفة أهل الصلاح ، ومن معهم من
إخوان أهل الصفاء الصوفية داعي الفلاح ؛ ومن تضمهم من الواردين إليهم إلى
جنّاح ، والصادرين عنهم بنجاح ؛ ومن تُفتح له فيهم أبواب السماء ، ويمتح بنفسهم
عامة الخلق ملايس النعماء ؛ ومن يكشف بتمجدهم جنح كل ظلام ، ويكشف
بتوجههم عارضة كل بدر تمام ؛ ويستشفى ببركاتهم من داء كل سقام ، ويستسقى
بدعائهم إذا قصر النيل وقص جناحه الغمام . وهم أولياء الله وأحباؤه ، وبهم يتعلل
كل لبيب هم سقامه وهم أطباؤه ؛ أنحلهم الحب حتى عادوا كالأرواح ، وأشغلهم
الحب بصوت كل حمام شجاءهم لمَّا غنى وبرز بهم لمَّا ناح ؛ وأطربهم كل سجع
فوجدوا بكل شيء شجنا ، وعدبهم الهوى فاستعدبوا أن لا يلائموا وسنا ؛ ومثل فرط
الكلف لهم الأحباب فما رأوا لهم حالا إلا حسنا ، وأثقل تكرار الذكري قلوبهم
فما عدوا غربة غربة ولا وطنا وطنا ؛ قربت المحبة لهم في ذات الله كل متباعد ،
وألقت أشتاتهم فاختلفت الأسماء والمعنى واحد .

والخاتناه الصلاحية بالقاهرة المحروسة المعروفة بـ «سعيد السعداء» - قدس الله
روح واقفها - هي قُطْبُ نُجُومِهِم السائر، ومِصْرَ كُرْأَفْلَاكِهِم الدائر، وإليها نَحْطُ
رِحَالِ سَفَارِهِم، وعليها تُحْطُ رِحَالِ أَسْفَارِهِم، تَضْطَرِبُ فِرْقُهُم فِي الْبِلَادِ وَإِلَيْهَا
مَرَجِعُهُم، وعليها مَجْتَمِعُهُم، وفيها مواضعُ خَلَوَاتِهِمْ، ومَطَالِعِ جَلَوَاتِهِمْ، ومكانُ
صَلَاتِهِمْ، وإمكانُ صَلَاتِهِمْ، ومَشْرِقُ شُمُوسِهِمْ، ومُؤْتَنِقُ غُرُوسِهِمْ، ومنهاجُ طَرِيقَتِهِمْ،
وَمِعْرَاجُ حَقِيقَتِهِمْ، مأوى هذه الطائفة الطائفة في شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا، وبعدها
وَقُرْبِهَا، وَعَجْمِهَا وَعُورِهَا، وَمَنْ رَفَعَ سُجُوفَهَا أَوْ هُوَ مَحْجُوبٌ بِحُجُبِهَا، وَالْمُؤَهَّلَةُ
وَالْعَرَابُ، وَأَهْلُ الْإِغْتِرَابِ، هِيَ قَسِيحُهُم الرَّحِيبُ، وَصَفِيحُهُم الْقَرِيبُ، وَمِثَالُهُمْ
إِذَا آجَمَعُوا فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى زُمْرًا، وَأَخْتَرُوا الْمَهَامَةَ وَمَا جَاوَزُوا بَيْدَاءَ وَلَا جَابُوا
مُقْفِرًا، وَبَلَّغُوا الْغَايَةَ وَمَا أَرْجَحَ رِكَابَهُمْ حَادٍ فِي لَيْلٍ سُرَى، وَوَصَلُوا وَمَا فَارَقُوا فُرْشَهُمْ
الْمَهْدَةَ إِلَى مَا وِرَاءَ الْوَرَى، شَرْطُ كُلِّ خَاتِنَاهُ أَنْ لَا تُغْلِقَ فِي وَجْهِهِ مِنْ يَنْزِلُ فِيهَا أَبَا،
وَلَا تُطِيلَ جِهَاتِهَا الْمُمْنَعَةَ لَهُ حِجَابًا، وَلَا تُعْجَلْ مَقَامَاتُهَا الْمَرْفَعَةَ لَهُ قَبْلَ (١)



وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ، وهي مشيخة الخاتناه الناصرية بسرياقوس،
مما كتب بذلك للشيخ نظام الدين الأصفهاني، من إنشاء السيد الشريف
شمس الدين :

الطيرة

توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالى، الشيخى، النظامى، إسحق ابن
الشيخ المرحوم جلال الدين عاصم، ابن الشيخ المرحوم سعد الدين محمد الأصفهاني

(١) بياض في الأصل وبه علامة التوقف .

الْقُرَشِيُّ الشَّافِعِيُّ - أَدَامَ اللَّهُ النَّفْعَ بِبِرْكَتِهِ - مَشِيخَةُ الْخَانِقَاهِ السَّعِيدَةِ النَّاصِرِيَّةِ
بِسِرْيَاقُوسٍ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَ وَاقِفِهَا - وَمَشِيخَةُ الشُّيُوخِ بِالْدِيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَالْبِلَادِ
الشَّامِيَّةِ وَالْحَلِيبِيَّةِ ، وَالْفُتُوحَاتِ السَّاحِلِيَّةِ ، وَسَائِرِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلِيٌّ
عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ وَقَاعِدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ ؛ وَأَنْ يَكُونَ مَا يَخْصُ بَيْتَ الْمَالِ مِنْ مِيرَاثِ كُلِّ
مَنْ يَتَوَقَّى مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِالْخَانِقَاهِ بِسِرْيَاقُوسٍ لِلشَّيْخِ نِظَامِ الدِّينِ الْمَشَارِإِ إِلَيْهِ ، بِحَيْثُ
لَا يَكُونُ لِأَمِينِ الْحُكْمِ وَلَا لِدِيْوَانِ الْمَوَارِيثِ مَعَهُ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ ، وَتَكُونُ أُمُورُ
الْخَانِقَاهِ الْمَذْكُورَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَشِيخَةِ وَأَحْوَالِ الصُّوفِيَّةِ رَاجِعَةً لِلشَّيْخِ نِظَامِ الدِّينِ
الْمَشَارِإِ إِلَيْهِ ، وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الْحُكَّامِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْحِسْبَةِ وَلَا الْقُضَاةِ فِي ذَلِكَ
حَدِيثٌ مَعَهُ ، وَلَا يَشْهَدُ أَحَدٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، عَلِيٌّ جَارِي عَادَتِهِ
فِي ذَلِكَ عَلِيٌّ مَا شَرِحَ فِيهِ ، وَأَوَّلُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلِيٌّ نِعْمَهُ الَّتِي أَلْفَتُ لِلصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ نِظَامًا ، وَأَسْتَأْنِفْتُ لِلصَّالِحِينَ
إِلَى مُرَادِهِ إِحْرَامًا ، وَصَرَفْتُ أَوْامِرَنَا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ لِمَنْ فَوَّضَ أُمُورَهُ إِلَى رَبِّهِ
فَأَنْجَحَ لَهُ مِنْ مَزِيدِ التَّأْيِيدِ مُرَادًا وَمَرَامًا ، وَعَطَقْتُ بِأَوْجُهٍ إِقْبَالِهَا الْحِسَانِ عَلِيٌّ مِنْ
هُوَ مَمْتَرَةٌ عَنْ دُنْيَاهُ ، مَتَوَجَّهَةٌ إِلَى أُحْرَاهُ ، يُمِضِي نَهَارَهُ صِيَامًا وَلَيْلَهُ قِيَامًا .

نَحْمَدُهُ عَلِيٌّ أَنْ جَعَلْنَا نَزْعِي لِلْأَوْلِيَاءِ ذِمَامًا ، وَنَسْعِي بِالنِّعْمَاءِ إِلَيْهِمْ ابْتِدَاءً وَإِتْمَامًا ؛
وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَرْفَعُ لِلْمُخْلِصِينَ فِي عَالَمِينَ مَقَامًا ،
وَتُدْفَعُ بِأَعْمَالِ الصَّادِقِ عَنِ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ بِأَسَا وَأَسْقَامًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي جَعَلَهُ لِلتَّقِيينِ إِمَامًا ، وَفَضَّلَهُ عَلَى النَّبِيِّينَ إِجْلَالًا وَإِعْظَامًا ، وَكَلَّمَهُ
بِالسَّمَاتِ الْمَكْرَمَاتِ ، وَالصِّفَاتِ الْمَشْرِفَاتِ ، مِمَّا لَا يُضَاهَى وَلَا يُسَامَى ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ شَرُّفُوا إِضَافَةً إِلَى نَسَبِهِ الشَّرِيفِ وَأَنْضَمَامًا ؛ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ

الذين عرفوا الحق فبدأوا فى إقامته أجهاداً وأهتماً ، صلاةً تُجملُ أفتتاحاً واختتاماً ،
وُجُزلاً إرباحاً وإنعاماً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فشيئاً بعد شيئاً ، لمن له يُجسِّن الأعراف اتصالاً وبُجْسُن الأخلاقِ اتِّصافاً ؛ ومن كرمنا الفضلُ والإسعاف ، لمن لاخفاءً فى تعيُّنه لتصدير التقدِيم وتكرير التكريم ولا خلاف ؛ ومن سبجايانا الجميلة أن لا تُضاع حقوقُ مَنْ هو فى الزهادة والعبودية إماماً ، لألسنة الأيام ، بحلَّه الحسنة إقراراً وأعترافاً ، ولمزايانا جميلُ المحافظة ، وجميلُ الملاحظة ، لمن توكل على الله حق التوكل فله انتصارٌ بالله تعالى وأن تصاف : لأنه العريقُ الأسلاف ، الرفيقُ بالضعاف ، الحقيقُ بتوفير التوفيق الذى له بركاته المباركة آكتناف ، المطبقُ النهوض بأعباء الرياسة : لأنَّ للقلوب على محبته أئتلاف ، السَّبوقُ إلى غايات الفسوات الذى تحفُّ به فى بلوغ آمامد الإسعاد من الله تعالى أظاف ، والصدوقُ النية مع الله تعالى فكَم والى لنعائه الزيادة والإستئناف .

وكان المجلس العالى الشيخى ، الإمامى ، الكبرى ، العالمى ، العالمى ، الأوحدي ، القدوى ، الورعى ، الزاهدى ، الناسكى ، الخاشعى ، السالكى ، الأصيلى ، العريق ، القوامى ، العالمى ، النظامى : جمال الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء فى العالمين ، أوجد الفضلاء ، قدوة المشايخ ، مربى السالكين ، كثر الطالبين ، موضح الطريقه ، مبين الحقيقه ، شيخُ شيوخ العارفين ، بركةُ الملوك والسلاطين ، ولىُّ أمير المؤمنين ، إسحقُ ابن الشيخ المرحوم فلان - أدام الله النفع ببركاته - هو المفوضُ أموره إلى ربه ، المعرضُ عن الدنيا بباطنه وقلبه ، المتعوضُ بما عند الله من فضله فما زال الإيثارُ من شأنه ودأبه ، إلى إخوانه وصحبه ، فهو من الذين يُطعمون الطعام على

حبه ، ويلهمون من العمل المبرور إلى أقربه من الله وأحبه ، ويقومون الظلام مع أولياء الله المخلصين وحزبه ، ويستديمون الإنعام من الله تعالى بالإحسان إلى عباده ففرعهم لأصلهم في صنعهم مثليه ، ويستسلمون لأحكام الله تعالى وكلهم شاكر لربه ، على حلوا القضاء ومرة صابر على سهل الأمر وصعبه ، سائر بالصدق في شرق الوجود وعربه ، مثابر على الحق في عجم الخلق وعربه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لزال يوصل الحقوق إلى مستحقيها ، ويحمل الوثوق بمن نتجمل المراتب الدينية منه بترقيها - أن يفوض إلى المشار إليه مشيخة الخانقاه السعيدة الناصرية بسرياقوس - قدس الله روح واقفيها - ومشيخة الشيوخ بالديار المصرية ، والبلاد الشامية والحلبية ، والفُتوحات الساحلية ، وسائر الممالك الإسلامية المحروسة ، على عادته في ذلك وقاعدته ومعلومه ، وأن يكون ما يخص بيت المال المعمور من ميراث كل من يتوفى من الصوفية بالخانقاه المذكورة للمشار إليه ، بحيث لا يكون لأمين الحكم ولا لديوان المواريث معه في ذلك حديث ، وتكون أمور الخانقاه المذكورة فيما يتعلق بالمشيخة وأحوال الصوفية راجعة إليه ، ولا يكون لأحد من الحكام ولا من جهة الحسبة ولا القضاة في ذلك حديث معه ، ولا يشهد أحد من الصوفية ولا ينتسب إلا بإذنه على العادة في ذلك ، ويكون ذلك معدوقاً بنظره .

فليعد إليها عودة حميدا ، وليفد من الإصلاح مالم يزل مفيدا ، وليعتصم بالله تعالى مولاه فيما تولاه وقد آتاه الله تئيبا وتسديدا ، وليشهد بها من القوم المباركين من [كان] عوده قبل الصوم عيدا ، وهو أعزه الله تعالى المسعود المباشره ، المحمود

المُعاشِرَة، المشهودُ منه أَعْتَادُ الأَجْتِهَادِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ المَعْهُودُ مِنْهُ النِّفْعُ التَّامُّ ، فِي قُرَّاءِ مَضْرُوعِ الشَّامِ ، فَكَمْ أَثْرُ الخَيْرِ وَأَثْرُهُ ، وَكَثْرَةُ البرِّ وَوَاتَرُهُ ، وَيَسَّرُ السَّيْرَ الحَسَنَ الَّذِي لَمْ يَبْرَحْ لِسَانُ الإِجْمَاعِ شَاكِرَهُ .

وَنَحْنُ نُوصِيهِ عَمَلًا بِمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابِهِ المُبِينِ ، بِقَوْلِهِ وَهُوَ أَصْدَقُ القَائِلِينَ : ﴿ وَذَكَرْنَا فِي الدِّكْرِ التَّنْفِيعَ المُؤْمِنِينَ ﴾ وَإِنْ كُنَّا نَتَحَقَّقُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ العِلْمِ وَالدِّينِ ، وَالحُكْمِ الرِّصِينِ ، وَالزُّهْدِ وَالعُورَعِ الَّذِينَ نَحْنُ مِنْهُمَا عَلِيٌّ بَيِّنَةٌ وَيَقِينٌ ، بِاتِّبَاعِ شُرُوطِ الوَاقِفِينَ ، وَالإِمْتِنَاعِ بِالعَوَارِفِ أَوْلِيَاءِ اللهِ العَارِفِينَ : فَإِنَّهُ مَا زَالَ حَيْثُ حُلٌّ فِي جَمِيعِ الآفَاقِ ، وَاصِلًا لِلأَرْزَاقِ ، مُوَاصِلًا بِالأَشْوَاقِ ، شَامِلًا بِالإِرْفَاقِ ، عَامِلًا بِالحَقِّ فِي إِيْصَالِ الحُقُوقِ لَدَوِي الأَسْتَحْقَاقِ . وَنَأْمُرُهُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَلِيٌّ تَسْكِيمُهُ أَتْفَاقٌ ، وَفِي مُتَابَعَتِهِ أَجْتِمَاعٌ وَأَتْسَاقٌ ؛ فَإِنَّهُ شَيْخُ الطَّوَائِفِ ، وَإِمَامٌ تُقْتَبَسُ مِنْهُ اللِّطَائِفُ ، وَتُلْتَمَسُ مِنْهُ الهُدَايَةُ فِي المَوَاطِنِ وَالمَوَاقِفِ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَمْتَعُ بِبِرْكَاتِهِ الأُمَّةَ ، وَيَسْمَعُ مِنْهُ فِي الخَلَوَاتِ لَنَا الدَّعَوَاتِ الَّتِي تَكُونُ لِأَوْرَادِهِ المَقْبُولَةِ مَفْتِيحَةً وَمُتَمِّمَةً ، وَيَصِلُهُ بِعِنَايَتِهِ الَّتِي تَقْيِدُ الهَمَّ وَتُوَيِّدُ الهِمَّةَ ، وَيَجْعَلُهُ حَيْثُ كَانَ لِلْفُقَرَاءِ نِعْمَةً وَيَبِينُ النَّاسَ رَحِمَهُ ؛ وَالعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ .

الضربُ الخامس

(من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة - أربابُ الوظائف
العادية، وكلها توافقُ)

وهي على طبقات :

الطبقة الأولى

(مَنْ يُكْتَبُ لَهُ فِي قَطْعِ النِّصْفِ بِالْمَجْلِسِ الْعَالِي ، وَهُوَ رِئِيسُ الْأَطْبَاءِ
الْمُتَحَدِّثُ عَلَيْهِمْ فِي الْإِذْنِ فِي التَّطَبُّبِ وَالْعِلَاجِ وَالْمَنْعِ مِنْ ذَلِكَ
وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى)

وهذه نسخة توقيع برياسة الطب ، وهي :

الحمد لله مؤتي الحكمة من يشاء من عباده ، ومُعْطِي أمانَةِ الأرواحِ مَنْ تَرَقَّى
فِي حِفْظِهَا إِلَى رُتْبَةِ اجْتِهَادِهِ ؛ وَجَاعِلِ عِلْمِ الْأَبْدَانِ أَحَدَ قِسْمِي الْعِلْمِ الْمَطْلُوقِ فِي حَالِي
اجْتِمَاعِهِ وَأَنْفِرَادِهِ ، وَمَوْفِّقِ مَنْ جَعَلَ نُصْحَ خَلْقِ اللَّهِ فِيهِ سَبَبًا لِسَعَادَةِ دُنْيَاهُ وَذَخِيرَةً
صَالِحَةً لِيَوْمِ مَعَادِهِ ، وَمُبَلِّغِ مَنْ كَانَ [دَائِبًا] فِي إِعَانَةِ الْبَرِيَّةِ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهَا بِدَوَامِ الصِّحَّةِ
غَايَةَ مَرَامِهِ وَأَقْصَى مُرَادِهِ ، وَرَافِعِ رُتْبَةِ مَنْ دَلَّ اخْتِيَارُهُ وَاخْتِبَارُهُ عَلَى وَفُورِ عِلْمِهِ
وُنُجْحِ عِلَاجِهِ وَإِصَابَةِ رَأْيِهِ وَسَدَادِهِ .

نمَّحَهُ عَلَى نِعْمَةِ الَّتِي خَصَّتْ بِنِعْمِنَا مِنْ كُلِّ فِي نَوْعِهِ وَفَضْلِهِ وَحَسُنَ فِي عِلْمِهِ
وَعَمَلِهِ قَوْلُهُ وَفِعْلُهُ ، وَجَمَعَ مِنْ أَمَانَةِ وَظَيْفَتِهِ وَمَعْرِفَتِهَا مَا إِذَا جَلَسَ فِي أَسْنَى مَنَاصِبِهَا
قِيلَ : هَذَا أَهْلُهُ .

(١) في الأصل "ومقلب يداوم الصحة" الخ تأمل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُسْرَقُ البصائر، بأضوائها،
 وتُفْرَقُ الضمائر، ^(١) باخلاصها من أدوائها، وتُعَدِّقُ بيمينها أنواعُ التوفيق فتتأرجح
 رياض الإيمان بين روائها وإروائها. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أنارت
 ملتته، فلم تخف على ذى نظرها، وعلت أدلته، فلم ينلها من فى باع رويته قصر،
 وبهرت معجزاته فلو حاولت الأنفاس حصرها أفناها العي والحصر؛ صلى الله عليه
 وعلى آله وصحبه الذين كانوا لأدواء القلوب علاجا، ولسلسيل الإيمان مزاجا،
 وللبصائر السائرة فى دجى الشبهات سراجا؛ صلاة دائمة الإقامة، متصلة الدوام إلى
 يوم القيامة؛ وسلم تسليما كثيرا.

وبعد: فإن صناعة الطب علم موضوعها حفظ الأبدان النفسه، ومقصودها
 إعانة الطبيعة على حماية الأعضاء الرئيسه؛ ومدارها الأعم، على معرفة العوارض
 وأسبابها، ومدركها الأتم، الوقوع على الصواب فى معرفة الجسوم وأوصائها؛ وحينئذ
 تتفاوت رتب أهلها عند تشعب مداركها، واختلاف مسالكها؛ وتشابه عيالها،
 والتباس صوابها بجلالها؛ إذ لا يميز ذلك حق تمييزه إلا من طال فى العلم بتجره،
 وحسن فى رتب هذا الفن تصدده؛ وطابق بين نقله وعلاجه، وعرف حقيقة كل
 مركب من الأدوية ومفرد بعينه وأسمه وصفته ومزاجه؛ وتكررت عليه الوقائع
 فعرفها دربة وأحكمها تقلا، ولقب بشرة التقوى إذ كان الإقدام على النفوس
 قبل تحقق الداء والدواء مذموما شرعا وعقلا؛ ولذلك تحتاج إلى رئيس ينعم
 فى مصالحها نظره، ويجهل فى منافعها وردده وصدره؛ ويعتبر أحوال أهلها بمعيار
 فضله، ويلزم الداخل فيها بلوغ الحد الذى لا بد منه بين أرباب هذا الشأن

(١) من أفرق المريض والمحموم برأ.

وأهله ؛ ويعرف لأكابر هذا الفن قدر ما منحهم الله من علم وعمل ، وينسط رجاء المبتدئ إذا كمل نفسه حتى لا يكون له فيها بغير كمال الاستحقاق طمع ولا أمل .

ولما كان المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الحكيم ، فلان الدين : هو الذى بلغ من العلم غاية مراده ، وأحتوى من هذا الشأن على ما جمع به رتب الفضلين فيه على أفرادها ؛ فلو عاصره «الرئيس» لأعتمد عليه فى كليات قانونه ، أو «الراى» لعلم أن «حاويه» من بعض فنونه ؛ قد حلب هذا العلم أشطره ، وأكمل قراءة هذا الفن رموزه وأسطره ؛ وحل أسراره الغامضة ، وأرتوى من شخب رموزه بأنواء لم يشم غير فكره بروقها الوامضة ؛ وأسلف من خدمة أبوابنا العالية سفرا وحضرا ما أقتضى له من ربه شكره ، وتقاضى له من زيد التنبيه على قدره والتنويه بذكره ؛ وحمد فيه الفريدان : صحة نقله وإصابته فكره ، وعلم أنه جامع علوم هذه الصناعة فلا يشد منها شىء عن خاطره ولا يغيب منها نقل عن ذكره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لزال شهاب فضله لامعا ، وسحاب بره هامعا - أن يكون فلان متولى رياسة الأطباء بالديار المصرية على عادة من تقدمه .

فليباشر هذه الرياسة نظرا فى مصالحها ، ومطاعا من شهاب فضله ما يزين أفقها زينة السماء بمصابيحها ، متفقدًا أحوال مباشريها ، متممًا أحوال المستقل بأعبائها والداخل فيها ؛ سالكا فى ذلك سبيل من تقدمه من رؤسائها ، حاكما فى أمورها بما جرت به العادة المستقرّة بين أكابرها وعلمائها ؛ مطارحا من قدمت هجرته فيها بما يقتضى له مراجعة أصوله ، ملزما من ظهر قصوره فيها بالتدرب إلى حد لا يقع منه بدون حصوله ؛ مجيبا فى الإذن لمن أظهر الاستحقاق صدق ما آدعاه ، قابلا فى الثبوت من مشايخ هذه الصناعة من لا يشهد إلا بما علمه ولا يخبر من التدرب

إلا بما رآه ووعاه ، متحرّياً في الثبوت لدينه ، آذناً بعد ذلك في التصرف إن ترقى علمه باستحقاقه إلى رتبة تعيينه ؛ وليعط هذه الوظيفة حقها من تقديم المبرزين في علمها ، وتكريم من منحه الله درجتى نفاها وفهمها ، وتعليم من ليس عليه من أدواتها المعتبرة غير وسمها وأسمها ، ومنع من يتطرق من الطرقية إلى معالجه وهو عارٍ من رداها ، وكف يد من يتمجج على النفوس فيما عمّض من أدواتها قبل تحقق دوائها ، واعتبار التقوى فيمن يتصدى لهذه الرظيفة فإنها أحد أركانها ، واختيار الأمانة فيمن يصلح للإطلاع على الأعضاء التي لولا الضرورة المبيحة حرم الوقوف على مكانها ؛ وليكن في ذلك جميعه مجانباً للهوى ، ناوياً نفع الناس فإنما لأمرى مانوى ؛ والله تعالى يحقق له الأمل ، ويسدده في القول والعمل ؛ بمنه وكرمه ! .

قلت : وربما أفتتح توقيعها بـ «أما بعد حمد الله» .

وهذه نسخة توقيع برياسة الطب ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، كتبت بها لـ «شهاب الدين الحكيم» في المحرم سنة تسع وسبعائة ، وهي :

أما بعد حمد الله حاسم أدواء القلوب بطائف حكمته ، وقاسم أنواع العلوم بين من كل استعدادهم لقبول ما اقتضته حكمة قسّمته ؛ وجاعل لباس العافية من نعمه التي هي بعد الإيمان أفضل ما أفاض على العبد من برّه وأسبغ عليه من نعمته ، والمنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته ؛ ومقرب مانأى من الفضائل على من أسرى إليها على مَطايا عزمه وسرى لتحصيها على جواد همته ، ومأنهم آرائنا بتفويض أمانة الأرواح إلى من أنفق في خدمة الطبيعة أيام عمره فكان بلوغ الغاية في علمها نتيجة خدمته ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي شرح الله بالهدى صدور أمته ، وخصه منهم بأعلام كل علم وأئمة ، وجلا

بيقين مآلته عن كل قلب ماران عليه من الشك وعمته، وعلى آله وصحبه الذين حمّاهم من الزئيق والزلال ما بخر الهدى لهم من جوامع الكلم وأفاض التقي عليهم من أنوار عصمته - فإن أولى الأمور أن يعتمد فيها على طيبها الخبير، ويصان جوهرها عن عرض العرض على غير ناقدتها البصير، ونجى مواردها عن من لم يعرف كيف يجتنب مواقع التكدير، وترفع كواكبها عن من لم تدرك أفكاره دقائق الحوادث وحقائق التأثير - أمر صناعة الطب التي موضوعها الأبدان القائمة بالعبادة، والأجسام القائمة بما يتعاقب عليها من الحوادث والزيادة، والنفوس التي ما عنها إن حصل فيها التفريط بدل ولا عوض، والأرواح التي إن عرض الفناء لجوهرها فلا بقاء بعده للعرض، والطبيعة التي إن خدمت على ما يجب نهضت على ما يجب بالصحة حق النهوض، والأمرجة التي إن نفرت لعدم التأني في سياستها أعجزت من يروض .

ولذلك تفتقر على كثرة أربابها، وتحتاج مع غزارة المتمسكين بأسبابها، وتضطر وإن أندفعت الضرورات بكثرة متقنيها، وتشتوف وإن وجد الجم الغفير من المتلبسين بأدواتها والمتبحرين فيها - إلى رئيس يُنعم في اعتبار أ كفايتها النظر، ويدفع عن رتبها بتطرق غير أهلها الغير، ويعرف من أحوال مباشريها ما لا يكتفي في خبرها الخبر، فلا يقبل إلا من علم مقدار علمه، ووثق مع الحفظ بصحة فهمه، ورضى عن خبره في الطب واجتهاده، وأعتبر منه كل نوع تحت أجناسه المتعددة على حدته وأفراده، وجاراه في كليات الفن فرآه في كل حلبة راكضا، وطارحه في فصول العلم فوجده بجمل أعباء ما تفرع منها ناهضا، واختبر دربه فوجدها موافقة لتحصيله، مطابقة لما حواه من إجمال كل فن وتفصيله، وتبع مواقع دينه فوجدها متينة، ومواقع أمانته فألفاها مكيته، وأسباب شفقتة ونصحه فعرف أنها على ما جمع من الأدوات الكاملة معينه، ويتعين أن يكون هذا «الرئيس» في أوامه،

و«الرازى» فى زمانه ، و«الفارابى» فى كونه أصلاً تَنْفَرَعُ فنون الحِكم من أفنائه ؛
علاجُه شفاءً حاضراً ، وكلامه نجاةً من كل خطرٍ مُحَامِرٍ ؛ وتُدبِرُه للصحة تقويمٌ ،
وتصَفِّحُه تثقيفٌ لعلماء الصنعة وتسليمٌ ، ودروسُه ذخائرٌ يُنْفِقُ من جواهر حِكْمِهَا
كُلَّ حَكِيمٍ .

ولما كان المجلس العالى الصِّدرى ، الشَّهابى : هو المراد بالتعيين لهذه الوظيفة ،
والمقصود بما أُشيرَ إليه فى استحقاق هذه الرتبة من عبارة صريحة أو كناية لطيفة ؛
وأَنَّهُ جمع من أدوات هذا الفن ما أَفْتَرَقَ ، وأَحْتَوَى على أصوله وفروعه فاجتمعت
على أولوياته الطوائف وأتفقت على تفضيله الفرق ؛ فلو عاصره «أبقراط» لقضى له
فى شرح فصوله بالتقدمه ، ولو أدرك «جالينوس» لأقتدى فى العلاج بما علمه ؛ مع
مباشرة ألفت بين الصحة والنفوس ، وملاطفة أشرفت مواقع البرء بها فى الأجساد
إشراق الشمس ؛ وأطّاع يعرف به مبلغ ما عند كل متصدِّ هذه الصناعة من
العلم ، وتبحر فى الفنون لا يُسَلِّمُ به لأحدٍ دعوى الأهلية إلا بعد حرب جدالٍ هو
فى الحقيقة عين السلم - فرسم بالأمر العالى أن يستقر فلان فى رياسة الأطباء
الطبايعية بالديار المصرية والشام المحروس ، على عادته وعادة من تقدمه فى ذلك ،
ويكون مستقلاً فيها بمفرده .

فلينظر فى أمر هذه الطائفة نظراً تبرأ به الذمة ، ويحصل به على رضا الله تعالى
ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم فى الشفقة على الأمة ؛ ويعطى به الصناعة حقها ،
ويطلق من يد من تطاول إليها بغير أهلية رفقها ؛ ويصون النفوس من إقدام من
تقدم بغير خبرة كاملة عليها ، ويذب عن الأرواح تطرق من يتطرق بغير معرفة
وافرة إليها ؛ فإن فارتطفت فى النفوس قل أن يُستدرك ، ومن لم تجتمع فيه

(١) لعل الأنسب "وكلاءته" .

أدوات المعرفة التامة والدين فما ينبغي له أن يدخل في المعالجة قبل الكمال وإن دخل فلا يُترك ؛ فإن من لازم صلاح الأرواح صلاح الأجساد ، وإن الداء الذي لا دواء له أن تكون العلة في وادٍ والمعالجة في وادٍ ؛ فلا يقبل في التركيبة إلا من يثق بدينه كوثوقه بعلمه ، ولا يُصرف أحدًا في هذه الصناعة إلا الذين زكت أعمالهم قبل التركيبة ؛ وليشققها بالامتحانات التي تُسفر وجوه الوثوق بالأهلية عن ألم دقائقها المُتكيه ، فإن العيان شاهد لنفسه ، ومن لم تنفعه شهادة فعله في يومه لم ينفعه غيره في أمسه ؛ ولا يُمض فيها حكمًا قبل استكمال نصاب الشهادة ، وقبل التثبت بعد كمالها : فإن المعالجة محاربة للداء والموت بجهالة المحارب له شهادته ؛ وليأمر من أُلحى إلى معالجة مرض لا يعرفه بمتابعة من هو أوفق منه بالتقديم ، ومراجعة من هو أعلم منه به : فإن الحوادث قد تختلف (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) . وملاك الأمور تقوى الله فليجعلها حجة فيما بين الله وبينه ، والأفتقار إلى توفيقه فليصرف إلى ذلك قلبه وعينه ؛ والخير يكون إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية متطبب طبائعي ، أوردتها في "التعريف" قال :

وليتعرف أولاً حقيقة المرض بأسبابه وعلاماته ، ويستقص أعراض المريض قبل مداواته ، ثم ينظر إلى السن والفصل والبلد ؛ ثم إذا عرف حقيقة المرض ، وقدر ما يحتمله المزاج من الدواء لما عرض ؛ يشرع في تخفيف الحاصل ، وقطع الواصل ، مع حفظ القوى . ولا يهاجم الداء ، ولا يستغرب الدواء ؛ ولا يقدم على الأبدان إلا بما يلائمها ، ولا يبعد الشبه ، ولا يخرج عن جادة الأطباء ولو ظن

(١) لعله تسفر عن وجوه الوثوق بالأهلية لتمام دقائقها الخ . تأمل .

الإصابة حتى يقوى لديه الظن ويتبصر فيه برأى أمثاله . وليتجنب الدواء ، ما أمكنه المعالجة بالغذاء ، والمركب ، ما أمكنه المعالجة بالمفرد ، وإياه والقياس إلا ما صحَّ بتجريب غيره في مثل مزاج من أخذ في علاجه ، وما عرض له ، وسنه ، وفصله ، وبلده ، ودرجة الدواء . وليحذر من التجربة ، فقد قال أبقراط وهو رأس القوم : إنها خطر . ثم إذا اضطرَّ إلى وصف دواءٍ صالحٍ للعلة نظر إلى ما فيه من المنفعة وإن قلت ، وتحيل لإصلاحه بوصف يصلح معه ، مع الاحتراز في وصف المقادير والكميات والكيفيات ، في الاستعمال والأوقات ، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر عنه . ولا يأمر باستعمال دواء ، ولا ما يستغرب من غذاء ، حتى يحقق حقيقته ، ويعرف جديده من عتيقه : ليعرف مقدار قوته في الفعل . ولعلم أن الانسان هو نية الله وملعون من هدمها ، وأن الطبيعة مكافية وبؤسى لمن ظلمها ، وقد سلم الأرواح وهى وديعة الله فى هذه الأجسام ، [فليحفظها وليتق الله فى ذلك جميع الأقسام] وإياه ثم إياه أن يصف دواءً ثم [يكون هو الذى] يأتي به ، أو يكون هو الذى يدل عليه ، أو المتولى لمنأولته للمريض ليستعمله بين يديه ، وفى هذا كله لله المنة ولنا إذ هديناه له وأرشدناه إليه .



(٢) وهذه نسخة توقيع برياسة الكحالين .

(١) الزيادة عن "التعريف" ص ١٣٩ .

(٢) بياض بالأصل .

الضرب السادس
(من أرباب الوظائف بالديار المصرية)

زعماء أهل الذمة

ويكتب لجميعهم توابع في قطع الثلث بألقابهم السابقة مفتحة بـ «أما بعد حمد الله» .

ويشتمل هذا الضرب على ثلاث وظائف :

الوظيفة الأولى
(رأسه اليهود)

وموضوعها التحدث على جماعة اليهود والحكم عليهم ، والقضاء بينهم على مقتضى دينهم وغير ذلك .

وقد تقدم في الكلام على النحل والملل أن الموجودين من اليهود ثلاث طوائف : وهم الربانيون ، والقراءون ، والسامرة . وقد جرت العادة أن يكون الرئيس من طائفة الربانيين دون غيرهم ، وهو يحكم على الطوائف الثلاث .

وهذه نسخة توقيع برأسه اليهود ، من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ،

وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل أطاف هذه الدولة القاهرة تصطنني لذمتها من اليهود رئيساً فرئيساً ، وتختار لقومها كما اختار من قومه موسى ، وتبهج لهم نفوساً كلما قدمت عليهم نفيساً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي ، والرسول الذي أجمل الوصية بالملئ والذمي ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما هطل ويلى ،

وما نزل وسمى - فإن معدلة هذه الدولة تكثيف المال والنجل بالأحباط ، وتعمهم من إنصافها وإسعافها بأوفر الأنصاء وأوفى الأقساط ، وتأمهم من حادث الزمن إذا أشتط ومن صرفه إذا شاط ، وتضمهم كما صمت البتوة إلى جناح البتوة الأسباب ؛ لا تزال ترقب الإل والذمه ، فى المسلمين وأهل الذمه ، وتقضى لهم بحسن الخيرة ورعاية الحرمه ؛ وتبيحهم من أمر دينهم ما عليه عوهدوا ، وتمتجهم من ذلك ما عليه عوقدوا ؛ وتحفظ نواميسهم بأخبار تتمد موادهم إذا شوفوها وتحسن مرآهم إذا شوهدوا : من كل إسرائلى أجمل للتوراة الدراسه ، وأحسن لأسفار أنبيائه آقنباسه وأجمل آتماسه ، ومن تبهته نباهته للتقدمه فاطعم آجهاده يوماً حتى صار وجهه الوجاهه فى قومه ورأس الرأسه ؛ فأصبح معدوم النظره ، معدوداً منهم بكثيره ، وموصوفاً بأنه فى شرح أسفار عبرانية حسن التفسير ؛ وأستحق من بين شيعته أن يكون رأس الكهنه ، وأن تصبى القلوب فى مجامعهم بحسن منطقه مرتبه ، وبان للجهالة بتثيفه لشيخته تحجب عقائدهم عن أن تغدو ممتهنه .

ولما كان فلان هو لمحاسن هذا التقريظ بهجه ، ولجسد هذا التفويض مهجه ، ولمآدح هذا الثناء العريض لهجه ؛ ولعين هذا التعيين غمضها ، وليد هذه الأيدى بسطها وقبضها ؛ ولأبكار أفكار هذه الأوصاف متقاضيا ومقتضيا ، ومن أدلت قطاف النعماء أيد تقدمته «على غيظ من غص منها» وأجتى غضها - أقتضى حسن الرأى الشريف أن يميز على أبناء جنسه حق التمييز ، وأن يجازله من التنويه والتنويل أجل ما جيز .

ورسم بالأمر الشريف - لازل يختار فيجمل الاختيار ، ويفدو كالقيث الذى يعم بنفعه الربا والوهاد والأثمار والأشجار - أن تفوض إليه رأسه اليهود على

أختلافهم : من الربانيين ، والقرائين ، والسامرة بالديار المصرية حماها الله وكلاهما .
فليجعل أسبابهم بالتقوى تقوى ، وغرسهم بالتدبير لا تدوى ؛ ومقاصدهم لا يمازجها
شك ولا شكوى ، وليُنزل عليهم منّا منّا يسليهم صنعا حتى لا يفارقوا المن والسلى ؛
وليتق الله فيما يذره ويأتيه ، ويحسن في اجتلاب القلوب واختلاطها تأتيه ؛ وإياه
والتيه حتى لا يقال : كأنه بعد لم يخرج من التيه .

وجاعة الربانيين فهم الشعب الأكبر ، والحزب الأكثر ؛ فعاملهم بالرفق
الأجدي والسرا الأجدري ، ولكونك منهم لا تمل معهم على غيرهم فيما به من النفس
الأمارة تؤمر .

وجاعة القرائين فهم المعروفون في هذه الملة ، بملازمة الأدلة ، والأحترار في أمر
الأهله ، فانصب لأمرهم من لم يتولّه حين يتولّه ؛ ومن كان منهم له معتقد فلا يخرج
عن ذلك ولا يخرج ، ولا يلجم منهم بإجام من نار إنكار من في ليلة سبته [بيته]
عليه لا يسرج .

والسامرة فهم الشعب الذين آذن التنظيف أهله بجروبه ، ولم يك أحدهم
لمطعم لكم ولا مشرب بأكوله ولا شروبه ؛ فمن قدرت على رده بدليل من
مذهيك في شروق كل بحيث وغروبه ، فاردده من مهبج تحيده عن ذلك وهروبه ،
وإلا فقل له : ياسامري بصرت بما لم تبصروا به . ولكن تستكلم فيهم بالبت ،
وأرفق بهم فإن "المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى" ، فإياك أن تكون ذلك
المنبت ، وضرهم بملازمة قوانينهم كيلا يعدوا أحد منهم في السبت ؛ وأجعل أمور
عقودهم مستتبه ، وأحسن التحري والتحرير لهم في إتقان كل كتبه ؛ ولا تخترا إلا
الأعيان ، من كل نحران وديان ؛ ومن كان له من داود عليه السلام حمة نسب ،

وله به حُرْمَةٌ نِسَبٍ ، فَأَرَعَ لَهُ حَقَّهُ ، وَأُحْجِبَهُ مِنَ الرَّفْقِ أَوْ كَرَمِ رُفْقِهِ . وَالْحَزِيئَةُ فِيهِى لِدِمَائِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِصْمَةٌ ، وَعَلَى دِفَاعِهَا لَادِفِعِهَا وَصَمَهُ ، وَلَا أَجْلَهَا وَرَدَ : « مَنْ آذَى ذِمِّيًّا كُنْتُ خَصْمَهُ » ، وَهِيَ أَلْمٌ مِنَ السَّيْفِ إِجَارَهُ ، وَهِيَ أَجْرَةٌ سَكَنِي دَارِ الْإِسْلَامِ كَمَا هِيَ لِأَسْتِحْقَاقِ الْمَنْفَعَةِ بِهَا إِجَارَهُ ؛ فَأَذُوها ، وَبِهَا نَفُوسَكُمْ فَأَذُوها ، ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ، فَعُدُّوا الْطَّافَ اللَّهُ بِهَا وَلَا تَعُدُّوها ؛ وَدَاوِمٌ عَلَى مَهْ ، وَزَجْرًا لِتَارِكِ عِلَامِهِ ؛ وَمَنْ قَصَدَ مِنْهَا خَلَاصَهُ ، فَقُلْ لَهُ فِي الْمَلَأِ : مَاذَا خَلَاصَهُ ؛ وَمَنْ رَكَنَ فِي أَمْرِهَا إِلَى الْإِخْلَادِ وَالْإِخْلَالِ ، وَسَكَنَ إِلَى الْإِهْمَالِ ، وَلَمْ يَرْضَ بِأَنَّ رَايَةَ الدَّلَّةِ الصَّفْرَاءَ عَلَى رَأْسِهِ تُسَالُ ؛ فَأَوْسَعَهُ إِنْكَارًا ، وَأَلْزَمَهُ مِنْهَا شِعَارًا ؛ وَإِنْ قَامَ بِنَصْرِهِ مِنْهُمْ مَعْشَرٌ خَشِينٌ فَأَرْهِمَ بَعْدَ الْعَلَامَةِ خُشْكَارًا ؛ وَخَذَهُمْ بِتَجْنِبِ الْغِشِّ الَّذِى هُوَ لِلْعَهْدِ مَغْيِرٌ وَمَغْيَبٌ ، وَأَكْفَفَ مِنْهُ هُوَ بِمَا يُنَافِيهِ مَعْيِرٌ وَمَعْيَبٌ ؛ وَأَمَّا مَنْ هُوَ مُجِيبٌ لِذَلِكَ فَهُوَ لِقَصْدِهِ مُحِبٌّ ، وَانْقَلَبَ طِبَاعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْ أَبَتْ عَنِ التَّنَاقُلِ فَأَنْتَ مَا نَتَلُو :

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ . وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِى تَتَعَاطَوْنَهُ مِنْ نَفْخِ فِي الْبُوقِ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَلَمٌ لِلتَّدْكَارِ ، فَاجْتَهِدُوا أَنْ لَا يَكُونَ لِتَدْكَارِ الْعِجْلِ الْحَنِيدِ الَّذِى لَهُ خُورٌ ؛ هَذِهِ وَصَايَا نَاكَ وَلَهُمْ فَقُلْ لَهُمْ : هَذِهِ مَوْهَبَةُ الدَّوْلَةِ وَإِحْسَانُهَا إِلَيْكُمْ ، وَطُفْئُهَا بِكُمْ وَعَاطِفَتُهَا عَلَيْكُمْ ، وَبَصَّرْهُمْ بِذَلِكَ كَمَا تَلَا إِحْسَانُنَا إِلَيْهِمْ : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ .



وهذه نسخة توقيع براسة اليهود أيضا :

أما بعد حمد الله على أن جعل ملاحظة هذه الدولة القاهرة لجميع الملل ناظره ، وإحسانها لا يُغفل مصلحة لأولي الأديان غائبة ولا حاضرة ، والصلاة على سيدنا محمد الذى جعل ذمته وعهده وفين لكل نسمة مؤمنة وكافره - فإن الله تعالى لما مد

رُواقِ عدلِ هذه الأيامِ الشريفةِ على كلِّ مُعاهدٍ: من متقربٍ ومُتباعِدٍ، وساوئٍ بينهم في النظر الذي صدقَ الرأيَ وصدقَ الرائدَ - أقتضى 'جميلها' أن يُسَمَّهم لكلِّ من أهلِ الذمة أوفرُ نصيبٍ ، وأن لا يُقالَ لأحدٍ منهم من الإجحافِ ما يُريبُ ، وأن لا تكونَ أمورُهُم مُضاعَفةً ، ولا تَعَبُّداتُهُم مُراعَةً ؛ ولا شرائعُهُم غيرَ مَصُونَةٍ ، ولا أحكامُهُم عارية [عن] حُسنِ مَعُونَةٍ ؛ وكانت جماعةُ اليهودِ وإن كانوا أولي عُتَى ، وصدقَ النصرانيُّ فيهم وصدقُوا في النصرانيِّ من أنهم ليسوا على شَيْءٍ ؛ لا بدَّ لهم من مباشرٍ يأخذُهُم بالأمرِ الأَحْوَطِ ، والناموسِ الأَضْبَطِ ، والمراسيمِ التي عليهم تُشَرِّطُ ؛ وكان الذي يُختارُ لذلك ينبغي أن لا يكونَ إلا من أكبرِ الكَهَنَةِ وأعلمِ الأَحبارِ ، ومن عَرَفَ من دينِهِم ما لأَجَلِهِ يُصطَفَى وَلِثَلْثِهِ يُخْتارُ ؛ ومَن فيه سياسةٌ تحجزُهُ عن المضايرِ ، وتحجبه عن الاستِنْفارِ ؛ وكان فلانُ الرئيسِ هو المتميِّزُ بهذه الأوصافِ على أبناءِ جنسِهِ ، وله وازِعٌ من نفسه ، وراذِعٌ من حُسنِ حَدِيسِهِ ، وخدمةٌ في مهمَّاتِ الدولةِ يستحقُّ بها الزيادةَ في أُنسِهِ ؛ وهو من بينِ جماعَتِهِ مشهورٌ بالوَجاهَةِ ، موصوفٌ بالنِّباهَةِ ؛ ذوعِبرانيَّةِ حَسَنَةِ التَّعبيرِ ، ودراسةٍ لِكُتُبِ أهلِ ملَّتِهِ على ما فيها من التَّغْيِيرِ - أقتضى 'جميلُ الأختصاصِ المُنيفِ' ، أن يُرَسِّمَ بالأمرِ الشريفِ - لا بِرَحِ يَرْقُبُ الإلَّ والذِّمَّةَ ، ويرعى للمُعاهدينِ الحُرْمَةَ - أن تُفَوِّضَ إليه رَأْسَةَ اليهودِ الرَّبَّانِيِّينَ والقَرَّائِينَ والسامِرَةِ ، على عادةٍ من تقدَّمه .

فليباشِرْ ذلكَ مستوعِباً أمورَهُم كُلَّها ، مستودعاً دِقَّها وجِلَّها ، مباشِراً من أحوالِهِم ما جرتَ عادةٌ مثله من الرؤساءِ أن يباشِرَ مِثْلَها ؛ غيرَ مَقَرَّطٍ في ضَبْطِ ناموسِ من نوااميسِ المملَكَةِ ، ولا مُغفلِ الإنكارِ على من يتجاوزُ ذلكَ إلى مَواردِ الهلكَةِ ؛ ومَن فَعَلَ ما يَقتَضِي بِنَقْضِ عَهْدِهِ ، فعليه وعلى مستَحْسِنِهِ له من المقاتلةِ ما يتعظُّ به كلُّ من يفعلُ

ذَلكَ من بعدِهِ ؛ بحيثُ لا يخرجُ أحدٌ منهم في كنيستِهِ ولا في يهوديَّتِهِ ولا في منع جزيَّتِهِ عن واجبٍ معهودٍ ، ومن خالفَ فوراءَ ذلكَ من الأدبِ ما تَقشَعِرُّ منه الجلودُ ؛ وما جعلَهُم اللهُ ذَمَّةً للسامينِ إلا حَقنًا لدمائِهِم ، فلا يُجَيِّحُها أحدٌ منهم فتجتمعُ له شِماتُهُ أهلُ الأديانِ من أَعْدائِهِم بأَعْدائِهِم - والوصايا كثيرةٌ وإنما هذه تُجَبِّها المَلَحَّصه ، وفيها من حسابِ الإحسانِ إليهِم ما تُتَدَوُّ به أيامُ الإمهالِ لهم مَحَصَّه ؛ واللهُ يوفِّقه في كلِّ تصرُّفٍ مرغوبٍ ، وتأنفُ من مثله مطلوبٍ ؛ بمنه وكرمه ! .



وهذه وصية لرئيس اليهود أوردها في "التعريف" وهي :

وعليه بضمِّ جماعته ، ولمَّ شملهم باستطاعته ؛ والحكم فيهم على قواعد ملته ، وعوائد أمته ، في الحكم إذا وَصَحَ له بأدلتِهِ ؛ وعقود الأُنكحةِ وخواصِّ ما يعتبر عندهم فيها على الإطلاق ، وما يُفْتَقَرُ فيها إلى الرضا من الحائنين في العَقْدِ والطلاق ؛ وفيمن أوجبَ عنده حكمَ دينِهِ عليه التَّحْرِيمُ ، وأوجبَ عليه الاتقيادَ إلى التحكيم ؛ وما ادَّعوا فيه التواتر من الأخبار ، والتظافر على العمل به مما لم يُوجد فيه نصٌّ وأجمعت عليه الأخبار ؛ والتوجهُ تلقاءَ بيت المقدسِ إلى جهةِ قِبَلَتِهِم ، ومكان تَعَبُّدِ أهلِ ملَّتِهِم ؛ والعمل في هذا جميعه [بما شرَّبه موسى الكليم ، والوقوف معه] إذا ثبت أنه فعلُ ذلكِ النبيِّ الكَرِيمِ ؛ وإقامةِ حدودِ التَّوراةِ على ما أنزل اللهُ من غيرِ تحريفٍ ، ولا تبديلِ كلمةٍ بتأويلٍ ولا تصريفٍ ؛ وأتباعِ ما أعطوا عليه العَهْدُ ، وشَدُّوا عليه العَقْدُ ؛ وأبقوا فيه ذَمَّاهم ، ووقَّوا به دِمَاءَهُم ؛ وما كانت تحكُمُ به الأنبياءُ والرَّبَّانيُّونَ ، ويسلمُ إليه الإسلاميونُ منهم ويعبرُ عنه العبرانيُّونَ ؛ كلُّ هذا مع إلزامه لهم بما يلزمهم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٣ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

من حُكْم أمثالهم أهلِ الذمّة الذين أُقْتَرُوا في هذه الدّيار، ووقاية أنفسهم بالخضوع والصّغار، ومدّ رؤوسهم بالإذعان لأهل ملة الإسلام، وعدم مضايقتهم في الطُّرُق وحيثُ يحصل الألباس بهم في الحَمَام، وحمل شعار الذمّة الذي جعل لهم حليّة العمام، وعقد على رؤوسهم لحِمْظِهِمْ عَقْد التَّمائم، وليعلم أنّ شعارهم الأصفر، موجب لثلاث أراق دمههم الأحمر، وأنهم تحت علم علامته آمنون، وفي دعة أصانله ساكنون، وليأخذهم بتجديد صبغه في كلّ حين، وليأمرهم بملازمته ملازمة لا تزال علامتها على رؤوسهم تبيّن، وعدم التّظاهر بما يقتضى المناقضة، أو يفهم منه المعارضة، أو يدع فيه غير السّيف وهو إذا كَلَّمَ شديد العارضة، وله ترتيب طبقات أهل ملته من الأخبار فمن دونهم على قدر استحقاقهم، وعلى ما لا تخرج عنه كلمة اتّفاقهم، وكذلك له الحديث في جميع كئاس اليهود المستمرة إلى الآن، المستقرة بأيديهم من حين عقد عهد الذمّة ثم ما تأكّد بعده لطول الزمان، من غير تجديد متجدد، ولا إحداث قدر متريّد، ولا فعل شيء مما لم تُعقد عليه الذمّة، ويُقرّ عليهم سلفهم الأوّل سلف هذه الأمة، وفي هذا كفاية وتقوى الله وخوف بأسنا رأس هذه الأمور المهمّة .



[وصية رئيس السامرة^(١)]:

ولا يعجز عن لمّ شعث طائفته مع قلتهم، وتأمين سربهم الذي لو لم يؤمنوا فيه لأكلهم الذئب لذنتهم، وليصن بحسن السلوك دماءهم التي كأنما صبغت عمائمهم الحمر منها بما طلّ، وأوقد لهم منها النار الحمراء فلم يتقوها إلا بالذلل، وليعلم أنهم شعبة من اليهود لا يخالفونهم في أصل المعتقد، ولا في شيء يخرج عن قواعد دينهم لمن

(١) لم يعنون في الأصل وزدناه من "التعريف" ص ١٤٤ .

أنتقد؛ ولولا هذا لما عدوا في أهل الكتاب، ولا فُنع منهم إلا بالإسلام أو ضرب الرقاب؛ فليبن على هذا الأساس، [وليبنى قومه أنهم منهم وإنما الناس أجناس] (١) وليلتزم من فروع دينه ما لا يخالف فيه إلا بأن يقول لا مساس؛ وإذا كان كما يقول: إنه كهرون عليه السلام فليلتزم الجدد، وليقم من شرط الذمة بما يقيم به طول المدد؛ وليتمسك بالموسوية من غير تبديل، ولا تحريف في كلم ولا تأويل؛ وليحص عمله فإنه عليه مسطور، وليقف عند حدّه ولا يتعدّ طوره في الطور؛ وليحكم في طائفته وفي أنكحتهم ومواريتهم وكألتهم القديمة المعقود عليها بما هو في عقد دينه، وسبب لتوطيد قواعده في هذه الرتبة التي بلغها وتوطينه .

الوظيفة الثانية

(بَطْرِكِيَّةُ النَّصَارَى الْمَلِكِيَّةِ، وَهُمْ أَقْدَمُ مِنَ الْيَعَاقِبَةِ)

وقد تقدّم في الكلام على النحل والملل أنهم أتباع ملكا الذي ظهر قديماً ببلاد الروم، وأن الروم والفرنج كلهم أتباعه، وبالديار المصرية منهم التّر اليسير، ولهم بطرك يخصهم .

وهذه نسخة توقيع لبطرك الملكية :

أما بعد حمد الله منوع الإحسان، لأولى الأديان، ومؤصّله ومفرّعه لكل طائفة ولكل إنسان، والصلاة على سيدنا محمد الذي أباد الله به من أباد وأبان من عهده وذمته من أبان - فإن الطائفة الملكية من النصارى لما كانت لهم السابقة في دينهم، ولهم أصل الراسة والنفاسة في تعيينهم؛ وما برحت لهم في الكلاءة والحفظ قدم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٤ .

السابقه ، ورتبة بملوكهم الرومانية سامقه ، وما زالت لهم خدم الدول إلى أغراضها
 متساوية ومتساقيه ؛ ولهم جوار مشكور ، وتبلى مشهور ، وعليهم وصايا من الملوك
 في كل ورود وصدور ؛ ولهم من نفوسهم من أيا تستوجب احترامهم ، وتستدعى
 إكرامهم ؛ وكان لا بد لهم من بطريك يلاحظ أحوالهم أتم الملاحظه ، ويستدعى
 لهم من الدولة أعظم محافظه ؛ ويحفظ نواميس قبيلهم ، ويحسن دراسة أناجيلهم ؛
 ويعرفهم قواعد معتقداتهم ، ويأخذهم بالدعاء لهذه الدولة القاهره في جميع صلواتهم ؛
 ويجمعهم على سداد ، ويفرقهم على مراد . وكان البطريرك فلان هو المتفق بين
 طائفته على تعيينه ، والمجمع على إظهار استحقاقه وتعيينه ؛ والذي له من أيا لو كان
 فيه واحدة منها لكفته في التأهيل ، ورفعته إلى منصبه الجليل . فلذلك رسم ... -
 لابرح يعطى كل أحد قسطه ، ويدخل كل أبوابه ساجدا وقائلا حطه - أن يباشر
 بطريكة النصارى الملكية على عادة من تقدمه من البطارقة السالفة بهذه الدولة .

فليحط أمورها الجزئية والكلية ، والظاهرة والخفية ؛ وليأخذهم بما يلزمهم من
 قوانين شرعهم ، وكل ما يريدون من حسن سمعتهم ؛ وأما الديرة والبيع والكائس
 التي للملكية فمرجعها إلى صونه ، وأمرها مردود إلى جميل إعانتة وعونه ؛ والأساقفة
 والرهبان فهم سواد عين معتقده ؛ وخلاصة منتقده ؛ فلا يخلهم من تجليل ، وحسن
 تأهيل ؛ وتتقدم إلى من بالثغور من جماعتك بأن لا يدخل أحد منهم في أمر موبق ،
 ولا في مشكل موثق ؛ ولا يميلون كل الميل إلى غريب من جنسهم ، وليكن الحد
 لغدهم من يومهم وليومهم من أمسهم ؛ ولا يشاكلون رسولا يرد ، ولا قاصدا يفد ؛
 وطريق السلامة أولى ماسلك ، ومن ترك الدخول فيما لا يعنيه ترك ؛ هذه جملة من
 الوصية لامعة أفلح وأهتدى من بها استنار ، ورشد من لها استشار ؛ والله يوفقك
 في كل مقصد تروم ، ويجعلك بهذه الوصايا تقول وتقوم .



وهذه وصية لبَطْرِكِ الْمَلَكِيَّةِ أوردتها في "التعريف" وهى :

وهو كبير أهل ملته، والحائِمُ عليهم ما أمتدَّ في مُدَّتِهِ؛ وإليه مَرَجِعُهُمْ فى التَّحْرِيمِ والتَّحْلِيلِ، وفى الحُكْمِ بينهم بما أنزَلَ فى التَّوْرَةِ ولم يُنسخ فى الإنجيل؛ وشريعته مبنية على المُسَامَحَةِ والإِحْتِمَالِ، والصَّبْرِ على الأذى وعدم الإِكْتِرَافِ به والأحْتِفَالِ؛ نَحَدُّ نَفْسِكَ فى الأَوَّلِ بهذه الآداب، وأَعْلَمُ بأنك فى المَدْخَلِ إلى شريعَتِكَ طريقٌ إلى ألباب؛ فَتَخَلِّقُ من الأخلاقِ بكلِّ جميل، ولا تستَكْثِرُ من متاع الدنيا فإنه قليل؛ ولِيقْدَمِ المصالحَةَ بين المتحايِرِينَ إليه قبل الفصل البتَّ فإنَّ الصلحَ كما يقال سيِّدُ الأحكام، وهو قاعدةُ دينه المِسيحِيِّ ولم تخالف فيه المحمديَّةُ الغراءُ دينُ الإسلام، ولينظِّفَ صُدُورَ إخوانه من الغلِّ ولا يقنَعُ بما ينظِّفه ماءُ المعمودية من الأجسام؛ وإليه أمرُ الكنائسِ والبيع، وهو رأسُ جماعته والكُلُّ له تبع؛ فإياه أن يتخذها له تجارةً مَرِيحاً، أو يفتطحَ بها مالَ نصرانيٍّ يقربُه فإنه ما يكونُ قد قَرَبَه إلى المذبَحِ وإنما ذبَحَه؛ وكذلك الدِّياراتُ وكلُّ عُمُرٍ^(١)، والقَلَالِ فيتعيَّنُ عليه أن يتفقَدَ فيها كلَّ أمرٍ؛ وليجتهدُ فى إجراءِ أمورها على ما فيه رَفَعُ الشُّبُهَاتِ، وليعلمَ أنهم إنما اعتزلوا فيها للتعبُدِ فلا يدعُها تُتخذُ متزهاتٍ؛ فهمُ إنما أحدثوا هذه الرهبانيةَ للتقلُّلِ فى هذه الدنيا والتعقُّفِ عن الفروج، وحبسوا فيها أنفسهم حتى إن أكثرهم إذا دخل فيها ما يعودُ بيقى له نُحُوجٌ؛ فليحذِّرهم من عملها مِضِيْدَةً للال، أو خلوةً له ولكن بالنساء حراماً ويكونُ إنما تَزَرُّه عن الحلال؛ وإياه ثم إياه أن يُورِى إليها من الغُرباءِ القادمين عليه من يُريب، أو يكتمَ عن الإنهاء إلينا مشكلَ أمرٍ ورد عليه من

(١) هو بالضم المسجد والبيعة "قاموس".

(١) بعيد أو قريب ، [ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب يرد عليه من أحد من الملوك] ،
ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المشي على مثل هذا السلوك ، ولتجنب البحر
وإياه من اقتحامه فإنه يغرق ، أو تلقى ما يلقيه إليه جناح غراب منه فإنه بالبين
ينعق ، والتقوى مأمور بها أهل كل مله ، وكل موافق ومخالف في القبلة ، فليكن
عمله بها وفي الكفاية ما يغني عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .

الوظيفة الثالثة

(بطريركية اليعاقبة)

وقد تقدم في الكلام على النحل والملل الخلف في نسبتهم : فليل إنهم أتباع
ديسقرس ، وانه كان اسمه في الغلمانية يعقوب ، وقيل أتباع يعقوب البرذعاني ،
وقيل غير ذلك ، والأصح عند المؤرخين الأول . وبطركهم يحكم على طائفة اليعاقبة ،
وجميع نصارى الحبشة أتباعه ، وفي طاعته ملك الحبشة الأكبر ، وعنه تصدر
ولايته .

وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى اليعاقبة :

أما بعد حمد الله الذي أظهر دين الإسلام على الدين كله ، وأصدر أمور الشرائع
عن عقد شرعه وحله ، وصير حكم كل مله راجعاً إلى حكم عدله ، والشهادة له
بالوحدانية التي تدل على أنه الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد وليس شيء كمثلته ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أعظم أنبيائه وأكرم رسله ، وأشرف ولد آدم
ونسله ، المصطفى في علم الله من قبله ، ووسياته في التوراة من غرور الشيطان وخذله ،
والذي أطقاً الله بركته ناراً مروّدة عن إبراهيم وجعلها برداً وسلاماً وأجله من أجله ،

وبشربه عيسى بن مريم عبد الله وابن أمته وأقر موسى بن عمران كلم الله بفضله ؛ وعلى آله الطيبين الطاهرين من فروع أصله ، وأصحابه سامعى قوله ، وتابى سبله - فإن الله تعالى لما ارتضى الإسلام ديناً ، وأفضى بالملك إلينا وقضى لنا فى البسيطة بسطةً وتمكيناً ، وأمضى أوامرنا المطاعة بشمول اليمن شمالاً ويمينا - لم نزل نولى رعايانا الإحسان رعايةً وتوطيناً ، ونديم لأهل الذمة منّا ذمّةً وتأميناً ؛ وكانت طائفة النصارى اليعاقبة بالديار المصرية لهم من حين الفتح عهدٌ وذمامٌ ، ووصيةٌ سابقةٌ من سيدنا رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ ولا بد من بطريك يرجعون إليه فى الأحكام ، ويحتمعون عليه فى كل نقض وإبرام .

ولما كانت الحضرة السامية الشيخ الرئيس ، المبعجل ، المكرم ، الكافى ، المعزز ، المفخر ، القديس ، شمس الرأسة ، عماد بنى المعمودية ، كثر الطائفة الصليبية ، اختيار الملوك والسلاطين ، فلان : وفقه الله ، هو الذى تجرد وترهب ، وأجهد روحه وأتعب ، وصام عن المأكّل والمشرب ؛ وساح فأبعد ، ومنع جفنه لذيذ المرقد ، ونهض فى خدمة طائفته وجدّ ، وخفض لهم الجناح وبسط الخد ، وكف عنهم اليد ، وأستحقّ فيهم التبجيل لما تميّز به عليهم من معرفة أحكام الإنجيل وتفرد - أقتضى حسن الرأى الشريف أن نلقى إليه أمر هذه الفرقة ونفوض ، ونبدلهم عن بطريكتهم المتوقى ونعوض .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لابرحت مراسمه مطاعه ، ومرامحه لإنزال أهل كرمها بيعتها مرعيةً غير مراعه^(١) - أن يقدم الشيخ شمس الرأسة المذكور على الملة النصرانية اليعقوبية ، ويكون بطريكاً عليها ، على عادة من تقدمه وقاعدته بالديار المصرية ، والنغور المحروسة ، والجهات التى عادت بها إلى آخر وقت .

(١) أى غير مفزعة ولم يذكر القاموس ولا اللسان أراعه وإنما الفعل راعه ورّعه أى أفرعه .

فليسلك سبيل السوا ، ولا يملك نفسه الهوى ، وليتمسك بخوف الله تعالى
 إن فعل أو نوى ، أو أخبر عن الحوارين أو روى ، فالعليم مراقب ، والعظيم
 معاقب ، والحكيم أمر أولي العقول بالفكرة في العواقب ، والحاكم غداً بحقوق الخلق
 غداً يُطالب ، والظلم في كل ملة حرامٌ والعدل واجب ، فليستوف الإنصاف بين القوي
 والضعيف والحاضر والغائب ، وليقصّد مصلحتهم وليعتمد نصيحتهم ، وليمض على
 ما يدينون به بيوعهم وفسوخهم ومواريتهم وأنكحتهم ، وليتمّع غاويهم ، وليسمع
 دعاويهم ، وليلزّمهم من دينهم بما وجدوه ، فظنوه واعتقدوه ، وليتبع سبيل المعدلة
 فلا يعدو [ها] عائدةً إليه أمور القسيسين والرهبان ، في جميع الديرة والكائس بسائر
 البلدان ، ولا يعترض عليه فيما هو راجع إليه من هذا الشأن . ولا يقدم منهم
 إلى رتبة إلا من استصلحه ، ولا يرحح إلى منزلة إلا من رتّحه إليها وربّحه ، متبعاً
 في ذلك ما بينه له العدل وأوضّحه ، مرتجع الرتبة ممن لم تكن الصدور لتقدمته
 منشّرحه ، مجمعا لغيره في الإيراد والإصدار على اعتماد المصلحة ، وقد أوضّحنا له ولهم
 سبيل النجاة فليقتفوه ، وعرفناهم بالصواب والخيرة لهم إن عرفوه ، وليسأل الله ربه
 السلامة فيما له يفعل وبه يفوه ، والعلامة الشريفة أعلاه .



وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى اليعاقبة ، كتب به للشيخ المؤمن ، في شهر
 سنة أربع وستين وسبعائة ، وهي :

أما بعد حمد الله على نعمه التي نشت لواء دولتنا في الآفاق ، فأوى كل أحد
 إلى ظلّه ، وبسطت معدلتنا في البلاد على الإطلاق ، فمُنحت الخاصّ العامّ من ربّنا
 بوابله وظلّه ، وأصطنعت بدمامها ملوك الملل وحكام الطوائف فنطقوا عن أمرنا

فى عَقْدِ كُلِّ امرٍ وَحَلَّةٍ ، والشهادةِ بوحْدَانِيَّتِهِ التى تُنْحِجُ أَمَلَ المَخْلِصِ فى قوله وَفِعْلُهُ ،
وتَفْتَحُ لمن تَمَسَّكَ بِعُرْوَتِهَا أَبْوَابَ النِّجَاةِ فَيُصْبِحُ فى أَمَانٍ فى شَأْنِهِ كُلِّهِ ، والصلاةِ
والسلامِ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ أَشْرَفِ الأنبياءِ قَدْرًا فى مُحْكَمِ الذِّكْرِ وَتَقْلِهِ ،
المبعوثِ رَحْمَةً للعالمينِ زِيَادَةً فى رِفْعَةِ مقامِهِ وتَقْرِيرًا لِفَضْلِهِ ، المنعوتِ بالرَّأْفَةِ والرَّحْمَةِ
فى مُحْكَمِ كِتَابِهِ الذى لا يَأْتِيهِ الباطلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ ولا من خَلْفِهِ ولم يَسْتَطِعْ أَحَدٌ
أنْ يَأْتِيَ بِسُورَةٍ من مِثْلِهِ ، وعلى آله وَصَحْبِهِ الذينِ اتَّبَعُوا طَرِيقَتَهُ المِثْلَى وسَلَكُوا مَنَاهِجَ
سُبُلِهِ ، وَعَقَدُوا الذَّمَّ لأهلِ المِلَلِ وَأَسْتَوْصَوْا بِهِمْ خَيْرًا لما عَرَفُوهُ من سَعَةِ حِلْمِهِ
وبَدَلِهِ - فَإِنَّهُ لما كانتِ الطائِفَةُ المِسيحيَّةُ ، والفِرْقَةُ اليَهودِيَّةُ ، من أَوْتٍ تحتَ ظِلِّنا
الذى عَمَّ الوُجُودَ ، وَسَكَنَتْ فى حَرَمِ ذِمَّاتِنَا الذى سارَ نَبْوُهُ فى التَّهائمِ والتَّجْزؤِ ،
وَتَمَسَّكَتْ من طاعتِنَا وَاتِّبَاعِ أوامِرِنَا بما سَلَفَ لها من المِثْلِ والعُهودِ ، وكانتِ
أحكامُهُم مما يَحْتَاجُ إلى من يَدُورُ عليه أمرُها فى كُلِّ حالٍ ، وتَنْتَظِمُ بِهِ مِصْالِحَ شَمَلِها
لِيَبْلُغُوا بها الأَمالَ ، وَيَأْمِنُوا فى مَعْتَقِدِهِم فيها من الإخْلالِ ، وَأَنَّهُ إذا ماتَ بَطْرِيْرُكُ
لَهُم لا بُدَّ أنْ نَرِسمَ لَهُم بغيرِهِ ، لِيَعْتَمِدُوا فى ذَلِكَ ما يَتَقَدَّمُ بِهِ إِلَيْهِم فى نَهْيِهِ وأَمْرِهِ ،
وَيَسَلِّكُ بِهِم فى أحكامِهِم ما يَحِبُّ ، وَيَعْرِفُ كَلَّامَهُم ما يَأْتِي وَيَذَرُ وَيَفْعَلُ وَيَحْتَنِبُ ،
وَيَفْصِلُ بَيْنَهُم بِمَقْتَضَى ما يَعتَقِدُونَهُ فى إنْجِيلِهِم ، وَيُمسِّسُ أحوالَهُم على مُوجِبِهِ فى تَحْريمِهِم
وتَحْلِيلِهِم ، وَيُزَجِّرُ من نَرحُجِ عن طَرِيقِهِ ، لِيَرْجِعَ إلى ما يَحِبُّ عَلَيْهِ أسْوَةٌ رَفيقِهِ ،
وَيَقْضَى بَيْنَهُم بما يَعتَقِدُونَهُ من الأحْكامِ ، وَيَبَيِّنُ لَهُم قواعِدَ دِينِهِم فى كُلِّ نَقْضٍ
وإِبْرَامٍ ، فلِما هَلَكَ الآنَ بَطْرِيْرُكُهُم معَ مَنْ هَلَكَ ، رَسَمْنَا لَهُم أنْ يَنْتَخبُوا لَهُم من
يَكُونُ لَطَرِيقَتِهِ قد سَلَكَ ، وَأَنْ يَحْتارُوا لَهُم من يَسُوسُ أُمُورَهُم على أَكْلِ الوُجُوهِ ،
لنَرسُمَ بِتَقْدِيمِهِ عَلَيْهِم [فيقوم] بما يُؤمِّلُونَهُ مِنْهُ وَيَرْجُوهُ .^(١)

(١) - حذف نون الرفع رداية للجمع .

وكان الحضرة السامية، القديس، المبعجل، الجليل، المكرم، الموقر، الكبير،
الديان، الرئيس، الروحاني، الفاضل، الكافي، المؤمن، جرجس بن القس مفضل
اليعقوبي، عماد بن المعمودية، كنز الأئمة المسيحية، منتخب الملة الصليبية، ركن
الطائفة النصرانية؛ اختيار الملوك والسلاطين: أطال الله تعالى بهجته، وأعلى على
أهل طائفته درجته، قد حاز من فضائل ملته أسماها، وصعد من درجات الترقى
على أبناء جنسه أعلاها؛ فزّه نفسه عن مشاركة الناس، وتكشف بين أهله
في المأكل واللباس، وترك الزواج والنكاح، وأشتغل بعبادته التي لازم عليها في المساء
والصباح؛ وألقى نفسه إلى الغاية في الأطراح، وساح بخاطره في الفكرة وإن لم يكن
يحسده قد ساح؛ وأرتاض بترك الشهوات مدة زمانه، وأطرح الملاذ لتعلو درجته
بين أهله برفعة مكانه؛ وأشتمل من علوم طائفته على الجانب الوافر، وعرف من
أوامرهم ونواهيهم ما تقر به منهم العين والناظر؛ وطلب من الربّ الوفيّ الرحيم
القوة على أعماله، وسأل الإله أن يزين لأهل ملته ما يأتي به من أقواله وأفعاله؛
فوقع اختيارهم عليه، وسألوا صدقاتنا الشريفة إلقاء أمرهم إليه .

فرسّم بالأمر الشريف - لازل إحسانه إلى سائر العالم وإصلا، وجوده لكل
طائفة بارتداد أكفائها شاملا - أن يقدم حضرة القديس المؤمن جرجس المشار
إليه على الطائفة اليعقوبية، من الملة النصرانية، بالديار المحروسة والجهات الجارى
بها العادة؛ ويكون بطريركا عليهم على عادة من تقدم في ذلك ومستقر قاعدته إلى
آخر وقت، قائما بما يجب عليه من أمور هذه الملة، باذلا جهده في سلوك ما ينبغي
مما ينظم عليه أمره كله؛ فاصلا بينهم بما يعتقدونه من الأحكام، متصرفا على كل
أسقف وقس ومطران في كل نقض وإبرام، مالكا من أمور القسيسين والرهبان
والشمامسة الزمام؛ مانعا من يروم أمرا لا يسوغه وضع ولا تقرير، جاعلا نظره عليه

متقدماً بالتحرز في التخيير، زاجراً من يخرج منهم عن اتباع طريق الشريعة المطهرة التي يصح بها عقد الذمة، ملزماً بسلووكها في كل ملة فإن ذلك من الأمور المهمة، أمراً من في الديرة من الرهبان بمعاملة المارين بهم والنازلين عليهم بمزيد الإحسان ومديد الإكرام، والقيام بالضيافة المشروطة من الشراب والطعام .

وليتحدث في قسمة مواريتهم إذا ترفعوا إليه، وليجعل فصل أمور أهل طائفته من المهمات لديه، وليشفق على الكبير والصغير، وليتنزه عن قليل متاع الدنيا والكثير، وليزهد في الجليل قبل الحقير. وفي أطلاعه على أحكام دينه ما يكفيه في الوصية، وما يرفعه بين أبناء جنسه في الحياة الدنيوية، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله أعلاه .



وهذ نسخة توقيع لبطرك اليعاقبة، وهى :

أما بعد حمد الله على أن جعل من إحسان هذه الدولة لكل مليّ وذمّي نصيباً، وفوق إلى أهداف الرعاية سهما فسهما مامنهما إلا ماشهد مصيباً، والصلاة على سيدنا محمد الذى أحمد الله له سرى فى صلاح الخلائق وتأويها - فإنه لما كان من سجايا الدولة القاهرة النظر فى الجزئيات والكليات من أمور الأمة، وتجاوز ذلك إلى رعاية [أهل] الذمة؛ لاسيما من سبقت وصية سيد المرسلين عليهم من القبط الذين شرفهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوضئته منهم بأمر إبراهيم ولده عليه السلام، وقبول هديتهم التى أبقت لهم مزية على متمر الأيام؛ وكانوا لأبد لهم من بطريك يحفظ سوامهم، ويضبط خواصهم وعوامهم؛ ويجمع شمل رهبانهم، ويراعى مصالح أديانهم؛ ويحترز أمور أعيادهم ومواسمهم فى كل كنيس، ويدعو للدولة القاهرة فى كل تقديس؛ وتجعل [له] الخيرة فى ضبط أمور البيع والديرة واختيار الأساقفة

والكُهان ، وحفظ النواميس المسيحية في كل قرآن ، ولا يصلح لذلك إلا من هو بتول ، وكل خاشع عاملٍ ناصبٍ يستحقُّ بذلك أن هذا الأمر إليه يؤل .

ولما كان البطريرك فلان هو المجمع على صلاحيته للبتركية على شعبه ، والتقدمة على أبناء المعمودية من شيعته وصحبه ، لما له من علم في دينه ، ومعرفة بقوانينه ، وضبط لأفانينه ، وعقل يمنعه عن التظاهر بما ينافي اليهود ، ويلافي الأمر المعهود - اقتضى جميل الاختيار أنه رُسم بالأمر الشريف - لأبرح يضع كل شيء في موضعه من الاستحقاق ، ويبلغ في الإرفاد لأهل المال والإرفاق - أن يباشر بتركية جماعة اليعاقبة بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه في هذه الرتبة ، ومن ارتقى قبله إلى هذه الهضبة .

فليباشر أمر هذه الطائفة ، وليجعل معونته بهم طائفة ، وليضبط أمورهم أحسن ضبط وأجمله ، وأمه وأكله ، وليأخذهم بما يلزمهم من القيام بالوظائف المعروفة ، والعهود المألوفة ، وليلزمهم بما يلزمهم شرعا من كف عن تظاهر ممنوع ، أو تعطى محذور منكور الشرور والشروع ، أو تنكب عن طريق الاستقامة ، وكما أنهم عدلوا عن الإسلام لا يعدلون عن السلامه .

وأما أمور الديرة والخائس فأمرها إليك مردود ، فأجر فيها على المعهود ، وأقم فيها عنك من يحسن النيايه ، ومن يجمل الإنابه ، ومن يستجلب الدعاء لهذه الدولة القاهرة في كل قداس ، ويعتد التقديس والأنفاس ، وعلى رهبان الأديرة للمساجد والجوامع وظائف لا تمنع ولا تؤخر ، ولا تُحوج أحدا منهم أنه بها يدكر ، وليشترط على أهلها أنهم لا يآوون طليعة الكفار ، ولا من يحصل منه إلا خيرا ولا يحصل الإضرار ، وليأمرهم بحسن الجوار ، والقيام بما هو موظف عليهم للمسلمين السنفار

وغير السُّفَّار؛ هذه نبذة من الوصايا مُقنَّعة، ولو وسَّع القول لكان ذا سَعَه؛
 وفي البَطْرِيك من النَّبَاهة ما يُباهمه الصَّواب، والله يجعل حسنَ الظَّنِّ به لا آرتيَاءَ فيه
 ولا آرتياب؛ بمَنَّة وكرمه!، والاعتماد

*
*
*

وهذه نسخة توقيع لبَطْرِك اليعاقبة، وهى :

أما بعد حمد الله الذى خصَّ كلَّ ملةٍ منا بمِنَّة، وأقام بأوامرنا على كلِّ طائفةٍ من
 نرضاه فَنُحَقِّق بإحساننا ظَنَّهُ، وجعل من سِيَمِنَا الشَّرِيفَةِ الوصِيَّةَ بأهل الكتاب عملاً
 بالسنة . والشهادة بوحدانيته التى تتخذ بينها وبين الشكِّ والشرك من قُوَّة الإيمان
 جُنَّةً، ونُدْخِر أجورها فنسُمُو بها يومَ العَرْضِ إلى أعلى عُرْفِ الجَنَّةِ . والصلوة والسلام
 على نبيِّه محمدٍ أكرم من أرسله إلى الأمم فأنال كلاً من البرايا يُمنَّه، وأعظم من بعثه فشرع
 الدينَ الحنيفَ وسنَّه؛ وعلى آله وأصحابه الذين لم تزل قلوبُ المؤمنين بهم مطمئنة -
 فإنَّ لدولتنا القاهرة العوارفَ الحسان، والشِّمَّ الكريمةَ والعطاياَ والإحسان؛
 والفواضِلَ التى للآمال [منها] ما يُرَبِّي عليها وَيَزِيدُ، والمآثرَ التى بَجْرَ رَبِّهَا الوافرِ
 المديد؛ ولكل ملةٍ من نعمها نوالٌ جَزِيلٌ، ولكلِّ فرقةٍ من مواهبها جانبٌ يقتضى
 التَّخْوِيلَ ولا يَقْضَى بالتحويل، ولكلِّ طائفةٍ من يُمنَّها وممَّا منأخُ طائفةٌ بمزيد
 التنويل؛ ولكل أناسٍ من معدلتها نصيبٌ يشمل المَلَل، وعادةٌ معروفٍ تواترت مع
 أنها خالصةٌ من السَّامةِ والمَلَل، سَجِيَّةٌ سَخِيَّةٌ بنا شُرُفَتْ، ومزِيَّةٌ مَرْوِيَّةٌ منَّا أُلْفَتْ؛
 وإنَّ من أهل الكتاب لطائفةً كثرت بأبوابنا الشريفةِ عَدَدًا، وأستصَفَتْ من مناهل
 جودنا مَورِدًا، وانتظمتُ فى سِلْكِ رعايانا فأضحى سببُ فضلنا لها مؤكِّدًا؛ وكانت
 المِلَّةُ المَسِيحِيَّةُ، والفرقةُ اليَعْقُوبِيَّةُ؛ لا بُدَّ لها بعد موتِ بَطْرِيكها من إقامة غيره،

وتقديم من يرتضى بفعله وقوله وسيره؛ لتقتدى به في عقد أمورها وحلها، وتحريمها وتحليلها ووصلها وفصلها، وتهتدى به في معتقدها، وتركن إلى ما يذكركه من مجموع أحكام الإنجيل ومفرداتها؛ وينتصب للفصل بين خصومها بما يقتضيه عرفانه، ويظهر لأهل ملته بيانه؛ حتى لا تجدد في أمر دينها إلا ما تريده، وبما نديمه لها من استمرار الهدنة تُبدي دعاءها وتعيده؛ فإن سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - أمرنا أن نستوصى بأهل الكتاب خيراً، ونحن نسلك من أتباع شريعته المطهرة ما أحسن فيه - إن شاء الله - سيرة يسيرة وسيرا .

ولما كانت الحضرة السامية، الشيخ، الرئيس، المبجل، المكرم، الفاضل، الكافي، الثقة، عماد بني المعمودية، كنز الطائفة الصليبية؛ اختيار الملوك والسلاطين، فلان - أطال الله بقاءه، وأدام على أهل طائفته ارتقاءه - ممن أنفق على شكره أبناء جنسه، وأستوجب أن يرقى إلى هذه الرتبة بنفسه؛ وأشهر بمعرفة أحوال فرقه، وهجر الأهل والوطن في تهذيب خلقه؛ وحرّم في مدة عمره النكاح، وسار في المهامه والقفار وساح؛ وأضحى تخميص البطن خاوي الوفاض، قد ترك الطيبات وهجر التعم وآرتاض؛ وأعتمد في قوله على الإله، وسأل الرب أن يبلغه في أهل ملته ما تمنّاه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يجمع الفرق على الدعاء لأيامه الشريفه، ويديم للأقربين مواد مواهبه المألوفه - أن يقدم الشيخ فلان على الملة النصرانية اليقوبية، ويكون بطريركا عليها على عادة من تقدمه، ومستقر قاعدته، بالديار المصرية والثغور المحروسة، والجهات التي عادته بها، إلى آخر وقت، [فليتول ذلك] سالكا من طرق النزاهة ما يجب، فاصلاً بين النصارى بأحكام دينه التي لا تخفى عنه

ولا تَحْتَجِبُ ؛ مالِكًا أزمَةً كلُّ أُسْقِفٍ وقصِّ ومِطْرَانٍ ، مرَّحًا بين القديس
والقسيس والشَّاس والرهبان ؛ لتُصْبِحَ أحكامُ كبيرِهِم وصغيرِهِم به منوطه ، وموارِيهِم
مقسومةٌ بشِرعته التي هي لَدِيهِم مَبْسُوطه ؛ وَيَقِفَ كلُّ منْهُم عند تَحْرِيمه وتَحْلِيلِه ،
ولا يَخْرُجُ في شِرعَتهم عن فِعْلِه وقَوْلِه ولا يَقْدَمُ منْهُم إلا من رَضِيَ بِتَأْهِيلِه ؛ وليَأْمُرْ
كلُّ قاصٍ منْهُم ودان ، ومن يتعَبَّدُ بالدِّيَرَةِ والصَّوامِعِ من الرجال والنِّسوان ، برفعِ
الأدعيَةِ بدوام دولتِنَا القَاهِرَةِ التي أُسِّدَتْ لهُم هذا الإحسان ؛ وَيُلْزِمُ كلاً منْهُم
بأن لا يُحْدِثُ حَدِيثًا ، وَيُكْرَمُ نَزْلُ من قَدِمَ عَلَيْهِ راحِلًا أو لائِشًا ؛ فإن هذه الولاية
قد آلتْ إليه ، وهو أَدْرَبُ بما تنطوي شروطُها عليه ، والله تعالى يجعلُ البهجة [لديه]
مُقيمه [والنعمة عليه مستديمه] ؛ وانلُحْظُ الشريفُ أعلاه ، حجةً بموجبه وبمقتضاه ؛
إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لبطرك اليعاقبة أوردتها في "التعريف" قال :

ويقال في وصية بطرك اليعاقبة مثل ما في وصية بطرك الملكية ، إلا فيما يُنبه عليه .
ويسقط منه قولنا : « وأعلم بأنك في المدخل إلى شريعتك طريق إلى الباب » إذ
كان لا يدين بطاعة الباب الذي هو رأس الملكانيين ، وإنما هو رأس اليعاقبة نظيره
للملكانيين ، ويقال مكان هذه الكلمة « وأعلم بأنك في المدخل إلى شريعتك قسيم
الباب وأنتما سواء في الأتباع ، ومتساويان فإنه لا يزداد مضراع على مضراع » .
ويسقط منه قولنا : « وليتجنب البحر وإياه من اقتحامه فإنه يغرق » وثانية هذه
الكلمة إذا كان ملك اليعاقبة مُغْلَبًا [في الجنوب] ^(١) ولا بحر ، ويبدل بقولنا :
« وليتجنب ما لعله ينوب ، وليتوق ما يأتيه سرًا من تلقاء الحبشة حتى إذا قدر فلا

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٦ .

يَسْمُ أَنْفَاسَ الْجَنُوبِ ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ تِلْكَ الْمَادَّةَ وَإِنْ كَثُرَتْ مَقْصَرُهُ ، وَلَا يَحْفَلُ بِسُودَدِ
السُّودَانِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ آيَةَ الدَّلِيلِ مُظْلَمَةً آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ، ثُمَّ يُخْتَمُ بِالْوَصِيَّةِ بِالتَّقْوَى
كَمَا تَقَدَّمَ ، وَنَحْوَ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

النوع الثاني

(ما هو خارج عن حاضرتي مصر والقاهرة : من وظائف الديار المصرية
مما يُكْتَبُ لأربابها . وهي ثلاث جهات)

الجهة الأولى

(ثغر الإسكندرية ، والوظائف فيها على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(وظائف أرباب السيف وبها وظيفة واحدة وهي النيابة)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها كانت أولاً ولايةً ،
إلى أن طرقتها الفرنج في سنة سبع وستين وسبعائة ، فاستقرت من حينئذ نيابةً ،
يُكْتَبُ لنائبها تقليد في قطع الثنتين «الجناب العالي» مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

وهذه نسخة تقليد نيابة ثغر الإسكندرية :

الحمد لله على نعم باسمه الثغر ، مُسْفِرَةَ الفجر ، رافعة القدر .

نحمده حمداً يشرح الصدر ، ويطلع طلوع البدر ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تُخالف من يُخالفها ، وتُخالف من يُخالفها ؛ ونشهد أن محمداً عبده

ورسوله أفضل نبي رابط في سبيل الله وجاهد، وكابد في الجهاد أمداء الدين وكايد،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين خاضوا في عمرات الدجى كل عمراً، وندبوا
لحماية الدين كريمة وسداد نغراً .^(١)

أما بعد، فإن الأهتمام بالثغور هو أولى ما إليه حُمد، وعلى مصالحها أعتمد؛ وكان
نغراً الإسكندرية المحروس هو المقتز عن أحسن الثنايا، والمخصوص من الحياة
بأتم المزايا؛ والذي كم شفت شفاؤه من سقم عند ارتشاف، والذي المشاغراً به
والمرابط كم له بالحسنات من أئلاف؛ وكانت المصلحة تقتضى أن لا يختار له
الإكل كامل الأوصاف، كالفيل بما تستدعيه مصلحة أهله من إنصاف؛ ذو عزم
يمضى والسهم مستودعة في الكائن، ويقضى بالعدل المزيل للشوائب والشوائن،
ومن له حزم يسد نغراً المعايير دون كل ملاحظ ومعين؛ وله سياسة تحفظ بمثلها
الثغور، وتضان الأمور، وله بشاشة تستجلب الثغور، وتوفق ما بين الألسنة
من أولى الود والصدور؛ وله حياة بينا يقال: هذا جانبه ديمت إذ يقال: هذا
جانبه صعب ممتنع، وبينما يقال ليقظته للصحة: هذا سحاب يتجهم إذ يقال هذا
سيل مندفع .

ولما كان فلان هو مستوعب هذه الصفات، ومستودع هذه الأسماء والسمات؛
وإليه بهذه المناقب يُشار، وهو ساحب أذيل هذا الفخار - أقتضى حسن الرأي

(١) بياض بالأصل ولعله فكانوا ليوم انخ .

(٢) في الأصل « كفت » وهو تصحيف من الناسخ .

(٣) لعله سحاب جهام . أى لا ماء فيه . تأمل .

الشريف أن تُفَوِّضَ إليه نيابة السلطنة الشريفة بتغر الإسكندرية المحروس ،
تفويضا يمضى فى مصالحه لسانه وقلمه ، ويصرف بين الأوامر والنواهي إشاراته
وكلمه ؛ ويزين مواكبه بطلعته ، ويزيد مهابته ببعد صيته وأشتهار سمعته .

فلبيا شرهذه الوظيفة مجتلا مواكبا ، مكلا مراتبها ، موثلا بقواعد الأمن أرجاءها
وجوانبها ؛ ناشرا لواء العدل على عوالمها ، قابضا بالإنصاف لمظلوم رعيها على يد
ظالمها ؛ معليا منار الشرع الشريف بمعاضدة حكمه والانتقاد إلى أحكامه ، والوقوف
فى كل أمر مع تقضه وإبرامه ؛ وليتحرس جوانب هذا الثغر ويحميها ، وليصن عوارضه
وما فيها ومن فيها ؛ وليكلاه برا وبحرا ، وليرخ عليه من ذبه سترافسترا ؛ ولينجح
لسافرتيه طلبا ، وليبلغهم من العدل والإحسان أربا ؛ ويحل معاملته من وجد منهم
فى سفره نصبا ، واتخذ سبيله فى البحر عجبا . والرعية فهم طراز الممالك ، وعنوان
العمارة الذى من شاهده فى هذا الثغر علم ما وراء ذلك ؛ وأحسب إليهم وأرف بهم ،
وبلغهم من عدل هذه الدولة غاية أربهم ؛ وأمور الخمس والديوان فلها قواعد
مستقره ، وقوانين مستمزه ؛ فاسلك منها جددا واضحا ، وأبتغ لها علما لأحبا ؛
وغير ذلك فلا يكاد على فهيمك يخفى ، من تقوى الله التى بها تكف عين المضار
وتكفى ؛ والله تعالى يلهمك صوابا ، ولا يجعل بين حجاجك وبين المصالح حجبا ،
بمنه وكرمه ! .

(١) موثلا ممكنا . من وثل الشئ أصله ومكنه .

(٢) (لسافرتيه) هم المسافرون .

الصنف الثانى

(من الوظائف التى يكتب بها بشعر الإسكندرية - الوظائف الدينية،
وكلها تواقع، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى^(١)

(ما يكتب منها فى قطع الثلث بـ «السامى» بالياء، وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(القضاء)

وهو الآن مختص بالمالكية، وقاضيا يتحدث فى نفس المدينة وظاهريها،
ليس له ولاية فيما هو خارج عنها .

وهذه نسخة توقيع بقضاء نفر الإسكندرية للملكى، كُتب به للشيخ «وجيه الدين
محمد بن عبد المعطى الإسكندرى المالكى» وهى :

الحمد لله رافع قدر من نوه العلم بذكره، ونور التقي مواقع فكره، وتبه الورع على
رفعة قدره، وأشرق به منصب الحكم العزيز إشراق الأفق بطلوع بدره، وأضاءت
بنور أحكامه غوامض القضايا الشرعية إضاءة الدجى بغرة فجره، وقضى له دوام
الإصابة فى الاجتهاد بإحراز أجره إذا كان أحد قسمى الاجتهاد مقتضياً لأجره،
وملئ صدره بأنواع العلوم الدينية فوسع له الشرع الشريف صدر مجلسه وأعد له
مجلس صدره، وزخر من خاطره بحر العلم فارتوت رياض الخواطر بأنوار فرائد دُرّه،

(١) لم يذكر الثانية فما يأتى .

وأسفر وجه الدين بنور علمه وعمله : فقام هذا مقام السرور في أسارىه وناب هذا
مناب الشنب في ثغره .

نحمده حمداً يزيد قدر النعم تنويهاً ، ويسوغ في المحامد تعظيماً لمسدى المنة وتزيهاً ،
وينهض بشكر التوفيق في اختصاص منصب الحكم بمن كان عند الله وجيهاً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تفتّر ثغور الإسلام بإدامتها ،
وتبني قواعد الإيمان على إقامتها ، وتسيم بوارق النصر على جاحدها من أثناء
غماتها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنارت الآفاق بلمته ، ودارت أداة
التشبيه بين أنبياء بنى إسرائيل وعلماء أمته ، وضاهى شرعه شمس الظهيرة في وضوح
أحكامه وظهور أدلته ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عملوا بما علموا ،
وجاهدوا أعداء الله فما ضعفوا لذلك ولا ألموا ، وقضوا بالحق بين أمته فلا المقضى
لهم أمموا ولا المقضى عليهم ظلموا ؛ صلاة لا تزال لها الأرض مسجداً ، ولا يبرح
ذِكْرُهَا مُتَمِّمًا فِي الْآفَاقِ وَمُنْجِدًا ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من قلد الحكم وإن نأى به الورع عن توقعه ، وخُطب للقضاء
وإن أعرض به الزهد عن طلابه وتبّعهُ ، ودعى إليه إذ الإجابة عليه متعينة ،
ووضعت مقاليد الحكم الاستحقاق [في يديه] إذ أولويته البيّنة لا تحتاج إلى بيّنة -
من عقدت على تعينه لهذا المنصب الجليل الخناصر ، ودعت إلى استدعائه
إليه فضائله الثابتة القواعد وزهادته الزاكية الأواصر ؛ ودلت عليه علومه دلالة
الأضواء ، على لوايح الشهب ، ونهت عليه فنونه تنبيه الأنواء ، على مواقع السحب ؛
وشهد بورعه المتين ، تفقّهه وأعتاله ، وأنبأ عن نهوضه بنصرة الدين ، قوة جداله
الذي هو جلاّد مثله ونزاله ؛ وتجرّ في أنواع العلوم حتى جاور البحر بمثله ولكنه

العذب الزلال ، وشغل نفسه بالتنوع فى الفنون فكان التحلى بعبادة الله ثمرة ذلك الاشتغال ، ومشى على قدم الأئمة العلماء من أسلافه فلم يشق فى ذلك المضمار غباره ، ونشأ على طريقة العلم والعمل : فماره بالانقطاع إليه ليله وليله بالاشتغال بهما نهاره .

ولما كان فلان هو الذى خطبته هذه الرتبة السنية لنفسها ، وتشوقت إلى الإضاءة بطأوعه فى أفقها تشوق المطالع إلى الإضاءة بطلوع شمسيها ، وأثنى لسان القلم على فضائله وهو يعتذر من الاختصار ، واقتصرت البلاغة على اليسير من التعريض بوصفه وطالب ما لا يحصر معذور فى الاقتصاد والاقتصار ، وعين لما تعين عليه من مصالح الأمة وذلك يقضى لمثله من أهل الورع أن يجيب ، وطالب لعموم مصالح الإسلام التى ما ينبغى لمثله من أنصار السنة أن يتأخر عن مثلها أو يغيب ، وكان ثغر الإسكندرية المحروس من المعاقيل التى يفتقر عن شنب النصر ثغرها ، ومن أركان الدين التى يغص بأباطها بجرها ، وهى مأوى صلحاء الجهاد الذين سبهم ليهم أسبق إلى العدا من سهامهم ، وموطن العلماء من أهل الاجتهاد الذين يعدل دم الشهداء مداد أقلامهم ، وهى داره التى تزهى به نواحيها ، وموطن رباطه الذى يوم ولية منه فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نحض منصب حكيمها بعالم أفقها المنير ، وزاهد ثغرها الذى ماشام برقه بصر عدو إلا وأنقلب إليه خاسئاً وهو حسير ، أن نفوض إليه منصب القضاء والحكم العزيز بشعر الإسكندرية المحروس ، على قاعدة من تقدمه فيه ، نظراً فى عموم ذلك الثغر المحروس به (؟) إلى من أنعقد إجماع أئمة عصره ومصره على سعة علمه ووفور ورعه وكال فضله .

(١) مراده أنها مأوى صلحاء المتعبدين الذين الخ .

(٢) يظهر أن فى هذه العبارة سقطا وحرر .

فليأشر هذا المنصب الذي ملأه أمره العلم والتقى ، ونظام حكمه العدل والورع وهما أكل ما به يرتقى ، وليحكم بما أراه الله من قواعد مذهبه المحكمه ، وأحكام إمامه التي هي بمصالح الدين والدنيا محكمه ، وليقض بأقوال إمام دار الهجرة التي منها صدرت السنة إلى الآفاق ، وعنها أخذت ذخائر العلم التي تركوها على كثرة الإنفاق ، وبها حيا الأحكام الدينية موطأ الأكتاف ، وفيها استقام عمود الملة ممدود الطرف على سائر الأطراف ، فليس من ذلك وغيره جميع ما كان يليه من تقدمه ، وتفتضيه قواعد ولايته التي أمضينا فيه لسانه وقلمه .

فأما ما يدخل تحت هذا الإجمال من آداب القضاء وقواعده ، وأدواته وعوائده : من تخصيص الحكم بأوقاته ، ومساواته بين الخصمين في إنصافه وإنصاته ، واجتناب الحكم في الأوقات المقتضية لتركه ، وتوقى نقض الأحكام التي نظمها عدم مخالفة النص والإجماع في سلكه ، فإنه مكثف بالإجمال عن تفصيلها ، مكتف عن ذكر كثيرها بالإيماء إلى قليلها ، إذ هو أدري بأوضاعها شرعا وعرفا ، وأدرب بما قد يشد منها عن المعية أو يخفي ، وملاك الوصايا تقوى الله تعالى وهي من خصائص نفسه ، وفواتح ما ابتدأ الورع بإتقان درسه ، والله تعالى يؤيد حكمه ، ويعلي علمه ، بمنه وكرمه ! والأعتماد إن شاء الله تعالى .



وأعلم أنه كان فيما تقدم قد وليها قاض شافعي .

وهذه نسخة توقيع بقضائها ، كتبت به للقاضي «علم الدين الإخنائي» الشافعي ،

في ثامن شعبان سنة ثلاثين وسبعمائة ، وهي :

الحمد لله الذى رَفَعَ لنا فى كل نَعْرَ عَمَّا ، وأَجْرَى لنا فى جِوَارِ كُلِّ بَحْرٍ ما يَظَاهِيهِ
كِرَمًا ؛ وجعل من حُكَّامِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ من يُعْرِفُ بنسبِهِ الإِنْسَانِيَّ بِلِ السَّنَائِي أَنَّهُ
يُحُو من العُلْمِ ظُلْمًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَن زَادَنَا نِعْمًا ، وَوَفَّرَ للأَحْكَامِ الشَّرِيعِيَّةِ بِنَاقِسَمَا ، وَأَعْلَى قِيَمًا ، [فَأَضَحَّتْ]
تُشَافِسُ الدَّرَّ الثَّمِينِ قِيَمًا ؛ وَنَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُجْرَدُ
لِإِقَامَتِهَا سَيْفًا وَقَلَمًا ، وَنَشْهَدُ أَن مَجْدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي جَعَلَ اللهُ لَهُ شَرِيعَةً مَازِيَّةً^(١)
وَدِينًا قِيَمًا ، وَنَصَبَ مِنْ أُمَّةٍ أَتْبَاعَهُ كُلِّ عِلْمٍ يَهْدِي أُمَّمًا ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
صَلَاةً بَاقِيَةً مَا بَقِيَتِ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ ؛ وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوْلَى الثُّغُورِ بَأَن لا يَزَالَ بِهِ عِلْمٌ مَرْفُوعٌ ، وَعِلْمٌ مَصُونٌ حِجَابُهُ المَنْعُوعُ ،
وَعَمَلٌ يَمِشِي بِهِ أُمَّةٌ الأُمَّةِ عَلَى طَرِيقِهِ المَشْرُوعِ ، نَعْرُ الإِسْكَانْدَرِيَّةِ - حَمَاهَا اللهُ
تَعَالَى - فَإِنَّهَا مِنْ دَارِ المَلِكِ فى أَعَزِّ مَقَامٍ ، وَمِنْ مُجَاوِرَةِ البَحْرِ فى مَوْطِنِ جِهَادٍ تَحْقِيقِ
بِهِ الأَعْلَامِ ؛ وَغالبٌ مِنْ فِيمَا إِما فِقِيهِهُ يَتَمَسَّكُ بِالشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ فى عُلُوِّ عُلُومِهِ ،
أَوْ رَبُّ مالٍ لَهُ وَقُوفٌ بِمَجْلِسِ الحُكْمِ العَزِيزِ يَنْتَصِفُ مِنْ خِصَامِ خُصُومِهِ ؛ وَلَمْ تَزَلْ
وِظِيفَةُ القَضَاءِ بِهَا أَهْلَةُ الصَّدُورِ ، كَامِلَةَ البُدُورِ ، مَتَهَلِّلَةٌ بِما لا يَفُوتُ الشَّنْبُ بِجَارِقِ
الجَزَعِ إِذا حَكى إِيماضُ الثُّغُورِ ؛ وَكانَ لَهَا مَدَّةٌ قَدْ خَلَّتْ وَنَحْنُ نَفَكَّرُ فِيمَنْ يَكُونُ
سَدادًا لثَغْرِها ، وَكافِيًا فِيمَا يُيَهِّمُ فى الأَحْكَامِ الشَّرِيعِيَّةِ مِنْ أَمْرِها ؛ وَكافِلًا مِنْ الحَقِّ الَّذِي
أَمَرَ اللهُ بِهِ بِما يَبْقَى النَفُوسِ ، وَقائِمًا فى مَدارسِها بِما يَزِيدُ مَعالِمَها إِشادَةً فى الدُّروسِ ؛
حَتَّى أَجْمَعَتْ آراؤُنا الشَّرِيفَةَ عَلَى مِنْ يُحَسِّنُ عَلَيْهِ الإِجْماعُ ، وَتُحَسِّمُ بِهِ دِوَاعِي النِّزاعِ ،
وَيَحْسُدُ عِلْمَهُ عِلْمَ الشَّمْسِ لِمَا عَلا عِنها مِنْ كُرَّةِ الأَرْتِفاعِ ؛ وَمَنْ يَتَضَوَّعُ بِنَشْرِ العَدْلِ

في يميني كفه القلم ، وإذا وقفت به الركائب قالت : ياسارى القصد هذا البان
والعلم ، وكان المجلس السامى القضاى العالمى الإسنانى الشافعى ، أدام الله علوه هو
العالم المنشور ، والعلم المشهور ، والمراد بما تقدم من وصف مشكور ، فاقتضت
مراستنا المطاعة أن تُناط به من الأحكام الشرعية القضايا ، وأن يسلم هذا الثغر
بحكمه عن واضح الثنايا .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف ، العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى :
زاده الله شرفا ، وضاعف له تصرفا - أن يفوض إليه القضاء بمدينة إسكندرية -
حماها الله تعالى - على عادة من تقدمه وقاعدته المستقرة إلى آخر وقت ، على أنه
يستنبط عنه فى تحمله وفيما شاء منه من هو موصوف بصفته ، موثوق بدينه وعلمه
ومعرفته ، ولينتصب فى مجلس الحكم العزيز لمن ينتصف ، ويعمل بما يرضينا من
مراضى الله تعالى فإن للعيون أن تنظر وللألسنة أن تصف ، ولينظر فى أمر الشهود
فإن الأحكام الشرعية على شهادتهم تُبنى ، وليحترز من الوكلاء فإن منهم من يجعل
الظن يقينا واليقين ظنا ، ولينظر فى أمور الأيتام ويتصرف فى أموالهم بالحسنى ،
وليقيم الحدود ، على مقتضى مذهبه ، ويعول فى العقود ، على من لا يخاف معه أمرؤ
على إلحاق فى نسبه ، وغير هذا مما إليه مرجعه ، وإليه ينتهى مفرقه ومجتمعه
وبحكمه يفصل أمره أجمعه ، وليتخذ الله تعالى عليه رقبيا ، ويعلم أنه سيرى كل
ما يعملهُ عند الله قريبا ، وتقوى الله هى التى تتخذ معه عليها عهدا مسئولا ، ورجاء
مأمولا ، وقولا عند الله وملائكته وأنبيائه مقبولا ، وتقلده منها على كل مخالف سيقا
مسئولا ، ونحن نرغب إلى الله أن يوقفه فى حكمه ، ويعينه على كل ما يملك من الوصايا
بما هو مولى به من عمله وعلمه ، والخط الشريف أعلاه ، حجة فيه .

قلت : وكان قد استُحدث بالإسكندرية قاضٍ حنفى فى الدولة الأشرفية « شعبان بن حسين » يُولى من الأبواب السلطانية رقيقاً للقاضى المالكى بها ، يتحدث فى الأحكام فى القضايا المتعلقة بمذهبه خاصّة ، وأمر مُودع الأيتام ونظر الأوقاف ، وغير ذلك من متعلّقات قضاء القضاة مختصّ بالمالكى ؛ ثم صارت بعد ذلك تارة يُولى بها حنفى كذلك ، وتارة تشغّر منه . فإن وليها حنفى ، كتب له فى قطع الثُّك كما يكتب للقاضى المالكى ، وليس بها الآن شافعى إلا نائباً عن المالكى ، ولا حنبلى بها أصلاً .

الوظيفة الثانية

(الحِسبة بئغر الإسكندرية)

ومحتسبها يُمضى تحدّثه فيما يختص به قاضياها ، وليس له تُوأب فيما هو خارج عن ذلك من البلاد .

وهذه نسخة توقيع بالحِسبة بئغر الإسكندرية .

الحمد لله الذى جعل المناصب فى أيماننا الزاهرة محفوظةً فى أكفائها ، مضمونة لمن تقاضت [له] من الإقبال ر [د] جفائها ، معدوقةً فى مالها إلى من زانها بمعرفته الحسنة بحسن ... (١) ... بمن دلت كفاءته وكفايته على أنه أولى بتقرُّبها وأحقُّ باصطفاها .

أحمدُه على نعيمه التى لم تُحِبَّ فى إحساننا أملاً ، ولم تُضَيِّع سعى من أحسن [العمل] فى مصالح دولتنا إن الله لا يُضَيِّع أجر من أحسن عملاً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً هى أشرفُ ما فاه به اللسان ، وأفضلُ ما تُعبَّد به

(١) بياض بالأصل . ولعله " بمعرفته الحسنة وحسن بهاها ، مخصوصة بمن الخ "

الإنسان ، وأرفع ما ملكت به في الدنيا والآخرة عظام الرتب الحسان ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أحل الطيبات وأباحها ، وأزال الشبهات وأزاحها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بأحكامه ، ووقفوا مع ما شرع لهم من حلال دينه وحرامه ، وحافظوا على العمل بسنته بعده محافظتهم عليها في أيامه ، صلاة يتوقد سراجها ، ويتأكد بها انتساق السنة وانتساجها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من رجع فيه حق منصبه إلى نصابه ، ورد به واجب رتبته إلى من جعلته سوابق سيرته أولى به ، وتفاضت له سيرته عواطف كرمنا ، ونهضت زاهته باستطلاع ما غاب عنه من عوارفنا ونعمنا ، وأغنته أوصافه عن تجديد ثناء يستعاد به رثنا القديم ، ويستدام له به فضلنا العميم ، وتستدر به أخلاف كرمنا الذي تساوى في عمومه الطاعن والمقيم - من زان التقى أوصافه ، وكلت العفة معرفته وإنصافه ، وتولت الديانة نظره فيما عدق [به] من مصالح الرعايا خصوصاً وعموماً ، وتكفلت الخبرة من اعتباره لأمر الأوقات بأن جعل لكل منها في الجودة حداً معلوماً ، وبأشرف ما فوض إليه بجمع بين رضا الله تعالى ورضا خلقه ، وعول عليه في حِسبة أعز الثغور لدينا فتصبح الرعايا فيما بسط لهم من رزقه .

ولما كان فلان هو الذي أضاعت أوصافه وهل تُنكر الإضاءة للسراج ، وتُسوّف إليه رتبته فلم يكن لها إلا إليه ملاذ وإلا عليه معاج ، فسلك من السير أرضها لربه ، ومن الأحوال أجمعها لأمن عاقبته وسلامة غيبه ، ومن الاجتهاد في مصالح الرعايا ما يُضاعف شكره على احتسابه ، ومن الخيرة ما يُعرف كلاً منهم كيف يكون اكتساء البرية في اكتسابه - رُسم أن يستقر (١)

(١) بياض بالأصل وهو معلوم مما تقدم وحذفه اختصاراً في الكتابة .

فليستمر في ذلك على عادته التي ناضت عنه فأصابت ، وقاعدته التي دعت له
عواطف نعمنا فأجابت ، ويزد في التحذير والتحقيق ما أستطاع ، ويُناقش حتى
يستقر على الصحة فيما يُباع أو يُبتاع ، ويقابل على الغش بما يردع متعاطيه ، ويزجر
صانع الأعمال الفاسدة عن استدامتها ومن يُوافقه على ذلك ويُوأطيه ، ويختر أموال
الأحباس بملاحظة أصولها ، والمحافظة على ريعها ومحصولها ، وإمضاء مصارفها
على شروط واقفها إن علمت ومزنية (؟) ما قدم من شكره والثناء عليه ، وملاك
ذلك جميعه تقوى الله تعالى وهي أخص ما قدم من أوصافه ، والرفق بالرعايا وإنه
من أحسن حلي معرفته وإنصافه ، والخير يكون إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(نظر الصادر)

وموضوعها التحدث في قدر مقرر يؤخذ من تجار الفرنج الواردين إلى الإسكندرية ،
وعليه مرتبات لناس مخصوصين من أهل العلم والصلاح ، يُنفق عليهم بمقادير معلومة
من متحصل هذه الجهة .

وهذه نسخة توقيع بنظر الصادر والوارد ، أنشأته عن السلطان الملك الناصر
«فرج بن الظاهر برقوق» للقاضي ناصر الدين «محمد الطنّاحي» إمام المقام الشريف
السلطاني ، في منتصف شهر صفر سنة أربع وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل من سلطاننا الناصر لأخص ولي أعز ناصر ، وخصه من
فائض كرمنا المتتابع ومننا المترادف بأكرم وارد وأبر صادر ، وبوأه من فضلنا المنيف
أفضل مبراً : فتارة تأتم به الملوك وتارة يخطب الكافة على رؤوس المنابر .

نحمدُه على أن جعلنا نَتَّبِعَ في الْوِلايَاتِ نَهْجَ الصَّوَابِ وَنَقْتَفِيهِ ، وَأَثَرَنَا مِنْ أَثَرَةِ
الْأَبُوَةِ بِأَعْلَى مَوَاقِعِ الْأَجْتِبَاءِ وَالْوَلَدِ سِرَّأَبِيهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي أَدَّلَ طُغَاةَ الْكُفْرِ بِقَمْعِ أَنْفِ كِبَرَاءَتِهِمْ ، وَأَلْزَمَهُمُ الصَّغَارَ بِمَالٍ
يُؤْخَذُ مِنْ أَقْوِيَاءِ أَغْنِيَاءِهِمْ فَيَفْرَقُ فِي ضِعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَفُقَرَاءَتِهِمْ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدَهُ
وَرَسُولَهُ الَّذِي نَدَّبَ إِلَى مَبَرَّةِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَذَوِيهِ ، وَرَغَّبَ فِي رِعَايَةِ الْمُوَدَّةِ لِلآبَاءِ
بِقَوْلِهِ : «إِنَّ مِنْ أَبْرَارِ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ عُدَّتْ بِهِمْ مَهَمَاتٌ ، فِقَامُوا بِحَقِّهَا ، وَوَسَّكَتْ إِلَيْهِمْ جَلَائِلُ الْوِلايَاتِ ، فَأَحْرَزُوا
بِحَيْلِ التَّأْمِيرِ قَصَبَ سَبْقِهَا ؛ صَلَاةً يَبْقَى عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ حُكْمُهَا ، وَلَا يَتَغَيَّرُ عَلَى مَرَّةِ
الزَّمَانِ رَسْمُهَا ؛ وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإن من كريم سجايانا التي جُبلنا عليها، وشريف شيمنا التي يجذبنا طيب
العنصر إليها، أن نُخَصَّ الْأَوْلِيَاءَ بِأَسْنَى الْوِلايَاتِ ، وَنُحْفَ أَصْنَى الْأَصْفِيَاءِ
بِنَهَايَةِ غَيْرِهِ فِي الْبِدَايَاتِ ؛ وَنَرْفَعَ قَدْرَ مَنْ لَمْ يَزَلْ ظَهْرُهُ لِلْمُلُوكِ مَحْرَابًا ، وَنُتَوِّهَ بِذِكْرِ مَنْ
رَغِبَتْ فِيهِ الْوِظَانُفُ فَعَدَلَتْ إِلَيْهِ عَنِ سِوَاهِ إِضْرَابًا .

وكان المجلس السامى ، القاضوى ، العالمى ، العاملى ، الفاضلى ، الكاملى ،
البارعى ، البليغى ، الماجدى ، الأوحدى ، الأثيرى ، الأثبلى ، العريقى ، الأصيلى ،
الخطيبى ، الناصرى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الرؤساء ، أوجد الكبراء ،
صدر الأعيان ، جمال الخطباء ، جلال النظار ، صفوة الملوك والسلاطين ، أبو عبد الله
محمد ، ابن المجلس السامى ، الجمالى ، المرحوم عبد الله الطنحى ، إمام المقام الشريف :
أدام الله تعالى رفعة - قد طالت في المحالصة قُدمته ، ووفرت من صدق الموالاتة
قسمة ؛ فرفع على الأبتداء خبره ، ونصب على^(١) تقدمه فحمد في الاختيار

(١) يباض بالأصل ، ولعله "المدح أو التعظيم" .

أثره؛ وكانت وظيفتنا نظير الصادر وخطابة الجامع الغربى بشعر الإسكندرية المحروس - حرسه الله تعالى وحماه، وصان من طروق العدو المخدول حماه - من أرفع الوظائف قدرا، وأميزها رتبة وأعلاها ذكرا - أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن تُسند ولايتهما إليه، وتعمد في القيام بمصالحهما عليه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت آراؤه مسدده، ونعمه على الأولياء في كل حين مجتده - أن يستقر المشار إليه في الوظيفتين المذكورتين عوضا عن كائنا بيده، بما لها من المعلوم، ويُفسح له في الاستنابة على عادة من تقدمه في ذلك : استنادا إلى أمانته التي بلغت به من العفة ممتهاها، وكفايته التي تجز المتكفون عن الوصول إلى مداها؛ وفصاحته التي أعجزت يراعتها الخطباء الأماثل، وبلاغته التي قضت بالعي على قس إياي وحكمت بالفهامة على سبحان وائل .

فليتلق ما أسند إليه بيده الطولى وباعه المديد، وليقابل هذه النعمة الخفيلة بالشكر فإن الشكر مستلزم للزيد؛ عالما أن نظر الصادر يقدمه أهل الثغر على عامة الوظائف مادي منها وما جل، ويتبرك المرتبون عليه بما يأخذونه من راتبه وإن قل؛ فليحسب النظر فيه وردا وصدرا، ويميز ريعه بحسن النظر فيه حتى يقول المعاند : ما أحسن هذا نظرا ! .

والجامع الغربى فهو أجل جوامع الثغر الإسكندري قدرا، وأعظمها في الأقطار صيتا وأسيرها في الآفاق ذكرا؛ يحضر الجمعة فيه أهل الشرق والغرب، ويلى بخطبته سكان الوهاد والهضب؛ فليرق منبره رقى من خطبه المبر خطبته، وعلم علوم مقامه فقابله بعلوم رتبته؛ ويشنف الأسماع بوعظه، ويشيح القلوب بلفظه؛ ويحي العقول بتدكيره، وييك العيون بتخديره؛ وليعد للجامع ما تعودده من الإسعاد،

ويجدد مدرّس من معالم خطّابته حتّى يقال : هذا ابن المنير قد عاد ؛ وعماد الوصايا تقوى الله فهى ملاك الأمور كلّها ، وعليها مدار أحوال الدنيا والآخرة فى عقدها وحلّها ؛ وهاتان مُقدّمتا خيرٍ فليكن لنتيجتهما يرتقب ، ولا يقطع بالوقوف معهما رجاءه « فأول الغيث قَطْرٌ ثم يَسْكَب » ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة فيه بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .

الصنف الثالث

(من الوظائف التى يكتب بها بنجر الإسكندرية المحروس ،
الوظائف الديوانية ، وهى على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له فى قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء
وهو ناظر المباشرة بها ، وعنه يعبر بناظر الإسكندرية ، دون ناظر الأصل^(١)
المقدم ذكره فى جملة الوظائف الديوانية بالحضرة)

وموضوع هذه الوظيفة التحدّث فى الأموال السلطانية بالإسكندرية مما يتحصّل من المأخوذ من تجار القرنج ، وسائر المتاجر الواصلة براً وبحراً بالقبض والصرف والحمل إلى الأبواب السلطانية .

وهذه نسخة توقيع بنظر نجر الإسكندرية ، كُتِبَ به للقاضى «جمال الدين
أبن بصاصة» وهى :

(١) وهو ناظر الخالص المتحدّث فى الأموال السلطانية كما تقدّم .

(١) الحمد لله الذى أضحك الثُّغور بعد عبوسها ، وردَّ إليها جمالها وأنار أفقها بطلوع شمسها ، وأحيا معالم الخير فيها وقد كادت أن تُسرف على دروسها ، وأقام لمصالح الأئمة من يشرق وجه الحق ببياض آرائه ، وتلتد الأسماع بتلاوة أوصافه الجميلة وأنبيائه .

نحمده حمد من أسبغت عليه النعائم ، وتهادت إليه الآلاء ، وخطبته لنفسها العلياء ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع قدر قائليها وتعليه ، وتعز جانب متحليها وتُدنيه ؛ وأن محمدا عبده ورسوله أفضل نبي رابط وجاهد ، وأكرم رسول جنح للسلام بأمر ربه فهادت وعاهد ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، وأشياعه وحزبه .

وبعد ، فأحق من ماس فى أردية الرياسة عطفا ، وأستجلى وجوه السعادة من حجب عزها فأبدت له جمالا ولطفا ؛ وأصطفته الدولة القاهرة لمهمات ما رأته خير كافل ، وتتقل فى مراتبها السنية تنقل النيرين فى المنازل .^(٢)

ولما كان فلان أدام الله رفعته ممن أشارت إليه هذه المناقب الجليلة ، وصارت له إلى كل سؤل نعم الوسيله ، رسم بالأمر الشريف - لا زال ... أن يستقر فى نظر ثغر الإسكندرية المحروس ويباشر هذا المنصب المبارك بعزماته الماضيه ، وهممه العاليه ؛ برأى لا يساهم فيه ولا يشارك : ليصبح هذا الثغر بمباشرة باسمه حاليا ، وتعود بهجته له بجميل نظره ثانيا ؛ وينتصب لتدبير أحواله على عادته ، ويقرر قواعده بعالي همته ؛ ويجتهد فى تحصيل أمواله وتحصين ذخائره ، وأستخراج زكاته

(١) تقدمت فى صفحة ٤٠ و ٤١ من هذا الجزء بعض زيادة وتغيير واختصار .

(٢) لم يذكر خير المبتدا ولعله سقط من قلم الناسخ والأصل أحق من ماس ... من كان لخلل العفاف لاسبا ، ومن نور الايقان قابسا ، الى غير ذلك من الأوصاف .

وتمية متآجره ؛ ومعاملة التجار الواردين إليه بالعدل الذي كانوا ألفوه منه ، والرَّفَق الذي نقلوا أخباره السارة عنه ؛ فإنهم هدايا البحور ، ودوابه الثغور ؛ ومن ألتبتهم يُطَّلَع على ما تُخِنُّهُ الصدور ، وإذا بَدَّر لهم حَبَّ الإحسان نَشَرُوا له أجنحةً مراكبهم كالطيور ؛ وليعتمد معهم ما تضمته المراسيم الشريفة المستمرة الحكم إلى آخر وقت ، ولا يسلك معهم حالة تُوجب لهم القلق والتظلم والمقت ؛ وليواصل بالحمول إلى بيت المال المعمور ، وليملأ الخزائن السلطانية من مستعملات الثغر وأمتعته وأصنافه بكل ما تستغنى به عن الواصل في البرور والبحور ؛ وليصرف همته العالية إلى تدبير أحوال [المتآجر بهذا الثغر بحيث ترتفع رؤس أموالها وتتمى ، وتوجد سخائب فوائدها وتهمى ، ويراع أحوال] ^(١) المستخدمين في مباشراتهم ، ويكشف عن باطن سريهم في جهاتهم ؛ ليتحققوا أنه مهين عليهم ، وناظر بعين الرأفة إليهم ؛ فتتكف يد الخائن منهم عن الخيانة ؛ وتتحلى أنامل الأمين بحاسن الصيانة ؛ وليطالع بالمتجددات في الثغر المحروس ، ليرد الجواب عليه بما يشرح الصدور [ويطيب النفوس] ^(١) وليتناول من المعلوم على ذلك في غرة كل شهر ما يشهد به الديوان المعمور ؛ والله تعالى يتولاه ويُعصده ، ويؤيده ويسدده ؛ بيمه وكرمه ! .

قلت : وربما كتبت لناظرها توقيع مفتوح : «أما بعد حمد الله» في قطع الثلث .



وهذه نسخة توقيع بنظر نعر الإسكندرية ، وهي :

أما بعد حمد الله مفوض حلال إنعامنا على من أخلص في طاعتنا الشريفة قلبه
ولسانه ، ومولى فضل آلائنا العميمة على من أرهف في مصالحنا عزمه وبنانه ؛

(١) الزيادة مما تقدم في صفحة ٤١ من هذا الجزء .

وَحُلِّيَ رَتبَ عَلِيَّائِنَا الشَّرِيفَةِ بِنِ اسْمِ اسْمَاءِ الْمَعَالَى بَدْرِهِ وَإِنْسَانِهِ ، وَأُيُنَعَتْ فِي غَضُونِ الْأَمَانِيِّ قَطُوفُهُ وَأَفْنَانُهُ ، وَمُبْلَغُ أَقْصَى غَايَةِ الْمَجْدِ فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ بِنِ تَبَسُّمِ بِيَجْمِيلِ نَظَرِهِ الثُّغُورِ ، وَتَعْتَصِمُ بِحَمِيدِ خَبْرِهِ وَخِبْرَتِهِ الْأُمُورِ ، وَتُشْرِقُ مِنْ جَمِيلِ تَدْيِيرِهِ الْبُدُورِ ، وَتَعْتَمِدُ عَلَى هِمَمِهِ الْأَيَّامُ وَالذُّهُورُ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ الْمَهَادَى إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ اسْمَتَيْهِ ، وَالنَّاسِ لِرِوَاءِ الْعَدْلِ بِسَنَنِهِ الْوَاضِحِ وَشَرَعِهِ الْقَوِيمِ ، وَالْمُنْجِزِ لِمَنْ آقَفْتَى سُبُلَهُ أَوْفَى تَكْرِيمِ ، وَأَوْفَرُ حَظِّ عَظِيمِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا أَهْتَدَى بِهِدْيِهِمْ ذُورُ الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ ، وَأَرْتَدَى بِأَرْدِيَّتِهِمُ الْمُعْلَمَةَ مُقْتَنِي الْآثَارِ - فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ أَسْتَدْنَا إِلَى نَظَرِهِ الْجَمِيلِ رُتْبَةَ عِزِّ مَا زَالَتْ طَيُورُ الْأَمَالِ عَلَيْهَا تُحُومُ ، وَعَدَقْنَا بِتَدْيِيرِهِ الْجَلِيلِ مَنِصَّبَ سِيَادَةِ مَا بَرِحَتْ الْأَمَانِيُّ لَهُ تَرُومُ ، وَأَعْتَمَدْنَا عَلَى هِمَّتِهِ الْعَالِيَةِ فَصَدَّقَ الْخُبْرُ الْخَبَرَ ، وَرَكَّأَ إِلَى حَمِيدِ رَأْيِهِ فَشَهِدَ السَّمْعُ وَأَدَّى النُّظْرُ .^(١)

ولما كان فلان هو الذى أتسق فى ذروة هذه المعالى ، وانتظم به عقد هذه الآلى ، وحوى بفضيلة اللسان والبيان ما لم تُدرِكهُ المُرَهَفَاتُ وَالْعَوَالِي ، فَمَا حَلَّ ذِرْوَةَ عِزِّ إِلَّا وَحَلَّاهَا بِنَظَرِهِ الْجَلِيلِ ، وَلَا رَقِيَ رُتْبَةَ سِيَادَةٍ إِلَّا وَأَسْفَرَ فِي ذِرْوَتِهَا وَجْهٌ صَبَّحَهُ الْجَمِيلِ ، وَلَا عُدِقَ بِنَظَرِهِ كِفَايَةُ رُتْبَةٍ إِلَّا وَكَانَ لَهَا خَيْرٌ كَفِيلِ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يَنْتَصِي لِلرُّتْبِ الْعَالِيَةِ خَيْرٌ مُنْجِدٌ وَمُؤْمِرٌ ، وَيَمْتَطِي لِلنَّاصِبِ السَّنِيَّةِ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فَإِنَّهُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ، وَالْمَتَمَسِّكُ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَمِرَاقِبَتِهِ بِالسَّبَبِ الْمَتِينِ ، وَالْمُسْتَنْدُ بِيَجْمِيلِ كِفَايَتِهِ ، وَحَمِيدِ دِيَانَتِهِ ، إِلَى حِصْنِ حَصِينٍ ، وَالْمُسْتَدْرِى بِأَصَالَتِهِ وَإِصَابَتِهِ إِلَى الْجُنَّةِ الْوَاقِيَةِ وَالْحَرَمِ الْأَمِينِ ، فَلْيَقْدَمْ خَيْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَبَاشَرَةِ الْوُضُفِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ بِعِزِّهِ

(١) لم يذكر خبرا لأن وهو معلوم من نظائره السابقة أى من كانت صفته كذا وكذا الخ .

(٢) بالصاد المهملة أى يختار وينتقى .

لا يُنبؤ، وهمّة لا تُحبو، وتدبير يتضاعف على ممر الأيام ويربو، ونظر لا يعزب عن
مباشرته فيه مثقال ذرة إلا وهى من خاطره فى قرار مكين، وضبط لا تمتد معه يد لاس
[إيها] إلا ويجد من مرهفه ما يكف كفها عن الحيانة بالحق المبين، وليضاعف
همته فى مصالح هذه الجهة التى عدقناها بنظره السعيد، وليوقر عزمته فإن الحازم
من ألقى السمع وهو شهيد، والوصايا كثيرة ومثله لا يدل عليها، والتنبيهات واضحة
وهو - وفقه الله - أهدى أن يرشد إليها، والله تعالى يوفقه فى القول والعمل،
ويصلح بجميل تدييره وحميد تأتبه كل خلل، بمنه وكرمه ! .

الطبقة الثانية

(من يكتب له فى قطع الثلث بـ«المجلس السامى» بغيرياء
أو «مجلس القاضى» وفيها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(كتابة الدرج)

وصاحبها هو الذى يقوم بالإسكندرية مقام كاتب السرّ بالأبواب السلطانية
فى قراءة المكاتب على النائب، وكتابة الأجوبة وما يجرى مجرى ذلك .
وهذه نسخة توقيع من ذلك :

رسم بالأمر الشريف - لا زال شاملاً فضله، كاملاً عدله، هاملاً بالإحسان
وبله، متصلاً بالجميل حبه، ملاحظاً بعين العناية للبيت الزاوى فرعه الطيب أصله،
معلماً نجمه إلى أسنى المراتب التى لا ينبغى أن يكون محلها إلا محله - أن يستقر فلان

(١) فى الأصل ملتصق بالتح .

فى كتابه الدرّج بشعر الإسكندرية المحروس على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته ،
بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت : لأصاليته المعرّفة ، وغُصون نسبه
المورّقة ، وآدابه الجمّه ، وفضيلته التى أبدى بها علمه ، وكتابته التى حلّت المهارق ،
وأبدت من الجواهر ما نمتى لمسّه المفايق ، وتُدوى لخصارته أزهى الروض النضير ،
وتنفرد فى الحسن فلا نجد [لها] من نظير ، وتبرز كالعقود فى أجياد التراب ، وتُنشئ
كُتبا تغنى عن الكتّاب ، مع ماله من راسة أثبتت معاليه ، ونفاسة أضحت بجواهرها
الأوصاف حاليه ، وصدارة توالى منه فاستوجب بها مزيد الحسن المتواليه ،
قد حوّل فى كرم الأصل فلا غرّ وأن أمسى نجيبا ، ودعا بديع اللفظ ولطيف المعنى
فغدا كل منهما لأمره طائعا وبالإذعان نجيبا ، وعلا كوكبه فأضحى فى الرفعة بعيدا
وإن كان فى مرأى العين قريبا ، وزكا من أكابره إلى كل فريد فى سُؤده ، واحد
فى علاه يفوق الجمع فى عدده ، فهو إنسان عين زمانه ، ومالك زمام الإنشاء ومصرف
عنان بنائه ، ومبرز الحسانت بسيفارته المقبولة وإطلاق بيانه ، فلا غرّ أن استوجب
منا ما يقضى له بالمزيد ، وأستحقّ باتباع أصله العالم التيق إدراك ما يريد ، وتحلّى
بمناقبه ومآثره ، ونقل عن عفاقه ومفاخره .

فليستمرّ فى ذلك على أجمل عوائده ، وأجزل فوائده ، سالكا فى ذلك طرائقه
الحميدة ، ومناججه ومناجج أسلافه السديده ، مبرزاً من خطّه ما يججل به الطروس ،
ويسرّ بمزايه النفوس ، وينظم كالعقود ، ويلوح للأبصار حسن رونقه [المشهود] ،
والله تعالى يجعل إحساننا لدى بيته الكريم مستمرا ، وأمتناننا العميم عنده مستقرا ،
وثغر العناية به مفترا ، بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظرُ دار الطراز بغير الإسكندرية)

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بها لصالح الذين بن علاء الدين علي بن
البرهان ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب
الإنشاء ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال إثاره ، يُكْرَمُ من غدا صلاحه حلّة العلي طرازا ،
وأختياره ، يقدم للناصب الجليلة من ورث من أبيه نهضة وأحترازا - أن يستقر
فلان في كذا : لكفايته المعروفة المحققة ، ودرايته المألوفة بركاتها الموفرة وحركاتها
الموفقة ، وديانته التي منها الأ كابرُ علي ثقه ، وأمانته التي تعتمد الحق مستدعية
ومنتقة ، وصيائته التي هي للواصل حافظّة وعلى الحاصل مشققة .

فليباشِرْ هذه الوظيفة التي كانت في سالف الزمان إلى الحُكَّام تُصَاف ، وللعلماء
الأعلام عليها نظر وإشراف ؛ ومنها يُسَدَّلُ علي أوليائنا لباس الإنعام وترسل أجناس
الإتحاف ، وتُسَرَّبَلُ الكعبة البيت الحرام في كل عام بجلبابها المحكم النسيج المعلم
الأطراف ؛ وليصن ذهبها عند صرفه وقبضه ، وليزِنَ خزها بتقريب مشوبه وتحرير
مخضه ، وليين عن حسن التدبير في إبرام حريرها ونقضه ؛ وليستجلب رجالها
وصناعاتها ، وليجنب أحوالها ضياعها ، وليستجد أصنافها وأنواعها ، وليتفقد أكافها
ويقاعها ؛ حتى يُظهِر في أعمالها آثار الصلاح ، وتُشكر مباشرته التي هي محمودّة الآتباء
مسعودّة الأفتتاح ؛ والله يقرن رجاءه بالإرباح ، ويؤذن له حيث سلك بإصابة
الصواب والفلاح ، بمنه وكرمه ! .

قلت : ودارُ الطَّرَازِ هذه هي التي تُعْمَلُ فيها المستعمالاتُ السلطانية : مما يُجَلُّ إلى خزانة الخَاصِّ الشريف من الأقمِشنة المختلفةِ الصِّفَاتِ : من الحرير والمقترح المَخَوِّص بالذهب ، والتفاصيل المنقوشة بضروب النقوش المختلفة ، وغير ذلك من رقيق الكَنِّان وغيره مما لا يوجد مثله في قُطْر من أقطار الأرض ؛ ومنه تُتَّخَذُ الأقمِشَةُ^(١) التي يلبسها السلطان وأهل دُورِهِ ؛ ومنه تَعْمَلُ الخِلاَع والتشاريْف التي يلبسها أكابر الأمراء وأعيانُ الدولة وسائرُ أهل المملكة ؛ ومنه تُبْعَثُ الهدايا والتَّحْف إلى ملوك الأقطار . وقد كان يُكْتَب لناظر هذه الدار توقيعٌ عن الأبواب السلطانية خارج عن توقيع ناظر الإسكندرية على ما تقدّم ذكره . أما الآن فقد صار ذلك تحت نظر ناظر الإسكندرية يتحدّث فيه كما يتحدّث في سائر أمورِها ، ومرجع الكلِّ إلى ناظر الخَاصِّ بالأبواب السلطانية .

الجهة الثانية

(مما هو خارج عن حاضرتي مصر والقاهرة بالديار المصرية - بلاد الرِّيف)
 والمراد بالرِّيف في أصل اللغة موضعُ المِياه والزَّرْع .
 وقد تقدّم أنّ رِيفَ الديارِ المصريّة وجهان :

الوجه الأوّل

(الوجه القبلى ، وهو المعبر عنه بالصَّعيد)

وقد تقدّم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك أنه يتقسّم إلى صعيدٍ أعلى ، وصعيدٍ أسفل . وقد كانت ولايته العامّة في الزمن المتقدم يعبر عن صاحبها

(١) الضمير عائد على ما تقدم من الحرير والكَنِّان .

بـ«والى الولاية بالوجه القبلى» ثم استقرت نيابة سلطنة على حدّ تقدمة العسكر بغزة
فى رتبة المكتبة، فى الأيام الظاهرية « برقوق » وهى على ذلك إلى الآن . ونائبها
يكتب له تقليد نيابة السلطنة بها فى قطع النصف .

وهذه نسخة تقليد شريف من ذلك ، من إنشاء الشريف « شهاب الدين »
كاتب الإنشاء ، وهى :

الحمد لله الذى رَحِمَ بتعاهدِ نظيرنا البلاد والعباد ، وحَسَمَ بمواردِ زواجرنا موادَّ
الفساد ، وأحمد فى هذا الوجهِ لنا الآثارَ ووطأ بنا المهاد ، وأفرد آراءنا بجمع المصالح
على الجمع والإفراد ، وأولى بنا الرعية الخيرة فى استرعاء من يبذل فى صيانتهم الاجتهاد ،
وأعلى بنا كلمة العدل فهى تُنشر وتُداع وأوهى بنا كلمة الظلم فهى تُقهر وتُدَاد ،
وأجلى بانتقامنا فِتنة الضلال فلها عن مُلكنا الشريف أندفاع وأنطراد .^(١)

نحمده على أن قرن بآرائنا السداد ، ونشكره على أن ضمنَ أصطفاءنا حُسن الارتداد ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقوم حجتها ، يوم يقوم الأشهاد ،
وتدوم بهجتها ، علماً للإرشاد ؛ ونشهد أن سيد البشر محمداً عبده ورسوله الذى فضّل
العالم وساد ، وأجزل المكارم وجاد ، وهدى بشرعه من حاد ، وأردى برده من حاد ،
وأجرى بجروده النفع حيث كان وأبدى بياسه القمع لمن كاد ، وأحمد بأسيافه الباطل
فباد ، وجعل لأنف مخالفه الإرغام ولجيش مجانفه الإرعاد ؛ صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الأنجاب الأتجاد ، صلاة لها تضاعف وتعداد ، وبفتكاتهم (؟) للنواب
إنجاد ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

(١) دعت مراعاة السجع الى استعمال الانفعال من طرد ونص أهل اللغة على أنها لغة رديئة . فتنه .

وبعد فإنَّ الله تعالى لما أعلَى هَمَمْنَا وأصعدَهَا ، ووفى عزائمنا من النصر موعدها ،
 وأسعف بملكنا الرعية وأسعدَهَا ، وضاعف بنا لديهم النعمة وجددها ، وأوضح
 بنا سبل المعدلة وجددها ، وأنجح بسطاننا آمال الخليفة وأنجدَهَا - لم نُخل من
 ملاحظتنا أدنى الأقطار ولا أبعدَهَا ، ولم نُغفل من ممالكنا ناحيةً إلا نحأها فضلنا
 وقصدَهَا فأقرَّبها الصالحاتِ وخلدَهَا ، وأثرَبها المسامحاتِ وأبدَهَا ، ونصر الشريعة
 وأيدَهَا ، وسدَّ الذريعةَ بأفعال حزم سددها ، ووطن أهلها ووطدَهَا ، وأورد من بها
 موارد الأمن لما وردَهَا .

ولما واجه إقبالنا فى هذه الأيام الوجه القبلى ، وصعد إلى الصعيد الأعلى ركبنا
 العلى ، لمخنا بلادَه وتعدُّدَهَا ، وتعين ملاحظته وتأكدَهَا ، وكثرة السلاك لسبله ،
 والملاك نحوَه ، والوراد لنهله ، والوفاد من قبسه ، وهو مهج التجار فى التوجه
 من أبوابنا الشريفة والجواز ، وباب اليمن والحجاز ، وفى الحقيقة هذا الحجاز يتعين له
 الحفظ وفيه الاحتراز ، وبه كراسى منها السيارة تمارو على سواها من البلاد تمتاز ،
 وبه مرا كرولاة ينفرد كل منها عن الآخر ويخاز ، وهى : إطفيح ، والبهنسى ،
 والأشمونين ، ومنفلوط ، وسيوط ، وإنجيم ، وقوص . وهذه الأقاليم مجتمعة متفرقة ،
 وحدود بعضها ببعض متعلقة ، وبها إقطاعات مقدمى الألوفا والطبخاناه والممالك
 والحلقه ، وإليها تردد الركضة والمرترقه ، وربما أخاف المفسدون من بعضها سبله
 وقطع طرقه ، فاتهم البرى ، وسلم الحرى ، ولبس على من هو عن الخيانة عرى ،
 فرأينا أن ننصب بهذه الأقاليم والى ولاية يجوس بنفسه خلالها ، ويدوس بخيله
 سهلها وجبالها ، ويقجا مفسدها ، ويبعث بعثه بها ، ويحمِد نفاقها ، ويحمِد وفاقها ،
 وينصف ضعافها ، ويذهب خلافها ، ويزيل شكواها ، ويكف عدواها ، ويصلح

(١) فيه تصحيف ولعله « ويفجا مفسديها ، ويبغت معتديها » .

فسادها ، ويوضح سدادها ، ويوصل حقوقها ، ويستأصل عقوقها ، ويواصل طرقها ، ويقابل بالعقاب فسوقها ، ويمنع باهتمامه ، أهواءها ، ويشفي بحسامه ، أدواءها .

ولما كان المجلس السامى ، الأميرى ، الحسامى هو الذى عرف أحوالها وخبرها ، وولى من أقاليمها ما علم به مصالحها وأعتبرها ، وعهدت منه الأمانة والكفاية ، وتحققت نهضته فى كل عمل ويقظته فى كل ولاية - أقتضى حسن رأى الشريف أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بهذه الأعمال المذكورة والأقاليم كلها ، وأن ينتضى فيها حسامه الذى ينبغى أن يرتضى ويتضى لمثلها ، وأن يحل محله إذ اخترناه لأعلى رتب الولاية واجلها ، وأن نصل أسباب النعمة لديه بهذه النعم التى كل ولاية فرع لأصلها .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تحض الرتب العلية بأهلها ، وتشمل دوى الأهتمام بإحسانها وفضلها - أن يفوض إلى المشار إليه ولاية الولاية بالوجه القبلى . فليباشر ذلك بهمة تمضى فى البلاد عزائمها ، ونهضة تسير إلى دانيها وقاصيها صوارمها ، وشهامة يدهش المتمردىن قادمها ، ويفقد مواد الفساد من حسامها حاسمها .

ونحن نرسم له بأمور يلازمها ، ونوصيه بوصايا يداومها ؛ أن يكون بتقوى الله تعالى عاملا ، وللتضح باذلا ، وللشريعة معظما ، وللمراقبة الله تعالى مقدما ، ولالحق متبعا ، وإلى الخير مسرعا ، وللمؤمنين مؤمنا ، وللمناقضين مؤهنا ، وللرعايا موطنا ، وللتزاهة مظهرها ومبطنها ، وعن الأبرياء كافا ، وعن الأتقياء عافا ؛ وعن الأموال منزها ، وإلى ما يصلح الأعمال من صالح الأعمال موجهها .^(١) وليغد فى الأمور مثبتنا ، ولدوى

(١) فيه شبه استخدام فالأول بمعنى الجهات والثانى بمعنى الفعل . فتنبه .

الفجور مشتبهاً ، ولسماع حُججِ الخُصوم منصتا ، ولا يجعل لُلوله الأقاليم حِيناً مؤقتاً ،
 بل يدخُل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها ، وليبغت بِجُلُوله هذه النواحي ليعلم ما هم
 عليه من ترك الفواحش أو فعلها ، وليقيم بكل جهةٍ من يعلمه بما يحتاج إلى علمه ،
 ويكرهه بما يفتقر أهل البلاد إلى الستر عنه وكتمه ، وليدحض الحارس والأدراك ،
 وليجعل لكل شاردٍ من بطشه أسرع إدراك . وقد رسمنا لولاية الأعمال المذكورة
 ومن فيها من تواب الأُمراء والمشايخ بهذه الصورة وأن لا يُجبروا مفسداً ولا يثووه ،
 ولا ينزلوا خائفاً ولا يثووه ، ولا يستروا مختمياً ولا يجبوه ، ولا يجلوا نازحاً ولا يوطئوه ،
 بل يحضروه ولا يؤخروه ، ويمسكوه ولا يتركوه ، ويسلموه ولا يحموه ، ومن خالف
 هذا المرسوم ، أو اعتمد غير هذه الرسوم ، فهو لنفسه ظُلم ، وقد برئت منه الذمه ،
 وزالت عنه الحرمة ، وزلت قدمه ، وذهب ماله ودمه ، وقُرئت مراسيمنا بذلك
 هنالك على منابر الجوامع ، وسمِعها كل سامع ، وهم لك على آمتثال أوامرنا مساعِدون ،
 وعلى اجتناب نواهينا معاضدون ، وللإصلاح ما استطاعوا مريدون وقاصدون ،
 فلا تمكّن أحداً من العُربان ولا من الفلاحين أن يركب فرساً ، فإنما يُعدها للخيابة
 مختلساً ، ولا يكون لها مرتبطاً ولا محتسباً ، وكُن لهم ملاقياً مُراقباً ، فمن فعل ذلك
 فانتقم منه بما رسمنا معاقباً ، ولا تمكّنهم من حمل السلاح ولا أبتياعه ، ولا استعارته
 ولا استيداعه ، وتفقد من الأقاليم من تجاره وصنّاعه ، نخد بالقيمة ما عند التجار ،
 وأقع بذلك نفس الفجار ، وأضرم نار العذاب على من أضرم لعمل ذلك النار ،
 وأمر كل فتين متعاديتين بالمصالحة ، وأكفف بذلك يد المسكافه ، وحلف بعضهم
 لبعض بعد تحليف أكابرهم لنا على السيرة الحميدة والنية الصالحة ، وخذهم في الخنايات
 بالعدل والمشاحه ، وفي المطالبات بالرفق إن لم تكن مُسامحه ، وأحلهم على محجة
 الحق الأبلج والشريرة الواضحة . وإذا رُفعت إليك شكوى فازلها ، أو سُئلت إقالة

عثرة لدى هيئة فأقلها ، أو وجب حد فأنه لحينه ، أو آرتبت في أمر فترو حتى تهتدى
ليقينه ، ولا تعتقل إلا من أجرم جرماً يوجب الاعتقال والحبس ، ولا تسرع
إلى ما تخشى فيه اللبس ، وأعمل على براءة الذمه ، واجهد أن لا يكون أمرك عليك
عُمة ، ولا ترجح للهوى على خصم خصمه ، ولا تظلمه فإن الظلم ظلماته ، وخف نقمة
الله فهي أعظم نقمه ، ولا تأخذك على البريء غلظة ولا فسوة كما لا ينبغي أن تأخذك
في الجريء رافة ولا رحمه ، والله تعالى يرفع لك بالطاعة رتباً ، ويمنح لك بالخدمة
طلباً ، ويبلغ بك في الإصلاح أرباباً ، ويرد بك أمر كل مفسد محبباً ، ويوضح لك
من الهداية معيياً ، ويُنزل بك من الخيرات صيباً ، والخطُ الشريف أعلاه ، حجة
بمقتضاه . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بنبابة السلطنة بالوجه القبلي أيضاً ، من إنشاء الشريف
شهاب الدين ، كتبه به «لعلاء الدين المرادي» وهي :

الحمد لله الذي جعل إقبالنا مسفر الوجوه ، ونوالنا مبلغاً كلاً من الأولياء ما يؤمله
من القرب من أبوابنا الشريفة ويرجوه ، وإفضالنا يوفر أقسام النعم لمن وفر دواعيه
على طاعتنا فلا يزال استحقاقه يعينه ويدعوه ، وإجمالنا يُجز وعود التقديم لمن تعددت
خدمه فلا يتجاوزه التكريم ولا يعدوه .

نحمده على أن جعل إنعامنا يهب الجزيل ويحبوه ، ونشكره على أن أقامنا نحيق
الحق فزفعه فيدمغ الباطل ويعلوه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هي خير ما ينطق به الإنسان
ويُفوه ، لا يبرح اللسان يكرر إخلاصها ويتلوه ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله

الذى رفع الله بِعِثَّتِهِ عن هذه الأمة كلَّ مكروه، وحيّ بِشِرْعَتِهِ الدينَ الحنيفَ فلا يُلمُّ به التبديلُ ولا يَعْرُوهُ ، وأفاضَ بَرَكَاتِهِ فى كلِّ وجهٍ ما يُوسِعُ الخيرَ ويُدْرَهُ ويمنع الشرَّ ويُدْرُوهُ ؛ صلى الله عليه وعلى آله الذين هم عِترته وأقربُوه ، وصحبه الذين آستمعُوا قوله وأتبعوه ، صلاةً لا يزالُ وافئذها يتبعُ سبيلَ الإجابةِ وَيَقْفُوهُ ، ويصلُّ إلى محلِّ القبولِ ولا يَحْفُوهُ ؛ وسَلَّمَ تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإنَّ الله تعالى لما قرَّنا آراءنا بالسداد ، وأحسن بنا النظرَ فى صلاح البلادِ ومصالح العباد ؛ لم نزلْ نرفعُ أقدارَ المخلصينَ بمزيةِ الاختيارِ والإرتدادِ ، ونجمعهم فى صعيدِ الإحسانِ ونُحْلِثُهم رُتبَ الإصعادِ ، ونُدْنِي منهم من له تامُّ أهتامٍ وشادُّ اجتهادِ ، ونميزُ منهم من حَسَنَ حالاً بالجمع والإفراد .

والولايةُ على الولايةِ بالوجهِ القبلىِّ من أهمِّ ما يُلَمَّحُ ، وأعمُّ ما يَخْتارُ له مَنْ لُحِقَ يَنْصُرُ وللخلقِ يَنْصَحُ ؛ إذ بهذا الوجهِ عيونُ البلدانِ ، ووجوهُ العُربانِ ، وكراسىُ الأقاليمِ الحِسانِ ، ومراكزُ الولاياتِ التى تُحِلُّ دائرةَ السَّوءِ بأهلِ العُدوانِ ؛ وإقطاعاتُ الجندِ والأمراءِ ، وانحواصُ الشريفةِ التى على عمارتها إجماعُ الآراءِ ؛ وعليه تَرَدَّدُ التُّجَّارُ ، وإليه بالميزةِ يُنَمَّرُ ، ومنه نتعدَّدُ المنافعُ فيتعيَّنُ أن ندفعَ عنه المضارَّ ، ونُلْقَى أمورَه لمن يُنتقى حزمُه وعزمُه ويُختارُ .

ولمَّا كان فلان هو الذى له ولاياتٌ أقتضتْ تقديمَه ، وسبقتْ منه سوابقُ خدَمٍ أجزلتْ تكريمَه ، وما زالَ فى الشامِ على المهمةِ حسنَ الشَّيمه ؛ وطهَّرَ البرَّ من كلِّ فاجرٍ ، ورأى أن التقوى أربحُ المتاجرِ ؛ وأعذبَ للرعيةِ من المعدلةِ المواردِ فصَدَرَ من أبوابنا إلى أحمدِ المصادرِ - أقتضى حسنُ الرأى الشريفِ أن نجعلَ له من إقبالنا النصيبَ الوافرِ . فلذلك رسمُ بالأمرِ الشريفِ - لا بَرَحَ يزيدُ الأقدارَ علاءً ويُظهِرها

من تكريمه في أحسن المظاهر - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالوجه القبلي
وجميع نواحيه ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته إلى آخر وقت .

فلتلق هذه الولاية المباركة بقبول حسن ، وليوقظ جفن سيفه الذي لم يعرف
الوسن ، وليثق الله ربه في السر والعلن ، وليحكم بما شرع الله وسن ، وليجتهد
في إحماد العواقب وإحماد الفتن ، ليسكن من تردد إليها أو سكن . وليلاحظ هذه
الأقاليم بعزائم السياره ، وليحافظ على سلوك سيرته الساره ، وليستطلع من كل بلد
أخباره ، ويتبع من كل وإل آثاره ، وإن رأى منكراً أزاله ، أو وجد مُبطلاً أذاله
أو حقاً أذاله ، وليعظم أحكام الشرع وحكامه ، وليجعل إمامه ليسعى نوره أمامه ،
وليطالعنا بما نتعين فيه المطالعه ، ويراجع أوامرنا فيما تجب فيه المراجعة ،
وليستجلب لأيماننا الأدعية النافعه ، وليباشر بنفسه الأمور التي هي له راجعه ، وليراع
في القضايا المصلحة الجامعه ، ولتكن حايته للأومنين واقية وفكته بالمجرمين واقعه ،
وليسع الرعايا بالمعدلة الواسعه ، ويمنع المجترئين بالأخذة الرابيه والهيبه الرادعه ،
ولا يمكن أحداً من العُربان بجميع الوجه القبلي أن يركب فرساً ولا يهتنيه ، ويكف
بذلك الأيدي المعتديه فإن المصلحة لمنهم من ركوبها مقتضيه ، وليقيم الحرمة
والمهابه ، وليدوم قيامه في الخدمة وانتصابه ، وليرهف حد عزمه ويضميه ، ويجرد
سيف الانتقام على المُفسدين ويتضيه ، ومن وجده من العُربان خالف المرسوم
الشريف من منعه من ركوب الخيل كائناً من كان ضرب عنقه ، وأرهقه من
البطش بما أرهقه : ليرتدع به أمثاله ، ولا يتسع لأحد في الشرّ بحاله .

وقد كتبنا إلى سائر ولاة الأقاليم بمساعدته ، وأمرناهم بمعاونته ومعاوضته ،
وأكدنا عليهم في المبادرة إلى ما يراه من جميع الأمور ، من غير تهاون ولا تقصير

ولا تُنور؛ حتى لا تفوت مصالحةً عن وقتها، ولا تزال جموع المعتدين معاملةً بكتبها، وقد حذرنا العربان من مخالفة مارثنا بالتعرض لما يوجب هلاك نفوسهم، وقطع رؤوسهم .

وليقرأ هذا المرسوم الشريف على المنابر بجميع نواحي الوجه القبلى لتمثل مراسمته، ويتلقى بالقبول قادمه، وليقفوا عنده، ويقفوا رُشده، ويرهبوا من الشر وعيده، وليستنجزوا من الخير وعده، وهو - بحمد الله - ما برح مهدياً، وبأكل الآداب مؤدياً، وبما يفعله إلى رضا الله تعالى ورضانا مقرباً، والله تعالى يجعله مختاراً محبباً، ويوزعه شكر منحننا الذى أجزل له الحبا، وخص به هذا العمل الجليل فضاعف خصبه وأهتر ورَباً، ويُطِعه مباركاً ميموناً حيث حلَّ قيل له : مرحباً، ويصعد به هذه الرتبة ويهبه توفيقاً مستصحباً، ويمهد به الطرق للسالكين حتى يتلوع عليه لسان التأمين : ﴿ فَيَمُومُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ ، والخط الشريف أعلاه، حجةً بمقتضاه، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد شريف بنيابته أيضاً ، من إنشاء المقر الشهابى بن فضل الله، وهى :

الحمد لله مطلق التصرف فيما كان ممنوعاً، ومنطق المتصرف ليكون قوله الصواب مسموعاً، وموسع نطاق المصرف فى جميع ما تعين أن يكون له مجموعاً .

نحمده حمداً يعدب ينبوعاً، وينبت بمزيد الشكر زروعاً، ويدرُ ضروعاً، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تتفرعُ فروعاً، وتسكنُ جموعاً وتسكتُ جموعاً، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أقوى لأهل الطغيان رُوعاً، وأجرى

لعيون الزرد عليهم دموعاً ، وأغرى القسي بالحين إليهم ورُوعاً ، وأسقط على
لباتهم طيور السهام وقوعاً ، ومهد البلاد بقتلهم فآمن من خوف وأطمع من تسكى
جوعاً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً تعم درع الفجر بشفقها الخالق صدوعاً ،
وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد، فإنه لا يستقيم نجاح الأمور، ويستدام صلاح الجمهور؛ إلا بتفقد أحوال
وآلاتهم، وتعهد سلوك الرعايا مع رعاتهم؛ ورد مجموع كل عمل إلى من لا يبيت طرفه
في مصالحهم مملوءاً من الوسن، ولا يقتر له في التنقل في مهماتهم جواد في رسن؛
ولا تهدأ سيوفه في الأعماد ما برقت بارقة فتن، ولا يشرب الماء إلا ممزوجاً بدم
ولا يبيت [إلا] على دمن؛ وكانت الديار المصرية المحروسة أحوج شيء إلى هذا
الموصوف، وأكثر اضطراباً إلى ما تُشامُ له في صلاح رعاياها الوامع سيوف؛ والوجه
القبلي بها هو الجامع ما يزيد على السبعة الأقاليم، الحائز من أهل الحضر والبادية
لكل ظاعن ومقيم؛ قد امتد حتى كاد لا ينتهي إلى آخر، ولا يلتهي بما يكنفه من بر
مقفر وبحر زاخر؛ قد جاور بالأودية العميقة الحوت في الماء وجاوره في السماء برفعة
الجال، وتناول حتى اتصل طرفاه الجنوبي بالجنوب والشمال بالشمال؛ وحوث
بحاريه من النيل المبارك [ما] مد الرزق المتد، وأمد المد المبيض على عبثه تراها
المسود؛ وهو الوجه الذي تعرف في كوثر نيله نصره النسيم، ويهر حسنا من أول
قطرة تقع من مرآه الجميل على وسيم؛ قد حال فيه الماء مجراً كما يشرب تدي ورد
الحدود، وحالاً كما ضرب الضرب في لى ريقه المورود؛ وكان لا ينهض بأعبائه،
ويرد بالغيظ متقرحة عيون رقبائه، ويمنع كل منسر منسرٍ يحذر أن يتهب وذيل^(١)
خبائه؛ إلا من تقدمت له درب يتعلم في جليل الخطوب من مضائها السيف

(١) في الأصل «أن يته وديل» .

المُدْرَب، وَيُقْتَدَى فِي دَقِيقِ التَّلَطُّفِ بِسِيَاسَتِهَا الْقَلَمُ الْمَجْرَبُ ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تَهَادَى كِفَايَتُهُ الْأَعْمَالُ ، وَيَتَعَادَى نَفْعُهُ وَالسُّحْبُ فَلَا يُدْرَى لِمَنْ مِنْهُمَا التَّرْوَى وَلِمَنْ الْإِرْتِحَالُ ؛ وَقَدْ وَلى الْأَعْمَالُ الْبَهْسَاوِيَّةَ وَهِيَ فِي هَذَا الْوَجْهِ الْجَمِيلِ أَهْبَجُ صُورِهِ ، وَأَهْبَى فِيهَا تَكَثُّرُ مَنْافِعِهِ الْمَشْهُورَةِ ؛ فَأَضْحَى الْمَعْلُ فِي بِيَادِرِهِ يَتَبَادَرُ ، وَالْإِقْبَالُ يَتَكَثَّرُ إِقْبَالُهُ وَالْمَحَلُّ يَتَنَازَرُ ، وَمُزْدَرَعَاتُهَا تُعْرَفُ سَيَاهَا فِي وُجُوهِهَا مِنْ أَثْرِ سَجُونِ اللَّيْلِ كَرَّعٍ أَخْرَجَ شَطَاهُ فَاسْتَاذَرَهُ ؛ فَاقْتَضَى حَسَنُ رَأْيِنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُطَلِّقَ تَصْرِفَهُ فِيمَا جَاوَرَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ نَشْعَلَ لَهُ يَمِينًا بِالْيَمِينِ وَشِمَالًا بِالشَّمَالِ .

نُخْرِجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ الْعَالِيَّ - لَا زَالَ يُؤَيِّدُ عِزَّ الدِّينِ ظُهُورًا ، وَيُتِمُّ لَهُ فِي أَعْمَالِهِ نُورًا - أَنْ يَكُونَ فُلَانٌ كَاشِفًا وَوَالِيَ الْوَلَاةِ بِالْوَجْهِ الْقَبْلِيِّ بِأَجْمَعِهِ : مَعْطَلُهُ وَمُزْدَرَعُهُ ؛ وَبِرِّهِ وَبِحِرِّهِ ، وَعَامِرِهِ وَقَفْرِهِ ؛ وَأَهْلِي حَضْرِهِ وَبَادِيَتِهِ ، وَأَصْحَابَ زَرْعِهِ وَمَاشِيَتِهِ ؛ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ فِي ذَلِكَ ، لِأَمْنِ الْمَقِيمِ وَالسَّالِكِ ؛ وَيَجْعَعُ عَلَى الطَّاعَةِ مِنْ قِبَلِهِ هُنَالِكَ ، وَيَنْتَظِمُ عَقْدَ عَقَائِدِهِمُ الْمُتَهَالِكِ ؛ وَيَقْوَى اللَّهُ أَجْرَهُ ، وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ يَكُونُ نَهْيَهُ وَأَمْرَهُ ؛ وَالْحُكْمُ وَالْأَحْكَامُ هُمَا مَا هُمَا فَلْيَحْفَظْ زِمَامَهُمَا ، وَلْيَنْفِذْ إِلَى الْأَغْرَاضِ سِهَامَهُمَا ، وَلْيُؤَصِّلِ الْحَقُوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَيَسَهِّلِ الْمَطَالِبَ عَلَى طُلَّابِهَا ؛ وَلْيُنِصِفْ إِنْصَافًا لَا يُسْتَكْنَى مَعَهُ حَيْفٌ ، وَلْيُقِمِ الْمَهَابَةَ حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَى التَّعَدَّى طَارِقُ طَيْفٍ ؛ وَلْيَجَرِّدْ عِزَّائِمَهُ فَإِنَّ مِنَ الْعِزَائِمِ مَا هُوَ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ ، وَلْيُحْسِنِ قِرَى النَّيْلِ الْقَادِمِ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ فَإِنَّهُ ضَيْفٌ .

فَعَلَيْكَ بِمَا نَأْمُرُكَ بِهِ مِنْ تَعْبِثَةِ صُفُوفِ الْجُسُورِ لِأَمْدَادِهِ ، وَالْإِسْتِعْدَادِ لِمَجْرَى عَوَالِي صَوَارِيهِ وَبِحُرَى حِيَادِهِ ؛ وَتَنْفَقْدَ قَبْلَ قُدُومِهِ طَرِيقَهُ ، وَأَتْرُكْ عَنِ رِيِّ الْبِلَادِ تَعْوِيْقَهُ ؛ وَأَقِمِ الْجُسُورَ ، فَهِيَ قِيَامُ الْجُسُورِ ؛ وَأَحْفِرِ التَّرَاعَ فَإِنَّهَا تُرَاعَى ، وَأَسْفِرْ لَهُ

(١) لم نعر على هذا الجمع في كتب اللغة وإنما التبعة كغرفة لإفرادا وجمعا .

عن عرائس قُراها المجلوة وجوها كلما قسن له إصبعا يقبس ذراعا؛ وأقطع بإيصال
حق كل ناحية إليها من الماء منازعة الخُصوم، وتبهم أن الماء قسمة بينهم لكل منهم
شرب يوم معلوم؛ ولا تدع [به أحدا] من أهل المفاسد، ومن جرت لهم بسوايق الفتن
عوائد؛ ومن يتعزز برب جاه، ومن لا يكون له إلى حماية أنجاه؛ ومن خرج بوجهه
للشر مصرّحا، أو لباب عقاب مستفتحا؛ أو وقف على درب أو قطع طريق،
أو توعد أهل رفاق أو أهل فريق؛ أو أقدم على ضرر أحد في نفس أو مال،
أو خشيت له عاقبة في بداية أو مال؛ أو نزل في بلد أمير ليتغطى بجناحه، أو ترائى
إلى عصابة يحل منهم حد سلاحه؛ فسئل عليهم سيفك الماضي، وأحسن إلى الناس
إذا خشيت أن تسيء إليهم التقاضى؛ ومن أمسكته منهم فأمض حكم الله فيهم،
وأقم الحدود على متعديهم؛ وطهر الأرض بماء السيوف من أنجاسهم، وعاقب منهم
أناسا بجبل الوريد إلى مدارج أنفاسهم؛ وأصلب منهم على الجذوع من تناوح الرياح
بسعفهم، وأوثق منهم بالسلاسل والأغلال من لا تقتضى جرائمهم إيصالهم في المقابلة
إلى حد تلقهم. وأكرم قدوم من يرد عليك من الكارم، وقرر بحسن تلقك أنك
أول ما قدمناه لهم من المكارم؛ فهم شتم كل نادى، ورفاق كل ملاح وحادى؛
ولا بد أن يتحدث السمار، وتداول بينهم الأسمار؛ فاجعل شركنا دأب السنتهم،
ومننا حلية أعناقهم، ومنعنا سببا لاستجلاب رفاقهم؛ فهم من مواد الإرفاق،
وجواد ما يحمل من طرف الآفاق؛ وقد بقي من بقايا أهل العقائد الفاسدة، والمعاهد
البائده؛ من يتعين إبعاد قائمهم، والتيقظ لمتيقظهم والنوم عن نائمهم. ونحن نذنبك
على هذه الدقائق، ونوقفك على أطرافها ولك رأيك إذا حقت الحقائق؛ وطالع
أبوأبنا العالية بما أشكل عليك، تنتزل أنوار هدايا أقرب من رجع نفسك إليك؛

(١) لعل حرف النون زيادة من قلم الناسخ.

وأقدر حقَّ هذه النعمة فإننا أوليناك منها ما لا يُضاهى، وليناك من بلادنا قبلةً
 ترضاها، وتوليناك حيث وجهت وجهك شطر المسجد الحرام، ونوعت لك أرواح
 الحجاز وأنت في مصر وريفها العام، والله تعالى يديم منك سيفاً يروع مهزده، ويؤيد
 بك الدين فإنه بك يقوم جاهه ويُدومُ عزه، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه.
 إن شاء الله تعالى .

الوجه الثانى

(من وجهى الديار المصرية البحرى، وهو الشمالى)

وكانوا في الزمن القديم يخصونه باسم الريف، مثل اختصاص الوجه القبلى بالصعيد.
 وأرباب الولايات فيه على ضربين :
 (١)

الضرب الأول

(أرباب السوف)

وتختص الكتابة منهم الآن عن الأبواب السلطانية بنائب السلطنة بالوجه
 البحرى، ومقره مدينة دمنهور من البحيرة . وكان في الزمن المتقدم يكتب في البحيرة
 بوالىها، وكذلك في كل من سائر الأعمال بالوجه البحرى، وفوق الكل ولاية عامة،
 يعبر عن صاحبها بوالى الولاية، وربما [زيد] بالوجه البحرى، وربما عبر عنه
 بالكاشف . ثم استقرت نيابة في رتبة تقديمة العسكر بغزة في أيام الظاهر برقوق،
 على ما تقدم ذكره في المسالك والممالك في المقالة الثانية .

وهذه نسخة تقليد تصلح لنايب الوجه البحرى، مما كان كتب به المقر الشمبانى
 ابن فضل الله لوالى الولاية بها، وهى :

(١) لم يذكر الثانى . فنبه .

الحمد لله الذى أقام بنا كاشفاً لكل شكوى ، كاسقاً بال كل عدوى ، عارقاً بنهاية كل دعوى ، عاطفاً بعدلنا إلى إزاحة كل لأوى ، وإزالة كل بلوى .

نحمده وهو أهل الحمد والتقوى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نؤمن بها الدانية والقصوى ، ونؤمن بها على السر والتجوى ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف من مهد له جنّة المأوى ، وأشرف به على شرف المئوى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فطم بشريعته نفوسهم عما تهوى ، وفطر فطهم عليها حتى لا تضل ولا تغوى ، صلاة ترتوى بفائضها السحب ما تروى ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن من سجايا أيامنا أن نكشف كل كرب ، ونحسن إلى رعايا بلادنا إحساناً ينوع في كل ضرب ، ونديم الأمن حتى لا ندع سوى النيل قاطع طريق أو خارجاً على درب ، ونجرد من المهابة سيقاً يخشى من قربه ، وطيفاً يبئس به طير الكرامتهم على جنبه ، وخوقاً لبأه من الخصائص المحمدية أنه يتقدم إلى قلوب الأعداء مسيرة شهر [جيش] رعيه ، وكانت الديار المصرية المحروسة هى التى لا يجمد سواها ذو وجهين ، ولا يوجد لها فى جانبيها مماثل فى شيئين ، والوجه البحرى أوسعهما عرضاً ، وأقربهما من الرى أرضاً ، وأصدقهما للبارق المحمر ومضاً ، وأجمعهما للذهب مذهب وللفضة إفضاً ، وأثبتهما وطأة لجرى النيل إذا أقبل فى تياره يتدافع وأشتدت خيله ركضاً ، وهو الوجه المتهلل بشراً ، المتضوع بطيب رياحه نشراً ، المترين بمدائه أكثر مما زينه فى مقاصيره قيصر وفى مدائه كسرى ، المنتنى بعروس كل قرية زف بها النيل فى مسرى ، وبه الثغور التى لا تُشام لها بروق ، والمحارس التى ما لعادية إليها طروق ، وله من البحرين حازان ، ومن الجانبين بر مقفر وريف مقمر متبارزان ، وفيه من الشعوب والقبائل فى الحضر والبادية من

(١) لا يُؤْمَنُ مِنْهُ بِأَثَرِهِ، وَلَا يُحْسَدُ بِغَيْرِ مَا يُرَاقُ مِنْ دَمٍ مُفْسِدِيهِمْ نَائِرُهُ . وكان لا يُقَوْمُ بِهَا كُلُّ الْقِيَامِ، وَيَجْمَعُ فَرَائِدَهَا الْمَشْدَرَةَ فِي أَكْلِ نِظَامٍ؛ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِ الْأُمُورِ بِقَلْبِهِ كُلِّ التَّقْلِيْبِ، وَجَرَّدَتْ النَّوْبَ عَزَمَهُ فِي النَّوَابِ بِجَرْدَتْ سَيْفًا يُجَدُّ فِي التَّجْرِيْبِ؛ وَلَمْ يَزَلْ مِنْدُ بَلِغِ الْحُلْمِ أَمِيرًا مُطَاعًا، وَمَنْدُوبًا لَا يَفْرَقُ فِي الْمِهْمَاتِ إِذَا طَارَتْ نَفُوسِ الْأَنْظَارِ شِعَاعًا، وَأَوْقَدَتْ الْأَسِنَّةَ سُوعَا، وَهَمَامًا لَوْ أَوْمَضَ الْبَرْقُ سَاعَةَ بُؤْسِهِ لَا رَتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ زَمْعًا لَا إِزْمَاعًا، أَوْ قَابَلَهُ الرِّيحُ الْمُعْتَدِلُ عِنْدَ أَحْكَامِهِ لِأَطْبَقَتْ الْأُمْمُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمَائِلُهُ فِي الْعَدْلِ قَطْعًا وَأَجْمَعَتْ عَلَى تَقَرُّدِهِ إِجْمَاعًا .

وكان فلان هو العليل ههما، الجزل مداومة الجزيل ديمًا، الملى بما لا يقدر على مثل دفعه البحر متدققا وهمى الغمام منسججا؛ وقد حمدنا له في كل ما باشره أثرًا، وأحمدنا بحمائل ملاحظته كل برضرا؛ فباشر الوجه القبلى فملا عين الناظر المتوسم، وعم سروره حتى غامزه جاره الوجه البحرى بينانه المخضب وضاحكه بغيره المتبسم؛ فلما تنقل فيهما استقرار (؟) الوجهين وما وآلهما، وعرف في وجهه نضرة النعيم بما أولاهما، وأخصب جانباهما، وجد بهذا كله ثم جد بهذا فطاب الواديان كلاهما؛ فأقتضى حسن الرأى الشريف أن لا يخلو الوجهان معًا من نظره الجلى الجميل، وأن يخلو عليه محاسنهما الكاملة ليُفَارِقَ عَلَى وَجْهِ جَمِيلٍ وَيُوَاصِلَ عَلَى وَجْهِ جَمِيلٍ .

نخرج الأمر الشريف - لازل يختار علينا، ويختار كل غمام يرتضى له وليًا - أن يكون والى الولاية بالوجه البحرى جميعه، متفردا بأفراده ومجموعه، ومحكمًا في قبائله ومجموعه؛ وبعيده وقريبه، وبدعيه وغريبه؛ وكل ما هو داخل فيه، عائد إلى أعماله وراجع إلى متوليه، على عادة من تقدم وقاعدته فيما يليه؛ وهى ما يُدَكَّرُ مِنَ الْأَعْمَالِ:

(١) لم يتقدم ما يعود اليه الضمير وان كان الغرض واضحًا .

(٢) خوفًا ودهشًا .

الغريسة ، الشرقية ، البحيرة ، المنوفية ، إبيار ، أشمون ، قليوب . ولا أمر
ولا نهى إلا إليه راجع ، وله في متجددات الأمور مراجع ؛ ولا أرباب تصريف
إلا وله عليهم تصرف ، ولا صاحب جد ولا حد إلا فيه يمضى ويتوقف ؛ وتقوى
الله تعالى أول ما نصيه بسببها ، ونوصله إلى ربها ؛ وإقامة الشرع الشريف وإدامة
مبارزه وإعلاء مناره ، ومعاضدة حكمه وحكامه وأعوانه وأنصاره ؛ والوقوف معه
في إيراده وإصداره ، وإعلانه وإسراره ، والعمل به فإنه ما يضل من مشى في ضوء
نهاره ؛ وعمارة البلاد ، بإدامة العدل وتكامل الرى وتوطين السكّان وقمع الفساد ؛
واعتقاد حكم التذاكر الشريفة لأمر الحراريق التي تعمل ، والترع التي تراعى والجسور
التي لا يقدم جسور على أنها تهمل ؛ فهما قانون الرى الكامل ، والضامن لحصب البر
السائل ؛ وإذا أجرى الله النيل على عاداته الجميلة لا يدع للخل عينا حتى يوارى
بالرى سوءته ، ويخفف بتيسر وصبوب حق كل مكان إليه وطأته ؛ ولا يدع عاليا
إلا مستفلا ، ولا معطلا إلا معتملا ؛ ولا طوق بحر إلا تمتد يد النيل إلى زر جيوبه ،
ولا طائف رمل إلا يطوف طائف شرب على جرعائه وكثيبه ، حتى يعم الجميع ،
ويعمر ربوعها بما ينسجه لها من ملابس حُلل الربيع . وعليه بالإنصاف بين
المساكين ، والإنصات إلى الباكين منهم والمتباكين ؛ ووصل أمورهم على الحق
الذى نشر الله في أيامنا الزاهرة عالمه ، ومقتضى الشرع الشريف فإنه ما خاب من
أدام عليه حكمه وأدار إليه عمله . وأما أهل الفساد والأشتباه ، ومن يحتمى
بصاحب شوكة أو يتمسك برب جاه ؛ أو ينزل بلد أمير كبير مستظلاً بذراه ، أو ملتجئاً
من خوف أو مستطعياً من قرى قرآه ؛ بغميع هؤلاء نتبع فرقتهم ورفاقهم ، وطهر
الأرض منهم وأمسخ بالسيوف أعناقهم ؛ وأسجِم في قتلاهم ، وأثقل بالقيود أسراهم ،

(١) فى الأصل شريب . (٢) لعله وأنحن .

وشدّد وثاقهم وكذلك من حمّاهم ووالاهم ، أو استحسن أو من عليهم أو مانع عنهم ، أو قال ما هو منهم وهو منهم ، وكلّ أجرهم في الحكم مجراهم ، وأطل تحت أطباق الثرى نواهم ، ونبه منهم أناسا على رءوس الجدوع وأنهم آخرون نومة لا ينتبهون بها من كراهم ؛ حتى يتأدّب بهم كلٌّ من أعرض ، ويتداوى بمداواته كلٌّ من في قلبه مَرَضٌ . وما أشكل عليك فاسترشد فيه بمطالعة أبوابنا الشريفة : لتجد هدى واضحا ، وحقا لائحا ؛ والله تعالى يجعلك من المهّدين لأرضه ، القائمين في أنواع الجهاد بفرّضه ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .

الجهة الثالثة

(درب الحجاز الشريف)

وقد تقدّم أنه كان في الزمن المتقدم يكتب عن السلطان تقليدًا لأمر الرّكب في الدولة الفاطمية وما تلاها . أما الآن فقد ترك ذلك ورُفِضَ كما رُفِضَ غيره من الكتابة لأرباب السُّيوف بالحضرة السلطانية ، ولم يبق الآن من يكتب له من ديوان الإنشاء شيء سوى قاضي الرّكب . وقد جرت العادة أن يكتب له توقيع في قطع العادة مفتتحًا بـ «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، كتب به للشيخ «تقي الدين السبكي» رحمه الله في مبدأ أمره ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال يُعِينُ على البرِّ والتَّقْوَى ، ويرتادُ لوَفَدَ اللهُ مَنْ يَتَمَسَّكُ في نَشْرِ الأحكام الشرعية بِبَنِيهِمُ بالسبيل الأقوم والسبب الأَفْوَى - أن يستقرّ فلانٌ في كذا : لما أختصَّ به من غزارة علومه ، وإفاضة فضائله المتوقعة إلى قوته

في الحق وتصميمه ، فإنَّ مثله من يُختار لهذه الوظيفةِ الجاريةِ بينَ وفدِ الله الذين هم أحقُّ ببراءةِ الذمِّ ، وأولىُّ بمعرفةِ حكمِ الله تعالى فيما يجبُ على المتلبِّسِ بالإحرامِ والداخلِ إلى الحَرَمِ ، وأحوجُ إلى الأطلاعِ على جزاءِ الصيدِ فيما جزاءُ المتعرِّضِ إليه مثلُ ماقتلِ من النعمِ ؛ إلى غيرِ ذلك من ثبوتِ الأهلةِ التي ترتبُ أحكامُ الحجِّ عليها ، والحكمُ في محظوراتِ الإحرامِ وما يجبُ على المتعرِّضِ إليها ؛ فليباشرِ هذه الوظيفةَ في الوقتِ المشارِ إليه على عادةٍ من تقدَّمه فيها ، مجتهداً في قواعدها التي هو أولىُّ من نهضَ بها وأحقُّ من يُوفِّيها .

قلت : أمَّا شهودُ السبيلِ المعبرِّ عنهم بشهودِ الحِمَلِ ، فإنما تكتب لهم مربيَّاتٍ شريفةً من ديوانِ الوزارة .

تم الجزء الحادى عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثانى عشر

وأوله القسم الثانى

(مما يُكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية - أربابُ

الوظائف بالممالك الشامية)

والحمد لله ربِّ العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

(المطبعة الأميرية ٥٠٧٠/١٩١٧/٣٠٠٠)

فهرس

الجزء الحادى عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندى

صفحة

- الفصل الثانى — من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من
الولايات عن الملوك، وفيه ثلاثة أطراف ٥
- الطرف الأول — فى مصطلح كتاب الشرق ٥
- الطرف الثانى — فى مصطلح كتاب الغرب والأندلس فيما يكتب من
الولايات عن الملوك، وفيه ثلاثة أضرب ٦
- الضرب الأول — ما يكتب لأرباب الوظائف من أصحاب السيوف ... ٦
- الضرب الثانى — ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية من أصحاب الأقلام ٢١
- الضرب الثالث — ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ٢٦
- الطرف الثالث — فى مصطلح كتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء
الفاطميين وفيما بعدهم ٢٨
- الحالة الأولى — ما كان عليه أمر نواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء
الدولة الطولونية ٢٨
- الحالة الثانية — ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم
إلى أتقراض الدولة الأخشيدية ٢٩
- الحالة الثالثة — ما كان عليه الأمر فى زمن بنى أيوب ٣٢
- الحالة الرابعة — مما يكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات
ما عليه مصطلح كتاب الزمان بديوان الإنشاء بالديار
المصرية مما يكتب عن السلطان لأرباب السيوف
والأقلام وغيرهم : من التقاليد والمراسيم، والتفاويض،
والتواقيع ، وفيه ثلاثة مقاصد ٧٢

صفحة

- المقصد الأول — فى مقدمات هذه الولايات ، وفيه مهيان ٧٢
- المهيح الأول — فى بيان رجوع هذه الولايات الى الطريق الشرعى ٧٢
- المهيح الثانى — فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات ٧٤
- المقصد الثانى — فى بيان مقاصد ما يكتب فى الولايات ، وفيه جملتان ١٠١
- الجملة الأولى — فى بيان الرسوم فى ذلك [ولم يذكر فى الأصل غيرها] ،
وهى على أربعة أنواع..... ١٠١
- النوع الأول — التقاليد..... ١٠١
- النوع الثانى — المراسيم ، وفيه ضربان ١٠٧
- الضرب الأول — المراسيم المكبرة ١٠٧
- الضرب الثانى — المراسيم المصغرة ١١١
- النوع الثالث — التفاويض ١١٢
- النوع الرابع — التواقيع ، وهى على أربع طبقات ١١٤
- المقصد الثالث — فى بيان كيفية وضع ما يكتب فى هذه الولايات فى الورق ١٢٧
- فى ذكر نسخ مما يكتب فى متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكبرة
والتفاويض والتواقيع ، وهى على ثلاثة أقسام ١٣٣
- القسم الأول — ولايات وظائف الديار المصرية ، وهى على نوعين..... ١٣٤
- النوع الأول — الولايات بالحضرة ، وهى على ستة أضرب ١٣٤
- الضرب الأول — ولايات أرباب السيوف ، وهى على طبقتين..... ١٣٤
- الطبقة الأولى — ذوات التقاليد ، وهى ثلاث وظائف ١٣٤

الوظيفة الأولى — الكفالة، وهي نيابة السلطنة بالحضرة	١٣٤
الوظيفة الثانية — الوزارة لصاحب سيف	١٤٨
الوظيفة الثالثة — الإشارة، وهي وظيفة قد حدثت كتابتها ولم يعهد بها	
كتابة في الزمن القديم	١٥٣
الطبقة الثانية — ممن يكتب له من أرباب السيوف ذوات التواقيع،	
وفيها وظائف	١٥٦
الوظيفة الأولى — نظر البيمارستان لصاحب سيف	١٥٦
الوظيفة الثانية — نظر الجامع الطولوني	١٥٩
الوظيفة الثالثة — نقابة الأشراف	١٦٢
الضرب الثاني — ممن يكتب له بالولايات بالديار المصرية أرباب	
الوظائف الدينية، وهو على طبقتين	١٧٤
الطبقة الأولى — أصحاب التقاليد ممن يكتب له بالجناب العالی	١٧٤
الطبقة الثانية — من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التواقيع،	
وتشتمل على مراتب	٢٠٤
المرتبة الأولى — ما كان يكتب في النصف	٢٠٤
المرتبة الثانية — ما يكتب في قطع الثلث، وتشتمل على وظائف	٢٠٤
المرتبة الثالثة — من الوظائف الدينية ما يكتب في قطع العادة الصغير	
مفتتحاً برسم بالأمر الشريف	٢٦٨

صفحة

- الضرب الثالث — من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية
- ٢٧٠ الوظيف الديوانية ، وهى على طبقتين
- الطبقة الأولى — أرباب التقاليد ممن يكتب له الجتاب العالى ،
- ٢٧٠ وفيها وظيفتان
- الطبقة الثانية — من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية
- ٣١٦ أصحاب التوقيع ، وهم على ثلاث درجات
- الدرجة الأولى — ما يكتب فى قطع النصف ، وتشمل على ثلاث وظائف
- ٣١٦
- الدرجة الثانية — ما يكتب فى قطع الثالث ، وتشمل على وظائف
- ٣٣٣
- الدرجة الثالثة — ما يكتب فى قطع العادة ، وفيها وظائف
- ٣٥١
- الضرب الرابع — من الوظائف التى يكتب فيها بالديار المصرية مشيخة
- ٣٧٠ الخواثق ، وكلها يكتب بها توقيع
- الضرب الخامس — من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة
- ٣٧٧ أرباب الوظائف العادية ، وكلها توقيع
- الضرب السادس — من أرباب الوظائف بالديار المصرية زعماء أهل
- ٣٨٥ الذمة
- النوع الثانى — ماهو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة من وظائف
- الديار المصرية مما يكتب لأربابها ، وهى ثلاث
- ٤٠٥ جهات

صفحة

- الجهة الأولى — ثغر الإسكندرية ، والوظائف فيها على ثلاثة أصناف ... ٤٠٥
- الصف الأول — وظائف أرباب السيوف ... ٤٠٥
- الصف الثاني — الوظائف الدينية ... ٤٠٨
- الصف الثالث — الوظائف الديوانية ، وهي على طبقتين ... ٤١٩
- الطبقة الأولى — من يكتب له في قطع الثلث بالمجلس السامى بالياء ٤١٩
- الطبقة الثانية — من يكتب له في قطع الثلث بالمجلس السامى بغيرياء
- أو مجلس القاضى ... ٤٢٣
- الجهة الثانية — مما هو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة بالديار
- المصرية بلاد الريف ، وهي وجهان ... ٤٢٦
- الوجه الأول — الوجه القبلى ، وهو المعبر عنه بالصعيد ... ٤٢٦
- الوجه الثانى — من وجهى الديار المصرية البحرى ، وهو الشمالى ... ٤٣٨
- الجهة الثالثة — درب الحجاز الشريف ... ٤٤٢

(تم فهرس الجزء الحادى عشر من كتاب صبح الأعشى)